

عبد الرحمن بن محمد أحييلاني

تاریخ الجزائر العاشر

يُشتمل على بيان وافٍ مفصلٍ لتأريخ النظر المعاذري في جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والطبية والدينية والأدبية والفنية والاقتصادية والمرأوية والصناعية مع ترجمة المغزيرين وارباب الفراغ من متأثري المعاذريين منذ أقدم العصور إلى الآن.

卷之六

ابحزو الاول

ما كان في هذه الدنيا بثو ذمن
إلا وعندى من أشجاره طرف

مكتبة الشركة - المحرر - المحرر المسئول

مرازقہ و بوداود و شرکا عطا

مَنْشُورَاتٌ دَارِ مَكْتَبَةِ الْحَيَاةِ - بَيْرُت

طبعة ثانية جديدة
منقحة ومتقدمة

١٣٨٤ م ١٩٦٥ .٦ .٢

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا رَبَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وِجْهِكَ وَلِعَظَمِ سُلْطَانِكَ
اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَواتَكَ وَرَكَاتَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
كَمَا جَعَلْتَهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ حَمِيدٌ

نادي بقق الجزائر العام

تقديم

رب أعني ...

أما بعد باسم الحرية المقدسة أتقدم مليئاً أخواني حفظهم الله تعالى الذين هم كثيراً ما اسموني المحاجم المؤكدين في وضع كتاب موضع تاريخ الوطن الجزائري الكريم جامع الحقائق التاريخية بجردة آتى بذكر تفاصيل الواقع معلنة باسبابها وتتابعتها منذ اقدم العصور الى الان ... مع اشتراطهم علىَّ بان يكون ذلك في اسلوب سهل وعميقي حر ونظام عصري وطريقة واضحة ! ... ولموري ان البعض من هذا في موضوع واسع كهذا لينوه بالعصبة أولى القوة فكيف بهذا العاجز الضعيف ! ... فاعترفت للوفقة الكرام بشئي المعاذير فلم يقبلوا ، وشرحت لهم ضعفي وقصوري امام كل هذه القبرة والظروف الضيقة فلم ينصلحوا ، بل انهم قبتوا مصممين على دأبهم راسخين فيه رسوخاً لا يغيره تنقل الزمان وتلونه ، ولا علل الدهر وحوادثه ... بل ما زادهم ذلك الا صلابة في التمسك برأهم وحده فيه ، ولسانهم الناطق يقول : لا مليئاً ولا منبع لك منه ولا سيل الا اليه . فله الاخر من قبل ومن بعد ! ... وآخرأ رضخت لطلبهم واسمعتهم في اقتراحهم « مكره اخاك لا بطل » بوضع هذا السفر المتواضع ، مقتضاها على ذكر الام فالام من حوادث التاريخ الجزائري الماجد ، محكمها فيه الروح العالية والامانة التاريخية المضافة ،

متعدداً ما استطعت من كل تهمس او انفعال كيما كان نوعه او تعدد مثراه . جامعاً به ما لا يسع الانسان جمله . ولا يحسن - بالجزائري على الاخص - اخاله ، مكتباً في بعض الموضع بالإشارة الماطلة الى ابرز الواقع واهماها وذلك لضيق المجال عن التفصيل او لقلة فائدته ؛ مع الالاع الى سير المسران والمحضرة الجزائرية وسيرة مشاهير الوطنيين من عبارة الجزائر في مختلف العصور والاحقاب .

اذ دراسة التاريخ تعتبر اعظم دروس ممتع لتبني احوال الماضي في خدمة المستقبل ، فهي تعطينا امثلة واقية نظرية عن سير جميع شخصيات الماضي ، وحتى الاخطاء التي ارتكبها الاشخاص من الامم تعطينا هي كذلك دروساً نظرية عية البحث بعث فيها داعي العبرة فتتجنب الوقوع في مثل تلك الاخطاء حاضراً ومستقبلاً ، والتاريخ يعيد نفسه كما قيل .

وقد مضى وهو المد الزمن الذي كان فيه الملوك والافراد يملكون زمام الشعوب ويفرضون سيطرتهم عليها كيما شاءوا وشاءت لهم اهواؤهم واصبحنا بفضل الله علينا في زمن اضحت فيه السلطة بيد الشعب فهي وحدها التي تحكم نفسها بنفسها وتقرر مصيرها ، كما ان التاريخ وحده هو الذي يعطينا فكرة واضحة جلية عن سير المدينة والثقافة التي مر بها هذا الوطن خلال العصور ، فهو نعم الاستاذ في تربية الانفكار وتوصيمها ، وجذب المثلن والواعظ لبث الاخلاق الفاضلة ونشرها بين الناس وتنبيتها :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان مذهب اخلاقهم ذهبوا

وزهرت جهوده المتنطع عن كل تعقيد واجهام ، سالكاً فيه مسلكاً سهلاً بسيطاً لا يحتاج فيه المتعلم الناشيء ولا القارئ العادي الى كدح ذهن ولا جهد فكر ولا اعنت رؤبة . ولا ادعى الفضل في ذلك ، حيث اني لم اجز فيه بشيء جديد او مبتكر حديث وانما هو جمع وتدوين لما كنت سطرته لنفسي وجمعته من تاريخ وطني العزيز المشتت هنا وهناك ! ... مع تنسيق نصوصه الوثيقة ووضعيها حسب نظامها الطبيعي من غير التاريخ الى الآخر . وتعتمدت الابجاث في القسم الاول الخاص

ما قبل الاسلام لعدم تعلق الفرض الشديد به اليوم ، واهبته مثبعاً
البحث في المصور الاسلامية اهاباً بحمل الثاب المسلم الجزائري على احتوام
بلاده وغبيده تاريخه اللامع العظيم والثقة بستبله الراهن النير ، مع نفع
روح القومية فيه ، واعداده لوصل حاضره باضيه ، حتى تتكامل فيه
اركان الحياة الاربية : الحافظة على شخصيته وميزته ، وتقدير اسلامه
الاجماد ، والتسلك بدينه ، والعمل على الاشادة بوطنه ...

واعتقد اني بذلك خلصت تارينتنا الماجد من ان يبقى مكتوبآ عرضاً
ضمن تاريخ الامم والشعوب والاقطارات المستمرة ، او ان يكون كفصل
ملحق بكتاب معمتوه العرض ، ارجو ذلك ان شاء الله .

وليس لأحد بعد الله عز وجل علي في ذلك فضل او منه الا ما انا
مدبن به للكتب ومؤلفها الاعلام وهم الذين ذكرتهم متواهاً باسماائهم في
صدر هذا الكتاب وهو امته ، او ما انا مقر به لربة البيت والعفاف
الحليلة الكريمة قرئتي وشرفيكة حياتي ورفيقتي في السير بهذا العمل المتواضع
المنعم المبرورة : ام غالب « ميمي خداوج » - سقى الله ضريحها - من
المؤازرة العظيمة فيها كانت قدني به من تجريبات تاريخية وبحوث نفيسة
 تستخلصها من مطالعاتها المستمرة وقراءاتها المتتابعة لكتب الافرنج الباحثين
في موضوع تاريخ الجزائر ، فكانت دوتها الله تلخصها وتترجمها الى العربية
طيلة ايام اعدادنا لهذا التأليف وجمع شأنه من اوه الى آخره .

فكانـت وهي عثارـكتها هذه مبتـجهـة مـسـرـورـةـ منـ غـيرـ انـ تـبـاليـ باـ
تجـشـهـ منـ اـتعـابـ وـمـشـاقـ بـالـاضـافـهـ الىـ نـشـاطـهاـ الدـائـمـ المـسـرـ فيـ القـيـامـ
باـ يـنـطـلـقـ الـبـيـتـ مـنـ الـواـجـبـ الـفـرـوـرـيـةـ وـالـمـاـصـالـعـ الـكـهـالـيـةـ اـيـضاـ ، فـكـانـ
مـنـ الـواـجـبـ الـحـمـمـ عـلـيـ نـحـورـهاـ - وـقـدـ اـصـطـفـاـهـ اللـهـ الـيـوـمـ جـلـوارـهـ وـاخـتـارـهـ
مـاـعـنـهـ - انـ اـنـوـهـ بـاسـهـاـ شـاـكـرـاـ لـسـاعـيـهاـ الـجـلـيلـةـ ، وـيـمـدـاـ لـمـأـتـهـ الـجـيـدةـ .
وـماـ اـنـفـلتـ ذـلـكـ - يـعـلمـ اللـهـ - فـيـ الطـبـعـةـ الـاـوـلـىـ هـذـاـ الـكـتـابـ تـهـارـنـاـ
بـشـائـهـ اوـ غـطـاـ لـهـاـ الطـبـيـعـيـ اوـ هـاـخـمـاـ لـعـلـهاـ الـجـارـ وـفـضـلـهاـ الـمـزـاـيدـ فـيـ
تـكـوـنـ هـذـاـ الـكـتـابـ كـلـاـ وـالـلـهـ ! ... وـلـقاـ وـقـعـ ذـلـكـ مـنـهـ عـنـ تـوـاضـعـ

وخيبل وتنازل عن حها - اكرم الله منواها - فتراني أنا مرغماً على
مواطئها على ذلك ! ...

واللهم !! ... اليوم وقد دعتنا إلى دار البقاء منصرفة إلى جوار
رها^(١) وجب على أظفار ما كان لهذه السيدة المغفور لها من المشاركة
الفعالة في إقامة صرح القومية الجزائرية بتغديه (هذا التاريخ) بما زودتنا
به من العلم وبما كانت تبذل في انجارجه من جهد وتضحيه بالفترة - طيب
الله ثوابها - وكل ذلك كان منها ابتقاء مرضاه الله وخدمة قلم
والعروبة والاسلام .

وها أنا أثبت اسمها الكريم هنا - تقدمها الله برحمته - أداء الأمانة
التاريخية، وقياماً بمحنة الصنعة، وتخليداً وتبجلاً لذكرها الطيبة العبة
واعتزافاً يخليل عن غير عبادة ولا توكيه .

يرد الله ضريحك يا أم غالب واسكنك فسيح جنته ، فإنك والله
وان كفت غابة عن عيني - وفي عالم المخلود فلا تزالى مائدة في صدرى ،
مchorورة في فكري ، وبنطة لنظري ، فلا أسلو عنك ولا انساك بصالح
الدعاه أبداً ، وافي استغفار لك ما دمت حياً إلى أن التحق بك !! ...
ثم يستقر لنا ويدعو لنا من بقى بعدها ، ان الله واسع المغفرة .

وها نحن اليوم بفضل الله وحسن عونه نقدم لرواية التاريخ ورواد
العلم والمرفقة هذه الطيبة المؤسسة الجديدة من كتابنا هذا - قاريء
الجزائر العام - مختلفة في بردتها الشيب كاملة غير منقوصة ، بل مزبدة
غير مفروضة ، متبايناً فيها على نسق ما عهدنا القراء مني في التshire
الأولى لهذا الكتاب من دوضوح في التعبير ، وسهولة في الأسلوب ، وأطراف
في الفصول ، وانتظام في المرض ، واستيعاب في الجمجم ، وأحكام في

(١) اختبأها الثون فباء آخر استعمل بينها مثلاً يوم الاثنين ١١ شوال ١٣٨٤ = ٢٤ فبرير ١٩٦٥ ، ورمضاً رحها الله بتربة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الصوفي الازهري -
بناحية الماء - الجزائر .

الوضع ، وصراحة في الحكم ، متحاشياً كل انجذاب او امتياز مستمدأ
العون والتوفيق من الباري عز وجل انه هو العليم الحبير ذو القوة المتين .
عهباً فيها تكبدته في تحريره من المشاق ، وما اضفت في جمع حطاته
وتاليه من واجبات النفس والاهل والاعلاق ! ...

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصدابة الا من يعانيها
شكراً للسادة المترحين حسن ظنهم وتقديرهم في راجياً من الباري عز
وجل ان يحقق آمالهم وظنهم في هذا الكتاب ويغيب عنهم من رضاه ،
انه على ما يشاء قادر نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

تحرير في الجزائر ١٥ شعبان ١٣٨٣
ربض الدين الزرقا ، فاتح جانفي يناير ١٩٦٤

رفع الكتاب

باسمك القيم اشرف برفع كتابي هذا واهداته الى مقام رفعة حامل قيس المدابة الاسلامية الى هذه الديار ، ومنتقدتها من وصفة الكفر والعار ، والملئ فيها كلمة الله ، والمجاهد في سبيل الله ، الى فاتح افريقيا ، وقاهر القراء الرومانية ، وقامر عادية البيزنطية ، الى مزارع اندام القياصرة ، وهائم جهاز جيوش الاباطرة وملوك البربرية ، الى روح ذلك البطل الخالد والامير الفاتح العظيم ، ملخرا الجزائر ، ودرة ناج تاريخ مجدها في الحاضر والغابر ، سيد الشهداء :

«عجمة بن مافع الفهرمي»

دستی اثے تماں عنہ

الى هذه الشخصية التاريخية العظيمة ، والى تلك الارواح الجريئة الجاورة :
 ارواح اولئك الشهداء الفاتحين ابطال التاريخ الجزائري الماجد ، اقدم هذا
 الفر المترافق من « تاريخ الجزائر العام » فاصدراً بذلك لفت نظر شباب
 الجزائر الناهض وترجيمه الى دراسة تاريخية الماقبل الجزول لبناً على تقدير
 أعمال اسلاف ، والتأملي بمعطائه الكرام . وان في ذلك الذكرى لمن كان
 له قلب او قوى السم وهو شهد .

المؤلف

أَهْمَّ مَصَادِرِ الْكِتَابِ وَمَرَاجِعِهِ

١٢٦٢	طبع بولاق	خليفة محمود	الخلفاء ملوك الزمان (غرب)
١٣٤٦	طبع الجزائر	محمد بن جاد	الاخبار ملوك بن عبيد
	طبع مصر بدون تاريخ	سلیمان الباروبي	الازهار الرياضية
١٣١٢	طبع مصر	أحمد الناصرى	الاستحسان
١٩٣٦ - ١٩٣٤	طبع مصر	محمد كرد على	الاسلام والحضارة العربية
	مخطوط	لسان الدين بن الخطيب	اعلام الاعلام
١٩٥٠	طبع رباط	م. م. المشرق	افريقيا الشالية ...
١٨٦٦	طبع اوسالا الترويج	ابن الديز	الابيس المطرب
١٣٢٢	طبع الجزائر	يعقوب بن خدون	بيبة الرواد
١٨٨١	طبع ليدن	ابن عذاري	بيان العرب
١٩٠٨	طبع الجزائر	ابن ابروريم	البيان
١٩٣٦	طبع مصر	امون سيد	تاريخ الاشتباكات
١٩٨٠	طبع باريس	...	تاريخ افريقيا والمغرب قبل الاسلام
	مخطوط	احمد ابن المغار	تاريخ بلد فلسطينية
١٣٤٠	طبع فلسطينية	محمد بارك الملي	تاريخ الجزائر
١٢٨٩	طبع تونس	محمد الرشكتي	تاريخ الدوقيين
١٨٩٦	طبع مصر	محمد قرید	تاريخ الدولة العثمانية
١٩٢٩	طبع مصر	امراةيل ولنسون	تاريخ الفئات النامية
١٩٠٣	طبع الاسكندرية	محمد ابن الامير عبد القادر	تحفة الرائز
١٩٠٦	طبع الجزائر	ابو القاسم المفتاوي	تعريف الحلف برجال السف
١٣٥٢	طبع مصر	لمايلق الامير شبيب ارسلان على كتاب حاضر العالم الاسلامي	لمايلق الامير شبيب ارسلان على كتاب حاضر العالم الاسلامي

١٩٦٦	ابن رجب جاويش التركي	مخطوط	ابن رجب جاويش التركي	مخطوطة	مسايد
١٩٤٦	طبع عبريط	ابن البار	طبع عبريط	ابن البار	كتبة الكتاب الملة
١٣٤٢	طبع مصر	الدكتور احمد بك بسيس	طبع مصر	الدكتور احمد بك بسيس	محبيب في اصول التراث
١٨٩٦	طبع جزيرية	سلیمان خطار الدحداح	طبع جزيرية	سلیمان خطار الدحداح	حياة ناصر مصطفى (سرب)
١٩٤٤	طبع بيطران	محمد وهي	طبع بيطران	محمد وهي	حلقة تعریف بالتراث
١٣٠٩	طبع مصر	سيديبو	طبع مصر	سيديبو	حلقة شریعه العرب (سرب)
١٣٤٤	طبع تونس	ع. ج. عبد الوهاب	طبع تونس	ع. ج. عبد الوهاب	حلقة تاريخ تونس
١٣٢٩	طبع القاهرة	ابن فرحون	طبع القاهرة	ابن فرحون	للمراجعة القديمة
١٩٢٠	طبع الجزائر	نشرم . ابن الي شب	طبع الجزائر	نشرم . ابن الي شب	قصيرة الباية
?	طبع ؟	الامير عبد القادر	طبع ؟	الامير عبد القادر	ذکری العلاق
	مخطوط	ابن زرقة	مخطوط	ابن زرقة	ازحة للمرة
١٣١٦	طبع تونس	لسان الدين ابن الخطيب	طبع تونس	لسان الدين ابن الخطيب	رقم المثل
	مخطوط	محمد الطاساني	مخطوط	محمد الطاساني	ازهرة الثالثة
		شرح عبد الرحمن الجاسبي على ارجوزة المخارقى في تاريخ قم وهران مخطوط			
١٩٣٨	طبع مصر	عین مؤنس	طبع مصر	عین مؤنس	الشرق الاسلامي
١٣٠٢	طبع مصر	محمد يبرم الخامس	طبع مصر	محمد يبرم الخامس	سترة الاعياد
١٣٥٣	طبع مصر	شمس الدين السناوي	طبع مصر	شمس الدين السناوي	الصورة لللام
١٢٨٤	طبع بولاق	عبد الرحمن بن خلدون	طبع بولاق	عبد الرحمن بن خلدون	السيد ...
	مخطوط	محمد بوراس	مخطوط	محمد بوراس	عيادة الاسفار
١٩٣٧	طبع مصر	عبد الحميد البادي	طبع مصر	عبد الحميد البادي	علم التاريخ (سرب)
١٩١٠	طبع الجزائر	احمد التمرين	طبع الجزائر	احمد التمرين	عنوان المرأة
١٩٣٤	طبع مصر	نشر عبد القادر نور الدين	طبع مصر	نشر عبد القادر نور الدين	غزوات عروج
١٩٤٧	طبع القاهرة	عین مؤنس	طبع مصر	عین مؤنس	فتح العرب للتراث
١٩٤٢	طبع الجزائر	ابن عبد الحكم	طبع مصر	ابن عبد الحكم	فتح افريقيا
١٩٢٥	طبع تونس	احمد توفيق المدنى	طبع تونس	احمد توفيق المدنى	فرطاجنة في اربعة صور
	مخطوط	محمد بوراس	مخطوط	محمد بوراس	النفس المقرب
١٣٠٣	طبع مصر	عز الدين ابن الايتير	طبع مصر	عز الدين ابن الايتير	الحكاكل
١٣٥٠	طبع الجزائر	احمد توفيق المدنى	طبع الجزائر	احمد توفيق المدنى	كتاب الجزائر
	مخطوط	محمد العانى	مخطوط	محمد العانى	كتب العطاء
١٣٥٠	طبع تونس	ابن ابي دينار	طبع تونس	ابن ابي دينار	المؤسس
١٩٥٦	طبع الجزائر	احمد توفيق المدنى	طبع الجزائر	احمد توفيق المدنى	محمد يعنينا باشا

١٩١١	طبع الجزائر	عبد الله البكري	الملك والملك
١٨٨١	طبع ليدن	عبد الواحد المراكنى	المجب
١٣٥٧	طبع مصر	باقوت الحوى	مسمى الادباء
١٨٦٦	طبع ليبسك	باقوت الحوى	مسمى البلدان
١٣٦٦	طبع بطرس	النهامى الوزانى	القرب الجاهلى
١٣٤٤	طبع تونس	عيان الكمانك	موجز التاريخ العام للجزائر
١٨٦٤	طبع ليدن	الشريف الادريسي	ترجمة المتناق
١٣٢٩	طبع القاهرة	احمد باشا التبكتى	بيل الابهاج ...
١٢٩٩	طبع بولاق	ابن خلكان	وبيات الامان

Les origines Berbères — Louis Rinn — Alger, 1889.

Histoires d'Algérie — S. Gsell, Marçais, G. Yver — Paris, 1929.

Histoire de l'Algérie — E. Cat — Paris, 1929.

La question Algérienne — N. d'Orient, M. Löw — Paris, 1936.

Essai chronologique sur les Musulmans célèbres de la ville d'Alger — Joachim de Gonzalez — Alger, 1886.

Domination turque dans l'ancienne Régence d'Algier — M. Walsin Esterhazy — Paris, 1840.

Les civilisations de l'Afrique du Nord — V. Piquet — Paris, 1917.

Histoire de l'Algérie — G. Esquer — Paris, 1950.

Histoire d'Alger — De Grammont — Paris, 1887.

Histoire de Constantine sous les Bays — E. Vaysettes — Constantine, 1869.

Histoire de l'Afrique du Nord — ch. André Julien — Paris, 1931.

طائفة من آراء مشاهير علماء الشرق والغرب في التاريخ

أهمية التاريخ في نظر العلماء وال فلاسفة

علماء العرب :

التاريخ زمان مرآة ، وتأجم العلامة للمشاركة والمشاهدة مرقة ، وأخبار
الماضي لن عاته المفهوم ملهاة ، وقد أفاد التاريخ حزماً وعزاً ، وموعدة
وعلاً ، وهو تذمّب هماً ، وبياناً يزيل وهناً ووهماً ، وصبراً يبعث التأمي
بن مخي ، واحتشاماً يوجب الرضى بما خفي وجلاً من القضاء . « وكل
نقص عليك من أبناء الرسل ما ثبت به فزواهك . لقد كان في قصصهم
عبرة لا ول الالباب » .
الصلاح الصدقي

لم استعن على دفع كذب الكاذبين بشيء مثل التاريخ .
حسان بن يزيد

اذكر من مخي واعتبر بن خلا ، تول غرتك . وترد بصيرتك .
ابو منصور التعالي

المتأهل بالتاريخ راكتب عباء ، وخطب خطط عشراء ، ينسب الى من
تقدم اخبار من تأخر ، وبعكس ذلك ولا يتغير . احد بابا التنبكتي
لا جنة لامة ولا بليحية ماضيها . **الدكتور حسين هيكل**

انه لا يتصور على وجه الكرة وجود امة تشعر بذاتها ، وترى
نفسها قاتلة ببنفسها الا اذا كانت حافظة لتاريخها ، واعية لما فيها ، متذكرة
لاريلتها وبما فيها ، مقيدة لوقائعها ، مسلمة لاسبابها ، خازنة لأدابها بما
لا يقوم به الا علم التاريخ الذي هو الوصل بين الماضي والمستقبل ،
والرابط بين الآتف والمستأتف . الامير شكب ارسلان

ان قلم تواریخ العالم و وقارنه هو قلم المعاد الروحانی فانه يحضر ما مضى من العالم و حوارته و يبعده لک في صوره الحال فتراء يقليلك وتشاهدہ بصیرتك .

ابن القم الجوزية

واحدع الاجياء ما شئت فلن تجد التاريخ في المتذمرين
أحمد شوقي

التاريخ من أعظم العلوم أديباً، وأعذبها مثراً، وأهداها مشرقاً، وأنورها مطلاً، وأهلها في القلوب موقعاً، لم تزل محاسنه تروق، وفوانده تفرق، وفرانده تشوق، به تعرف أخبار من سلف من العرب والعيون، وأحاديث ذوي المراتب والقسم، وتستفاد منه حسان الاعيان، وتلهم موقف الشجعان، ومقاتل الفرسان، وأوقات مواليدهم، ومدد أحالمهم، ومواضع منازلهم، ومعاهد ديارهم، وسيرة الكرماء في كل وقت، ومن اختص بقىض هياته بالحبية وغيره بالفت، وكل عالم ومحن أخذ فنون علمه، وكل أديب ومحسن نثره ويدفع نظمه، والنظر في السنة الشرفية وأسماء رجالها، ومراتب روانها، وطبقات فرسان مجالها، حتى كأن الواقع عليه قد أدرك كلّاً منهم في عصره ومصره، ونظرة في ساحة ميدانه ومشيد قصره؛ ورأى الآلة وأصبح للعلوم من أفرادهم متلياً، وعلم

من كان يمده وهزه إلى ورود العلية مرتقباً، أو كأنه قد شاهد كسرى
في اوانه ، وهو يقص الرزبا على موبداه ، وعاصر سيف بن ذي يزن
في اوانه ، وجالس ابن أبي الصلت ينشده على قصر غمانه ، وفي كتاب
الله عز وجل وستة رسائل حل الله عليه وسلم من أخبار الامم السابقة ،
وأنباء الفرون الحالية ، ما فيه عبرة لذوي البصائر ، واستعداد ليوم تبل
في السرائر ، وقد اختار الله لنا ان تكون آخر الامم ، واطلعلنا على
أخبار من تقدم ، لتعطى بما يجري على الفرون الحالية ، وتعينا اذن واعية .
ابن شاكو الكتبي

لا تستطيع الامم ان تنهض نهضة صحيحة إلا اذا فهمت ما خلفها
فهم وانخذلت منه في حاضرها فنطرة الى المستقبل .

من تحرير العجنة الثقافية لمجامعة العربية

ان الامة التي يستهين ابناءها بآلياتها ، ويزهدون في اخبارها ، لا يؤمن
حاضرها من استحقاقهم ، ولا تعان كرامتها من استهانة ، كما لا تسلم
تفوته من الهوان ، اذ لا مناعة لعصيئتهم القرمية ، ولا عصمة لعزيمهم
الوطنية ، ان حياة الامة هي سلسلة متصلة ووحدة لا تجزأ ، فمن لا يعترف
بآلياتها ، لا يصلح ان يرعى زمام حاضرها . من كلام الامير جعفر الحسيني
مندوب سوريا في مؤتمر الآثار في البلاد العربية

ان من لا ماضي له لا حاضر له ، ومن لا حاضر له لا مستقبل له .

من خطاب احمد فخوري
مندوب اليمن في مؤتمر الآثار في البلاد العربية

ان للتاريخ أثراً كبيراً في الثقافة العامة ، فهو سجل الأيام من سياسة
وعمران وفن وأدب . مجله الملائكة (دمبر ١٩٣٠)

عليكم بطالعة التوارييخ فانها تلقيع عقلأً جديداً .
من وسمة أبي حبان لأولاده

علم الملوك النسب والخبر ، ودرس كتب الحروب والسير .
حكمة عربية

التاريخ أممار لا يدركها الفناه ! ...

.....

التاريخ معاد معنوي بعيد الاعصار وقد سلف ، وينشر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعثت ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرآ ، ويطلقى من قبله من الامم وعلم جرا ، فهم لديه أجياه وقد تضمنهم بطون القبور ، وعنه غيب وقد جعلتهم الاخبار في عداد الحضور . ولو لا التاريخ بجهل الانساب ، ونسبت الاحساب ، ولم يعلم الانسان ان أصله من تراب ، وكذلك لولاه لما ت الدول بعوت زمامتها ، وعمى على الاواخر حال قدماتها ، ولم يحيط عالما بما تداولته الارض من حوادث مهانها ولمكان العناية به لم يخل من كتاب من كتب الله المزنة ، فنها ما أني بأخباره الجمة ، ومنها ما أني بأخباره المقصدة ، وقد ورد في التوراة مفرداً في سفر من أسفارها وتضمن تفصيل أحوال الامم السالفة ومدد أممارها . وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتاب وضبطه ، تصرف الى التاريخ جمل دواعيها ، وتحمل لها أول حظ من مساعيها ، فتستفي بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض يوم صدورها ، عن رقم مطروها ، كل ذلك عنانية منها بأخبار أوائلها ، و أيام قضائهما . وهل الانسان إلا ما أنسه ذكره وبناته ! ... وهل البقاء لصورة له ودمه لولا بقاء معناه ؟ ! ... عز الدين ابن الاثير

علماء الغرب :

اذا تأملنا قصر حياة الانسان ومعرفتنا المحدودة حتى بما يقع في زماننا ، فلا شك اننا نشعر بأننا كنا نبني اطفالاً في ادراكنا لو لم يليض لنا هذا الاختراع الذي يرجع بخبرتنا الى جميع العصور الماضية ، والتي اقدم الامم الحالية ، و يجعلها ثمناً بأسباب التقدم في الحكمة كما لو كانت تحت نظرنا واسمعناها . ان الرجل المطلع على التاريخ يمكن ان يقال عنه

من بعض الوجوه انه يعيش منذ بداية العالم وانه دام الاستبداد من كل مملكة يمر بها مدةً يضيقه الى المدخر المخزون من معارفه .

دافيد هيوم

يلسوف ومؤرخ واقتصادي ايرلندي

... وان امة تنقل تدوين تاريخها وتهمل الحافظة على نتائج قرائتها تورثها لطفلاً لآية حتى احتل احاط نوع المحببة منها كانت درجتها في الحضارة والمعارف .

أستاذ العلوم السياسية بجامعة مصر

... وما التاريخ قديمه وحديثه الا عنابة نظارات ينظر بواسطتها الى الفس البشري والعقل البشري تتبعاً لخطواتها في مضمار الحياة ... وان المؤرخ هو الذي يلمس ييدي عقله فروح الإنسانية ويعرف مواطن علاتها ، لانه يقرأ في كتاب الحياة فصولاً متعددة تشمل جميع اطوارها وادوارها : وهو نفسه صاحب الازمة الغابرة ، ومعلم الازمة الحاغرة .

وليم كاستليوس

التاريخ مشكلة الحقيقة ، وشاهد الماضي ، ورائد المستقبل . سيررون
خطيب سياسي رومني

ان دراسة التاريخ تنشط الفكر وتفتحه وتساعد بطرق متعددة .
الاستاذ الى

لقد بان لي ان دراسة التاريخ دون سواها اصلح الدراسات لتعويذ الانسان للضائل الخاصة وال العامة .
الفيوكوونت بولنجروك
سياسي وفيلسوف الكلنزي

ان التاريخ حري بان يكتبنا تصوراً صحيحاً لما هو عارض موقف ،
بالقياس الى ما هو ابدى باق في حياة الانسان . الرئيس كيروك
أستاذ الفلسفة الأخلاقية بجامعة جلاسكو

من الحق ان العلم بالتاريخ من حيث هو مجمع الحوادث وملائكتها

لا يستغني عنه من يريد تكوين قصور كامل متزن العالم بوجه عام ، ان التاريخ هو وحده القادر على ان يضع ظواهر الحاضر في وضعها الصحيح ، والتاريخ هو وحده القادر على ان يجعل لعين الباحث ميدان الحياة كاملاً غير منقوص ، والتاريخ هو وحده القادر على ان يمكن الطاعن الذي يقضى يوم راحته تحت خيمة هذا الوجود الخالق من ان يطلع على غرائب ما يحيط به من مظاهر الابدية . هرتوش
أستاذ التاريخ بجامعة لندن

ان التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه على اقل تقدير لا يمكن الانسان ان يعنى عنابة معقوله بالشؤون السياسية ، وبدون عظ موفر له لا يمكنه ان يصدر حكماً معقولاً في اي شأن من شؤونها ، ان التاريخ دراسة هامة لكل مدنی ، بل هو الدراسة الخامدة الوحيدة الخالقة بروجال الحكم والتشريع .
جوهي سيلي
مؤرخ انكليزي

ان حوادث التاريخ هي مصدر الاستنباط والاستنتاج الذي يعتمد عليه العالم الاجتماعي . اوغيوست كوميٹ
بلسوف فرنسي

ان الشعب الذي يريد الرقي يجب عليه ان لا يقطع الصلة التي تربطه باصيه ، اي يجب ان يحترم تقاليده ويراعيها .

الدكتور غوستاف لوبيون

من رسالة له خاصة كاتب بها الاديب المصري توفيق زردي

اذا اردنا ان ندرك معنى الامة الحقيقي ينبغي ان نتدبرها في الماضي وفي المستقبل معاً ، واند الفريدين قوة هم الاموات لانهم هم الاكترون عدداً وهم المؤثرون في عالم المركبات اللاقتئمية الذي يخضع لسلطان العقل والأخلاق في جميع المظاهر . فالامة مسيرة بتاثير امواتها اكتن ما هي مسيرة بتاثير اجيائها ، والاكترون هم وحدهم الذين كونوها وهم الذين اوجدوا ما في الاحياء من الافكار والمشاعر فرقاً بعد قرن ، واليمم ترجع اسباب

حركة أهل العصر ، لأن هؤلاء لا يخضعون لزاج اسلفهم المادي وحده بل هم متذرون أيضاً بما كان لأباهم من المشاعر والافكار . والحاصل ان الاجياء هم الاموات بلا جدال يشقون برذائهم كما يتعمون بما كان لهم من الفضائل والمحركات .

من كتابه : سر نطور الام

... فالم ت نتيجة ماض طويل ومحصول ما خففت له من البيئات المختلفة الثانية ، وبعاصي الام يفسر حاضرها .

الدكتور غوستاف لوبيون
من كتابه : حضارة العرب

ما هو التاريخ؟

التاريخ في اللغة بالمعنى وبدونه والتاريخ كذلك بالاو معناه : الوقت ، وهو لفظ عربي صميم . أما ماهيته وتعريفه بالحد الاصطلاحي : فهو علم تعرف به احوال الماضيين من الامم الحالية من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، ولغتهم ، وعاداتهم ، ونظمهم ، وسياساتهم ، واعتقادهم ، وأدائهم ، حتى يتم بذلك معرفة اسباب الرقي والانحطاط في كل امة وجيل . فهو يتطلب الاحداثة بتطور الانسان في المجتمع خلال جميع العصور وفي سائر البلاد . ومادته اي العناصر الوجودية الضرورية التي يتكون منها كثيرة متعددة اهمها الاكتارات القديمة من الابنية والمباني والاجبار المفترضة والمسكرات المضروبة والملابس والازياح والادوات المترتبة وغيرها من كل ما هو من نوعها مثل التقاليد والعادات والاخبار والحوادث المرورية والدوافع الجموعة والوثائق الخطية وكل ما تناوله الخلف عن السلف مشاهدة او مشاهدة مع حسن نظر وتثبت كما قال ابن خلدون : يقضيات بصاحبها الى الحق وينكبان به عن الزلات والفالط ، لأن الاخبار اذا اعتمدت فيها على مجرد التقل و لم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العرمان والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الفائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيه من العثور وبنزلة اللدم والهيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع المؤرخين والمفسرين وأئمة التقل المفالط في الحكایات والواقع لاعتقادهم فيها على مجرد التقل غنا او سينا لم يعرضوها

على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروا بيمار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكم النظر والبصرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتلهوا في يدهم الوهم والفلط .

وليس التاريخ ايضاً مجرد مرد حوادث المروء ووقائع الامم ، او التعرض لذكر اخبار الملوك والوزراء والكتاب وتقدير الغرائب والمعجائب مما يندهش له السوفة وأشباههم من الناس ، ولا هو كذلك بعض سوق حكايات عن تقلبات الدهر وتطوراته التي تتعري كل احد في حياته العادلة او ما يتبع ذلك عادة من التألم للبعض في الزمان وجرائم الحداثة ؟ كلا ! .. فان هذا كله من شأن الاخبار والاخباريين وستان ما بين الاخباري والمزور ؛ فان المزور يليقنا بأحوال الجشع الانساني الذي هو عمران العالم وبما يعرض لطبيعته من التقلبات مثل الترفس والتأنس والعصبيات واصناف تقلبات البشر بعضهم على بعض . وما ينشأ عن ذلك من الملل والدول ومراتها وما يتعلمه البشر بأهلهم ومساعيهم من الكتب والماش والعلوم والصناعات وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ويصل لنا الحاضر بالماضي ، وكلا كانت صفة الحاضر بالماضي قوية ووثيقة كلما كان اساس مستقبل الوطن راسغاً وثابتًا . وما عدا الحقيقة علامة ابن خلدون حيث قال كملت المختصرة الجامدة في الموضوع : هو تعليل الكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الواقع واسبابها عيق ؛ واما الاخباري ففاسد .

العرب والذاريف

انه ما كاد ان يتحقق عليه العلماء قدجاً وحديناً امتياز الامة العربية واحتضانها بهذا العلم وانها مقطورة عليه مشغولة به وانها جعلت على ذلك محب موقع بلادها المغرافي وموطنها التي نشأت فيها ، فلا يتوصل الى خبر من اخبار العجم او العرب لا بالعرب ومنهم ، وذلك على ما حكاه

أبو محمد بن الحاتك المدائني صاحب كتاب الأكليل : من ان كل من سكن بيته من العمالق وجرم وأل السميدع بن هونة وخزاعة ، أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجوار الاعاجم من عهد أسد إلى كرب وبختنصر حروا علم الاعاجم وأخبارهم وأقام حيرو وسموها في البلاد ، وعنهما سار أكثر ما رواه عيسى بن شربة ومحمد بن السائب الكلبي والميثيم بن عدي . وكذلك من وقع بالشام من مثائق غسان خير بأخبار الروم وبين امرائهم واليونان . ومن وقع بالبعرين من تنوخ وأباد فنه أنت أخبار طسم وجديس . ومن وقع من ولد نصر من الأزد بمعان فنه أنت كثير من أخبار السند والمند وهي من أخبار فارس . ومن وقع بجبل طيء فنه أنت أخبار ذيذة والبراءة . ومن سكن باليسن فإنه علم أخبار الامم جميعاً لانه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملك السيارة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ولم يكن ملك منهم يعز إلا وعرف البلاد وأهلها . والعرب أصحاب حفظة ورواية لغة الكلام ورقة ألسنتهم .

ماذا يشتهر في المؤرخ ؟ ...

يحتاج صاحب فن التاريخ إلى العلم بقواعد السياسة وطابع الموجودات واختلاف الأمم والبقاء والاعصار في السير والأخلاق والعوائد والتحول والمذهب وسائر الأحوال . والاحاطة بالحاضر من ذلك وعائنة بينه وبين الغائب من الواقع أو يرون ما بينهما من الخلاف وتعميل المتفق منه والختلف ، ولقيا على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها ، وأسباب حدوثها ودعائي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعباً لاسباب كل حادث واقفاً على أصل خبر ، وحيثند يعرض شبهه المتقول على ما عنده من القواعد والاصول ، فإن واقتها وجري على مقتضاهما كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه .

المقدمة

فِيمَا يَعْلَمُ بِالتَّارِيخِ

قرار المؤتمر الثقافي العربي الأول للجامعة الدول العربية

المعد بيت موي - لبنان - ٩ / ٩ / ١٩٤٧ م

وافق عليه المؤتمر في جلسة الثلاثاء ٩ سبتمبر ١٩٤٧
ووافق عليه مجلس الجامعة العربية في جلسته المعدة
يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٨

برى المؤتمر :

أولاً : أن يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ
القطر الخاص الذي يعيش فيه التلميذ ، مع العناية بدراسة الصلات بين
هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويم هذا الفرض بدراسة القصص المشوقة وترجمات أبطال التاريخ
القوسي وترجمات أبطال العرب من تجاوز ازهم حدود بلادهم .

وينبعى الاشارة في تنمية قصص الابطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف
العصور ، مع الموازنة بين الحياة الملاوية والحياة الحاورة التي تقع تحت
حسن التلميذ ، والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه في السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تبصيرة للامم عقلية الاطفال ومدى خبرتهم .

ثانياً : ان يكون محور دراسة التاريخ العربي في التعليم الثانوي الناومي الاجتماعي والوصفي ، مع بيان اثر الشخصيات الفذة والاحاديث والوفاقون الازمة تصوير الحطائق وتبينها في الاذهان ، وتلقي مظاهر التطور والتضج التام .

ثالثاً : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العربي الذي يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتي :

(أ) تاريخ العرب قبل الاسلام .

(ب) تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثماني .

(ج) النهضة العربية الحديثة .

اما الجزء الواقع بين الفتح العثماني والنهضة العربية الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذي تضعه الهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة . ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق الهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة منها .

رابعاً : ان يعني في المرحلة الثانوية من التاريخ العالمي بالقدر اللازم لمساعدة الناوى على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ومشاكل المدينة الحديثة .

خامساً : انه ينبغي ان يدرس التاريخ دراسة عامة ، ويناقش مناقشة قائمة على منطق انساني عادل .

سادساً : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ اساساً للدرج من القديم الى الحديث ، ولا مانع من التخل من ذلك عند الاقتضاء .

سابعاً : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والمصور المتتابعة وفقاً للطريقة التقليدية .

ثامناً : ان يدرس تاريخ الشعوب العربية بعد سقوط بغداد على

اساس تاريخ الدولة الخاص مع الاشارة الى تاريخ الدول العربية الأخرى
وبيان ما بينها من العلاقات .

ثالثاً : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلة بالتاريخ العربي
العام ، يعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لكل عصر يدرس الطالب
حضارة هذا العصر .

(كمنينا في كتابنا هذا)

عاشرأ : انه ينبغي للاستفادة من دراسة التاريخ العربي في تقوية
الروح العربية الحلة الاهتمام بالتواحي الآتية :

١ - بيان اثر امم الشرق الادنى وفضلاها في بناء صرح المدينة القديمة ،
ومقدار تأثير اليونان والرومان بمحاضرات الشرق القديم في الشام وفلسطين
ومصر وغيرها .

٢ - تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين امم الشرق الادنى ،
ذلك الصلات التي وجدت قبل الاسلام ثم جاء الاسلام فدعها وزاد
في اوصافها .

٣ - ابراز الاحداث العظيمة والماضي الحامدة لنواحي البطولة في
المصور العربية الزاهرة ودراسة الاسباب والنتائج في تفصيل يتضح منه
اثر الحياة الشعية والروح العربية في ارتكاء الدولة او الدول العربية وهبوطها .

كما ان المؤذر يرى ابراز الاسترداد التاريجي والاتصال الجغرافي الشام
بين البلاد العربية في قارني آسيا وافريقيا ، اذ كانت هذه البلاد في
المصور القديمة مرتبطة باونتون الصلات ، ثم كانت خلال حلقة طويلة من
الزمن وحدة سبب تضيئها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت في المصور
المتأخرة مرتبطة ببعضها مع بعض بروابط متينة . وان الحضارة العربية
احتللت بكيناتها وطابقها ووحدتها على مر المصور .

حادي عشر : ان من الوسائل التي تساعد على تنشية الروح العربية
وتحقيق الاغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتى :

- ١ - تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشف والبعوث .
- ٢ - تنظيم رحلات الأساتذة والطلبة بين البلدان العربية .
- ٣ - عقد مؤتمرات دورية للدراسات التاريخية من وقت لآخر في عواصم البلاد العربية .
- ٤ - الاهتمام بالحفائر الأثرية وإنشاء المتاحف التاريخية والاستعامة بالفنون الجميلة لتوسيع التاريخ العربي ، مثل الروايات التاريخية والقصص التاريخية واللوحات الفنية والافلام .
- ٥ - العناية بالتراث المحلي والازيه المطحنة والاغاني الشعبية مع تدوينها وما يتفق مع المدينة الحديثة والروح العربية .
- ٦ - العمل على تحديد ذكرى عظماء الشرق العربي واحدائهم التاريخية بطرق مختلفة ، كإقامة المآتم ، واطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين ، وتنمية كرامي الاستاذية في الجامعات بأسماء النابغين منهم في مجال البحث العلمي ، الى غير ذلك من الوسائل التي توزع مثل العلما التي ينبغي ان يتوجه نحوها شباب العرب ، فيعتزوا بغيرتهم الاجتماعية ، ويشعروا نحو هؤلاء العظماء بالتحمّل ، فيعملوا على المحافظة على هذا الميراث ، بل وعلى الاستزادة منه .

أشهر سبعة ابتداء التاريخ

كان الناس في القديم يورخون بأشهر الواقع واعظم الحوادث التي يندر وقوعها متكررة وتتجددعا في كل مرة الى ان وجد التاريخ في القرن الأربعين قبل الميلاد ، فقد ارخ قوم بصر ظهور آدم عليه السلام كما هو في ذعم اليهود الى الآن وتأريخهم هذا يتقدم الميلاد بحادي وسبعين وسبعينة وثلاثة آلاف سنة ، وهو تاريخ ابتداء العالم في نظرهم ؟ ... وفي ذلك من الخلاف بين علماء هذا الشأن ما فيه ؛ ومنهم من اخذ يورخ من حادثة طوفان نوح عليه السلام ، وقد كان بينه وبين المعبرة نحو اربع وسبعين وسبعينة وثلاثة آلاف سنة على ما في ذلك من الخلاف ايضاً بين المؤرخين وعلماء الهيئة والفالك . وهناك من ارخ منذ تبلل الالسنة - كما يقولون - وذلك حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ومنهم من ارخ بعد الخليل عليه السلام اي منذ ثلاث وسبعين وثمانمائة والقى سنة قبل المعبرة ، كما ارخوا كذلك بتأسيس الكعبة ورفع قراعدتها في ذلك العهد ، وأرخت جماعة بوفاة موسىنبي بنى اسرائيل ، اي قبل المعبرة بأربعين وثلاثة والقى سنة ، ومنهم من ارخ بعارة بيت المقدس - قبل المعبرة بثمانمائة وalf سنة - كما ارخوا بخرابه ايضاً سنة خمسين وثلاثة والقى قبل المعبرة ، وارخ قوم بتملك بختنصر سنة ١٣٦٩ قبل المعبرة ، وبغبة الاسكندر على دارا ملك الفرس سنة ٩٣٤ قبل المعبرة ، وبغبة اغطس على قلوبطرة الملكة المصرية سنة ٦٥٢ قبل المعبرة ، وببلاد

المسيح كـا هو معلوم^(١) ، وبخرب بيت المقدس الثاني سنة ٧٠ للميلاد .
 وأشهر التوارييخ خـة : تاریخ العرب ، وتأریخ القبط ، وتأریخ الروم ،
 وتأریخ الفرس ، وتأریخ اليهود ؛ فالتأریخ العربي هو تاریخ المغيرة ،
 الذي وضعه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في السنة السابعة عشرة
 من المغيرة النبوية ، المواقفه ليوم ١٦ جولیط سنة ٦٢٢ م ، واما القبطي
 فانه يبدأ من السنة التي تغلب فيها « دقطليانوس » الانطاكي احد ملوك
 القبط على مصر ، وهو يزيد على تاریخ المغيرة ب نحو ٣٠٠ سنة شمیة .
 والتاریخ الرومی هو المستعمل اليوم بینـا في معرفة فصول السنة
 والانقلابات وغيرها من التغيرات الجوية واحوال الطقس التي تنبئ عليها
 احوال الفلاحـة والزراعة الخ ... وهذا هو التاریخ المعروف عندنا باسم :
 العجمي ، ومبـدـه كان من السنة التي مات فيها الاسکندر الكبير - ذو
 القرین المقدوني - وهي السنة السابعة من تلكـه ، وهو يزيد على تاریخ
 القبط ٥٩٠ سنة . واما التاریخ الفارسـي فـانه يـبدأ عندـم بـأيـام القائم من
 ملوكـهم ، وـكان آخر مـلك اـسـنـتـارـيـخـهـمـ عـلـيـهـ وـهوـ يـزـيدـ جـرـدـ بنـ شـهـريـارـ
 ابنـ يـوـزـيـزـ كـسـرـىـ اـنـوـشـرـانـ المـوـلـيـ سـنـةـ ١١ـ لـهـيـرـةـ ،ـ وـلـفـرـسـ تـارـيـخـ آخرـ
 جـدـيدـ يـسـمـيـ بـتـارـيـخـ الـجـلـالـيـ نـسـبـةـ إـلـىـ جـلالـ الدـينـ شـاهـ وـمـبـدـأـ عـاشـرـ
 رمضانـ سـنـةـ ٤٧١ـ هـيـرـةـ عـلـىـ المـعـقـدـ .

والـذـيـ اـعـتـدـهـ اـنـاـ فـيـ خـبـطـ الـوقـائـعـ وـالـحوـادـثـ بـهـذـاـ الـكـتـابـ هوـ تـارـيـخـ
 المـغـيرـةـ معـ مـقـاـبـلـهـ باـ يـوـافـهـ منـ التـارـيـخـ المـيـلـادـيـ ،ـ وـهـاـ الـذـانـ جـرـىـ
 العـلـلـ بـهـاـ فـيـ توـقـيـتـ الـحـوـادـثـ بـجـمـيعـ اـنـجـاهـ الـعـالـمـ الـمـتـمـدـنـ الـيـوـمـ .

(١) وقد كان وضع العمل به ابتداء من سنة ١٩٣٦ م بمفردة « يوليسيوس » احد
 الفس يعنـ أـمـيـرـ رـوـمـةـ ؛ـ وـقـدـ خـطـلـواـ هـذـاـ الفـسـ فـيـ حـسابـ حيثـ كانـ بـدـأـ التـارـيـخـ
 الـمـيـسـيـ عـنـهـ مـتـأـخـراـ بـنـسـوـ خـسـ سـنـوـاتـ عـلـىـ مـاـ حـقـقـهـ مـيـرـةـ الـمـؤـرـخـينـ ،ـ فـانـ تـارـيـخـ الـمـيـلـادـ
 كانـ يـوـمـ ٦ـ دـيـسـيـرـ سـنـةـ ستـ قـبـلـ التـارـيـخـ الـمـيـلـادـيـ السـمـولـ بـهـ الـيـوـمـ .

جغرافية القطر الجزائري

الجزائر اسم عربي صيم لعاصمة الوطن وام القطر^(۱) ولم يكن يطلق هذا الاسم على الاقليم كله إلا منذ العصر التركي فقط ، (القرن العاشر الميلادي) - السادس عشر الميلادي - أما قبل ذلك فقد كان يعرف عند العرب بالغرب الاوسط ، ذلك توسطه بين المغاربة ، الافغان والادني : مراكش وتونس :

اما موقع هذا الوطن الطبيعي فهو عبارة عن قطعة من الارض هي واسطة عقد الشهاب الافريقي ، وان ثلت فقل هو قلب الدنيا .

(۱) كانت هذه المدينة في ازمنة القابر قرية صغيرة لا شأن لها ولسمى في لسان البربر « آرغل » اي المكان المتور السبق ، وورد في اساطير اليونان ان هرقل اليه استغر فيها مع اصحابه الشررين قررت بهم : — ايكوسى — Eixocii — يعني مدينة الشرى ؟ ... ولقد اصبح اليوم هذا التول بقاء التقى التاريخي ضيقاً . ولا جاء بعد الفراتينين وفأمس بها مراسماها التجاري حرف اسماها هكذا : ايكوسيم Icosim ومنها الجزائر او جزيرة الشوك ، او جزيرة الطيور غير الظاهرة ، ثم خربها القوادس على عدم ... وبقيت كذلك الى ان بعده الروم بناءها وحرفوها اسماها الى اللاتينية هكذا : ايكوسيوم Icosiom . وفي القرن الثاني الميلادي سكنت بها القبيلة البربرية « مزغنان » Mzigan بفتح الميم او « مزغاني » او « مزغنى » ... وهي بطن من بطون منهاجها ، ومن « مز » بتو ، كللقة « مس » يكسر الميم المتنحة الى الآن او هي نفسها ؟ ويوبندة اشتهرت المدينة باسم كللة بي مزغنى او « جزاير بي مزغنى » ، ولم تزل هذه التالية موجودة الى يومنا هذا لسكن على نحو ۲۰ کيلومترًا شرق العاصمة في ناحية « Palestro » على مشارق من طريق السكة الحديدية ، ولقد كان وضع مدينة الجزائر هذه يومئذ هل

وليس. هنالك حدود طبيعية تفصله عن القطرين الشقيقين : تونس وракش سوي خطوط اعتبارية وضعتها يد السياسة مراعاة لاختلاف مصالح ادارة الحكومات التي تولت على هذه الاقطان الثلاثة ، الا حده الشمالي فقط فانه هذا البحر الایض المتوسط ، وهو يتد بعماً لسياسة ايضاً من القالة شرقاً الى جامع الغزوات غرباً ؛ ويبلغ طول هذا الشاطئ ١٢٠٠ كيلو متر . ومن ناحية الجنوب هذه الصحراء الكبرى التي تغدو الحد الفاصل بيته وبين افريقيا الغربية ، حيث يتد الخط من اقصى جنوب طرابلس شرقاً الى جهة وادي (ويدوي اورو) غرباً أما الخط الغربي - ولا اقول الحد - فهو يتد من وادي ملوية شمالاً متعدداً الى منطقتي الفيق وبودنيب مع دائرة كولومب بنار والقاذفة جنوباً ، والخط الشرقي يتعدد من القالة شمالي الى بئر الماوية وسط الغرسة جنوباً ، ثم يتد - نظرياً - الى قرب مدينة غدامس عند بئر الرمان ؟ فطول القطر الجزائري كله اذا يقع ما بين درجة ٦ شرقى

شكل مدائر حب عادة البرير من احسان ومحواها ، وبها سوق ياتي اليه اهل متيبة وغيرهم كفبرية وكربطة ومبلكشن والتالية الخ ... وفي اواسط القرن الرابع المغربي ٩٧٢ - ٥٣٦ م - مصرها الامير بل يكن (باسم الاء واللام وتنديد الحرف الثالث الذي ينطبق به مكسورة بين الجيم والكاف) يامر والله عامل متيبة : ذيري بن مناد الصنهاجي .

وأن السبب في تسميتها بالجزائر كما حرره شيئاً الدكتور محمد بن ابي شنب روحه الله يعود الى وضعيتها الطبيعية ، حيث انه كان هناك بهذه المدينة امام المرسى النديم سخور اربعة متباعدة تشبه الجزر ، منها الصفراء او الجزيرة الكبرى المروقة باسم (سلطة) ، وذكرها ابن حوقل فقال : هي في البحر على دمية سم منها - اي من الجزر - خاصتها ، فإذا نزل بهم عدو جلأوا اليها فلكلوا في منتهى وأمن من عندهم ويعذبوه . وهي التي بين عليها الاسنان حصتهم (البيوش) Penon سنة ٩١٥ - ١٤١٠ م ولقد هدم هذا الحصن الاسياني على يد الاتراك سنة ١٦٣٦ - ٩٦٣ - كما ي يأتي تفصيله ومنها صفرة الجنة المشهورة . ثم كان دم ما بين تلك الجزر الاربة وضها الى بعضها باشارة المندس موسى الاندلسي واشار له على ذلك بنفسه .

ويروى كذلك هذه الجزر بالمدينة بواسطه رصيف طوله ٢٢٠ متراً وعرضه ٤٥ متراً وعلوه اربعة امتار ، وفي متنه هذا الرصيف يوجد مركز اقامة امير البحر كما هو عليه الحال الى الان ، وبذلك دعيت هذه البلدة في القديم بـ مدينة الجزائر .

إلى درجة ٤ غربى من خط الروال ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ما بين درجتي ٣٧ شهلاً و ٣١ جنوباً من خط الاستواء . وذلك عبارة عن مساحة ٢٠٩٥٠٩٨ كيلو مترًا مربعاً .

ولقد قسمت السياسة هذا الوطن في القديم إلى ثلاثة أجزاء - اعتبارية - : توميدا وهو الجزء الشرقي الجزائري ، وموريطانيا جزء الفري ، وجيتوليا أي ناحية الجنوب . أو ما كان كذلك من تقسيمه إلى قسمين : التل والمصراء ، وذلك باعتبار جبال الأطلس الصحراوي الفاصلة بينها .

ولست في حاجة إلى بسط القول بالعرض إلى ذكر تفاصيل جغرافية هذا القطر الاقتصادي والسياسة وتدقيق البحث فيها من الناحية الطبيعية الخ ... فإن ذلك ليس من مباحث هذا الكتاب ، وكيفما كان الحال فاني لا احب ان امر عن هذا البحث دون ذكر شيء من خصائص القطر الجزائري وميزاته التي خصه الله بها ومنعه الطبيعة اياها : فالارض الجزائرية تشتمل على جبال وإنجاد وسهول وتلال وصحراء ؛ فمن جبالها تكونت هاتان السلطنتان المتوازيتان الشالية والجنوبية ، الآخذتان من الغرب إلى الشرق فالاولى تعرف باسم الأطلس التي ، كما عرفت الثانية باسم الأطلس الصحراوي . وان اقصى نقطة تلتها الشالية في العلو هي بوسط جبل جرجرة حيث تبلغ قمة « لالاخديحة » ٢٣٠٨ أمتر ؛ اما الثانية فهي اضخم واروع من الاولى واعلى نقطة فيها هي بناحية « الشليبة » جبال اوراس حيث تبلغ قمتها ٢٣٢٧ متراً . ومن هذه الجبال ما هو مكسو بمحال الطبيعة كالغابات الكثيفة والأودية المتعددة والبدائل والأنهار والعيون الجارية المتغيرة وفيها من المناظر البدعة ما يستوقف النظر ويروع البصر وفيها من الاشجار المثمرة المختلفة الانواع وغير المثمرة كثير ومن النباتات النجيبة المتنوعة ايضاً ما يملأ وصفه الجداول ؛ ومنها ما كسبته الطبيعة بعلماها : جبال جرداء ملائمة لا يروعك منها الا ضخامتها وعظمتها الصخرية ، وفي كلها توجد حيوانات وحشية وداجنة وطيور مختلفة الاشكال والالوان لا يأني عليها الحصر .

وان احسن بقاع الجزائر وأخصبها وأغناها هي ناحية التل والساحل عليها من الغل وتنوع الحبوب ما جعلها تدعى في القدم (خزينة روما) ، وإن ام هذه النواحي للقلاحة والحرث هي ناحية سهل متيبة وبونة (عنابة) وشلت بورهان ، فيها كانت الجزائر ولم تزل غنية بمتاجتها الزراعية من غار وخضر وبقول وحبوب وفاكه ما شئه الانفس وقد الأعين ! ... والطقس فيها معتدل جيدة الماء والماء .

اما منطقة الصحراء فناتها كجنة الصحراء تكاد تكون منعدمة النهر الا ما قبل منها وندر في بعض الواحات او ما خصتها الطبيعة به من انواع التغليل والتير الذيذ وفيها كذلك من الماشية ما تعد به من اكبر مواد الجزائر وأثراها وخاصة الغنم .

اما المعادن او قل كنوز الجزائر وركازها - فان القطر غني بما اودعه الله فيه من غالب انواع المواد المعدنية الشبيهة حيث تبلغ ١٤٨ منبعاً منتشرة يتكامل اخاه الوطن الجزائري ، منها ٢٦ منجماً في ولاية الجزائر ، و ٩٦ بولاية قسنطينة و ١٥ بولاية وهران منها ١١ شرع في استثمارها حديثاً .

والجزائر مليئة بكل امكانات التصنيع ، اذ جبتها الطبيعة بارض غنية بختلف انواع المصادر وبطاقة كهربائية هائلة شامة يسهل توسيعها من المسافط المائية الجديدة الى جانب ما تزخر به الصحراء من البرول وان ام ما فيها من المعادن : الحديد والتحاس والوحاص والزنك والقصدير والفضة والكروم والمرمر والزرينيخ والكلس والجبس والكبريت والملح والجلص والمانكابيس والبهاد - الفوسفات - والزنبق والقمح الحجري وحجر الكلج والنقط - البىطرول - ؟ وبخار الغاز الطبيعي ويدرك انه اكتشف بها حديثاً « البورانيوم » والذهب والالاسن ولم ينزل المرجان ينقطع من السواحل الشرقية حيث يصدر الى اوربا وغيرها ؟ وان في الجزائر من الكنوز ما ان مقامها لتنوه بالعصبة اولى القوة ! ... ورغم كل هذه الثروة الطائلة والمواهب الطبيعية التي امتازت بها الجزائر عن غيرها من

الاقطاع فان سياسة الاستعمار الحبيبة قد حالت بين ذلك كله وبين ابناء البلاد فتركتهم فقراء مسكنين غيرى ذي متربة ! ... وما ذلك الا عن اغراض سياسية تافهة ومزاجة اقتصادية لاسها الجشع والطمع .

واني لا ذكر يوماً من ايام اشتداد الحرب العالمية (١٩٣٩ - ٤٥ م) جرت لي في محادلة بين وبين شخصية سياسية فرنسية مسؤولة جمع بينها وبينها مجلس من المجالس التي كان الفرنسيون يذلون فيها بجردهم بوسائل متنوعة خلق الفرنس واصطدام المناسبات كي يجتمعوا بشخصيات اسلامية اهلية يتظاهرون لهم فيها بمحب التطرف منهم وربط الصلة بهم ويدجلون عليهم بما شاؤوا من مصطلح العودة الكاذبة وزخرف القول غروراً - كسباً للوقت - وكان بما طرقاته في ذلك المجلس التعرض للحالة الراهنة يومئذ وما تكابه الجزائر من الحصار المضروب عليها اقتصادياً كما هو سيامي ايضاً ، وما يت kedde الاهالي بالخصوص من الفقر الى الحاجيات والضروريات ! ... مع ان القطر الجزائري محمد الله غني بما اودع الله في تربته الطيبة من المناجم والمعدن والكتنوز ، فقاله بهذه المناسبة قائلاً : هل يوجد في ابناء الجزائر ليوم يحيي سكانها من اهالي وغيرهم بقطع النظر عن الجنس ، من توجد فيه قابلية او استعداد للعمل على الشأن شركات صناعية ومعامل فنية تستخرج بها ثروة البلاد ؟ ... فقال نعم ، قلت له حينذاك : لماذا لم تعنى الحكومة على استثمار هذه الكتلة بتوجيه الرعية الى استعمال مواردها في استخراج هذا الثراء قلنا ؟ ... وفي ذلك ما لا يخفى من الحير ... فاطرق برأه سلطة ثم قال لي : ابن انت من التأسيس الدولي والتزاحم الاستثماري ! ... قلت ماذا ؟ ... قال يزدحمن علينا الاجانب ؟ قلت او لمجرد هذا التزاحم نعم في اضاعة ثروة البلاد وامانة العباد وفرض بالمرمان والقر لانفتا ونحن على اديم هذه الارض الزرقاء .

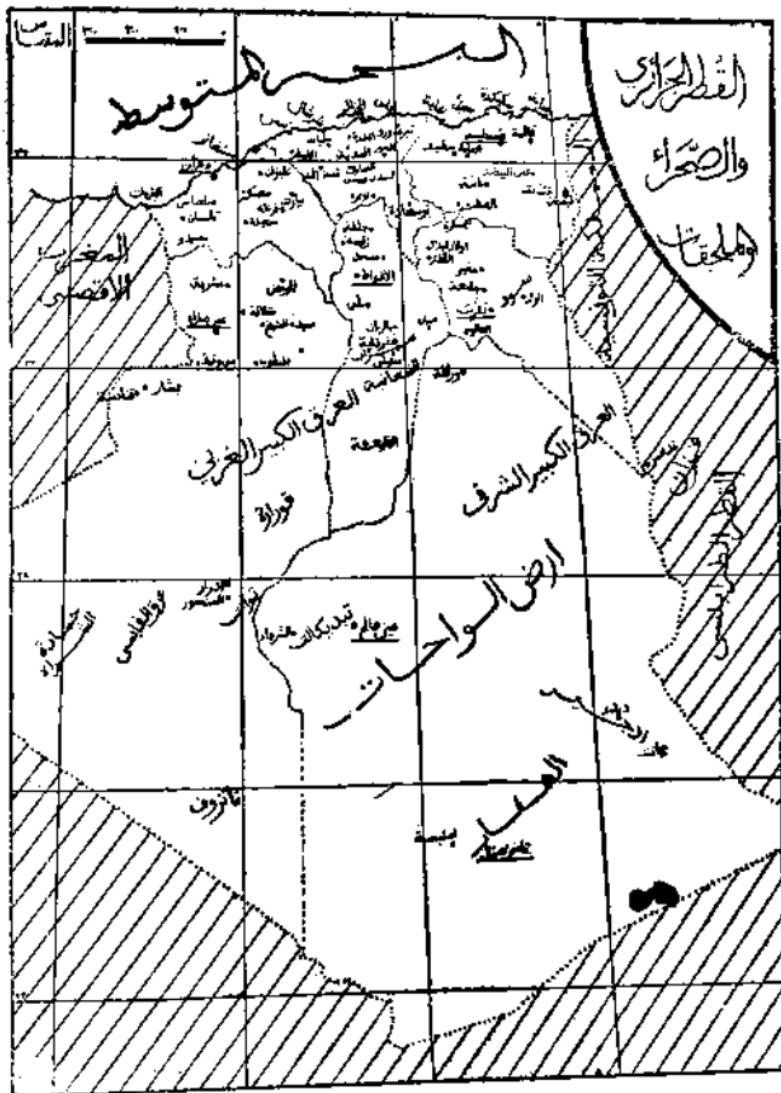
كالمير في اليداء يقتلها الصبا ولماه فرق ظهرها محول ! ...

فسكت وسكت ... والآن وقد استدارت الايام وانتهت الحرب وانقضى ما كان حائلاً سياسياً بين الامم من الاوهام والمخواجز فانكشفت الحقائق

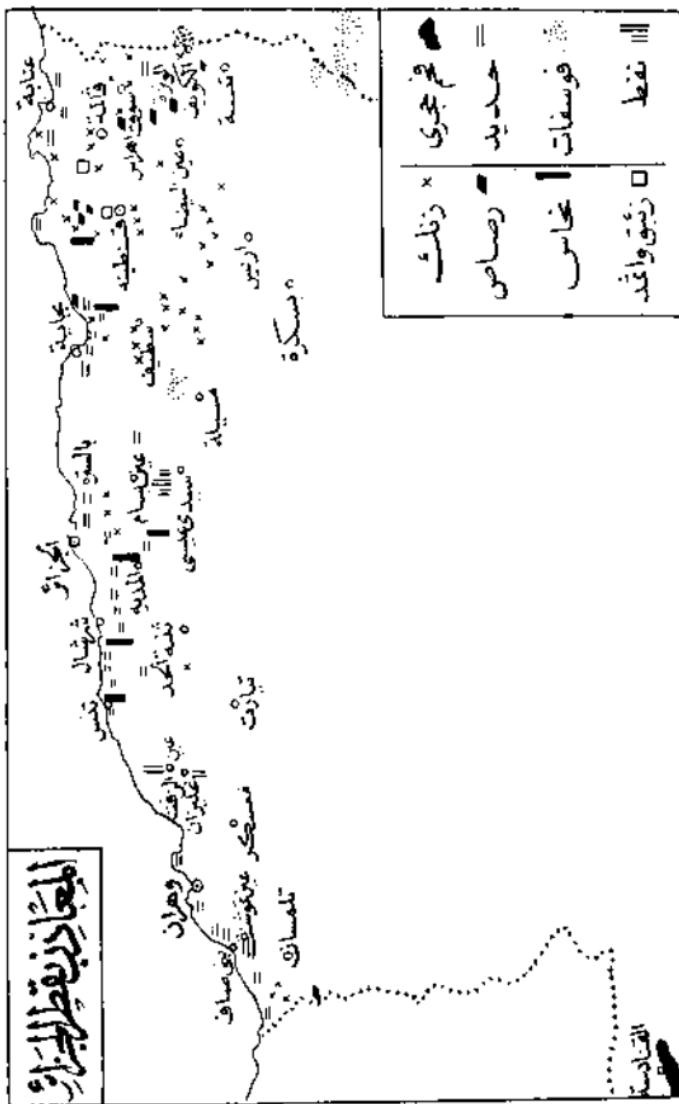
لدى جميع الناس واحد كل صنف في دراسة احوال العالم الحاضرة على ضوء العلم والمنطق والعقل فانعقدت في شتى المواطن عدّة اجتماعات علمية وسياسية واقتصادية للبحث عن اصلاح الحالة الراهنة التي اصبح عليها العالم اليوم للانقطاع بما فيه ، وكان من حظ الجزائر ان تعدد بها عقد مؤتمرات دولية تاريخية وجغرافية اكتشفت بها عدّة نواحٍ مجهولة من تاريخ هذا الوطن وما اودع الله فيه من اخصائص والميزات التي كانت مغفلة مهمة ، وذلك ما كان يخشاه امثال هذه الشخصية الفرنسية المتحدث عنها .

كما يوجد بالجزائر ايضاً حمامات معدنية منتشرة في توسيع كثيرة من هذا القطر ما زالت ساخنة تعالج بها امراض الاعصاب وغيرها مما يستعصي على نظامي الاطباء ... فلم يبق لـك الان ايا الجزيري الغير الا القدام بشجاعتك المهووّدة في التاريخ لاستئثار كنوز بلادك بما اوجبه عليك دينك وضميرك وقوميتك .

اما عدد السكان فيه فانه حسب الاحصاء الاخير (١٩٤٨ م) بلغ الى ١١٣٢٨٩ نسمة منهم ٨٠٤٥٣٣٦ اهالي مسلمون والباقي تنصاري بما فيهم من يهود واسبان وطالبان الذين شملتهم الجالية الفرنسية . والواقع انه يفوق ذلك بكثير .



卷之三



شراطط
الافتتاحية

لبيع الماء
الماء



بيان
الحاجة



أجزاء العتيقة

ما قبل التاريخ

تعجب على هذا الوطن الجزائري بعد العصر الجيري وقبل الفتح الاسلامي خمس امم عظيمة : البربر وهم السكان القداماء الاصليون ، والفينيقيون ، ثم الرومان ، فالقندال فالروم - الزنطيون - ؟ وهذا ما نسيه بالجزائر المتبعة ، وتاريخها يشمل تاريخ الشمال الافريقي كله وما الجزائر الا جزء من الجزيرة المغاربية وهي كلها ممتدة جغرافياً و تاريخياً في واحدة لا تتجزأ رغم جميع الاعتبارات السياسية ، فان تاريخ هذا الشمال الافريقي متسلك الحلقات لم ينفصل عن بعضه الا في ظروف استثنائية وملابسات خاصة .

اما قبل ذلك ، فهو ما يبع عنه لدى علماء التاريخ بعصر الپلیستوسین pleistocene ويسمى بعصر الجليد ايضاً ، ثم يأتي بعده العصر الجيري ذلك لان النوع البشري عموماً كان اذ ذاك يستعمل الحجارة في كل ما يحتاج اليه من الادوات كالقطاع والمدى والرؤوس والجلدان وغيرها ؟ وينقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام :

الدور الاول - عصر الحجارة القديم الذي كان فيه الانسان اشبه شيء بالوحش ، حديث عهد بالطبيعة ، جاهلاً بطريق الانتفاع بها ، سادلاً عليه جلود الحيوانات متدفعاً باهابها ، يسكن الجبال والكهوف والغارات ويأكل كل ما تنبت الارض غفراناً وما عليها من خشاش وحيوانات وحشرات . وهو في كل ذلك يستعمل الحجارة .

الدور الثاني - عصر المعايرة الاوسط ، وفيه تقدم النوع البشري الى غير المعايرة ايضاً ، فأخذ يتحمل عظام الحيوانات من نوع الرغول والطيور والفيلة والكركدن وبقى العام ، فأخذ منها الاوعية والابر والسكاكين والمساحي وهذلت في الادوات الحجرية نوعاً ما ، وانتقلت السكينة من المفارقات الى الاكتئان المستديرة والمربيعة ؛ وعنى الانسان في هذا الدور بالمدافن فكانت القبور فيه على شكل المرم مبنية بالمعايرة . ولقد كشف العلماء عن آثار من الاجيال المتعاقبة ترجع الى هذا الدور في توادي قلمسان ووهران وبيرو العتيق جنوب تبسة سطيف والقلية بالجنوب الجزائري .

الدور الثالث - اتقن فيه الانسان صناعة المعايرة فأخذ منها الارحاء للطعن وادوات النتش وصنع السهام ، وردم عليها بالمعايرة المحددة الرسوم العجيبة الشكل ؛ وفي هذا العصر اخترع الكتابة « المغيروغالية » - اي التصويرية - ، وفيه عرف الانسان الحياة والنسيج وابعاد النار وصنع الاولاني الطينية للطبخ وأخذ الاوعية من الخشب والخلي والاصداف والمخاور وابيات الحزير والمحني المتقوب وغطى رأسه بالريش . وكل ذلك بلقنا بواسطة ما عثر عليه علماء الآثار من هذه الآلات بتراصي القطر كله . وخصوصاً ما كان منها بجدية « باليكار » دنواحي سطيف وممسكر وعن مليلة والعين البيضاء ووهران والجزائر « العاصمة » وسعيدة وقبة الخ ... وان اهم مااكتشف من هذه الآثار هو صور متقوسة على الصخور وبعض الادوات الحديدية ، وقد اجتمعت منها كثيّة لا يأس بها يوجد بعضها بدار الآثار بالعاصمة وفي غيرها كذلك من متاحف القطر الجزائري وغيره مما كان موضع اعجاب ارباب الفنون والصناعات اليدوية .

ولقد ذهب العلماء في تلذير الزمن الذي يرجع اليه تاريخ هذه الآثار مذاهب شتى فبلغ به بعضهم الى ستة او عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ؟ ... وهو تاريخ المعايرة البشرية .

ثم يأتي بعد ذلك العصر المعدني الذي اول ما عرف فيه الانسان

النحاس والقصدير والبرونز ثم الحديد ... ومتى انتقل الى ما يعبو عنه بعصور التاريخ حيث استعمل فيها الوسائل المكتوبة وهم يتدرون ما قبل التاريخ ينحو مائة وخمسين الف سنة .

قدماء الجزائر ، لفتهم ، دياتهم

لا يخفى وان هذه المجموعة البشرية ترجع في نسبها حسب التقاليد التوراتية والنظرية الدينية الى آدم ونوح عليهما السلام ، وان الناس جميعاً هم من ابناء نوح الثلاثة : سام وحام ورافت فنهم وعنتهم تفرع هذا الجنس البشري القائم يومئذ - وجعلنا ذريتهم الباقيين - وذكروا ان ليافث ولداً - هو قطربال - الي يرجع نسب القدماء من سكان الشمال الافريقي ، وقبل هم من السلالة الحامية ؟ ... وزرى ابن خلدون نفسه بشك كثيراً في صحة هذا التقسيم الثلاثي المترتب على ابناء نوح الثلاثة^(١) على ان علماء العصر قد خالقوه هذه النظرية تماماً وانكروا هذه المقيدة الشائعة وعدلوا عن هذا التقسيم الثلاثي القديم الى جمل الناس ثلاث طبقات : طبقة المصر المجري ، وطبقة العصر الحديدي ، وطبقة عصر سكب الرمل ، ومان تاريخ العصر المجري وهذه يرجع الى ما قبل اليوم ينحو ١٢٠٠٠ سنة ، وانه منفي على وجود العائلة الانسانية على وجه الارض نحو ١٠٠٠٠ سنة ، وبلغ بعضهم الى ٢٤٠٠٠ سنة ؟ ... ولا يخفى انت التاريخ الدينى الذى يقول به النصارى واليهود لا يزيد على ان عمر البشرية خمسة او سبعة آلاف سنة ؟ ... كما ان هؤلاء العلماء رجموا في تقسيم اصول البشر اليوم الى مقاييس الجسم وشكل الرأس ففسروا الناس على حسب اختلاف مظاهرهم الطبيعية وبيان سماتهم الى اربعة اشكال : الشكل القوقازي وهم سكان اوروبا وآسيا الغربية وشريط البحر المتوسط ؟ والشكل المنوبي وهم سكان آسيا وامريكا من السلالة الصفراء ؟ والشكل الزنجي ؛ والشكل الامريكي القديم ؟ وجاوزوا في تعليمهم لهذا

(١) التعريف بابن خلدون من ٣٥٤ ط القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥١ م.

التبان بين الاشكال بالعوامل الطبيعية والتغيرات الجوية والاختلاف البيني الجغرافية وتغير الطقس والهواء والماء والغذاء^(١). أما نظرية تقسم البشرية إلى فصيلة السامية والخامية والأدبية فهي عائدة إلى المفزي الفوي لا غير، إذ انهم يعنون به الآن الامم التي تتكلم لغات متقاربة تجمعها وابطة السامية أو الخامية أو الأدبية فهو تفصيل لفوي نثا عن علماء تاريخ اللغات في القرن التاسع عشر لبيان الاختلاف الموجود بين اللغات لا بين الشعوب ثم جعل العلماء هذه الانساب اللغوية انساباً للامم التي تتكلم بها.

واما عن تاريخ اقدم سكان الجزائر او قل - شمال افريقيه - (من غير البوير) فقد تضاربت اقوال المؤرخين في ذلك ؛ يقال انهم بمجموع طرائق وزریع سلاطین تجمعوا من الطارئن على هذا الشمال الافريقي من مختلف الاوطان في غابر الا زمان ف تكونت منهم وحدة قومية وعنصر هماز هو العنصر الافريقي وعرف هؤلاء من بين الامم بالافارقة، ومنهم كانت تلك الجماليات المؤلفة من الميد والا رمن والقرس الذين نص عليهم المؤرخ اليوناني « سلطان » في كتابه (حروب بونوغرطة) قال ان هؤلاء جاءوا مع « هيركوليس » هرقل احمد ملوک ايبيا - بجزر اليونان - كبعد مستاجر لغزو « اپيريا » - اسبانيا - وما هلك هرقل طرد هؤلاء الجند من اسبانيا فتقروا على البلاد المجاورة ؛ فعبر الميد والا رمن يومئذ بحر الزقاق الى شمال المغرب واحتلوا بسكانه من البوين واندجعوا فيهم . واما القرس فانهم اخروا كذلك في طلب زملائهم فحملت الرياح شراع سطحهم الى المحيط الاطلنطي فأرسوا على شواطئ الجنوب المغربي فوجدوا هنالك قوماً من (الجتبولة) على بساطتهم الطبيعية فاندجعوا فيهم واحتلوا معهم بالصاهرة كما اندمج الميد والا رمن بالبوين ف تكون من هذا الاندماج ما تولد عنهم من هذا الجيل^(٢) يؤيد ذلك ما جاء في الجغرافية الافريقية

(١) اظر تعليقات الامير شكب ارسلان على تاريخ ابن خلدون ص ٥؛ والتي فيها
ط مصر ١٩٤٦ م .

(٢) موجز الكمال ص ٢٨ و دائرة المعارف للبيان ج ٤ مادة افريقيه .

القديمة من ان الفاروسين - الفرس - استمروا هذه الارض منذ عمر متوجل في القدم واحتلوا بسكاتها واستهروا فيها يومئذ باسم « نوميدا » او « نوماد » ومعناه بلغتهم الرمل وهو ما يطلق على سكان شرق الجزائر ؟ كما اتنا نجد اسم « سوس » او « سوسة » براكنش وتونس هو كذلك عند الفرس (سوساتة) او (سوستانة) يطلق على ناحية بالساحل الشرقي من الخليج الفارسي و (باجة) من بلاد اصبهان كما هي بأفريقيا والأندلس ايضاً الخ ... فما معنى هذا الالتفاق ؟ فهل هو من قبيل القضايا الافتافية والمصادفة فقط ؟ ام ماذا ؟ ...

على ان المتفق عليه لدى المحققين من علماء التاريخ والآثار والجغرافيا جيماً ان سكان الشمال الافريقي القدماء هم من سلاة الجنس الايبير واسع اساس المدنيات القديمة ، ويرى هؤلاء العلماء ان اول ما وجد الانسان وجد شمال افريقيا فهو المهد الاول للجنس الايبير ، ومنه هاجر الى اوروبا وايدوا نظرتهم هذه با دلت عليه الاكتشافات الحجرية المدينة التي اجرها العلماء ومنهم العالم الاتري « ارامبروغ » فانهم اكتشفوا بناحية مدينة « مسكنرو » من القطر الجزائري هيكلًا عظيمًا يرجع تاريخه الى نحو ٥٠٠ الف سنة ، كما ان هذا العالم نفسه ظفر في بحوثه وحقرياته الاترية بنفس هذه الناحية بهيكل عظيم آخر متجرد يرجع تاريخه حسب ما دل عليه الشخص العلمي الدقيق الى نحو نصف مليون سنة قبل اليوم .

ولم يسع او يعرف في تاريخ البحر الاطوري انهم ظفروا بهيكل متوجل في غضون تاريخ الزمن الغابر وخلفاً العصور الماضية والقروسط الحالية مثل هذا .

وقد اصبح الميكلن الثاني هذا يعرف في مصطلح علماء الآثار وتاريخ البشرية اليوم باسم « اطلانتوروبوس موريطانيكوس » ومعنىه الانسان الاول الاطلنطي الورديطاني ، وكلا الميكلين قريب من صاحبه زماناً ومكاناً . كما انهم وجدوا حول الميكلن « اطلانتوروبوس » هذا عدة أدوات وآلات منزلية هي من حجاورة منحوتة مختلفة الشكل : فؤوس

وسكاكين وغيرها هي من اقدم ما اكتشف من هذا النوع في هذا العالم، وذلك ما يدلنا على تقدم ذكاء الانسان الاول في اختراع ضرورياته الحاجية المتعلقة بحياة اليومية - ولا سيما فيها شخص عقريه الانسان الجزائري الاول - وهذا ما دعا العالم البهانة (ارامبورغ) الى نشر نظرية الدعمة بالدلائل والبراهين الصيغية القائلة بأن ارض افريقيا الشهابية او قل بلاد الجزائر هي مهد المنصر البشري المتحضر.

اما عن لقائهم ومجتمعهم فلم يحدتنا التاريخ عنها بشيء؛ ولا يسع ان تكون اخت لغة قدماء المصريين والليبيين، وخصوصاً اذا ما اعتدنا مقالة من يقول ان قدماء المصريين هم من سلالة سكان الجزائر ومرَاكش؟

واما ديانتهم فهي مؤسسة على عبادة مظاهر الطبيعة من الاجرام العلوية العظيمة كالشمس والقمر، وبعض الحيوانات كالفرد والتبس والافن، وقد وجد الباحثون في جبل بنى راشد - قسطنطينة - قتال قبس على رأسه هالة تمثل دائرة الشمس يدعونه «اتون».

واذا حاولنا معرفة ما يسمى بالحضارة او المدينة الراهاة يومئذ فاننا نجد القوم متاثرين بالحضارة «الاجيحة» حسبما يدل عليه تقارب اللغة القديمة والخط ووحدة الشكل في البناء وصناعة الخزف. ويقال ان سكان المغرب اخذوا عن الاجيحين زراعة التين والزيتون والكرم، وبفضل هؤلاء ايضاً راجحت بالغرب صناعة التعدين والتصويير على الخزف. ويبطن ان ذلك كان حوالي الالف الثالثة قبل الميلاد. ولا يخفى ان هؤلاء الاجيحين ينتسبون الى شعب ابيض يمتاز بصفاته الذهن والذكاء المفرط. كما يؤكّد العلماء ان اصل هذا الشعب ايضاً من شمال افريقيا ومنه ما نراه من بقية المنصر الاستقر في بعض التواحي من هذا الوطن الكبير (المغرب العربي).

البربر

ان اول ما عرف التاريخ المسلح من سكان هذا الوطن انما عرف «البربر» وهم مجموع سكان شمال الافريقي من حدود واحة «سيوة» المتاخمة للبلاد المصرية شرقاً الى ساحل البحر الاطيبي الطلقسي غرباً والى خفة وادي النمير جنوباً في حين انه لم يكن يعرف في تاريخ السلاطين او السلالات البشرية عامة ان هناك جيلاً من الناس يعرف هكذا باسم البربر، وإنما هو لفظ وضعه يراد به عند اليونان «صوت الائن» او هو كل انسان اجنب عنهم لا يتكلم بلغتهم، ومن غلة اطلاق اليونان انفسهم على سكان هذا الوطن وعلى غيرهم من هو ليس برومانياً كأمة الطالبان فانها كانت تسمى عندهم «برباريا». وقد نجح الطالبان انفسهم كذلك منع اليونان في هذه التسمية فانهم اطلقوا اسم البربر على كل من ليس برومانياً ولا ايطالياً او لم يكن خاصعاً للطالبان، وجعلوا اسم «روماني» خاصاً بين شمله تفرذهم الايطالي ومن ذلك الوقت عرفت جميع البلاد التي خرجت عن طاعة الرومان باسم «بارباريكوم» اي بلاد البربر، ومنها مدينة «بربرة» بالصومال الانكليزي، وقية «برباريس» او «بربارجا» بجزر سرديانيا كما عرفت سواحل المانيا وما على ضفاف نهر الدانوب باسم «برباريس» واطلقوا ايضاً اسم «البحر البربر» على البحر العتيق المتميي لانفصاته عن بلادهم الرومانية وهكذا هلت البربرية عندما كل ما ليس رومانياً او برومانياً ؟ ثم جاء دور العرب في شمال افريقيا

فما حفظوا على هذه التسمية ولم يشاروا تغييرها لذريعها واستهارها يومئذ . على ان « هيرودوتس » المؤرخ اليوناني الكبير الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد كان يسمى هذه الارض باسم لوبيا او ليبيا ، ويدعو اهلها باللوبين او الليبيين .

والاسم الوحيد الذي اراه ينبغي ان يطلق على سكان هذا الوطن هو الجنس المغربي نظرا الى موقع بلاده وموطنه الوالد .

على ان هؤلاء البربر وان اختلاف الناس في اصل نشأتهم فهم ساميون من ابناء مازيغ بن كعنان ، فهم « الامازيغ » كما جاء في تصریحهم امام الخليفة عمر بن الخطاب حين ذهب اليه الرغد بعد فتح مصر ، فاتسيرا امامه الى مازيغ ، وانهم اصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب « البحر الاحمر » والبحر المتوسط ولم يقولوا له انهم « ببر » .

وفي رسالة العالم الفيلسوف المترهبون القديس (اوغسطين) بعث بها الى اهل روما قال فيها : اذا سألتم سكان البوادي عندها — ترميمية الشرفية بولاية بونة من القطر الجزائري — قالوا نحن كثعانيون وقد كانوا ينطلقون بهذه الكلمة عرفة اذ انهم كانوا يتلفظون بها بدون حرف الخلق الذي هو العين ^(١) ؟ ولا تزال الى اليوم لقائهم تعرف « بتغازت » وان موطنهم الاصلي هو جزيرة العرب ولقد حاول بعض المؤرخين ان يلعقروا منهم بيو بن قيس بن عيلان ، فان صح ذلك فهو من باب الاتفاق ^(٢) ويقول برو كلمن المستشرق الالماني الكبير : ان اليهود هم الذين حلوا على اقصاء الكثعانيين عن جدولبني سام والاخاهم يجدول آل حام الذي كان يزعهم عاقلاً لوالده وما ذلك الا عن حقد وعداوة كانت بينها نشأت عنها حروب واحن . ويزعم العالم دوپرات Duprat ان البربر هم من جنس آرزي هاجر من نواحي الكنج بالمند ! ...

(١) راجع كتاب افريقيا الشالية مؤلفه « غوري » Goutier من ١٣٩ ط Payet باريس ١٩٤٢ م .

(٢) راجع ابن خلدون ج ١ ص ١٨ و ٦ من ٥٩ وما يليها ...

وعلى كل فان من يطلع على تاريخ البربر يرى ، انهم امة عظيمة لها حضارتها ومدنيتها المثلثة ، نشأت على غرب الجانب واباية الفيم والدفاع عن الشرف مع ما كان لها من الملك والدولة وكثرة عددهما ؛ اتقتل الى افريقيا^(١) من آسيا - جنوب فلسطين - عن طريق مصر حوالي سنة ١٣٥٠ ق. م. ثم تابعت المجالات الكنعانية الى هذا الوطن في فترات مختلفة ودفعت متفرقة . كان منها هؤلاء الكنعانيون الذين اخرجوا من ديارهم بفلسطين حين تغلب عليهم العبريون فاجلوهم الى المغرب حوالي سنة ١٣٥٠ ق. م. كما ذكرنا ؟ ويقول يوسف بن عبد البر القرطبي ان هذه اجالية الكنعانية نزلت اولاً بأرض مصر ففتحت من المكث بها وتصلب في وجهها يومئذ الفراعنة فواصلت السير الى ارض المغرب ؟ وهي تتألف من عدة عناصر منهم الشافرون^(٢) والعاليق^(٣) وغيرهم . وفي سنة ١٠٩٥ ق. م. تولى عرش العبرانيين الملك طالوت (شاورول) الذي باركة النبي صموئيل ، حيث كان اول ملك لبني اسرائيل بعد عصر القضاة ، فحارب

(١) لا زال اصل هذه الكلمة غامضاً ، وان كل ما قبل في شرح متنها او انتقاد اصل مادتها فاغدا هو على سبيل الغلن والتخيّن فقط ؛ انظر ابن خلدون ج ١ ص ٧٨ وفروج افريقيا من ٤٤ والمؤنس من ١٦ والمالك من ٤١ وفتح العربي للغرب من ١ وفقال ابو الرجاع البغدادي : ان اهل مصر يسمون ما عن عيّنهم اذا استولوا الجبوب ؛ بلاد المزري ، واما حيث افريقيا لما اتاه فرق بين مصر والمغرب (معجم البلدان ليافوت الحموي ج ١ من ١٢٢٥ ط ليزيج ١٨٦٦ م) . وعندني ان اقرب ما قبل فيها الى المواب هو قوله من قال ان « المزري » كملة اطلقها الفينيقون قدماً على اهل البلاد الاصليين الذين كانوا يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط ومن ثم حيث هذه المطلقة « افريكان » اي بلاد الافري ... وبقال اتها كانت قبل ذلك تعرف باسم « ليبيا » .

(٢) يقول ابن خلدون ج ١ ص ٥٨ ط مصر ١٩٣٦ م ان ابراهيم الخليل عليه السلام ترجم بعد سارة بفترة بدت يقطن الكنعانية فولدت له سنة اولاد منهم يعشان مكان من نهره جبل البربر كما حق ذلك الطبرى الى المقدمين وابراهيم سامي من المتأخرین وهو ما اتفق عليه علماء الانساب .

(٣) م اولاد علیق بن لاوذ بن سام موطنهم الصحراء التي بين العراق والدببة كانت لهم بها درة هندية ومحمارة مسامية .

أهل فلسطين وتقلب عليهم وأجل فريقاً منهم ، فلما تولى بعده الملك الذي داود عليه السلام اخرج من بلقي من الكهنةين من ارض شعار فكانت هجرتهم ايضاً الى هذه الديار سنة ١٠٥٥ ق. م. وما عدا الصواب الحسن الوزان حيث قسم سكان افريقيا الى اربعة اقسام : عنصر افريقي اصلي ، وعنصر فينيقي ، وعنصر عربي ، وعنصر لاتيني .

أوصاف ببر البربر وأخلاقهم

يتناز البربر الاهلي الجزائري عن حوم البربر بأنه مستطيل الدماغ معتدل القامة والوجه ، بازر الحدين ، غير ثانية العينين ، اسودهما متوسط العرض ، واسع الفم ، عريض الصدر والاكتاف ، ضيق الحصر ، اسود الشعر ، اصغر البشرة قوياً البنية . وهناك صنف اشقر ازرق العينين مع رقة في الاتف والثافتين مسطح الجبهة ، وهذا الصنف هو اقدم العنصر البربرى بهذه البلاد وتوجد منه فلة بجبل جرجرة والاوادس وريف المغرب الاقصى .

والبربرى خلق حراً فخوراً معتزاً بعشيرته متصلباً لفليه وقومه ، ولعل ذلك الافراط في التصب والغرام بحب الاستقلال الشخصي والطربية الفردية ، الامر الذى دفع به الى الانانية والمناقبة الى حد الماءدة وهي التي يلفت به الى تشتت الشمل اليوم وافتراق الكلمة واختلاف التزاعات ؛ وهو مع ذلك نثأ حربياً شجاعاً الى حد المرأة شرساً يبلغ احياناً الى حد الوحشية ، حاذقاً ، ذكي المشاعر منتقلاً من عدوه شرقاً بالضعفاء والمساكين عيناً للعمل دؤوباً عليه ، عدواً للبطالة مكتيناً بالقليل المتراء من بسيط العيشة ، تاجرًا كناناً ، حافظاً على جميع ميزاته وخصائصه كما هو عليه حاله الى الان .

ويحدثنا الدكتور غوستاف لوبرون عن المرأة البربرية فيقول : والمرأة البربرية على جانب عظيم من الجدية ، فهي غارب احياناً بجانب زوجها ، فلذلك « هرميروس » ذكرها حين قص علينا خبر تلك الملكة والنسوة

المترجمات الالاتي فتعن بلاد لوبية وبعض آسيا الصغرى ، ومن النساء البربريات من جلسن على عرش الملك .^(١)

وتقاد تكون هذه الصفات عامة في جميع البربر ، واعظم دليل على ما ذكرنا هو ما حاولته الدول المستعمرة التي تولت على هذا الوطن منذ قرون من العهد الفيني والرومانى الى يوم الناس هذا من عزبها عن تغيير عرى حياة الاهلي في جميع الميادين ، في لفته او عاداته الخ ...

قال لوبيون : استولت شعوب كثيرة على شمال افريقيه فكانت لها آثار فيها ، فملكتها القرطاجيون والرومان والواندال والقوط والبيزنطيون قبل العرب ، ولم يتبدل اهالي شمال افريقيه مع كثرة فتوح الاجانب لها ، واولئك الاهلي هم البربر الذين حافظوا على دينهم ولغتهم وعاداتهم خارج المدن على الاقل^(٢) . اقول بل وفي داخلها ايضاً .

وكل ذلك لا ينبعنا من ملاحظة ومراعاة تلك الحقيقة الناصعة التي نطق بها التاريخ على لسان موسى بن نصير حينا مثل من طرف الخليفة الاموريه عن البربر ، فقال يخاطب سليمان بن عبد الملك : يا امير المؤمنين هم اشبه الناس بالعرب لقامه وبنجده وصبره وفروسيه وسماحة وBADIA ، غير انهم افسر الناس لا وفاه لهم ولا عهد^(٣) ويشهد الله انه لصادق فيما قال ، وما كان تصديقي اياه الا عن تجربة واختبار طويل ودراسة عميقة لنفسية هذا الشعب في جميع مواقفه قديماً وحديثاً وما حلني على اثبات هذه الشهادة وتقبيلها الا الاعتراف بالحقيقة وجاء تلقي هذه المفهوم الشنيعة وعملها بالحكمة السائرة : من كنم داهه قتله .

(١) محاضرة العرب من ٣٠٧ ط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م .

(٢) محاضرة العرب من ٣٠١ ط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م .

(٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ من ١٥٨ ط مصر ١٣٤٢ - ١٩٠٤ م . ونفحة الانس لابن هذيل الاندلسي من ٧١ ط باريس ١٩٣٦ م . وكتاب محاضرة العرب لغرسناف لوبيون من ٣٠٨ ط القاهرة ١٩٤٨ م . وقاريء ابن أبي القبائل ج ١ من ٨٦ ط تونس ١٩٦٣ م .

وقد يكون ما سماه ابن نصير غدرًا هو ليس بغدر ولا خديعة وإنما هو مظهر من مظاهر الفريزة التي جبل عليها هذا الجيل وما ترکز في جبک وطبيعته من سدة العصبية وفورة الشكيبة مع ما فيه من التحذير من الكيد والتوجس من الغير منها كان شأنه ، فكان ذلك في نظر مومي غدرًا وما هو بغيره ، وربما كفانا مذونة شرح هذا المعنى ما علق به ابن أبي الضياف على كلمة المز الفاطمي التي أوصى بها خليفة على افريقية « بلکن ابن زيري ، الصنهاجي حين مغادرته المغرب إلى مصر ، إذ كان فيها أوصاه به قوله : « لا ترفع الجباية عن أهل الباادية ولا ترفع السيف عن البربر ... » قال ابن أبي الضياف : وهذه الرؤاية منه معقوله الحق ، لأن أهل الباادي لولا الجباية ما عمروا أرضًا ولا سعوا في تكتب لما في طباعتهم من الدعوة ... واما البربر فان سيفهم لم تزل باادية لبني والقتل لكثرة قبائلهم وعصابتهم ، والشر يدفع بهم اذا اعياك غيره فالقتل انفس القتل .

وهكذا نجد ابن أبي الضياف يقادى في تعليل احداث التاريخ ونشره حواتمه بما اورته من علم وتجربة وخبرة باحوال الشعب فنراه يربط الاسباب بالأسباب فيذكر لنا الواقع مرتبطة بمحاجات حدوثها وما يحيط بها من عوامل وظروف ، فهو بعد ذلك لا يزال يعطيها ويفيدنا بزيادة الشرح والبيان عن هذه الفريزة الموجودة في البربر ، وينذكر من شاهنهم انهم لا يسكنون الا من كان من جلدتهم ، فإنه بعد ما ذكر مواطنة الافارقة ومساندتهم لابراهيم بن الاغلب على تولي الحكم بأفريقية وعزل محمد ابن مقاتل المكي جاء بتعليق لهذا الحادث السياسي الخطير فقال : « وهذا اسر طبيعي في البشر - خصوصاً اهل افريقية - فان نقوفهم نسكن نواحد منهم نشأ في ارضهم ولو من الموالي اذا مولى القوم منهم ما لا تسكن مثل عمر ابن عبد العزيز امام من غير ارضهم)^{١١} .

وقد كان ابراهيم هذا معروفاً عند البربر من قبل بولاته السابقة على مدينة طبنة عاصمة الزاب الجزائري .

(١) تاريخ ابن أبي الضياف ج ١ من ١٠٣ - ١٣٤ ط تونس ١٩٦٣ م

ويا ترى ما هو مصدر هذا الطبع الخلقي في البرير؟ ... وكيف نشأت قيم هذه القيمة الراسخة؟ ... هل كان ذلك عن وراثة دموية فطرية حدثت تلقائياً هكذا في هذا العنصر من البشر؟ ... أم إن ذلك هو من خصائصه النفسية وغراائزه الثابتة في عرقه؟ ... أم هي البيئة الطبيعية والبيئات؟ ... أم هي الظروف السياسية والعوامل الاقتصادية التي اهاطت به في حياته التي مرت به ومر بها؟ ... أم هناك ملابسات وتأثيرات وأسباب أخرى وتقليلات اضطراروية وعوامل اكتنافه من الخارج فكانت مرجحاً جرياً لاكتناه بهذه الظاهرة؟ ... لا ادري واهه؟ ...

وهذا ما اترك البحث فيه لغيري من ذوي الاختصاص والتطلع في علم النفس وتخليل أخلاق الشعوب والتي جهادة علم «البيوجلبا» الباحثين في نظرية الجنس والعرق المتسبق في دراسة غير الدنيا وتكون الانواع.

المواطن البربرة في الجزاير

ان الأمة البربرية - كما علت - قد عبرت هذا الشمال الأفريقي من حدود آخر الأیالة المصرية الى المحيط الاطلنطيكي من ناحية الصحراء بارض السودان؛ وانه لن العسر جداً تتبع جميع هذه القبائل وما تفرع منها من يطون واغفاذ بما لا يلي عليه حصر ولا عد... وإننا نذكر منها بعض مظاهر هذه العثار التي سكنت ارض الجزاير والمخذبها موطنها لها من قديم الزمن مع الالامع الى اماكنها ومراتها وجودها بهذا الوطن.

هناك جذمان عظيان يجتمع عندهما كل ما تفرق من الفروع البربرية المنتشرة في هذا الشمال الأفريقي حكلاً من اقسامه الى اقسامه وهذا الجذمان هما مادغيس الملقب بالابت، والمتسبون اليه هم البت، وقسم ينتمي الى يونس بن يور، فسموا بالبرانس؛ وكل من مادغيس وبرنس اخوان لا ينتمي الى يور من ولد مازبفع ابن كنمان. والبرير في انقسامهم الى طائفتين اثنتين، وما طائفة البرير الخضر الذين يسكنون

النواحي الشالية والسفوح المزروعة ، وطانقة البرير الرجل الذين يعمرون الصحراء والواحات التي تلي ذلك جنوباً وشرقاً والكل يرجع الى هذين الجذمين بولس ومدغيس ؛ ولقد تفرع عن الاول عشر قبائل عظيمة ، منها ثلاث سكنت بهذا القطر الملازي الذي نورته : كتامة وعجيبة ، وازاجة ولكل من هذه فروع لا يحصى الا ان شائلاً .

اما كتامة فهي من اكبر قبائل البربر عدداً واسدهم يأساً وفقرة ، وكانت تقطن الساحل البحري من بوابة (عتابة) الى بجاية ، وهي متوزعة في داخل الوطن الملازي طولاً وعرضًا الى جبل اوراس ، ومن مدنه الشهيرة : جيجل ، والقل ، وسكنكدة ، وسطيف ، وقسنطينة .

واما عجيبة فهي شرق صنهاجة وجنوب زواوة بجيجل المسيلة ، ولم ترل الى اليوم قرية بدوية هنالك في ارض تليلان - جبال بين قسنطينة والقل - تدعى عجيبة ، فلعل اهلها من بعض احفاد هذه القبيلة الذين سكنا ارض بني تليلان . واما ازاجة فهي كذلك قبيلة عظيمة تسكن في نواحي وهران .

اما الجذم الثاني - مادغيس الابتر - فتجمع فروعه في اربع قبائل كبيرة ... والتي سكنت الملازي منها اثنتان فقط : لوانه وضرسه ، اما لوانه فهي قبيلة عظيمة تفرع عنها كثير من الشعوب ، وهي تنسب الى « ليوا^(١) الاصغر » وما يطرون سبعة كان منها بجيجل اوراس وضواحي تيهرت وبجاية امة عظيمة ، ومن بطونها المشهورة اثنان : زنقة^(٢) وزدواوة ؛

(١) لا يزال الى اليوم يوجد هذا الاسم في الزباب العربي من بكرة تسمى به قرية ليوا .

(٢) أمل الكلمة هكذا . ايزينلين ، ومعناها ابناء زنقة ، وهو اسم امرأة منتشرة من اوقاته باللغات المقدرة وهو عبارة او تصريح او تصريح الكلمة « كتاما » ويرى ابن خلدون ان كلمة (زنقة) ترجع في اصلها القوطي الى الكلمة (جاتا) او (خاتا) التي هي اسم الى الجبل كذلك ، وهو جاتا بن يبي المذكور في تهمب ، وم اذا ارادوا الجلس في التسمى المفتوحة باسم المفرد تام هقالوا (جاتات) واما اذا ارادوا التسمى زادوا مع التاء توينا لمسار (جاتات) ، واطلهم بهذا الجم ليس من عرج الجم عند العرب بل ينطليون به

فزانة هي أكثر قبائل البربر حضارة وعمرانًا وهي منتشرة في نواحي تلمسان وريمة والاغواط والزاب ، وكانت مواطنها الأولى وسط المغرب الأقصى والصحراء الخجولة به من الجزر وزيارة هي موطن بلاد القبائل الآن .

ويذكر ابن خلدون سكان المغرب الأوسط وهم أهل الجزائر فيقول : (... وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زفانة ... حتى أنه ينسب لهم ويعرف بهم ، فتقال وطن زفانة ، كان لغراوة وبيني يفتر وكان منهم مدينة ومتيبة وكرمية ومطفرة ومطاطة . ثم صار من بعدم لبني ومانو وبيني يلوهي . ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بين مادين ، وقادته لهذا المهد - القرن الثامن المجري والرابع عشر الميلادي - : تلمسان ، وهي دار ملكه وبجاوره من جهة الشرق بلاد صنهاجة من الجازر ومتيبة والمدية وما يليها إلى بجاية ، وقبائله كلهم لهذا المهد متذوبون العرب من زغبة ... وأما بلاد بجاية وقسطنطينة فهي دار زفانة وكثامة وعجيبة وهوارة وهي اليوم ديار العرب الامتنع الجبال وفيها بقايا)^(١) .

أم سراكنز للبربر بالجزائر

ان من أشهر المدن والعواصم التي سكنتها البربر بهذا القطر هي عاصمة القطر دام الوطن (الجزائر) كان فيها بنو مزغنى الصنهاجيون ، وجرجرة ببلاد زفانة . ووارفلة - بتور ورجلان - في جنوب صحراء الجزائر ، والمنية أو - اللطية - من واحات الجنوب الجزائري ، وندرومة ،

بين الجب والشين وأمبل إلى الدين وبقرب قممع منها بعض الصنير فأبدلواها زايا عظمة لأعمال عخرج الزاي بالدين ضارت زادات لفنا مفرداً دالاً على الجنس تم الحفوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التي بعد الزاي تخفيفاً لكثره دورانه على الالفة (ابن خلدون ج ٧ ص ٧ ط بولاق ١٢٧٤) .

(١) ابن خلدون ج ٦ ط بولاق ١٢٧٤ .

وتهيرت وما حولها ، وتلمسان ، وما بين شرشال وقنس ، وجبال وانشريس ، ونواحي جبال عمور بعهالة وهران وبين ثنية الاحد وقيارت ، وسوق هراس بعهالة قسنطينة وجبلة وفتح مزالة غرب قسنطينة ونواحي بلاد الشبكة مصاب او (مزاب) .

وان الغالب من هذه القبائل البربرية بالنظر الجزائري هو متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة : صناهعة ، وكتامة ، وزنانة ؟ فمن صناهعة بعهالة الجزائر : زواوة ، وقبيلة ، وبنو منكلات ، وعمور ، ومنها بعهالة قسنطينة : مزيتة ، وعجيبة وبنو يلرن - الشاوية - ؟ ومن كتامة بنين العمالة : بنوسيلين ، وقبائل بني خطاب ، وعياد ، وجلة ؟ ومن زنانة بعهالة الجزائر : مغراوة ومطاطة ، وسماتة ، وبنو توجين ، وبنو مناشر ، ومنها بعهالة وهران : مدينة وملماصة ، والطرارة ، وتيغرن ، وشقاقة ويزناس .

المجتمع البربرى

ان نظام العشيرة - او قل هو نظام الحكم عندم فانه كان ديمقراطياً ، ليس هناك ملك ولا سلطان ولا عرش ، تنتخب القبيلة رئيسها بنفسها وتقلده الحكم وهي تختلف وترجع اليه في المهام والملمات وكانوا يستخرون في الرئيس مزايا وفضائل يمتاز بها عن غيره ؟ ويرجع نظام الامرة الداخلي الى المرأة فهى ربة المنزل وصاحبة الفرود به : محترمة الجانب مسومة الكلمة ، وكثيراً ما تنتسب القبيلة الى امرأة ، وهذه زنانة تشهد بذلك ...

وهناك كثير من الامر البربرية المالكة اشتهرت وعرفت فيها بعد الاسلام ايضاً باسم الام كابناء (ناصرت) في توجين وابناء (قتابعت) في مرین وغيرهم ...

ودور الامرة كما هو معلوم هو دور طبيعي في تطور الجنس البشري ، وهو سابق على دور الابوة ، ويؤدي بدور الامومة ذلك الدور الذي كانت الام فيه رأس الامرة وصاحبة الامر والفرود فيها ويكون

ذلك عادة في الاجيال الاولى قبل ان تستقر قواعد الزواج لان الاب لم يكن دائم المقام في الامرة واما هو بخرج الى الصيد وال الحرب وقد يخرج ولا يعود فتقوم الام بشؤون الاولاد^(١) ...

واما المسكن فانه كان ولا يزال عند بعض قبائل البداية من كوخ او طابية او بالكهوف ومنه ما هو من خيام الور ووالشعر ولم يعرف هذا فيما الا بعد الفتح العربي . اما ملابسهم فانها لم تزل في الجهة كما كانت من قبل من صوف : بوس وفتابة ، ومنهم من كان يستعمل اهاب الحيوان المدبوغ ويضمنون على رؤوسهم « القنور » وهو لفظ قريب جداً من الكلمة القنور العربية - بفتح التون وتشديد الواو - والمعنى واحد ! ... ويرجع تاريخ القنور هذا الى الالاف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت قليلاً ما يخلقون رؤوسهم ؟ وسراب لهم فصيرة ؟ وحلبهم القروط والخراط والخلاص والاساور المتخذة من مختلف المعادن ؟ وهي مستحبة عند الرجال كما هي مستحبة عند النساء ؟ وطعامهم لحوم الحيوانات الداجنة والطيور والصيد ، ومن النبات البر والقول والكرم والزيتون ؟ واظهر الوان اطعنتهم التاريخية هو « الكسكسو » ولا يعرف عند غيرهم الى الان ، وهم يستعملونه غالباً في العشاء .

وكانت مكابتهم البقر والغنم ، وخ giolem تمتاز بالقصر مع سرعة المدود ؟ وهي تركب عاربة لا يملأ الفارس بيده سوى قضيب خفيف ؟ اما الابل فانها تعرف بهذا الوطن إلا منذ ستة ٦٦ ق.م. وكانت توجد عندهم بعض الحيوانات الضخمة مثل الفيل ووجيد الترن ثم اضحت ثلاثة .

قال ابن خلدون : « هذا الجبل من الادميين هم سكان الترب القديم ملأوا البساط والجبال من قلوه وأربابه وضواحيه وأمصاره » ، ويتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الحros والشجر ومن الشعر والور ويسعن أهل العز منهم والقلبة لاتجاع المراعي فبا قرب من الرحلة لا

(١) حين مؤس (تاريخ العدن الاسلامي) ج ٤ من ٢٣ ط القاهرة ١٩٥٨ م .

يمارزون فيها الريف الى الصحراء والقفار الملاس ، ومتاسبهم الشاه والبتر ، والجبل في الغالب للركوب والتاج ، وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم ، شأن العرب ، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح والدواجن الساقطة ، ومعاش المعذرين أهل الاتجاع والاضطرار في نتاج الابل وضلال الرماح وقطع السباقة ، ولباسهم وأكثر أنواعهم من الصوف يشتغلون الصياد بالاكسيبة المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ، ورؤوسهم في الغالب حامرة وربما يتعاهدونها بالخلق ، ولنقم من الرطانة الاعجمية متبرزة بتنوعها وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم .

ويقال ان افريقيش ابن قبس ابن صيفي من ملوك التابعية لما غزا المغرب وافريقيا وقتل جرجيس دبني المدن والامصار وباسمه ذهروا سبعة افريقيا ، لما رأى هذا الجبل من الاعاجم وضع رطانتهم ووعي اختلافها وتتنوعها تعجب من ذلك وقال : ما أكثر بورتكم ! ... فسموا بالبرير ، والبريرة بلسان العرب هي اختلاط الاصوات غير المفهومة ، ومنه يقال بور الاسد اذا زار بأصوات غير مفهومة ،^(١)

وعلى هذا الاساس أطلق اليونان اسم البرير على سكان هذا الوطن كما قدمتنا . ويفهم من سياق كلام ابن خلدون ان في البرير صنفين كما هو شأن في العرب ايضاً صنفاً متحضرآ وصنفاً متبدياً فحالهم كحال العرب يختلف باختلاف البيئة والموطن .

المتقد البريري

كان للمعتقد البريري اتصال عظيم بظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالاجرام العلوية ؟ فالكتواكب عندم مقدسة كما ان الثور والكلب الش والنيس والافني والبوم والخام والسلحفاة والضفدع والقرد والمر هي عندم دموز مؤلمة كذلك كما ان تاكهوف والمارارات عندم مقاماً رفيعاً

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ ط بولاق ١٢٧٤ وحضارة العرب من ٣١٠ ط القاهرة ١٩٤٨ م .

بسبب ما يعتقدون من حلول الارواح بها ؛ فهم يتذكرون بما فيها من مياه ساخنة أو باردة ويقرون لما القرابين البشرية متسللين إليها في قضاء حواتهم ؟ وإن من واضح الأدلة على تقديس العبروي للحيوان ذلك الرسم الذي عثر عليه في قربة « الزناقة » بمحدود الجزائر الجنوبية ، بين بني ونيف دواحة البيقق من مقاطعة وهران وهو يمثل الرزب آمنون « عمون رع » أحد آلهة المصريين ، وهو على صورة كبش تحيط به الماء ؟ وهذا أحد الأدلة التي دلت على ثبوت احتكاك الشعب العبروي بالشعب المصري منذ عصور وأجيال ، كما تشهد لنا بذلك أيضاً الكلمة « نيل » نفسها فهي تسمية بوردية أسموية لا حالة سمي بها مجرى نهر مصر المنهور ؛ وأرى كذلك أن تقديس أو احترام بعض العوام اليوم لغرون كبش الضحية والذئر والاحتفاظ بها هو من ذلك وهم يدعون ان هذه تدفع عنهم وتقيم النظرة أو العين ، وفي المقابلة ان ذلك يرجع إلى هذه المقيدة البربرية العتيقة .

الثناقة والمحارة والمصران

فمن بعض مؤرخي الحضارة من علماء أمريكا انه لا يمكن التوصل إلى معرفة تاريخ الإنسانية - أي بحيث يجعل منه موضوعاً مفهوماً - إلا بعد أن نولي انتباها العناصر التقدمية فيه أي لتطور العلوم ، فهو يقول : ان تاريخ العلم أو تاريخ المعرفة يجب ان يكون نواة لكل تاريخ الحوادث الإنسانية ... ولذلك كان أتم أقسام التاريخ ثلاثة أشياء : قاريء الدين ، وقاريء الفن ، وقاريء العلم ، على ان التقدم لا يمكن ابداً ملوكاً ابداً الا في القسم الأخير من هذه الأقسام الثلاثة ، من أجل ذلك وجب ان يختزل تاريخ العلم المركز الأوسط في صورة مدينة^(١) . انه بما لا شك فيه ان قبورى فضلاً عظيماً على الأفريقي وعلى المدينة الأفريقية في القدم بما اخترع من أشكال المروف وإبتكار الخط

(١) عود كامل : الدرة العربية الكبرى من ٣٧

الذي يعتبر به عما يختل في صدوره من المعاني والكلمات ، في حين ان الخط كان منعدماً والكتابة مجهولة وخاصة بهذه الاوطان . ومن تأمل الخط البربرى وأشكال الكتابة وجدتها تشبه كثيراً الاوضاع الكونية والكتابات الطبيعية ، فهناك من المزوف ما يشبه الشمس ومنها ما يشبه القمر والنجم والبرق الخ ... ولم تكن المزوف الاصيلة لتزيد لديهم على أربعة عشر حرفاً . يسمونها « تيفياغ » ، ومعناها المزوف المنزلة ولها حركات وضوابط تسمى « قيداً كين » ، يعني الدليل على العمل والتوصع ، ورم يكتوبونها بجريدة تامة كيما شاء الكاتب فليكتب : من اليدين الى الشهال وبالعكس ومن أعلى الى أسفل أو بالعكس ، حسب اصطلاح الفيلة ، ولم يقتصر لهذا الخط اثر بهذا الشهال الافريقي سوى بالصحراء عند المتنين من قبائل لتونة المشترين باسم (التوارك)^(١) ، فانهم لا يزالون يستعملون في مكاتبهم خط « تيفياغ » على قلة .

ولقد نشأت لغة البربرى تشبه خطه في البساطة والاضاع الطبيعية كما هو شأن الانسان في الاول ، وهي كغيرها من سائر لغات البشر ذات لهجات وصيغ مختلفة كما هو مشاهد من أهلها الى الان بين سكان القطر الجزائري والراشى فهناك لهجة خاصة بزواوة - بلاد القبائل - تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية وبنى مصاب (مزاب) وبني صالح بجهيل البليدة والشلوح والتوارك الخ ... ولا يزال امم « فاشفت » او « فازغت » يطلق على جميعها^(٢) يعني اللغة المازيقية وكلها ترجع الى جذر واحد ينتهي بصلة الى اللغات السامية ، وهذا جدول يبين لك شكل امهات حروف لغة « تيفياغ » مع توضيح صيغة النطق بها على سبيل التأثير ؟ وباضافة الخط المنيق .

وعن الباحثون من علماء الآثار على نقوش مكتوبة بالخط المنيق

(١) قبل انهم سوا بذلك لتركم المسبحة الى الاسلام ؟ ...

(٢) Dictionnaire Français — , Louis Rin : les origines Berbères. Alger 1889. Tamâcheque par S. Cid Kadoui. Alger 1894.

على صخور من دياعد وغود ومشهد ووادي تقب هي قرية الشبه جداً من تفاصيل الخط البري الموجود بناحية المغار من القطر البرازيلي⁽¹⁾.

جدول المظاهر البريّة في بيروت والفيتنامي

كما ان قلبي فضلا آخر عظيما في سبتم الى الاطلاع على معدن النحاس واستهلاك والارتفاع به . فقد اكتشف الاخيرون بضواحي العاصمة بناتحة « قامة القول » - مانت اوين - عدد قطع وصقانع خاصية وغيرها

كما وجد مثل ذلك قرب مدينة « صلادي » - بجاية - بما يدل على تقطُّع البرير ويميلهم إلى العمل والصناعات .

ولقد عثر الباحثون من علماء الآثار الاركيولوجية في سنة ١٩٦٣ على نقوش ورسوم مختلفة متنوعة « تأسيلي » بالجنوب الشرقي من صحراء الجزائر وبالشمال الشرقي من بلاد « المغار » فيها عدة صور ل النوعين الانسان والحيوان مزروقة باللون متناسقة عجيبة متناسبة الوضع والتخطيط ، قالوا ويرجع تاريخها الى ما قبل سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة ، وان دل هذا على شيء فإنه يدل على تقلُّل روح الفن والتقدم الصناعي في الشعب الابوري الجزائري منذ القدم ، ولا يزال علماء الآثار يتبعون خطاه الجديدة في البحث والتقصي عن مدينة هذا الشعب في خيال ارضه الفنية وتربيته الزكية والمستقبل كشف . (انظر الصورة ص ٦٤)

اما عن سير الادب والعلم عندهم فاني لم اقف على ادب ببروي بالمعنى الصحيح ، ولمثل ذلك يرجع الى اختلاف مجتمعهم وعدم ضبط قواعدها الفوقية ضبطاً محكماً او لصيق لفهم عن التعبير الفنية ؟ ... وان كل ما ظهر الى الان من المقطوعات الشعرية والتربيية لا يكفي عندي في الاستشهاد به على ادب امة وثقافة جيل عظيم كامة البرير هذه .

وغایة ما بلغنا عنهم في الفن والزخرفة لم يتبعوا اشكالاً وخطوطاً هندسية مثل ما نشاهده من الوشم المزخرف على ظاهر اليد وفي الوجه والساقي والنراع ، وهو يدل على تركز الروح الفنية فيهم وتنقلها في المرأة بالخصوص بما جعلها تتعمل الله وتتصبر على وخذ الابر غير متبرمة ؛ وكان مما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر والقبائل حتى لا يختلط نساء التي يغيرهن في المزروع وفي مواطن التورات والتزاوج ايضاً^(١) ، ومن مظاهر الفن البريري كذلك تلك الزخارف المرسومة على منسوبي مجتمعهم وأواتهم فيها هي عليه من تناسب في الالوان وانساق في النظم . وقد

(١) قال ابن البرى : ورجال صلبة وفريضة يطلوه ليدل كل واحد منهم على رحلته في حداته ، (احكام القرآن ج ١ من ٥٠١ ط القاهرة ١٣٧٦ = ١٩٥٧ م) .

سوند درسون ملودہ میر علیہ باطلی - سوناہ المزاٹ - جوں تاریخاً الی ما قبل الیوم
پھر سببہ اور عالیہ آزاد سنا



ذكر أحد الباحثين في جريدة « الكورتيدان الباريسية » تحت عنوان : تاريخ الامم المفتوحة على امرها لم يكتب . قال فيه : ومن قرآن تاريخ افريقية الشهادة القديمة يعرف انه قامت حضارة زاهرة في جبال الاطلس قبل الوف من السنين لليلاد ، وكان في تلك الاصفاع مدينة بوروبية قوية ذات علم وفن تعب المصريون والفينيقيون في القضاء عليها ...

ووغم انتشار جنس البربر بكامل سواحل هذا البحر الايبير المتوسط فانه لم يجعل لنا التاريخ مبلغ نشاطهم في البحيرة عندهم ومقدارهم الخاصة في شؤون الملاحة ؟

ومن حيث العمran نرى ابن خلدون يذكر قبائل بني « بالدس » وهم من بطون « بني ومانوا » من مشاهير قبيلة زناتة بالمغرب الاوسط فيقول : انهم هم الذين اختطروا بمواطنهم المتصلة بقبيلة المقرب الافقى والاوست تلك القصور والاطم اتخذوا بها الجنات من التخييل والاعناب وسائل الفواكه ، فنمها على ثلاث مراحل قبلة سجلاتة وتسمى وطن توات - بصراء البرائر - وفيه قصور متعددة تناهى المائتين آنذة من المشرق الى المغرب وآخرها من جانب المشرق يسمى « منتنيت » وهو بلد مستاجر في العمran^(١).

(١) ابن خلدون ج ٧ من ٥٦ ط بولاق ١٢٤٨

الدَّوْلَةُ الْقِيَصِيرِيَّةُ

— القراءة الحسينية —

. ٨٨٠ - ١٤٦ ق. م.

الفيقيرون امة شرفية منشبة عن الفرع الكنعاني^(١) السامي وهم ينتسبون الى وطنهم «فينيقه»^(٢) بآسيا الصغرى غرب بلاد الشام الى جبال «كارليل»، بين جبل لبنان والبحر وهو مكان خيق مستطيل يبلغ طوله ٢٠٠ كيلومتراً وعرضه ٣٠ ك. م. واسم مراسيمهم بيروت وطرابلس الشام وصبرا وচور سيدة البحار — لندن القديمة — .

اما لفظهم فهي من ام البعثات الكنعانية بعد المبراتية وهي تطابقها بأصولها السواكن مطابقة تامة ؛ والفارق بينها وبين المسمة العبرية في المرووف المترعرع ام منها في المرووف السواكن ، وكذلك النحو ،

(١) قسم جموع الكنعانيين الى كتبين عظيمتين كوت الاول منها الملك الكنعانية في سوريا وكانت الاخائية دولة الكنعانيين ومستمراتها يمتد البحر الابيض المتوسط وفي شمال البريتية وبجنوب اوروبا .

(٢) الكلمة بيونانية (فبكس) وما معناها : التغريب والتuron الاحمر وذلك لاستهلاك اليونيين لهذا المون في ملابسهم ورسم التغريب على ملابسهم .

وللفينيقيين بناءً لل فعل غير معروف في اللهجة العبرية ولكنها وجدت بعد ذلك في اللغة العربية وهو صحة الدلالة على الازمان باستعمال فعل مساعد - هو كان - امام التام من الفعل جعله غير تام ، واللغة الفينيقية في لمجتها تشبه لغة اهل جزيرة (مالطة) اليوم ، فان هذه ، فيها وسمحة علماء اللغات ، فينيقية ايضاً ، وبذلك كان لغة اهل مالطة اهمية عظيمة من الوجهة التاريخية ، ومهما يكن من أمر فاللغة الفينيقية لغة سامية هي اخت العربية وقد اقبل عليها البربر لما وجدوا فيها من القرب من لغتهم ومن الاتصال الجنسي الكتناعي بأهلها ، وقد زادت الفينيقية هذا الوطن فاكملاً للعنصرية السامية وفهمها للغوية والعربية ،

اتصال الفينيقيين بشمال افريقيا

نشأ الفينيقيون بطبيعة بلادهم وما تقتضيه وضعيتها ومساحتها الضيقة قوماً تجاهراً مولعين بالاسفار وركوب البحار فبرعوا في الملاحة حتى أصبحت لهم السيادة فيها كما هي الحال عند انكلترا وamerika اليوم ، ولذلك دعيت عاصمتهم « صيدا » بلندن القديمة ؛ وذلك بفضل اسطولهم الضخم العتيد ، وكانت لهم مغارات بالاقطار النائية الثالثة بطلب ما هم في حاجة إليه مما يصلح بصناعتهم ، والتجارة واكتساب الرزق ايضاً ، فكانوا يحملون اللغة من اسبانيا والقصد من انكلترا وغير ذلك من المعدن والأشياء الفرورية التي لا بد لهم منها فانتقلوا بذلك في بلاد الله الى ان دخلوا مصر متواهدين مع اهلها فأسسوا هناك شركات تجارية وخارجاً غمار البحر (البحر الایض المتوسط) في سبيل مقاصدهم التجارية ؛ وهكذا الى ان حلت سنة ١٥٠٠ ق . م . ظهرت هنالك سفن لبعض الامم التي كان ان اقتبست حضارتها من مؤلاة الفينيقيين فاصبحت تراجمهم بهذه - سنة الكون - ومن بينها امة الافريق التي اخذت في مضاجعة فينيقية وحلتها على الانتقال او بالاحرى على الاتجاه بسفنهما الى بلاد المقرب . وفي سنة ١٢١٥ ق . م . انتصر الاسرائيليون على الكنعانيين الذين

كانوا بفلسطين وارغمون على الجلاء فاتكلا بعضهم الى ارض فينيقية ومنها الى افريقيا فنزلوا على اخوانهم الكنعانيين الاقدمين . وكان سلوكهم الى هذه البلاد وحياتهم فيها على طريقين : يرأ ويرا ، اما طريقهم البري فكان يواسطة يوزن السويس . وصادف ان كان المجتمع المصري يومئذ يتغطى في فوضى عامة واضطراب سيامي عظيم ؛ فاحتل المصريون هذه الفرصة وخرج الكثير منهم صحبة الفينيقيين وجاؤوا معهم الى هذه البلاد فنشأ منهم جيل خاص مختلف يعرف بالفينيقي التوفي ؛ له لغته الخاصة وخطه الخاص وهو المعروف بالسند التوفي . كما انهم مروا في طريقهم البعيرية باليطاليا ومقلية فصعبهم يومئذ « الاتزاك والاوسر » وجاء معهم آخرون من « الصقال » سكان صقلية ، كما اصطدتهم آخرون ايضاً من اوروبا مثل « اليفريين » الخ ... وذلك ما نشاهد اثره الى الان بين ابناء هذه البلاد من اختلاف الناس في سماتهم وعاداتهم واجسامهم وتقسيمهم ومستوى عقولهم ايضاً ! ... وذلك الاختلاط نفسه هو الذي سكن من اقسام الفينيقيين - بعد ذلك - في هذا القطر الافريقي .

وتقسم القوم اولاً الى ليبة وانتشروا يكمل الساحل الافريقي فأسروا به نحو النلافة مركز ما بين متوجه تجاري ونحو المائتي مدينة ، كان منها بالقطر الجزائري مدينة ايكوسيم - الجزائر - وصلادي - بجاية - درومسكادي - مكبيكدة - وهو بنشيد الباب معناه الاب - بونة^(١) - ورسجونتا - ماتيفو - موبلو - القل - ويول - شرشال - وانجبعلي - جيجل - وروسقور ، ونقيبت - وفادلس - دلس وتنس ، وتيقيرت ؟ الخ ... وكان من مراكزهم التجارية بداخل القطر : مدروس - مداورش - وتلمسان - سوق اهراس - وتبنيست - تبسة - ؛ ومنها بالساحل التونسي ايضاً سوسة وبنزرت والمغرب تنجيس - طنجة - وروسادير - مليلة - وجدير - اكادير - وهلم جرا ... وبهذه المواطن

(١) يلاحظ ان المدينة الحالية بيت نحو سنة ٥٣٥ م - ٩٦٦ م - وهي على نحو ٢ كيلومتر من موضع بور (عنابة) القديمة .

نشروا بضاعتهم وظهرت براعتهم في صناعة الخزف والطين والزجاج والمنسوجات الحراء والاسلحة الخ ... وكان الرواج والبيع في جميع هذه البضائع والسلع وكل الصناعات بطريق المغارفة والمبادرة بمنتجات هذه البلاد المغربية من صوف ووبر وجلد وريش النعام والانعام والماج الخ ... وبهذه الطريقة التجارية - والدبلوماسية ايضاً - تم لمؤلاه الراقدين الاستحواذ على اقتصاديات البلاد واتسع لهم نطاق المعاشرة فاضطروا بعد ذلك الى ضرب التقويد^(١) فكان لهم الاستيلاء السياسي بذلك . فالفينيقيون هم الذين ابتدعوا فكرة الاستيلاء على البلاد واستهثار الارطان بطريق تأسيس الشركات التجارية ، وهي الطريقة نفسها التي سلكتها هولاندة وانكلترة في الهند وبلاد الشرق .

تأسيس قروطاجنة

كان لشدة توغل تاريخ قروطاجنة في القدم - حتى كاد ان يتصل بفيجو التاريخ - ان احاطت به اقوال وآراء كثيرة وروايات متناقضة مضطربة ضربنا عنها صفعاً واقتصرنا على ما اتضح لدينا وجمعناه حسبما رواه لنا الشاعر اللاتيني فيوجيل .

ففي سنة ٨١٤ قبل الميلاد خرجت الاميرة (جونو) بامالة النون الى الفم والفتح - ارملا (اسراباس) رئيس كهنة مدينة صور الفينيقية فارة من ظلم اخيها (ييفاليون) المتبدى بالملك دونها والمتأنى بكتوز زوجها وزرائه ، فذكرت الاميرة المقام على الضيم هناك وجمعت الى هذا الشحال الافريقي حيث تقدمها اليه قوماً الفينيقيون ، فنزلت بساحل تونس فابتاعت من ملك البلاد البربرى (اياوباس) قطعة من ارض جبل (برسة) وشرع她 فيمن معها من الاتباع في تأسيس المدينة المسماة

(١) يرجع ان اختراع العمة كان في القرن الرابع ق.م. وبينما اختراعها الى ملوك لیدا (ليذا) وبفال أنها اختزنت ببلاد الصين سنة ٣٤٠ ق.م.

باسمها : (كوت جونو) التي أصبحت معروفة فيها بعد بقرار طاجيكتون (١١) عاصمة شمال إفريقيا إلى الفتح الإسلامي : ويقال أن هذا المكان كان يعرف باسم (قفي) وأنه كان قبل ذلك مستعمرة الشاهزادة الهالي صيدا القيليقيون أيام معدهم ؟ ... وبذلك لفت الاميرة انتظار الناس إلى هذه العاصمة الجديدة فأهلها الناس من كل فرع عبيق ، والتحق بها الكثير من سكان سواحل البحر الأبيض المتوسط من أهل الشام والشمال الإفريقي وغيرهم في مناسبات مختلفة ...

فصرت المدينة واسعة بما امتنان والمدينة بلغ عدد سكانها الى ٣٠٠٠٠٠ نسمة وهناك من يبلغ بهم الى المليون ! ... ثم كانت بعد ذلك سريراً لبث العادة بكمال هذا الساحل الافريقي على سيف البحر فانشئت المدن والمراسي وكثير عددها حتى فاق المائة ... (ثم اضحت بعد ذلك إلا القليل) ويومئذ أصبحت قرطاجنة عاصمة الحوض الغربي وخاصة حمى الفينيقيين من طرابلس الشام الى بوغاز جبل طارق . ونشأت بذلك في افريقيا دولة شرقية الاصل مغاربية الموضع .

ومن الناس من يرجع بتاريخ إنشاء مدينة «أوتيل»، - فرت بجوبتيت - المدينة العتيقة - بالقرب من تونس إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد وجعلها من موسات الفنتين.

نظامها المكتوب

كان من الفروري بل الواجب على أي على هذه الدولة الثالثة بهذه

(١) يقول بعض الناس ان اسم فرطاجنة عرف عن القبط التقى « كرت حدشت »
عن الفربة المدينة وهذا يعني بحسب بالنسبة الى قواعد التحرير ، قاتن للقطة - جنة -
من حدشت = او حدشت ؟ ... بل المسوّب هو ما ذكرنا : كرت جونو - اي فرو
جوارو - وهذا المقرب الى القبط الماءات فرطاجنة من كرت حدشت . ويقولون ان ام
الاقدية هذه هو ايليسا او « هيلته ديدو » ؟ ... وهو اسم مركب من جزئين كما نرى :
ولدت منها في الجزء الثاني من هذه النسبة لكتونه وصفاً بين الالاجنة قد يصدق هذا على
الاقدية ، فهل انت متوقف كثيراً في الجزء الاول : ايليسا ، او علست فن اين لم ذلك ؟ ...

البلاد ان تسمى في تأسيس حكومتها المركزية المحافظة على النظام والدفاع عن شرفها وحقوقها والذود عن مراكزها ومستودعاتها الاقتصادية ومؤسساتها المنتشرة بهذا الوطن ، وقد كان ذلك بالفعل فانشأت لها نظاماً جمهورياً تحت رئاسة شيخين ينتخبها الشعب مباشرة من أسرتين مختلفتين لمدة ستة كاملة ، احدهما للادارة العسكرية والآخر للادارة المدنية ، ويطلق على كل واحد منها لقب « سلطط » يعني سبط بالعبرانية ، وهو الحكم ولم يكن لاحدهما - قانوناً - الاستقلال بالأمر دون صاحبه ، فلا بد من اطلاع زميلاً واتفاقها على أي موقف كان ولها الحق في تحرير نصوص القوانين الدولية بمساعدة لجنة خاصة تعين من طرف مجلس الشيوخ ، وان جميع الولاية ومهني الحكومة فيسائر المناطق المختلفة يعيثون من طبقة التجار وأرباب الصناعة وقد كان هؤلاء غالباً ينظرون الى مصالحهم الشخصية ويعملون لحسابهم اكثر مما ينظرون الى مصالح الدولة العمومية وبذلك ساءت العلاقة بين الحكومة والرعاية فيما بعد - نظراً لسوء سلوك هؤلاء .

وكان هنالك ثلاثة مجالس : مجلس التراب وهو يحيطى على ٣٠٠ عضو ومجلس الشيوخ فيه ٢٨ عضواً ينتخبون لمدة خاتمة ، ومجلس القضاء المسن عندهم يعيش المائة والأربعين ، واعضاوه كاهم من الطبقة الارستوفراطية (الاشراف) وهو يستمد سلطته من ذيئن المجلس الاولين ومنهم الكثير من توصل الى العضوية بهذه المجالس والى مناصب الحكم بالمال والماء .

وبهذا النظام الاستثنائي اشتهرت دولة قرطاجنة بحكمها اول من سن في العالم نظام الحياة السياسية والحكم الجمهوري . وذلك ما حل بالfilسوف العظيم ارسطو على ارسال شهادة بتركيبة النظام الاداري القرطاجي في التاريخ حيث قال : « ان قرطاجنة دستوراً انفردت بكلمة عن سائر الدول ، ولها شرائع غاية في الحسن ، ومن الدليل على ما وعنه من الحكمة انها مع ما تلامه عندها من السلطان لم يجد لها قط بذلك شكل الحكم ولا نسبت فيها قسدة » ... ثم قال : « ان القضاء عند القرطاجيين افضل منه عند اليونان ذلك لانهم لا يرضون له اغفال الناس ، بل يولونه احسنهم طريقة واحدهم سيرة » .

وقد تطور هذا النظام إبان الفتن الآخرين من حياة قرطاجنة فكان هنالك مجلس ثلاثة ومن خصائصه فرض الضريب ، و مجلس المشرة ومن خصائصه الاستئصال بالشروع الدينية وبنيات المأباد وتنظيمها .

واما الجيش عندهم فإنه في الغالب كان من المأجورين ومرتبة البرير وغيرهم يصلح عدده الى خمسين ألفاً ، وقد بلغ القرطاجيون في البحرية وحركة الاساطيل الاوج فانطلقوا يجوبون البحار ويكتشفون مجال المعرفة الى ان بلغوا البحر المحيط الاطلسي واوغروا فيه حتى اطلقوا على قارة اmerica وعرفوها قبل ان يعرفها كريستوف كولومب بستة عشر قرناً ولم فيها آثار غير عليها الباحثون فيما بعد ، على ان سطوهם في الحكم كانت لا تتجاوز التواطيء والسواحل الافريقية اذ لم تكن خطتهم المرسومة لترمي الى اكثر من الخداع ما حازوه من موامي وموافي هذا الوطن ، فلم يكن التوغل في داخل الوطن من شئهم بل كانت إدارة شؤونه بيد اعد الافارقة ، وبماجة فقد كان نظام الحكم القرطاجي على العموم متسائلاً سهلاً مع الاهالي ، فهو لا يدخل على ازالة الزعامات وامانة الرجولة وبايقتها كما فعل الرومان ومن سار على ثاكلتهم بعد ذلك من المستعمرن ! ... نعم كانت هناك وقائع ومحروب بينهم وبين الاهالي ولكنها كانت على خلاف التزاعات الاستهبارية الدينية الأخرى ؟ ورغم ذلك فالحكومة كانت تعامل رعيتها بالحسن الا نادراً فانها تعاقب عقوبة عنيفة شديدة واما الخزينة فانها مكتوبة من الضرائب والمغارم وربع الحصولات .

المعتمد القرطاجي

اشهر الفينيقيون يعلمون الى النظر في الطبيعة وما اشتلت عليه من اسرار وفروض وما كان فيها من الفائزانية وباقاهم على التفكير والاجتهد في ادراك عوامض الدين الروحية فاداهم ايتهاهم هذا وحرصهم على العبادة الى المخصوص للشمس تحت اسم « بعل » وقاتبت - القر - وقد وجدت قرية قوية من قرطاجنة تسمى باسم هذا المعبود ، ومهون هو كذلك من

آلهتهم ايضاً ، وكان يشبه غالباً بكبش او قيس أفرن ، وكانت القرابين تقدم من فرطاجنة الى الملة صيدا « عشتور » المعروفة عند الاشوريين والبابليين باسم « عشتور » او « اشتور » وهو كوكب الزهرة المسمى Venus ولها اسماء اخرى تقارب هذه عند الاراميين ، وهو صنم يمثل زوجة بعل المعروف عند اليمانيين باسم « عنتار » (مذكور لا مؤثر) ولم يهلك ضعفه للعبادة وهي مستودع غائل آلهتهم ولها تقرب القرابين وتقدم الضحايا البشرية ايضاً ! ... وقد سرى نوع من هذه التقاليد بين الاهالي فقد وهم فيها .

وكان الفينيقيون يعدون اعمال المعاشرة والفحور اعمال قبيحة يتقررون بها الى اربابهم ، وقد عنوا المتقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بها مثل هذه المجازي في بلاد فينيقية^(١) .

الوسط القرطاجي

بلغ من امتداد الشعب المغربي بالقرطاجي ان تكونت بينها وحدة كاملة . فاندمج الكل في الكل ، وأتقنوا روابط الاتصال هذا بالزواجه بين الخاصة والعامة فكان اشراف الاهالي وامرأتهم يتزوجون من نبيلات فينيقية والمسكين ، وباعتاق الاهالي لعوائد قرطاجنة والاقبال على مصنوعاتها ايضاً تأكّدت العلاقة وأصبح الكل امة واحدة ، ويكتفي في ذلك جيحة انتقال عرش الملكة الفينيقية من آسيا الى هذه الفارة . وبختار الوسط القرطاجي بانها كـ في العمل والتفاني في حب الصناعة والفلاحة والاكتثار من الاسفار وعقد الرحلات في سبيل التجارة ؛ وبظهور حركة التأليف ونشاطها بينهم . ونرى القرطاجي في جميع مراحله عجاً للسم عيناً .

الجالية اليهودية

كان ابتداء مقدم اليهود الى شمال افريقيا منذ سنة 588 ق. م. اي

(١) جابر الحسيني : محاضرات الجميع العربي ج ٣ ص ٥٢٦ ط دمشق ١٩٤٤ . ٤ ١٣٧٤

Nebuchadnezzar في الوقت الذي فتح فيه الملك البابلي « مختصر »^(١) مدينة اورشليم^(٢) - بيت المقدس - وشرد اليهود منها فخرجوا مضطهدن لاجتنب الى ابناء عمومتهم الكعنائين بهذا الوطن - البربر والفينيقيون - واشتهر هذا التشريد اليهودي بين المؤرخين باسم : جلاء بابل ؟ ثم كان الجلاء الثاني عندما حاول اليهود الخروج عن طاعة الرومان ، فلقد عليهم الامبراطور طليوس بن فسباسيان سنة ٧٠ م. وشنّت شلّهم في العالم وحرب بيت المقدس الحزاب الثاني ، فالتيّأ يومئذ هؤلاء اليهود الى افريقيا ايضاً ، ثم توالّت بعد ذلك الهجرة اليهودية من المشرق الى هذا الوطن في مناسبات مختلفة وآفاق متفرقة وقد كانت قيمة جراوة الجبّة بليل اوراس ونقرة ومديونة كلها تدين بدين اليهودية الى عهد الدولة الادريسة فاعتنقت الاسلام ، ولا ندري أكان ذلك التهود في هذه القبائل عن عقيدة وبيان ام عن تقليد ام عن وراثة جنسية سياسية ؟ ...

غواصات الغرب

كانت الناحية الشرفية من الجزائر - نوميديا - مصيليا (عالة قسنطينة) هادئة مطمئنة تسير تحت طاعة ملوكها البربر (غولا) الموالي يومئذ لقرطاجنة ، وكانت الناحية الفريبية من الجزائر - موريطانيا الفريبية - ومعها مراكش مصيليا تحت نفوذ الملك البربري (صيقافس) ؛ وقد كانت انظار روما وفتى متهمة نحو هذا القطر الافريقي ، فحاولت هذه الدولة يومئذ التدخل في شؤونه بطريق التغريب والوعود الكاذبة وجاهته بدأء الماءة كما هو شأن الغرب مع الشرق الى الان ! ... فأوْحَت صيقافس بالسعادة على فم نوميديا اليه ان هو عمل على انتزاعها من غولا حليف قرطاجنة ، وبذلك يتم له الاستيلاء على كامل القطر الجزائري من الشرق الى الغرب ؟ فافتقر صيقافس بتوجيه دومة وخرج

(١) كان استيلاؤه على بيت المقدس وتجريمه وتهبيته في ثلاث دعوات : الاول سنة ٦٥٦ ثم في سنة ٥٩٦ ثم في سنة ٥٨٨ قبل الميلاد .

من عاصمه صيفه - ارسنقول - لهاجة مملكة غولا فكانت الحرب بين الفريقيين سنة ٢٩٢ ق . م . وكان على جيش غولا ولده ماسينا الذي لم يتجاوز يومئذ السابعة عشرة من عمره ، وأخيراً انتزه صيقافس متهمراً إلى موريطانيا ، ثم أعاد الكرة ثانيةً على نوميديا في السنة التالية ففُتِّيَّ أيضاً ، ويومئذ انسع نطاق المملكة الجزائرية وتوحدت أدواتها تحت نفوذ الملك غولا . ثم بعد وفاته نشأت فتن ومتنازعات بين ولده ماسينا وزواجه على ملك أبيه ، ومنهم عمه ؛ ولم تنشأ قرطاجنة يومئذ ان تدخل في شأن هذا الخلاف ، ولكن ماسينا غضب لذلك ، وكان يعتقد مناصرة قرطاجنة ! ... وبعد حروب سنة ٢٠٦ ق . م . اقْسِمَ هو وعمه مملكتة مصيلا وأعلن خالفة قرطاجنة وحالفة روما واد ذلك عمل قرطاجنة على استئثاره خصمه صيقافس وأخذت قعره بشئ المغريبات ومنها مصاهرته بيت الملك فأصبح صيقافس يجانب قرطاجنة متارثاً لمسينا ، وفعلاً انتصر على خصمه وشرده في الجبال وانتصب صيقافس على عرش نوميديا وأحتل سيرتا - قسنطينة - سنة ٢٠٤ ق . م . ونشر تقوذه على القطر الجزائري من أقصاه إلى أقصاه . ويومئذ اختلف ماسينا يوقف الفرص المؤاتية حتى إذا نهياً له وأحدق القطر الروماني بقرطاجنة نهض يلتهب غيضاً على عدوه ومنافسه صيقافس ، فانضم له يومئذ بعض اشتات من البربر ومن رذائم روما ، وكانت هنالك المعارك الشديدة والمزاحمة المريرة كاد أن يخنق فيها ماسينا أيضاً لولا القدر . وأخيراً دخل هذا عاصمه سيرتا متصرراً فقبض على عدوه وبعث به مكبلاً إلى روما ، يرسف في قبوره وبقي الملك صيقافس في أمره حتى مات هنالك غيضاً وأمسكاً سنة ٢٠١ ق . م . وهكذا مآل سياسة من يجتني بالاجنبي على مواطنه وأبناء جنسه فان هلاكه يكون على يده لا حالة وكم في التاريخ من عبر وآيات على ذلك . ولا اندرعت قرطاجنة في حربها ضد الرومان في وقعة (جاماما) سنة ٢٠٢ ق . م . اضطرت إلى إداء غرامات جزية لمسينا والاعتراف به ملكاً شرعياً على عرش أسلافه وذلك جزاء العابرين .

ان كل من تتبع تاريخ هذه الدولة يعلم انها ما دخلت في حرب قط ولا أعلنتها إلا برغبة مدفوعة إليها دفماً، ومن ذلك ما اشتهر في التاريخ باسم الحروب الصقلية، والحروب اليونانية^(١)، أما الأولى وقد دامت أكثر من قرنين (٥٣٦ - ٣٠٦ ق. م.) فأنها كانت ضد اليونان بسبب مزاجة هؤلاء الحكومة الفينيقية في متوجات البلاد الماضمة لقوذفها بعقلية، وكان النصر فيها لقراطاجنة؛ وأاما الثانية فأنها كانت ضد الرومان الذين اعتدوا على سعادتها وحاولوا التدخل في شؤون الوطن والتصرف في اقتصادياته؛ فنهضت قرطاجنة مدافعة عن شرفها فخاضت عباب هذا البحر وقطفت جبال الألب وحضرت روما حتى كادت أن تذهب بدولة الرومان، ويومئذ اشتد تكالب هؤلاء الأعداء وتارت ثائرة حتمهم فهاجروا قرطاجنة في ثلاث دفعات، وكانت الجلة الأولى ما بين سنة ٢٤١ و٢٦٤ ق. م. وانتهت باستيلاء الرومان على مقلية وأهم جزر البحر الإيبيز المتوسط التي كانت سبب هذا النزاع، ثم كانت الجلة الثانية فيها بين سنة ٢٩٢ و٢٩٣ ق. م. خسرت فيها قرطاجنة جميع مستعمراتها في إسبانيا وبiger هذا البحر، وكانت سبب ذلك رغبة قرطاجنة في استرجاع ما سلبه منها روما والانتقام للشرف. أما الثالثة فأنها كانت من الرومان خشية انتشار نفوذ الملك البربرى الجزارى - ماسينا - وحب الاستئثار بهذا القطر والقضاء على دولة الفينيقيين، وقد دامت هذه الحرب الثالثة من سنة ١٤٩ إلى سنة ١٤٦ ق. م. وفيها تم للرومانيون القضاء على دولة قرطاجنة والاستيلاء على مملكتها الأفريقية، ولقد دد المؤرخون جميع أسباب الانهزام التي لحقت قرطاجنة إلى انتقام الحكومة يومئذ إلى حزبين اثنين: حزب الرساليين الذين يتعلون لهم ابتغاء الثروة وجمع المال، وحزب الماربيين؛ فذهبت الدولة خمسة ألاف ! والكل رابع إلى المنافسة والتراحم وحب الاستئثار، أما امنية الرومان فهي حب السيطرة والاستئثار.

(١) نسبة إلى اليونانيين Poeni الفينيقيون في لسان الرومان.

وليس هناك من الرقانع والمحروب غير هذا سوى ما كانت تثيره قرطاجنة أحياناً من الملاحم أو المكافحة لقمع التأذين من أبناء البلاد فان ذلك لا يعد حرباً، أو ما ذكره احمد زكي في تاريخ الشرق ومحمد بك دباب في خلاصة تاريخ مصر من ان هناك غزواً وقع من كبيز أو - فباوس - (بهرسب) - الفارسي (٥٢٩ - ٥٢٦ ق. م.) على بلاد المغرب بعد ما فتح مصر سنة ٥٢٥ ق. م. ولكنه لم يستطع اقام المشروع فرجع خائباً.

إنشاء الملك الوطبة بالجزائر

كان القطر الجزائري على عهد قرطاجنة جزءاً إلى جزئين شرقى وغربي ، فالشرقى منه يسمى بملكة «الميليان» وحدودها من وادي الرمل بمعاهدة قسطنطينة إلى الحد الغربى من القطر التونسى ، وقادته مدينة (بوتة) - عنابة - والقسم الغربى وهو من مملكة «الميليان» ما بين وادي العمل والملويبة وقادته سيرطة - أو (فونة) بمعنى القرية وهي قسطنطينة؛ وجميع سكان هاتين المملكتين يعرفون في التاريخ باسم (النوميد) ومعنى الرعي والتقليل في سبيله ، وذلك ما يدلنا على ان سكان هذه المناطق هم رعاة قبل كل شيء وهو ما دعا بعد ذلك إلى تسميتهم بالشاوية أيضاً؛ ويومئذ لم يكن هؤلاء الناس ملك أو نظام مملكة حتى اذا اذن ملوك قرطاجنة بالذهب وتوالت الحية عليها في الحروب البوئيقية الثانية سنة ٢٠٢ ق. م. شرع الجزائريون بالخصوص في تأسيس ممالكهم انتقاماً لهذه الفرصة الساخنة ف تكونت مملكة وطنية نظامية تحبها قوة الرومان الجائرة .

فكان أول ملوك الجزائري في هذه الأوقية (فارمينا) وكان على بلاد نوميديا شرقى مقاطعة قسطنطينة الملك (ماصينا) و(نوفاس) و(نوفاس) ٢٣٨ ق. م. و(صيفاقس) ٢٣٠ - ٢٠٢ ق. م. وعاصته صيغة - ارسنقول - باحراز تمسان على ضفة البحر عند مصب نهر الثاقبا ، وانتصر كذلك على الملك

(غابا) ووالده (ماسيسا) سنة ٢١٣ - ٢٠٥ ق. م. فيجلس على عرش قسطنطية وصار ينتقل ثانية بقرطة التي سميت فيما بعد بقسطنطينية، وثانية محل بيته (صيحة) أو صاغة - ارسقول -، وإلى ماسيسا هذا يرجع الفضل في تطور اقتصاد المغرب الأوسط وهو الفلاح والازدهارها ونشاط الفلاحين بهذا الوطن، ومنهم كذلك (مسيسا) وعاصمة سرطبة - قسطنطينية ١٤٩ - ١١٩ ق. م. و (ماصيته) كان على ناحية سطيف، و (عربيون) كان على ولاية توميديا السطيفية، و (بوبا الاول) وعاصمه هيبون - بونة - و (بوبا الثاني) ٢٥ - ٢٣ ق. م - وفائدته قبصية - بول - شرمال وقد كان بعض هؤلاء الملوك حق سلط العبرة باسمه وضرب النقود بعاصمه.

الثقافة والحضارة والعمارة

لا تكران ! ... فان لامة الفينيقية الفضل الاوفر على العالم المتبدن أجمع ، اذ هي أول من ابتكر طريقة رسم الارض الاجيدة المنتشرة في العالم اليوم وجعلها حسب النطاق بعد ما كانت مسارية - وهيروغليفية - (تصويرية) كما أنها أول من وضع نظام الاشكال الحسابية ، فجعيل خطوط الامم اليوم مدينة الى الخط الفينيقي القديم ، وتلك مقدرة ممتازة يقتصر بها الجنس السامي على سواه .

واشتهر الفينيقيون ايضاً بالمحافظة التامة على ميزانهم وخصائصهم الجلدية وكل ما يربطهم بعياتهم العامة ومعيشتهم الشرفية لم يتغيروا بالحياة الافريقية يومئذ ولا يغيرها من تقاليد الامم الأخرى ولم يلتقطوا كذلك الحركة الفلسفية التي اشتهر بها اليونان ... فقد غلت عليهم المادة في كل شيء ، ولا يظهر عليهم اثر التقليد الا في فن المعمار فاتنا نرى فيه اثر المحاكاة نوعاً ما في بعض مظاهره بالفن اليونيقي ، ويرى ذلك جلياً في المقاور والمعابد وفي اولني الطين والمجوهرات .

ولقد برع الفينيقيون في شتى فنون الصناعة حكمنت العاج والدباغة والطبالة والتجارة واستخراج العطور والمواد الدهنية وصنع الفخار والمزف

والزجاج والبلور الملون والنقوش على الصخور والخشب وتعدين المعادن وصنع
 الفؤوس والمطارق والسكاكين والمقصات والنسيج بكيفية ممتازة لا تزال الى
 اليوم تستعمل في بعض جزر الارخبيل من سواحل اليونان التي كانوا
 يجلبون منها العندم . كما اشتهروا كذلك في البحرية بسفنهم العجيبة وانتاج
 بنية المرواني والمرافق بها ، فقد كانت سفنهم فرطاجنة تسع نحو ٢٤٠
 مر كباً حربياً . كما كانت لهم القدم الراسخة في التجارة والفلاحة ، فعنوا
 كثيراً بدراسة انواع التغليف والزيتون والرمان والبن والارز والجوز ،
 وقد تم في ذلك الافارقة والرومان ايضاً فترجموا كتاب (ماكون Magon)
 الفرطاجني في الفلاحة وانتفعوا به كثيراً ، وكانت يومئذ المؤسسات
 والمباني العظيمة والاجنبة والتصور والملائكة ونقلت على عدم سوق العلم
 والادب ؛ كما انهم انشاؤا طرقاً واسعة تربط ما بين اطراف افريقيا
 الشهابية والوسطى فكانت القوافل مثل السفن ايضاً غادية رائحة بیضاتها ،
 فنلت التجاراة بين الاقطاء ، وكان لامراء البلاد قوافل وشركات خاصة ،
 فانتشر بذلك العمارة والمدنية الفرطاجنية في كامل الساحل الافريقي بل
 تخطيطه الى الضفة الاخرى من جزر هذا البحر وسواحله فازدهرت الحياة
 العامة على خلاف هذا الموضع وكانت لهم السيادة المطلقة فيه على غيرهم
 سواء من جاورهم من الامم الاغرى او من بعد عنهم .

وجاءت امة الرومان بعدهم فقضت بداعم الحقد والضفينة على جميع هذه
 المدينة الزاهرة واتعبت نفسها في ذلك فاضاءت جميع الآثار التي كانت تدل
 بيهجتها على ما للفرطاجنيين من الرقي والتقدم في المضاربة ! ... وكل ما
 عثر عليه الباحثون اليوم من آثار هذه الامة هو لا يتبعاً بعض نقوش
 ورسوم لا تزيد فائدتها عن دراسة الازيه او لغة القرم ولمجة التخطاطب
 بينهم ، او بعض قطع خزفية ضئيلة ، والتي هؤلاء الفينيقيين يرجع الفضل
 في تطور هذه البلاد واندماجها بأسباب المدينة من جديد في الحرب والسلم .

انهيار الجزائر الفينيقية

لا نطيل على القارئ بتحليل المرافق الحربية وذكر تفاصيل الواقع

واللامح التي قضت بـ«قرط فرطاجنة» وانتصار روما عليها فان ذلك يعود الى دراسة تاريخ الجندية والخروب ، وهو موضوع مستقل افردناه بالتأليف ، وإنما عمنا منه مواضع العبرة واسباب ذلك ؛ وهو مما يجده القارئ مسطراً امامه في هذا الباب .

ان أهم الاباب الأساسية التي يرجع اليها سقوط هذه الدولة وتقلب الرومان عليها ، تحصر في اربع نقاط : اولاً - تنافس الاحزاب السياسية وانقسامها على نفسها الى ثلاثة اقسام ؛ ثانياً - اندفاع الدولة وراء التقدم المادي وامال الجانب الروسي بالمرة ، ولا يخفى ما للروح من الازع والتأثير في كل شيء ... ؛ ثالثاً - عدم شور الجند بالمسؤولية المظمن في هذه الحية حيث انه اجني عن الوطن لا غيره له وطنيه ولا حية ولانا هو يسعى وراء الدرهم والمفمن ، فهو اخلاط من المطبعين والمرتدين فلا اخلاص له ولا وفاء ؛ والرابعة - وهي الحالة سوء سلوك الحكومة بالرعاية فكلا زادتها الايام اقبالاً الا واعنت في الظلم والجور ، وذلك مؤذن بالزوال لا محالة ...

ويومئذ ظهر شبح روما يظهر المتقد الاظم وقطاشرت امام البربر بالعطف والرحة والمدل فاخندع لها الناس واجذبوا اليها ، فاستعملت روما حيئذ قاعدة الاستهمار العامة : فرق تسد ! ... وسعت في توسيع شقة الخلاف بين الراعي والرعاة واوافت بينها العداوة والبغضاء ثم تقدمت الى ملوك البربر انفهم فقرتهم عن بعضهم - وهي في كل ذلك متظاهرة بالعمل على نصر المظلوم والانتصار من الظالم - فاشتد بذلك تصلب فرطاجنة وزادت في قساوتها وكان ذلك سبباً في انجذاب الخروب البوئية تلك الخروب الطاجنة الموجاه ... وما كانت روما لترى على مقاومة فرطاجنة لولا انقسام البربر اليها وتنقسم على عدوتها وتطوّحها الى الاستقلال والحرية فاغتنم الرومان كل هذه الفرص الموائمة وضربوا طبولهم على هذه النسمة فالنلب الشعب البربرى حاسماً ونهض يومئذ ملك سيرته - فسقسطنة - (ماسينيا) وفي عمره وفتنه ٨٨ سنة فاتهم بقومه الى الجيوش الرومانية الجائحة حول العاصمة (فرطاجنة)

وحاصروها مدة سنة كاملة فلطفعوا عنها الميرة وكانت هنالك الغارة الشماءة
وتكدر المجموع من الرومان والبوري على المدن والمواصل فغرت البلاد
وهدمت الأسوار وسي النساء والذداري وتشتت شمال الحزاب قرطاجنة
وغرق القوم شر برق قبدوا في البلاد وقتلوا تقبلاً، ويومئذ اظهر
النساء القرطاجينيات من البساطة والبطولة النادرة والشجاعة في ميدان المقاومة
ما يذكرون به فيشكرون وخلفن شعرهن جبالاً مفترلة تبرعن بها على
حقن المقاومة لاستهلاها في مكان الحال المتعدمة يومئذ ! ... فقاومت
قرطاجنة برجاتها ونسائها إلى الرمق الأخير وليس هنالك ما يقينا شر سقطتها
او من يأخذ بيدها ، وتلك هي نتيجة ما زرعته يدعا في قلوب الاهالي
من دواعي السخط والخذل عليها ، فأهل بها الدهر يأسه وصب عليها الشعب
نقمه ، وسقطت بيد الرومان سنة - ١٤٦ ق . م . - وفي ذلك كان فناء
أمة كاملة وتلذى اسمها من الوجود وأصبحت أحداثة سائرة ، وعظة زاحرة ،
وتم هذا النضال بين قرطاجنة الفينيقية وبين الرومان الذي هو في الحقيقة
والواقع نضال بين العنصرين : السامي والأري . وقضت صروف الدهر
وطوارقه باهتزام العنصر السامي إلى مدة قرون في هذه القارة الأفريقية
إلى عهد الفتح العربي فتجدد له حينئذ نشاطه تحت لواء الإسلام ، وليعتبر
القاريء البصير بأن اهتزام قرطاجنة لم يكن - في الحقيقة - عن فصور
او تصريح منها في الدفاع عن نفسها وإنما هو إن لذلك الاستهلاه والتغيير
والمعاملة السيئة التي سلكتها مع الرعية فأحدث فيها تفروراً وازعجاً ،
سنة الله في كونه وإن تجد لسنة الله تبديلاً . وبسقوط هذه الدولة تحولت
زمام العالم من يد شمال إفريقية إلى جنوب أوروبا وتعطل بذلك سير
التيار بضعة قرون .

مشاهير ملوك الوطن الجزائري

ناديخ التولية	المملكة
٢٣٨ ق.م.	نوميديا الوسطى زهفاس
٢٣٠ - ٢٠٢ ق.م.	نوميديا الشرقية سياقس
٢٠١ ق.م.	نوميديا الوسطى غولا بن زهفاس
١٤٩ - ٢٢٧ ق.م.	نوميديا الوسطى مصينا
٢٤٩ ق.م.	نوميديا الشرقية مسيصا وغولوصا ومناص بعل
٢٠٦ ق.م.	نوميديا الشرقية والغربية ماستينا
٣٠١	نوميديا الشرقية فارمينا
... ?	اصالس بن زهفاس
... ?	لكورميس
	غايا
	دلفاص
	قابوصا
	لافورماز

من مَشا هِير أَجْزَائِر

مَصِينِسَا

١٤٩ - ٢٢٧ م

مَصِينِسَا أو مَاسِنِسَا ، هو من أشهر ملوك البربر الْجَزاَئِرِيُّونَ الْبَارْزَيْنَ ، ومن اعظم زعاعنهم على الاطلاق ؛ ابوه (غولا) ملك نوميديا وعاصته سيرته قسنطينة .

نشأ مَصِينِسَا هذا عِبَّا لوطنه غيوراً عليه مدافعاً عنه ، وقد شارك في محاربة خصم والده ومنافسه الملك (صيقافس) أكبر رئيس عرقه التاريخ بِنْوَمِيدِيَا الفَرِيَّة وسنه حينذاك لم يتجاوز ١٧ سنة . ومن ذلك الحين تألق نجميه في السراء بين ابطال التاريخ الْجَزاَئِرِيِّ فخلف اباه بعد وفاته على العرش وكان في اول امره مواليَا للفَنِيقِيِّينَ ، ولا رأى من قرطاجنة نهاونها بشانه وعدم مبالاتها بمقره الشرقي في الولاية على عرش ابيه حتى كاد الا جانب ان يستولوا عليه ایام خروجه غازياً مدافعاً عن حياض قرطاجنة ، غضب لذلك وعاد من فورة مطالباً بذلك ابيه الصانع واحتفل في ذلك مشافقاً عظيمة واهوالاً شديدة وكان ذلك سبباً في خروجه عن طاعة قرطاجنة واعلانه باستقلال الجزائر وتحرر الوطن من اغلال قرطاجنة . وكان يحضر الملايَكَةِ الْحَرَبِيَّةِ ويقودها بنفسه رغم تقدمه في السن ، واستمر على الكفاح ضد الاستبداد الفَنِيقِيِّ حتى ظهر بالنصر واستغل بعرش الجزائر سنة ١٥٨ ق . م . ودامت له البلاد الى الحدود التونسية .

وكان مصيناً هذا حرباً على ربط صلة بالروماني واليونان انتهاء
وصوله إلى غابته التي يرس فيها من القضاء على نير فرطاجنة فكان ما
أراد . وإلى هذا الملك البروري يعود الفضل في اختراع لغة (ليبية) على
نطح المروف المعاجنة الفينيقية حيث عمل على تركيب الجهاز الاجيدي البويني
على الرموز الصوتية القديمة التي كانت مستمرة عند البيزنطيين . وهو الذي
عمل على استقرار البدو في نواحيهم بالبلادية وأخذا الزراعة حرفة لهم بدل
الرعى ، وجعلها عادة الخضارة القديمة ، كما أنه عنى كثيراً بالاقتصاد والتجارة .
وكان من تيقطنه العربي وشدة حذره انشاؤه لاسطول ضخم وجيش منظم ،
وضرب السكة باسمه وكثيراً ما عمل على توحيد الشمال الأفريقي وجهه
على دولة واحدة وابعاد الأجنبي عنه ، وباجله فقد اجمع أهل التاريخ
علي مدحه والتثاء على اخلاقه وسجاياه . توفي سنة ١٤٩ ق.م . عن سن
عالية تتف على المائة عام ودفن في قبره المعروف به إلى الآن بالخروب
على ١٦ كيلومتراً بالجنوب الشرقي من قسطنطينة .

جدول تاريخي

تأريخ الحوادث	ام الاحدات في العهد الفينيقي
٨٨٠ ق.م.	مقدم الاميرة « جرتو » ^(١) وتأسيس فرطاجنة
٥٨٨ ق.م.	المigration اليهودية إلى افريقيا
٥٣٦-٣٠٦ ق.م.	حروب صقلية
٢٦٤-١٤٦ ق.م.	الحروب البوينية وسقوط فرطاجنة
١٥٨ ق.م.	استسلام الملك البروري الجزائري مصينا
١٤٩ ق.م.	وفاة مصينا

(١) من المحتل جداً أن يكون اسم الاميرة هذا عالداً إلى اسم الامة « جرتون »
ربة الفينيقيين وصيودتهم ... ولدي يكون كذلك اسم المدينة (فرطاجنة) مضافاً إلى نفس
هذه الربة « جرتون »؟ ... انظر سنة ٦٠ من الكتاب .

الدّولَةُ الرُّومَانِيَّةُ

١٤٦ ق. م - ٤٣١ م

الرومان امة آرية متكونة من شعوب وامم مختلفة ، منها امة الفال والاتروسكي والاغريق والاطين ... ومكثتها ارض ايطاليا بمجملها ومهورها وهي منسوبة ، حسبا يوثر ، الى باني روما ومؤسسها « دومولوس » حفيد « بوروكانش » ملك الاطين ، وكان تاريخ بناء هذه العاصمة التاريخية سنة ٧٥٤ ق. م . وظلت كذلك عاصمة هذه الدولة طيلة عشرة قرون ونصف ففتحت العالم المعمور يومئذ كذلك .

نظامها الحكومي

استمرت روما على حكمها الامبراطوري بموافقة مجلس الشيوخ الذي كان يحتوي اولاً على مائة عضو ثم زيد فيه بعد ذلك ؛ الى ان انتخب الحكم جموريأ سنة ٥٠٩ ق. م فكان عدد اعضاء مجلسها حينئذ يفوق الثلاثمائة عضو ينتخبون لمدة حياتهم ، ومن بين هؤلاء ينتخب عضوان بارزان هما اللذان يشاران اعمال الحكومة العليا ورئيسة الدين لمدة سنة ويلقب كل منهما باللقب قنصل ولا يكون الا من طبقة الاشراف ؛ وقد كان لروما على هذا العهد ولا يتنازع بافربيه وخمس بآسيا وعشرين باوروبا ، وبقي الامر على ذلك الى سنة ٣١ ق. م حيث تقلب الامبراطور

اغسطس او كاتافوس على منافسه انطونيوس وتبوا عرش روما واصبح يومئذ صاحب الامر والنهي ، فعم في تغيير نظام الحكم الجمهوري واعاد البلاد الى نظامها الامبراطوري السابق وفرض الاعمال لولاة المخذوم في البلاد . ويومئذ سقطت الجمهورية الرومانية وعادت السلطة الاستبدادية تحت قيادة الاباطرة من ملوك الرومان ؛ وقد كانت حالة ابن البلاد الاهلي المستمر على عهد هذه الجمهورية اتعس منها على عهد الامبراطورية .

وكانت العاصمة الاولى الرومانية بافريقيا (عرتيقه) ثم انتقل منها حاكم الامبراطور الى (جنتويا) التي هي قرطاجنة ، والـ « البروقنصل » - الحاكم - النظر المطلق في كلتا السلطتين : العسكرية والمدنية ، ولكل من هاتين الناحيتين منظمة ادارية يديرها موظفون تحت اشراف رئيس ، وتتسرب ولایة « البروقنصل » الى قام السنة من ولایته ، ثم انه اذا احسن الامر والتدبير في سياسة يعين للمرة الثانية والثالثة وهكذا . وبتناضلي هؤلاء الموظفون مرتباتهم بما يستخلص من الشعب من ضرائب فادحة على اختلاف الوامها ومقاديرها ، من ذكور الامة والاثنا . وتنخلص هذه المقارم والجلبابات بواسطة الاعيان فهم الذين يدفعون اولاً من عدم الغزينة ما تلزمهم به الحكومة ثم هم يتولون الاستخلاص من الرعية من غير مرحة ولا شفقة ... وقد كان سرقب « البروقنصل » لا يقل عن مليون « سيسارس » سنوياً ، والسيسترس هو عبارة عن قطعة من فضة رومانية ، ولنائب الامبراطور بوربيطانيا القبصرية مرتب يقدر بنحو اربعين الف فرنك . وهو يحمل لقب « البروقيراطور » وعاصمه (سيزاريا) - شرمال - .

اما عدد الجندي فانه كان لا يزيد في جمیعه او بمجموعه عن خمسة عشر الفاً ، وهو عدد ضئيل كما رأيت بالنسبة الى سعة المساحة التي يسيطر عليها الروماني ، وهذا يدلنا بلا شك على كمال نجاح الحكومة وتوقفها في السياسة ودهائها الدبلوماسي الذي فكتت به من التحكم في البلاد . ثم ان هذا الجند في نفس مختلط ، ففيه البروي والروماني والاسباني وغيرهم

من الجند المستاجر ، ولقد تزايد في عدد البربر حتى كان له التفوق على الجيش بيئاته . وكانت مراكزه بالجزائر مدينة تبسة وليس ؟ فللحامية تبسة مرافقة البر وقنصلية - تونس - وتونس - اعمال قسنطينة ، وهي نفسها التي نقلت بعد ذلك الى ليس ، وهذا حامية اخرى لمرافقة موريطانيا الشرقية - مقاطعة الجزائر ووهران - يبلغ عددها ١٥٠٠٠ عسكري ولتونس ٥٠٠٥ وحامية بقرطاجة يبلغ عددها الالف .

وللاسطول الروماني امتياز بسطوره الجارة على هذا البحر ، وكان مقره بالجزائر مدينة شرشال ، وبتونس : قرطاجنة . أما الخزينة فهي دائمة مستمددة من اموال الشعب من مقادير وضرائب متواترة ، والرغبة تحت رحمة القواتين الاستثناء اذ ليس لها حق الروماني مطلقا ! ... فالناس في نظر القانون الروماني طبقتان : احرار وعبيد ؟ وقد حدث مرة ان الامبراطور الپربوي سپتموس سوروس اصدر امره سنة ٤٦ م بمساواة الرغبة في نظر القانون وان اختلاف اجناسها وحالاتها البالية وبقطع النظر عن كل اعتبار ، ومنع البربر حريةهم الشخصية فما كاد الامر هذا يتصل بهذه الديار حتى سعى المستعمرون في عرقته ، وبالفعل رفض ولم يتقد ... فالاستعمار ایها القارىء الكريم كما انت تراه اليوم يعينك وقلمه ييدك هو هو ! ... فكم اشاع الاستعمار وتفنى بتصور قوانين عادلة تشمل رعاياه بالجزائر ، ولكنها عند التطبيق يأخذ الولاة ومن بعدهم تسير دفة المستمرة في قاربها وشرحها عرقة حسبا لتنقضيه فواعد الاستعمار العامة منبقاء ابن البلاد دائما تحت الضغط الشديد وباتحة فقد بني الاهلي طيلة الاحتلال الروماني في شقاء وعنه . وجاء في دائرة معارف « لاروس » الفرنسية ما يلي مترجمأ :

« ... وماذا كانت نظمات الرومان على وجه الاجمال ؟ ... كانت عين الوحشية والقوة مرتبة في صور قوانين ، اما من جهة فضائل روما مثل الشجاعة والمكر والتبرر والنظام والاخلاص المطلق للجمعية فهي بعينها فضائل قطاع الطريق واللصوص .

اما وطنيتها فكانت مكتبة لباس الوحشية فكان لا يرى فيها الا شرها مقرطاً للمال وحقداً على الاجنبي وضياعاً لاحسان الشفقة الانسانية .
اما العظمة في روما والفضلة فيها فكانت عبارة عن اعمال السوط واليف في العالم والحكم على اسرى الحرب بالتعذيب او بالاسر وعلى الاطفال والشيخ بغير عربات النصر .

وضعية شمال افريقيا على عهد الرومان

لقد كانت هذه الجزيرة الفريبية او قل افريقيه الصغرى كما يعبر عنها بعض اهل المغارافية من المعاصرين جزءاً واحداً في جميع اعتباراتها السياسية وفي جميع نظمها الداخلية والخارجية كما هي عليه حالتها الطبيعية وشكلها الجغرافي ، الى ان جاء دور الرومان هذا فقسموها الى ثلاث مقاطعات : افريكا ، ونوميديا ، وموريطانيا ، وهي تقوياً هذه الاوطان الثلاثة التي يشملها اسم المقرب العربي اليوم : تونس والجزائر ومراکش ، وكان يطلق عليها جيئها ايضاً اسم موريطانيا ما عدا طرابلس . وسنة ٢٧ ق . م اندمجت نوميديا في افريكا القديمة وصار الحد من الوادي الكبير قرب جبل جيجل الى برقة ، وفي سنة ٢٠٠ م من الجميع باسم نوميديا القسطنطينية تغيراً لها عن نوميديا الجديدة .

وفي عهد الامبراطور كلوديوس جزئت موريطانيا هذه ايضاً الى تاهيتين اثنين : موريطانيا الطنجية - مراکش - نسبة الى عاصمتها يومئذ طنجية ، وموريطانيا الفيصرية وهي تشمل ارض الجزائر وتونس ؟ ثم كان في سنة ٤٠ م تقسيم موريطانيا الفيصرية الى قسمين : موريطانيا السطيفانية نسبة الى مدينة سطيف او سطيف ، وهي ارض الجزائر - وبقية الاخرى باسمها القديم ، وهي من وادي مولوية الى البحر المحيط الاطلنطي .
ثم في سنة ٢٩٧ م ارتلت الحكومة تغير هذه الوضعية لشمال افريقيا واصبحت الجزائر مقسمة الى ثلاث ولايات :

- ١ - نوميديا العسكرية ، وهي بلاد نوميديا الجنوبية وعاصمتها لميوز .

٢ - نوميديا الطيفية من (امساقة) الى (صلدوي) - نهاية - .

٣ - موريطانيا القصريه من صلدوي الى نهر ملوية .

وابا ما كان فان التفوذ الروماني لم يشمل جميع بلاد هذا الشهال الافريقي ، بل كان مقتصرآ على الساحل با فيه من مدن وعواصم وقرى مركبة ذات شأن اقتصادي . ولقد ضبط الرومان ذلك بخط «اليميس» وهو عبارة عن طريق معبدة هائلة او خندق عميق او سلسلة تكتنات لسكن الجندي المحارب محافظه منهم على الامن ؛ وكان هذا الخط يذهب من طرابلس الى جنوب مدينة الرباط ، ولا تزال منه بقايا يراكمش ؛ وجعل الباقي من تراب هذا الشهال تحت الحاوية اليابية العامة ، وبذلك استمر سكان شواهد المجال والتلخوم محافظين على استقلالهم ؛ وكان هؤلاء دافئاً هم بعث الثورات ضد التفوذ الروماني ونواة للحرية والاستقلال .

الرومان بالجزائر

كان ابتداء علاقة الرومان بالقطر الجزائري منذ سنة ٢١٣ ق . م . وامتدت اليه يدم فتصرقو فيه منذ سنة ١٠٦ ق . م ووضعوا قدمهم بتوميديا سنة ٤٦ ق . م - ٤٢ م ، ولم يكن للرومأن ان يستولوا على بلاد القبائل الا بعد سنة ٢٩٧ وجعلوا عاصمتها بلدة جمدة صهريج . وكثيراً ما تغير نظام الجزائر الاداري فقسمت وجئت الى اوضاع واشكال مختلفة ؛ فقد كانت بجزء الى اربع ولايات او مقاطعات : ولاية ندرومة ، وقسنطينة ، وسطيف ، وشرشال ، وفي سنة ٣٧ م جعلت ناحية نوميديا وحدة ادارية تحت اشراف ضابط عسكري في رتبة عضو مجلس الشيوخ وهو تحت طاعة الامبراطور نفسه .

ولقد كان من النظم المتبعه في العواسم والمدن انتخاب المجالس البلدية لكل ولاية وان لهذا المجلس النظر في مصالح منطقته كما هو شأن المتعارف اليوم في البلديات ، وان اوسع بلدية كانت بالقطع

الجزائري في هذا العصر هي بلدية بونة - عنابة - فان تلوذها الاداري يمتد غرباً نحو ثلاثة كيلومتر وشرقاً نحو ٥٠ كم كما انه لا ينبغي ان ننسى نظام المدن الحس : قسنطينة ، وبلة ، وسكنكدة ، والقل ، وجبلة وما الحق بها من المدن والقرى وما كانت عليه من الحرية والاستقلال الداخلي وما بلته الرعية في ظلها من الرفاهية والبذخ وباختصار فان خط حدود الجزائر الرومانية يمر بجنبوب اوراس والشاطئ الابن لوادي جدي^(١) ثم يصعد على حدود الشلال الغربي فيمر وسط جبال الزاب ويقطع وادي الشمير فيضم الحصن من جهةها الغربية ثم يتبعه نحو سور الفران وير ببougarg وقبرت وفرندة ، ويمتد الخط غرباً الى تلسان ولاامتنية وبالختلة فانه لم يكن للرومان بالجزائر سوى التلول ، اما الصحراء فانهم لم يطرقوها الا من ناحية اوراس .

المعتقد الروماني

كان الرومان صائبون يبعدون الاوئان والتايل التي تصنع الجواهر العلوية والاجرام السمارية ، ويبعدون النار والموقد من اسلامهم ويجملون ذلك كلـه في زعمهم وساطة بين العلة الاولى والخلقة . وقد كان لهم آلة متعددة فالحروب الله ، ولسلم الله ، وللمطر الله^(٢) وهم جرا ... وأشهر من بين هذه الآلة نوع المعروف باسم (جوبيتير) فهو الله

(١) وادي جدي او وادي (شدي) هو كما ذكره ابن خلدون بفتحه الزاب يفتح أصله من جبل راشد به الترب الاوسط وير الى فاحة الشرق بختارا بالزاب الى ان يصب في سبخة نفزا او ناس بلاد الجزيره (المرج ٦ من ٣٩٠ ط بولاق عن ١٩٣٨) .

(٢) ان فكرة تعدد الآلهة هي عقبة اشورية غبية اخذها حكماء اليونان من هؤلاء واذاعوها بين قومهم احتفالاً منهم على الطلاقة من ملوكهم المستبدین وبها توصلوا الى منازعهم الملك ومستشارهم في سلطتهم المطلقة فصح لهم بذلك مطالبية جبارتهم بالزوال من نظام الانفراد والوحدانية ، وهكذا فعل علماء الرومان بعدم ، ولا يزال هذا الاصناف اللذين في المقادير هو المقادير السياسية العامة في توزيع الادارة بالحكومات وتوزيع السلطة الملكية والجمهورية ايضاً .

الآلهة ، له حق النظارة على جميع اربابهم ، وله الحق كذلك في الترجيح عند اختلافهم ؛ وكم يحملون له صوراً واسكتاناً متنوعة غيرة عن غيره من آلهتهم . وهم الى ذلك يقدسون الامبراطور تقديساً كبيراً ومنهم من كان يتمثل معبوده في الديدان فيطعمونها الفول الاسود ، وغاياتهم من العبادة كلها الغزو بالانتصار في المعارك والخروب ودرء المصائب عليهم . وقد اندرجت هذه العقائد بغيرها من عقائد البربر وأصبحت عليها البربرية طابعها الخاص .

الميساة الرومانية

كانت معيضة الروماني او حياته البدائية بسيطة لا رفاهية فيها ولا نعيم ، فهو يستعمل الخشن في ملابسه ، وليس له من الثاب سوى قيس سابع بأكمام وثارة بغير اكمام ، وسرابيل ، ويتصل خطاً غليظاً . وكان للعامة قصان ذات حواش حمر ، ولطبقة الاحرار منهم حلل من الملف الابيض ، ويمتاز القضاة بالخلف الحمر ، وكان النساء ولوغ وبمالفة في ضروب الزينة والتجلل بأنواع الحلى ؛ اما المسكن فانه كان قبل استهالم العجارة من خشب لا نافذة فيه بجهلهم بصناعة الزجاج يومئذ ؛ وكانت الانبعح والسكنى وبررات الطرق ضيقة عديمة النظافة لا خرو فيها ليلاً ، وكل ذلك لم يمنع تقدsem في المضاربة بعد ذلك ورقيهم المادي والادبي فكانت هنالك المسارح والمعابد والمباني كل الضفة الغ ... وهم اخذوا ذلك عن الاغريق وقرطاجنة وغيرهما من جعلتهم الاقدار تحت سلطتهم وسلفهم نقوذهم الامبراطوري . واستهروا بعد ذلك بتنظيم القضاي الذي لا يزال الامر الرافق اليوم تستمد منه دروح التشريع . اما لغتهم فهي لغة الاطين وادبهم هو ولد الادب الاغريقي .

الجزائر والرومان

كان لسوء سلوك الرومان مع الاهالي وفساد سيرتهم وغضفهم على حرية الافكار فائيو عظيم على احرار الجزائر وباءة الضيم منهم ، فصفت

برقوسهم نهرة الشامة الوطنية وثارت بهم حمية الائفة فنهضوا نهضة دجل واحد بزعامة القائد البطل يوغرطة واندلع لسان الثورة ضد الطفان الروماني سنة ١١٠ ق. م. ويرمى أخذ القائد المذكور في توحيد الطوائف البربرية وجمع كلمتهم ضد الاستعمار الروماني . فكانت ثورة عنيفة وحرباً عوائناً تصارع فيها الحق والباطل وكانت القلبة في جانب الحق الذي يعلو ولا يطع عليه ، وانتصر يوغرطة على الرومان في المعركة المشهورة باسم وقعة « سوتول » بالقرب من مدينة فالة .

وتكرر على روما الانهزام في عدة وقائع ، وتبوأ يوغرطة عرش سيرتا - فاسطلينة سنة ١١٢ ق. م. واعلن استقلال الجزائر التام ؛ وحيثند بيات روما الى المخادعة والمراؤحة وتفتنت في نوع المكر والدهاء واستعانت في ذلك بعض الحوتة الانذال من رؤوس البربر مثل بوبا الثاني وبوكوس - ملكه موريطانيا - فتمهدت لها السبيل يومئذ باختطاب جبل الاهلي واختلافهم على بعضهم وفجلاً تقلب بوكوس على يوغرطة - وهو صهره - والد زوجته ، فقبض عليه واسله الى الرومان سنة ١٠٦ ق. م. فذهب به هؤلاء الى سجن روما فمات به في اليوم السابع من شهر جانفي سنة ١٠٤ ق. م. وحيثند اخف الرومان منطقة نوميديا الفربية - عمالة الجزائر ووهان - الى الملك بوكوس مكافأة له على نصره لهم ضد صهره وزيد في مملكته جميع التراب الذي بين ملوبة وبجاية . وبهذه السياسة او قل الرسمية انتصر الرومان بالجزائر وانتكسر جند المقاومة الاهلي بين قوتين عظيمتين : فرة جيش العدو المهاجم الذي كان يبلغ ٣٤٠٠٠ مخارباً ، وقرة الحصون الداخلية والمنازعات التي كان من رؤسها بوكوس . ويرمى ذلك من الرومان من الجزائر بعد محاولة دامت أكثر من ٨٨ سنة .

وكان يرمي من بقايا ملوك الجزائر الاحرار الملك فردا : اخ يوغرطة ، وبعد وفاته اقسم ولدها هيامصال وبارياس مملكته فحال الاول جميع التراب الذي بين وادي الرمل وتونس وامتلك الثاني الناحية الفريبية الى حدوده بجاية ثم كان بينها من الخلاف والشقاق ما ادى الى قتل بارياس واستقلال اخيه بملكته .

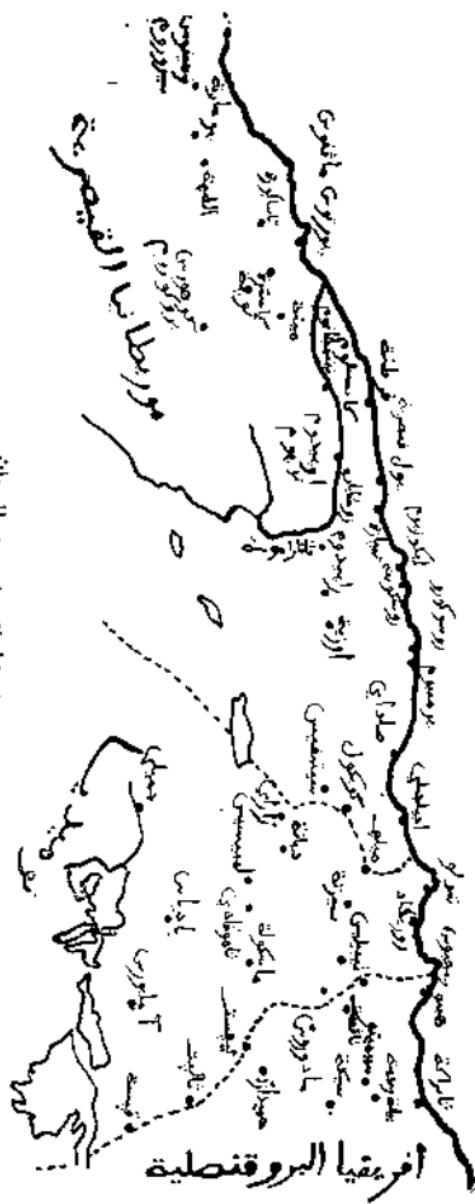
وأن من أشهر الوقائع والفتن بهذا العصر هي حوادث نوره القائد البربرى طا-كفاريتاس سنة ١٧ م فقد همت هذه التورة السهل والجبل واتت بذلك على الأخضر واليابس فانتصر فيها أولًا هذا القائد عدة انتصارات وقضى على القوات الرومانية في عدة مواقف وحاورهم في مختلف الجهات ، ثم بعد مقاومة طويلة دامت نحو سبع سنين انهزم هذا القائد البطل ومات قتيلاً مكان يقال له (او زية) - صر الفزان - ولم تقف حوادث المقاومة الشعية عند هذا الحد بل استمرت وتكررت من الجزائريين إلى نهاية الاستعمار الرومانى ، ولذلك لم يتمكن الرومان من بسط نفوذهم على جميع القطر الجزائري فخرجت عنهم جبال وانشريں وأوراس وصحراء عالة الجزائر ووهران وسلمت من نيوم كذلك جبال جرجرة وزواوة فاحتللت جميع هذه الاوطان باستقلالها إلى سنة ٢٩٧ م حيث انتصر على بعض الجهات منها يوقطناس الرومانى ؟ وبهذه المناسبة احدثت الادارة الرومانية تغييرًا في خطيط الحدود الجزائرية وجعلت الناحية التي بين دلس ووادي الرمل شبه وطن مستقل تحت اسم (موريطاني سيفييان) وقادتها مدينة سطيف .

وأن هذه الاماكن التي خرجت عن طاعة الرومان هي التي كانت النواة في تحرير الوطن وانقاذه من سيادة الاجنبي عليه ، وهؤلاء هم الذين أوقعوا بالرومان في حادث سنة ٤٦٥ م بنواحي ميلة وجبال اوراس وفي مجموعة الجبال التي بين قسنطينة وسطيف ثم اوقفوا ثار الفتنة على الرومان بعامة الوطن في مدة لا تزيد عن تسع سنين (٢٨٨ - ٢٩٧ م) وكانت حادث جرجرة هي ابشع الحوادث ضد الاستعمار الرومانى .

تأسيس مدينة قسنطينة

لقد كان المكان الذي هي عليه مدينة قسنطينة يدعى من قبل قرطة ، او سيوطة ، وقد اتفق ان الامبراطور ديوكلطيان خلع نفسه وتول عن عرش روما سنة ٣٠٥ م فنهضت جماعة مطالبة بالعرش ، وكان من بينها الزارع اليكساندر ، فإيه الجندي القيم بنوميديا - القطر الجزائري -

اللحر الا يحضر المتصوّر



خیال‌الباز ملی مهد ارمنان

فرجف اليه خصمه ماكصانص احد المطالبين بالملك ايضاً فانهزم امامه اليكساندرو ملتجئاً الى سيرطة فعاصرها خصمه المذكور وضايق اهلها وسدد عليهم الحنق حتى استولى عليها ماكصانص وقتل اليكساندرو وهدمت المدينة سنة ٣١١ م وكثير غيرها من البلاد الجزائرية التي يوسع فيها اليكساندرو ويزمتد نشأ الخلاف والنزاع على الملك بين ماكصانص وقسطنطين فانتصر الثاني واستغل بالملك ومات خصمه في الحرب فباء يومئذ قسطنطين الى افريقيا سنة ٣٢٥ م وعمل على تطميم خاطر الشعب ونهضة روعه ، واصلح ما دمره الحرب وخربته يد الخلاف ويزمتد شرع في ترميم مدينة سيرطة وبنائها من جديد وسماها باسمه قسطنطينية - قسنطينة - ويقال ان هناك نواحي من المدينة بنيت على حثاباً مستحكة ؟ ...

المسيحية بالجزائر

كان مولد المسيح عيسى بن مریم رسول الله وكلمه في السنة الثالثة والاربعين من ولاية الامبراطور اغسطس بيت لم في فلسطين ... وخلاصة تعالييه ، عليه الصلاة والسلام ، ترسى الى بيت الرحمة في القلوب وربط صلة المودة والحبة بين الناس ونشر السلام والابراء . قد لاق اتباع هذا الدين الكريم من رؤساء الوتنة ومن يعتقدون العصمة في شخص الامبراطور ويزهرون عن عوارض البشرية من الاخبطاء ما لاقوا ! ... وذلك حماقة من هؤلاء السادة على نفوذهم السياسي ودفعاً عن مقاصدهم الشخصية الانتقامية فقد اصاب المؤمنين يومئذ من الوتنة في سيل تليع الدعوة الوأن من التشكيل والتذبيب ! ... وسارت قافلة المسيحية تبشر بهذا الدين في جميع الجهات التي وطئتتها اقدامها ، ومنها هذا الوطن الجزائري (١)

(١) ان الذي يبشر من المغاربيين بافريقيا هو فيلس ، وان الذي جاء الى ارض البير ويرقة هو سخون القانوي ، وان الذي ارسل الى الحبطة وادش السودان هو من المغار ، ويؤكد العلماء الذين توفروا على دراسة تاريخ الديانة المسيحية ان يعمروا على ان الذي تولى التبشير بها بالدار المصرية هو المرسل « موسى » وهو عربي صحي من يزود القروان امتنق الديانة المسيحية عند ظهور المسيح وبشر بها هناك ثم عاد الى تونس

فطلاً بحث أهل عهدهم من الأبطال الرومان فبادروا حينئذ إلى اعتناق هذا الدين الجديد مخلصاً من نير استعباد الوثنية والوثنيين ...

وبقي أمر هذا الدين بين أتباعه وخصومهم في مدة وجزوٍ حتى استتب الإسر إلى الامبراطور قسطنطين واستولى على عرش روما سنة ٣١٢ م فاعتنق المسيحية وأعلى من شأنها في البلاد وجعلها دين الحكومة الرسمي وأمر ببناء المعابد والكنائس في أنحاء الامبراطورية الرومانية وأعلن بروض دين الصالحة ، وأصدر مرسوماً أطلق عليه الناس يومئذ اسم (مرسوم ميلان) يمنع به الحرية المطلقة في الاعتقاد ، ولقد عاشت هذه الحرية مدة حكم قسطنطين إلى حد ما . وذلك عندما كان هذا الامبراطور في نفس الوقت حانياً للمسيحيين وقتاً ونبياً في آن واحد ... ولكن الرومان بعد ذلك عندما أصبحوا كلهم يدينون بالمسيحية في القرن الرابع لم يلبثوا أن الغوا تلك الحرية المنشورة على عهد قسطنطين واحذروا قوانين صارمة للضرب بها على أيدي الوثنين والممارقين (وهم في نظرهم القوم الذين لا يرون ما تراه السلطة القاعدة يومئذ من رأي) .

وإذا كان اليهود الأسعدون حظاً من الوثنين قد احتفظوا بحقوقهم الدينية في مزاولة عبادتهم ، فإنه قد حظر عليهم أن يتزوجوا المسيحيات أو يقتصر عبادتهم الجديدة لهم ومن خالف هذا حكم عليه بالاعدام ، كما قد حظر عليهم أيضاً تهويد المسيحي والا عوقبوا بنفس العقوبة ؛ ورغم هذه المخاولات والتشدیدات كلها فإنه قد دخل على الدين المسيحي من عوائد الوثنية وغيرها ما أمتزج به في الغلب مظاهره ، وحدث القول بالثلث

صاحب المرسل «بولس» ثم «طرس» ثم بعد مقتل بولس ، وقد جاء مصر من طريق الصحراء الفريدة وبدأ يبيت دعوه في الصعيد ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث افتتح المدرسة البدنية ، ولم يقطع عن التردد بين الإسكندرية ومسقط رأسه بالقبرص وأن توفى عام ٦٨ م ودفن بالإسكندرية التي اشتغل بذلك مهر كروبي بباب الكرازة المرفيعة به وكانت كتبة الإسكندرية تعارض الكتبة الرومانية (عمود كامل : الدولة البربرية الكبرى س ١٣٥ - ١٣٦ ط القاهرة) . ونختار الإسر والمالات البربرية القدحية التي امتهن آباءها هذا الدين برسم شكل صليب بين أعينهم كما هو عليه حالم إلى الآن .

فقبله من قبلي ورفضه جماعة كان على رأسهم القس الراهب اريوس الاسكيندراني المولود سنة ٢٤٠ م دكا اشتهر بينهم يومئذ مذهب الراهب دونا الذي دعا اليه سنة ٣٠٥ م بعثة كازنوار - الديار السود - بالقطار الجزايري - شمال اوراس - وكان يزعم ان مذهبة هو المذهب الواحد الذي يمثل العقيدة الصحيحة فاختلقت يومئذ كلية اتباع المسيحية واضطربت عقידتهم فيما بينهم . فدعا الامبراطور قسطنطين الى عقد مؤتمر ديني لتقدير العقيدة الرسمية وتوحيد الكلمة بين النصارى جميعاً ، فكان يومئذ مؤتمر نيقية^(١) من بلاد الروم سنة ٣٢٥ م ، وهو اول اجتماع عقده رؤساء المسيحية في العالم ، اجتمع فيه ما ينفي على ألفين وتلاتمائة رئيس ديني ، وثالث بحضور القيسر قسطنطين نفسه ، وكتبوا في ذلك وثيقة سمواها بعقيدة الامانة^(٢) وحملوا الناس عليها اعتقاداً وعلماً .

ثم اختللت انتظار هؤلاء الرؤساء انفسهم القائين بتبسيير دقة الدين بسبب اختلاف النظريات الفلسفية الداخلية يومئذ على الدين ، وكان اول من عمل على نزج هذه الدراسات الفلسفية بالتعاليم الدينية الفيلسوف امونيوس الاسكيندرى Ammonius (٢٤١ م) ، فتشعبت يومئذ المذاهب وانتصب حكام التقىش للحكم على اصحاب المذاهب المناهضة الاخرى وطردهم من الكنيسة وحرمانهم ، وافتقرت النصرانية يومئذ الى فرق وشيع وطوائف كثيرة انشئت بها الكنيسة على نفسها ، اشتهر منها اصحاب هذه المذاهب الاربعة : الملكانية Melchites نسبة الى ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها ، وهو مذهب البابا برومة وجهور الملوك ورؤساء النصارى وعامتهم ، والمعتوبية Monophysites اصحاب يعقوب البرهعي راهب القسطنطينية ، وهو مذهب غالب الاورمن والاقباط وجميع الجبلاة والنوبة ، والنسطورية اصحاب نسطوريوس بطريرك

(١) هي مدينة (ازيق) من بلاد الاصنوف وموقعها على بحر مرمرة ، كانت هي العاصمة الثانية لملكة الروم وتسمى Nicæa .

(٢) انظر كتاب الملل والبلدان للشهرستاني ج ٢ ص ٦٣ ط مصر سنة ١٤٢٠ هـ وابن خلدون ج ١ ص ٢٢١ ط مصر سنة ١٤٥٥ هـ .

الفلسطينية (٤٢٨ م) المتوفى سنة ٤٥٠ م، وهو المذهب القالب على نصارى الموصل والعراق وفارس وخراسان، والمارونية نسبة إلى الراهب ماورون (٤٣٢ م) ومذهب قريب من المذاهب الثلاثة المتقدمة بل هو قريب الشبه من المذهب الكاثوليكي. ولقد نشأ عن ظهور هذه المذاهب تناقض بين أهلها ومتناقضات وعادلات دينية وأخطاء نشأت عنها مذاهب أخرى إلى هل جرأ ... وعن هذا الباب نفسه نشأت الفرق والطوائف الإسلامية بعد ذلك وكثير النقاش والجدل الديني الفلسفى وانتهت المذاهب الاعتقادية في علم الكلام، والتاريخ يعيد نفسه ...

وكان خط الجزائر من هذه المذاهب المسيحية هو مذهب دون ترس السقف الديار السود (كازا نوار) - شمال اوراس - ٣٠٥ م فقد أخذ هذا المذهب ينتشر بسرعة في كامل القطر الجزائري رغم مقاومة السلطة له. وذلك لما احتوى عليه من مبادئ التحرير. وقد كثف اتباعه حتى كادوا في سنة ٣٣٠ م أن يتعدوا على أكثر كنائس إفريقيا، فقد بلغ عدد المراكز المسيحية بها سنة ٤١١ م سبعة وقائين وماة كنيسة، منها ٨٧ دوناتية وبالبقية موزعة ومحفوظة على مختلف المذاهب الأخرى؟ ثم إن أهل هذا المذهب نفسه انتشروا إلى طائفتين اثنتين كانت أحدهما مقببة بدينة تيقادى . ويعتبر هذا المذهب بحسب مبادئه الاعتقادية ثالثاً على نظام الحكم السادس يومئذ على هذه الديار، وطالما امدرت الحكومة أوامرها الصارمة على اتباعه فلم يخلوا لها، وما مذهب الجزائريون بهذا المذهب الدنتوسي إلا لما احتوت عليه تعاليمه من النورة على قواعد الحكم؛ وذلك لما انهم كانوا يرون فيه خلاصهم من أسر الاستعباد والاستهانة؛ وهذا هو الفرض والسر فيها زيارة اليوم وقبل اليوم من تدخل الحكومات الاستعمارية في شؤون الأديان والمعتقدات ووضع يدها على العناصر الحيوية منها مثل ما شاهدناه نحن في بلادنا الجزائرية من فرنسا؛ وذلك لما تتوجس هذه الدول المتبدلة من النهضة الدينية التحريرية.

نهاية الجزائر التحريرية

ما فتئت الديانة المسيحية تنشر لتأخذ مكانها - على مذهب دونا - بهذه البلاد حتى أخذ اتباع هذا المذهب الديني الوطني في مطاردة أهل المذاهب الأخرى ، ففتشت عن ذلك فتن واهوال ، ادت الى خلع طاعة الرومان ونبذ سلطانهم ؛ وتعهدت الواقع يومئذ ، فانتهز الملاوئون للدولة فرصة هذا النزاع وأخذوا في عقد اجتماعهم بـ مدينة تيسمقادي وغيرها للنظر والتداريب في احداث انقلاب سياسي عام ، وهم في كل ذلك يتظاهرون بالبحث والنقاش الديني ، وقد كان على رأس هذه الحركة الثورية الرئيس الوطني فيرموس بن الملك البربرى نوبيل ، احد زعماء زواوة وجرجزة ؛ فانحاز اليه اتباع مذهب الدوناتيس واندلع يومئذ هبب الثورة الوطنية التحريرية في البلاد ٣٦١ م وكان يبلغ عدد جنود فيرموس نحو العشرين ألفاً جاءت كلها عاصمة للعاصمة يول القيسارية - شرشال - وشددت عليها الحصار حتى فتحتها واعرقها واستولت على مدينة الجزائر Icosium ونادت باسم فيرموس ملكاً على البلاد ؛ وكانت قبل ذلك وقائع وثورات بنوميدية وموريطانية الشرفية دامت نحو عشر سنوات (٢٥٣-٢٦٢ م) منها ما وقع من اهالي قبائل « الببار » القاطنة بمرتفعات (بابور) بين سكيكدة وقسنطينة التلتين تحت قيادة اربعة زعماء نوميديين انحدروا في كلها مع قبائل الحلف الخامسي : وهي خمس قبائل متحالفة تقيم بين بجاية شرقاً ومدينة دلس غرباً وجبال جرجزة جنوباً والبحر الابيض المتوسط شمالاً ، وانضم اليهم القائد (فاراكس) مع جنوده الابطال القادمين من مرتفعات ناحية (يلعباس) وزحف هؤلاء المتحالفون بكلتهم على نوميديا وغزو أراضيها وأخذوا معهم عدداً كبيراً من الاسرى ، حتى ان القديس (سيريانوس) كان مضطراً الى جمع مبلغ كبير من المال لافتداء النصارى وعلى الاخص العذاري اللائي كان يخاف عليهن من الاغتصاب .

واستمرت المعارك والثورات بنواحي سود الفزان (٢٥٥) ميلادية

وافية (لامورييليو) سنة ٢٥٧ م وفي حدود موريطانية الشرقية حيث قتل (فاراكس) سنة ٢٥٩ م ولم يخمد نار الفتنة إلا في سنة ٢٦٢ م . وفيها بين سنتي ٢٨٩ - ٢٩٨ م نشأت ثورات أخرى بالقبائل دامت هي بدورها أيضاً عشر سنوات وكانت الاختطرابات في هذه المرة أشد وأقوى من التي مرت قبلها . فلقد امتدت الحرب هذه المرة إلى الجنوب وشملت جبال الحضنة وهمد التوار صور « جواب » وكادوا يحتلون مدينة بجاية (صلدوي) . ولما عجز الامبراطور (ديوكليسيانوس) عن احتواء هذه الفتنة استعان بالقمر (ماكسييانوس) الملقب بهرقل ، فقدم هذا إلى إفريقية ليقود حملة انتظامية قبل الحلف التاممي^(١) . ويومئذ جاءت الخامية الرومانية بقيادة تاودوسيوس الروماني فنزلت برسى جبل - ٣٧٣ - فانضم إليها - طوعاً أو كرماً - جيلدون آخر فيرموس فكانت الدائرة على فيرموس بنواحي سطيف ، وقضى القروم على هذه النهضة التحريرية وانعقد الصلح بين الرومان وفيرموس على هذه الشروط :

أ - تنازل فيرموس عن ملكه .

ب - منع مدينة الجزائر لقائد الروماني تاودوسيوس .

ج - إداء أموال طائفة لهذا القائد أيضاً .

د - وضع رجال من الوطنين رهنًا تحت رقابة الرومان .

وحيثند أضاف الرومان إمارة إفريقية بغارتها الثلاث إلى جيلدون مكافأة له على انتصاره لرومة وخيانته لأخيه ! ... وصاهره الامبراطور أيضاً في بيته ، وفي هذه الآونة اختفى فيرموس بنواحي الشرق الجزائري ربما سعى له فرحة النصر إلى المقاومة مرة أخرى ففعل فأخفق ! ولكن لم ي Yas فاغاد الكورة على العدو للمرة الثالثة وجاء يومئذ بعدد أوفر من الجند قضى بهم على قوة تاودوسيوس الرومانية ، فانهزم القائد

(١) راجع أحد صفحات مدينة المغرب العربي في التاريخ من ٣٧٣ ط تونس ١٩٥٩ م .

الروماني هذا الى تاجية عيون بسام وسمى هنالك في ارتفاع ملوك فلبية - ايغاسن - للقبض على فيرمونس ، ولما شعر فيرمونس بضيقه امام جميع هذه القوات الخبيثة به وادرك انه يروم امراً معضلاً لا تصل اليه مقدراته انصر خنقاً سنة ٣٧٥ م ، ولم يظفر ايغاسن الا بجثته فوجها على بعير الى قائد القوات الرومانية .

وفي سنة ٣٩٥ م ثارت في نفس جيلدون عوامل الفيرة الوطنية واعصفت في رأس حلقة الانتقام لأخيه فيرمونس المتضرر من اجل الرومان ، فنهض مطالبًا باستقلال ارض الجزائر عن الرومان ، فرمي هؤلاء بأخيه مسيزل الذي كان ملتحقاً عندهم في روما منذ انتشار أخيه فيرمونس ، وجاء مسيزل لمقاتلة أخيه جيلدون . وكانت المعارك بينهم بين مدينة اميدرة - جيدرة وتيغيست - تبسة - فانهزم جيلدون وفر هارباً نحو البحر فركب متوجهاً الى القمطرينية ، وكان البحر يومئذ مضطرباً فرس بر كبه على ساطع طبرقة فخطبه ووقع جيلدون في قبة والي المدينة فسجنه وهنالك اتضرر جيلدون سنة ٣٩٨ م بعد ما ملكه ١٢ عاماً وكانت عاقبته مثل عاقبة أخيه فيرمونس . واخيراً كان جزاء أخيه مسيزل جزاء سنار فالقاء الرومان انتصراً في بحث نهر مخافة تأسيه واقتداره بأخوه : فيرمونس وجيلدون في بيت روح الثورة الوطنية في البلاد ، وهكذا شأن الاستعمار في سياسة مع المستعمرين : مغالطات وتحذير وتغريير ثم الإجهاز ...

المبعض الجزائري

لقد ذهب المؤرخون في تقرير عدد سكان شمال افريقيا على عهد الرومان الى نحو سبعة ملايين ، وأذا نظرنا الى عدد الرومان بالنسبة الى هذا القدر وجدنا ما يقرب من نحو الثلث منه طاليات وهم بالجزائر والمغرب الافريقي أقل منهم في تونس وطرابلس ؟ وان اغلب الرومان الذين وجدوا بالجزائر كان مجتمعهم على عهد الاباطرة : تربا - ٩٦ - ٩٨ ق.م. اسبيان - ٧٩ م. وقلوديوس - ٤١ - ٥٤ م. وادكتافيوس القسطنطيني

٢٧ ق. م - ١٤ ق. م . وكانت المدن التي نزلتها هذه الامة من الجزر : قرطنة : تنس - واجطجي : جيجل - وصلادي : بجاية - ورسقونيا : مطيفو - وزكبار : مليانة - وقيوسكتوت : قكلات - ثم توالت الحالات والافراج بعد ذلك ، فنهم من نزل في ايدوم نقوم : وادي الدقة - ومنهم بداروش ، وسيطيف : سطيف - الخ ... وان اغلب من وجد بأرض الجزائر من هؤلاء الرومان اتوا هم من ابناء الجند .

ونقد كان الباعث الاول لجيء هذه الحالات الى هذا الوطن هو كثرة العاطلين يومئذ برومة واستداد الازمة عليهم هنالك يداعي الفاقة وال الحاجة ؛ ولقد ارتفع عنهم كل ذلك با وجوده امامهم في هذا القطر من خصب التربة وما افتحت امامهم من الاعمال التجارية وغيرها .

وكان الناس في المعامة امام القانون ثلاث طبقات : فالطبقة الاولى هي طبقة رجال الحكم وولاة الادارة الرومانية ، ثم تلיהם طبقة بقية الامة اللاتينية جماء ، ثم ثالثي بعدم طبقة الشعب من جميع الاهالي الوطنيين ، وهم يعبرون عنهم بالاجانب *Pérégrins* ! ؟ ... وليس لهذه الطبقة الثالثة ادنى اعتبار ، ولقد عم هذا التقسيم البلاد نفسها فقسمتها السلطة الى مدن رومانية ، لاهلها التنبع بجميع حقوق الرومان ، فهي معفوة تماماً من جميع القرائب ومن الانتخابات العامة ؛ ومدن بوروبة ليس لها من الامتيازات الرومانية شيء ، واهلها خاضعون لسلطة ورئيس بوري تحت اشراف ومرافقة رومنة ؛ وذلك شأن الاستهمار في كل زمان ومكان .

فهو دائماً يعمل على اذلال المستعمر واهانته واحتقاره ، والا فما معنى هذه الضجة العالمية - قديماً وحديثاً - ضد الاستهمار ؟ ...

ورغم ما شهد التاريخ من نشر الرومان للسلام مدة قرنين كاملين في جميع انحاء الامبراطورية فقد ظلت الثورات الوطنية التحريرية متالة بهذه البلاد ؛ وأباً ما كان فان سير الحياة الاجتماعية العامة كان منقطاً عن مسيرة الذي تركته عليه فرطاجنة الفينيقية .

اطياء الاقتصادية

ان اقل نظره يلقها الانسان على سير الحياة الاقتصادية العامة بهذه البلاد يراها فاتحة على كواهل ابناء الوطن بتسيير رومه لهم في اقامه جميع هذه العبارات الضخمة والمؤسسات الفخمة المظبية ومشاركتهم الفعالة في تضخيم الخزينة ، بأداء المهام الباهضة وتفوز رومه بمحبيه الفروريات الاقتصادية من حبوب وفواكه وخضر وبقول وثمر وصوف واخشاب ورخام ومعادن وزيوت وحيوانات النقل وغيرها من المضولات ، مع شدة العناية بجلب المياه حسبا تدل عليه آثارهم في عدة اماكن ، كل ذلك يجعلنا على ثقة من حسن حالة البلاد الاقتصادية ويسرا يرمذ ؛ ولقد عبر الرومان انفسهم على خصوبة البلاد هذه بذلك الرمز الذي رسّمه على قطع التقد المضورة بهذا الوطن ، فانها كما كانت تحمل صورة امرأة حاملة سنبلة ، ويزيدنا فأكيداً لهذه الحقيقة التاريخية قوله في وصف افريقيه *Rome graniarum* اي هي خزينة رومه ؟ وكأنوا اذا ارادوا ان يصفوا شخصاً بسمة الثروة قالوا : في مخازنه فح افريقيه ؟ وينقدر العمامه مبلغ ما كانت تستورده رومه من افريقيه من مختلف انواع صادراتها سنوياً بما يبلغ ايجاناً ٣٤٨،٠٠٠ طن ؟ وقد كان اليه الاممية العاملة في ذلك فضل عظيم ، ولا شك ان البربر قد استفادوا شيئاً ما من هذه المرة الاقتصادية التي كانت تجري في بلادهم على مرأى وسمع منهم مما جعل سير البلاد الاقتصادي مطرداً في سبيل الرفاهية ورخاء العيش ولتكن لفائدة الغير .

ولابن يعني ان ننسى ازدهار التجارة على عهد تراجان وهادريان وأسرة انطونينوس (٩٨ - ١٩٢ م) حيث ظل الازدهار دائماً التجارة بين دنيا البحر المتوسط والبلاد المطلة على المحيط الهندي . فقد اصلاح تراجان المواصلات بين البحرين الاحمر والمتوسط على عهد الامبراطورية الرومانية فصارت التجارة حررة عبر مياهه ، ولو لم يردد الفرس سريعاً على اعتقادهم بعد اقتحامهم المحدود

في القرن السابع لفظوا على هذه الوحدة، ولكن إنها العرب وتحطمت
وحدة البحر المتوسط^(١).

الثقافة والحضارة والعمارات

إن من يتبع سير الاستهار الروماني بهذا الوطن يراه قد استعمل جميع
وسائله ومجدهاته لبسط نفوذه على العنصر الاهلي مادياً وادبياً، فقد كان
التعليم اجبارياً بلغته، ووغم ذلك فان الاهلي لم ينس لغة بلاده فلقد
برع فيها مما قال المؤرخ م تيري: لقد كانت العلوم تدرس بدينية
مادورو؛ وحدرموت: سوسة - ولبنيس؛ وسيرقا: قسطنطينة - وحتى في
داخل نوميديا، وكانت الدراسة فيها باللاتينية اما هي لاتينية بركبة على
البونيقية التي مكنت حية الى هذه الآونة، ومن هذه المدارس التي كانت
تعلم اليونانية واللاتينية والبونيقية تألف ذوق جديد مركب من كل ذلك ؛
اما كانت تغلب عليه الصبغة البونيقية . وكانت هنالك مدارس اخرى
بشرشال ومدورو وشخ ... وكلها استعملها الرومان في نشر لغتهم كما
فعلوا كذلك بالمحاكم والمسارح والمنتديات الخاصة وال العامة ؛ وبذلك تيسر
لابناء البلاد اتقان لغة الدولة الحاكمة مع المحافظة التامة على لغتهم .

فلا جرم حينئذ اذا شاهدنا في طبقة الشعب من بلغ ارق درجات
الخطابة والكتابة ويز في علوم الحكم والفلسفة ؛ فهذا يربى الثاني ملك
القبريرية: شرشال - وقد دام في الحكم نحو خمسة سنين ؛ كان شغوفاً
بالعلم لا يفتر عن الكتابة ، فله مؤلفات نقيبة في التاريخ والجغرافية والفلسفة
والتشيل والموسيقى وهو مشهور بتوفيق الذهن والذكاء المفرط وله ولوع
خاص يدرس الهندسة ووضع التصريحات العبرانية وقد جلب الى عاصمة
من مصر والبرitan طائفة من الفنانين والكتاب والشعراء والfilasophes ؛ وأشاد
به القصور الجلية والمباكل الفخمة ، كما اشتهر يومئذ العالم الكبير (ابوليوس)
مؤلف كتاب الحار الذهبي وغيره .

(١) جورج ضلو حوراني: العرب والملاحة ص ٨٦ و ١٧٢ ط القاهرة ١٩٥٨ م

وانتشرت يومئذ بين الاهالي صناعة الاقمشة الفليلطة واواني الطين على اختلافها ، وكانت صناعة الصابون الزينة بشرشال مشهورة ونخارها رائحة ، والفنون الجلدية يومئذ مزدهرة كما يشهد بذلك ما تركه الرومان بعدم من مظاهر العظمى المائلة المزينة بالقصيقات وضعن التأليل الفخمة ونقوش المرمر والرخام وزخرفة المباني واقامة الحنايا بقلب المياه من بعيد وحفر الآبار والسدود والصهاريج العديدة ؟ وكان منها بالجزائر سدود الحضنة وهي سدود ثلاثة بوادي واحد ، الكبير منها يحمل نحو ١٢٠٠٠٠ ليتر ، واعظم قناء اثوية بالجزائر هي حنايا مدينة شرشال - يول القبصية - يبلغ طولها ٢٨ كيلومتراً بواسطة جسر كبير يبلغ ارتفاعه على منفج الوادي ٣٥ متراً ويتألف من ١٧ حنية ذات ثلاث طبقات .

وكانت مدينة فرطة : قسنطينة - تشتهر على مدینتين : داخلية محيط بها سور ، وخارجية وهي أوسع نطاقاً من الاولى ومساحتها تند غرباً الى جنان الزيتون ومقلبة السلام وبالجنوب الغربي الى قشلة باردو ، وشمالي الى حفنة وادي الرمل الشهابية قال بارس : وذكر ابطال قديس مية : انه كان ملاصقاً لقرطة حارة عظيمه تدعى « موغاي » والظاهر ان المكان المعروف اليوم بسيدي مبروك . وتقى هذه الحارة الى ناحية المنصورة ؟ الى ان قال : وبضواحيها نزلات متقطعة وقد عثر على آثار ذات بال بعضها بناحية الحامة .

وسعى القوم يومئذ في توسيع عارة مدينة ميلة وسكنكدة والقل وجميلة فأصبحت هذه كلها عواصم جليلة فسيحة بعدهما كانت قرى صغيرة ومثلها في ذلك باغاية ؟ ومسكرولة : خنشلة - وليبيس وتيمنادي ؟ وبادي بادس - ولقد بلقت هذه المنشآت الرومانية بافريقيا الى نحو السين مستمرة ما بين مدن وقري ومحصون ؟ وكانت كلها على غاية الرقي في الحضارة والعمان ؟ وكان يبلغ عدد سكان البلدة الواحدة منها ما بين العشرة آلاف نفس الى نيف وثلاثين ألفاً ويبلغ عدد سكان مدينة (تيفستا) - تبسة - الى مائة الف نسمة ، وبحسب ذلك كانت تعتبر هذه المدينة

كما عبدت الطرق الواسعة بين العواصم والبلاد الشهيرة كالمدن بين فرطاجنة وتبسة ؛ وبين شرشال وقرطاجنة ؛ والتي بين بونه وطرابلس والطريق الذهاب من تبسة الى تقاد وطريق سطيف الى سور الفزان التي بين ميلة وخمسة الخ ... واقامة الجسور مثل الجسر القائم الى الان في الطريق ما بين مدینتي الفنطورة وبسكره فهو ذو حنة طول اثنتين عشرة امتار وعرضها خمس امتار وبه عقود وخيوط ثلاثة ناتحة مستديرة ورسوم في شكل الورود ورأس فرس متقوش بواسطة العقد . وبيكفينا شاهداً على تقدم هذا المصر ونبوغ امثال ابوليوس : احمد من مدبوروش - الذي يقول فيه يهودي : هو من اكمل الرجال واعظمهم فائدة في مصره . واحسن وصف له واصدقه هو ان نقول فيه : رجل مختلف مؤسس لمياد كثيرة ، ومثله الفنان المهندس القسطنطيني فرنطوس استاذ الامبراطور مرقس او بوليوس ٣٦٠ م ، هذا وانتا اذا نظرنا جيداً فيحقيقة هذه الحضارة والثقافة الرومانية وجدناها مقتبة عن عن الاغريق والفينيقيين ؛ فهي عن تقليد بعض ، ومع تقليد روما لغيرها في المدينة فانها دفعت لواء الجاذبية فاحتلت به مركز قيادة العالم بعمرها واحكمت النظم السياسية والقضائية كذلك ، فهي لا تزال تحتل لامم الرافقة الى اليوم .

ويقول بعض المؤرخين ان حضارة الرومان بالجزائر كانت شديدة بمحضارة روما ؟ وهم يستدلون على ذلك بأنه كان في زمن الامبراطور طربانس ٩٨ ق . م - ١٧ م كل من يحكم عليه بالنقى من روما يمنع من الخلول بافريقيا وذلك لما بين المواطنين من الشاجة في الحياة والرفاهية والاعتبار .

وان الذى يؤسف له هو عدم انتفاع الاهلي واستئثاره كما يجب للكامل هذه الحضارة الرومانية الجباره ! ... بل كثيرو ما رأيناها يسمى في اقلامها عن جهل ! ... وهذه خسارة كبيرة خسرها الجليل البربرى كما خسرها الفن المعاصرى التاريخي بالجزائر . وما ذاك فيها اوى الا لافشاء الرومان له واحتقارهم لشأنه وترفههم عنه مثل ما هو مشاهد عند امم الاستعمار الى اليوم .

انهيار الجزائر الرومانية

كان لتلك النظم الادارية القاهرة التي فرضها الرومان على ابناء البلاد القافية بسلب جميع حقوق الوطنى الاهلي واهاته ، وتسخير مواهبه في منفعة غيره واحتقاره وفرض المفاصيم الباعظة عليه ، كل ذلك كان له اثره السيء في نفوس الحاكمين ، فكانتوا بذلك دائمًا وابدا يتوقفون الى الثورة ضد هذه السلطة الخاقنة ، وفضلًا لقد نهى اية الضيم من ابطال هذا الشعب البربرى واعلنوها حرباً عوائناً في وجه هؤلاء الطغاة المسلمين ، ونادوا باستقلال بلادهم عن الرومان ... فتعددت التورات وسُكّرت الاخطرابات الداخلية مما دعا عنة الرومان الى المبالغة في الاستبداد والاستعباد وظهرت الانانية والتناقض بين الحكماء وتدحرجت اخلان الولاية فبطروا منها مكين في ملذاتهم ، واغلدو الرؤساء الى الراحمة والتعذيب مقبلين على الملاعب والمسارح مدبرين عما يتطلبه الموقف من الجزم والعدل وشدة الشكيمة . فتفتكك نظام المجتمع وعدم انسجامه بين طبقات الشعب وقد تأسكه فتدخل يومئذ الجندي واغله اجنبي مستأجر فاستحوذ على تسيير دفة المملكة الافريقية فعمل فيها برأيه ...

واستند يومئذ التزاع المذهلي الدفين الذي شرخنا أسبابه ونتائجها فيما سبق ، فزاد بذلك اختلال نظام المجتمع الروماني بأفريقيا وبغيرها أيضاً ، وأخذت الدسائس السياسية تلعب دورها بين روما وقرطاجنة فسادت الملاسنة بين القائد الروماني (الكونت بونيفاس) وبين حكومته فمن به اعداء له ولدى الامبراطورة (بلاطية) فنزله سنة ٤٢٧ م . ولكن القائد لم يبال بأمر الملكة واستمر في مكانه إلى أن هاجته روما زاحفة على هذه الملكة سنة ٤٢٩ م . فقصد الكونت لرد حملات روما عن هذا الوطن وانتصر عليها في ثلاث دفعتان ؛ ولما شعر بضيقه أمام الريف الروماني استجاش بأصواته القائد على أن يقاسم ملك هذا الوطن ويتنازل لهم تماماً عن جميع غرب المملكة الرومانية بهذه الديار ، فاحتياز جنيد القائد بوغاز جبل طارق يقودهم رئيسهم (جنسرق)^(١) وهم في نحو ٨٠٠٠ نفس قتلوا ببوريطانيا في شهر ماي ٤٢٩ م . واكتسحوها إلى الساحل الجزائري فاحتلوا منه مدينة الغزوات Ad Fratres ، ويومئذ انقسم جند الاحتلال إلى فتبتين فتة منه اختصت بادارة الشؤون الحربية وهي خسون القا ، واستثنىباقي بالشؤون المدينة ؛ وإذا ذكرنا المدينة هنا فإنها هي مدينة فاندالية ! ...

ولما رأى الكونت بونيفاس سوء سلوكيهم المتواحسن ندم على ما صدر منه من الفدر بحكومته في سبيل اشتعال نهمه وتنحيز غرضه الشخصي فعن بكل جهوده في طلب العفو من الامبراطورة بواسطة القديس أوغسطين ، ففكت عنه وانقلب هو يومئذ على القائد وحاربهم في نواحي غالطة من الوطن الجزائري فانهزم واندحر أمام قوات القائد الذي وجد فيها البرير منهم الشودة في القضاء على الاستعمار الروماني والتشفي منه . ففر بونيفاس متهرماً إلى هبونة - عنابة - حيث يقيم هنالك الوطني الحر والفيليرف العالم القديس أوغسطين فانضم إليه الكونت مدافعاً عن الوطن . ويومئذ رأى امبراطور بزنطة شبح الخطر يتهدد الامبراطورية الرومانية

(١) ينطق به الجerman هكذا : جوزريتش ، وسناء أمير الروح .

في الشرق وفي الغرب فبعث من حينه بالحامية لانتقاد موقف روما
المرج امام حملة الفاندال ، فنشبت الحرب من جديد وانضم فيها الروم
البيزنطيون ايضاً ، واحتل الفاندال مدينة بونة آخر معقل للروماني بالجزائر
(ديسمبر ٤٣٩ م) وعاد الفاندال في هذه البلدة المنكوبة بما شاؤوا من
أنواع الدم والنهب والتخريب ولم يبق فيها شيء الا انوا عليه سوى
دار القديس ومكتبه ! ... وسقطت الجزائر يومئذ بيد الفاندال وتم
استيلاؤهم على القطر الجزائري بحسبه : نوميديا وموريطانيا ، وذلك على
عهد الامبراطور ولتيبيانس الثالث ، وبذلك ارتفع نير الاستعمار الروماني
عن الجزائر بعدما اناخ بكلكله وانقاله عليها مدة ٣٨٠ سنة . وهكذا
الذى دوالىك ، وتكل بدایة نهاية .

ولما تحقق الرومان خطورة موقف منطقة افريكا - المملكة التونسية -
امام الاحتلال الفاندال بادروا بعقد معاهدة مع هؤلاء مدة ثلاثة سنين
اعترف لهم الرومان فيها بالاستيلاء على القطر الجزائري والمغرب ما عدا
ولاية تونس ؛ وان لا يعتدي على حدود هذه الولاية ، وأمضى جنسن برق
هذه المعاهدة ، وقدم ولده هنريق وهناً للروماني وتحمل مع ذلك ضرورة
سنوية يؤدّيها لروما ، وتم عقد الصلح بينهم على ذلك سنة ٤٣٥ م . وجلس
جنسن برق على ولاية المغاربة الاوسط والاقصى متقدماً لسكنيه مدينة
مبونة : عنابة ثم انتقل منها بعد ذلك الى مدينة صلادي : بجاية - واستمر
في خطته السياسية على وفق ما فرقة بنواد المعاهدة الى ان اطمأن له
الامبراطور واذن لترقيق بالعودة الى والده ...

وبعدها بقليل طبع الفاندال الى ضم بقية مملكة افريقيا لسلطانهم
فانقضوا على عاصمة قرطاجنة فهدموا اسراورها وكسروا حصنها وفتحوها
عنوة يوم ١٩ اكتوبر ٤٣٩ م وطردوا منها الرومان فكان ذلك آخر
جهنم بافريقيا بعدما استمروا بها مدة ٥٧٦ سنة ؛ غير ان الجشع الفاندالي
والجنوني الاستعماري لم يكن ليعرف في تاريخه حدأ ولا نهاية ! ... فلهم
بعدما قضوا على مملكة الرومان بافريقيا توجوا توا الى روما نفسها

فأحاطوا بها وقطعوها عنوة ابضاً سنة ٤٥٥ م واتزلاها عن حصانتها ومناعتها منذ ١٢٢٩ سنة ثم عادوا بعد ذلك إلى المقرب بجرون وراءهم دخان رومة وتلائس مقتناتها الثمينة فلاؤا بها خزانتهم بافريلية ، وبيوم متذ الكلفت آمال الرومان وطاعتهم تجاه هذا الوطن ، ولم تتمكن لهم العودة إليه بعد ذلك إلا في القرن العشرين م . حيث استولى أحقادهم الطليان على جزء منه : طرابلس ، وذلك ما ينفي على ثلاثين سنة ، قدحه المخلفاء ...

واستقر القائدان بافريلية متخذين قرطاجنة عاصمة لهم ؛ وبحرا كل انز كان هرمان بها غير اطلاق دواوس يقيت هنا وهناك متفرقة في الماء هذا الشهاب .

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان من أشهر من ولاية الجزائر في هذا العصر الرئيس « كوموديوس » زعيم الخداد المدن الثلاث : ميلوم : ميلة - وروسقاد : سككدة - وشلو : القل - وهو آخر من تولى رئاسة هذه الجمهورية الصغيرة وكان مقراً بيده ميلة ؛ والرئيس الروماني « ستيوس » كان على هذه الولاية قبل انفصال المدن الثلاث عن قرطة : قسنطينة - وكوبيللوم : جيجلة - أي حينما كانت جمهورية هذه المدن أحسن في اوجها . وقد كانت ولاية ستيوس هذا سنة ٤٦ ق م واطلق الرومان على هذه الولاية اسم « مستمرة ستيوس » ، ومات هذا القائد الروماني قيلاً على يد البطل الجزائري « عرابيون » وقد كان جانب من نوميديا تحت ولاية « سالوست » ، كما تولاها أيضاً « سككتوس » نائب اكتافيوس ، ثم عزل نفسه وجعل مكانه « فانقور » وتولى هو على البروقتصلية ، وكما اشتهر أيام الرومان بالجزائر الزعم « أغمسن » رئيس قبيلة جزائرية كانت تسكن بمنوب جرجزة ، ولهذا الرئيس الجزائري موافق شريعة سلوكها مع البطل فيرمونس في ثورته على الرومان بجبال جرجرة سنة ٣٧٢ م حيثاً مرت الاشارة إليه ،

وكان من الزعماء أيضاً « طاكمريثاس » الذي اعلن الثورة على الرومان سنة ١٧ م . وقد انضم اليه يومئذ يوروبال جمال اوراس وأمده زمامه الصحراء بالفرسان ... ومن ولاة نوميديا الرومانين : الفنصل « كلبرنيوس باسطينا » سنة ١١٥ ق م و « ستيبيوس البيبيروس » سنة ١١٠ ق م و « كيسيليوس ميتيليوس » سنة ١٠٩ ق م و « كايوس هاريوس » سنة ١٠٧ ق م والكل يعرف بلقب « الأغا » (Legatus — Legat) و محل اقامتهم كانت ثاره بتبسة ولعباز من المدن الجزائرية ، او بدينة حيدرة (Ammaedara) من المدن الترنسية .

وكان من اشتهر في ميدان العلم والعرفان يومئذ القديس الفيلسوف « اوغسطين » زعيم النهضة الدينية والسياسية ايضاً ببرقة ، ومثله « دونتوس » اسقف مدينة باغاية وهو مؤسس مذهب الدوناتيت ، والعلامة الملتقي الذاعن الصيت « فرنطوس » القسطنطيني الاصل واستاذ الامبراطور مرقس اوراليوس - ٢٦٠ م - وكان مبرزاً في الفنون الهندسية ، وكذلك العالم « ابواليوس » من اهل مدينة مداروش ، قال عنه ييروفي : انه من اكمل الرجال واعظهم فائدة في عصره ، واحسن ما يطلق عليه من الاصاف ان يقال فيه انه رجل مشتكر مؤسس لمبادئ كثيرة . وكذلك الاسقف المصلح « ابطاط » راهب مدينة ميلة فان له من التأليف المأمة كثير ، ومن اهمها تاريخ مذهب « دنتوس » . واسقف قالة القدس « بوسديوس » مؤرخ حياة اوغسطين الخ ...

ولا ينبغي ان ننسى او نغفل التنشئة تلك العلامة او عالم الملوك « يوبا الثاني » ، وقد تقدمت الاشارة اليه من قبل فانه كان ملكاً جليل القدر عظيماً ، ولد سنة ٥٠ ق م وتوفي سنة ٣٣ م وهو صاحب الفيكل العظيم والضريح المشهور شرقى مدينة شرشال المعروف اليوم بقرير الرومية وهي زوجته « كلوباترا سيليني » ابنة كلوباترا ملكة مصر المشهورة ، توفيت قبل زوجها يوبا المذكور بثمانية عشر سنة ، ويقال انه دفن الى جانبها هنالك . واشتهر يوبا بالعلم والادب والفن ، وذكره قدماء المؤرخين فقالوا

انه كان مشهوراً بتأليفه وتصانيفه وأعماله الفكرية المقيدة اكثراً من
المنشاهد بالملك ، ومن تأليفه كتابه في القيقات (Les libyca) اخرجه
في ثلاثة اجزاء وهو يشتمل على مواد كثيرة وعلوم متعددة تتعلق بافريقيا
من جغرافيا وغاريقون وأساطير ميثولوجية وطبيعتها الخ ... وكتاب حول
جزرية العرب وآخر في تاريخ الرومان ، ولهم كتب كثيرة في قنوات
الرسم والتشخيص والموسيقى واللغات والهجاءات ، وكانت له مكتبة ضخمة
حوت كثيرة من نفائس الكتب ، وقد جمع حوله مجموعة من المؤلفين والنساخ
يؤلفون وينسخون له الكتب ، كما انه عنى كثيراً بتنظيم البعثات العلمية
فيبعث بطائفة منها الى البحث والتعرف الى اهل منبع النيل ، ومنها من
توجهت الى البحث عن الجزر الخالدات ، ومن المؤسف والمؤلم ايضاً انه
لم يبلغنا من الآثار العلمية التي لهذا الملك الجزائري العالم شيء سوى ما حدثنا
عنه المؤرخون او حكروه عنه . وقد كان للجزائر مثل هؤلاء من ذكرنا
كثير فحق لما ان تفتخر بهم في جميع اطوار تاريخها وحياتها العامة .

مشاهير ملوك الوطن الجزائري

الملائكة	تاويخ الولاية	من - إلـ
بوغورطة	نوميديا الشرقية	١٠٤ - ١١٨ ق.م
آذريل	نوميديا الغربية	١١٣ - ١١٨ ق.م
بوكرس الاول	نوميديا الغربية	١٠٤ - ٨٠ ق.م
حصال الثاني	نوميديا الغربية	١٠٢ - ٥٠ ق.م
بارباس	نوميديا الوسطى والشرقية	١٠٢ - ٨١ ق.م
ماصينطا	نوميديا الغربية	٨١ - ٨٨ ق.م
حير باص	كامل نوميديا	٨١ - ٥٠ ق.م
بوبا الاول	نوميديا الشرقية والوسطى	٥٠ - ٤٦ ق.م
مازانيس	نوميديا الغربية	٤٦ - ٥٠ ق.م
بوكرس الثاني	موريطانيا الشرقية	٤٠ - ٨٠ ق.م
عرابيون	نوميديا الغربية	٤٤ - ... ق.م
بوكرس الثالث ^(١)	جميع موريطانيا	٤٤ - ٣٣ ق.م
بوبا الثاني	موريطانيا الشرقية	٢٥ ق.م - ٢٣ ق.م
بطليموس	موريطانيا الشرقية	٤٠ - ٢٣ م
ذيرموس	موريطانيا القيصرية	٣٧١ - ... م
نوبال	القبائل الحس ^(٢)	٣٧٠ - ... م

(١) هو آخر من تلك من الجزائريين على موريطانيا الشرقية ، وبعد وفاته أخلفها الرومان بيتنصرائهم .

(٢) هي ميلوم : فيه - ورسقاد : سكبيكدة - وشولو : اللل وكونكلوم : جية - وقرطة - فطبلة .

أباطرة الدولة الرومانية

دور الامبراطورية الاعلى

تاريخ الولاية

من - إلـ

م ١٤ ق. م - ٢٧	اكتافيوس	أولاً - العائلة البيولية :
م ٣٧ - ٤٤	طبيروس	
م ٤١ - ٤٧	غابين	
م ٥٤ - ٤١	قلوديس	
م ٦٨ - ٥٤	نيرون	
م ٦٩ - ٦٨	غلبان	
م ٦٩ - ٦٩	اتون	
م ٦٩ - ٦٩	ويتليوس	
م ٧٩ - ٦٩	سيبيان	ثانياً - العائلة الفلافيّة :
م ٨١ - ٧٩	طيطش	
م ٩٦ - ٨١	دومتيان	
م ٩٨ - ٩٦	نريا	
م ١١٧ - ٩٨	طريانس	ثالثاً - العائلة الانطونية :
م ١٣٨ - ١١٧	اندريلاتوس	
م ١٦١ - ١٣٨	انطونيروس	
م ١٦١ - ١٢٨	اوراليانس	

تاريخ الولاية

من - إلـ

م ١٧٨ - ١٩٢	كمودة
م ١٩٢ - ...?	يوطانيوس
م ١٩٣ - ...?	بوليانيوس

أباطرة القرن الثالث

م ٢١١ - ٢١٣	سيبيتيم سيفير
م ٢١٢ - ٢١١	أقطونيس
م ٢١٨ - ٢١٧	مقرن
م ٢٢٢ - ٢١٨	أنطونين
م ٢٢٥ - ٢٢٢	اسكندروس

عصر الفوضى العسكرية

م ٢٣٨ - ٢٣٥	مكسمين
م ٢٤٤ - ٢٣٨	عديليانوس
م ٢٤٩ - ٢٤٤	فليبيس ^(١)
م ٢٥١ - ٢٤٩	دقيانوس
م ٢٦٠ - ...?	اورليوس
م ٢٦٨ - ٢٦٠	غلينوس

(١) لقد يقع من نزوة العرب وتأثيرهم العظيم في المزروع التي كانت غالقة بين الرومان والدرس ان تبوا صرمة روما هذا الامبراطور «فليبيس» او «فيليوبوس» وهو المسىء هند ابن خلدون باسم المتش بن اوريان وهو من عرب غسان، تولى الملك كثيرون على مملكة روما خمس سنوات (٢٤٤ - ٢٤٩ م) وهو الذي اقام احتفال ذكري مرور ألف سنة على بناء مدينة روما (النهج الديم ح ٦٢٤ وسبعين لا دروس من ١٦٠٦).

تاريخ الولاية

من — الـ

م	٢٦٠ - ٢٦٨	فلوديس الثاني
م	٢٧٤ - ٢٧٥	اورليانوس
م	٢٧٦ - ٢٧٤	تاكسيس
م	٢٨٢ - ٢٧٦	بروبش

دور الامبراطورية الاسفل

م	٣٠٥ - ٢٨٤	ديوفلطيانوس
م	٣١١ - ٣٠٥	غلاريوس
م	٣٣٧ - ٣١٢	قطنطين
م	٣٥٠ - ٣٣٧	قطروس
م	٣٦٠ - ٣٥٠	قسطنطيوس
م	٣٦٣ - ٣٦٠	يريلانوش
م	٣٦٤ - ٣٦٣	يرينيانوس
م	٣٧٥ - ٣٦٤	والبينيوس
م	٣٧٨ - ٣٧٥	واليس
م	٣٨٣ - ٣٧٨	غراطيانوس
م	٣٩٥ - ٣٩٢	تايسيروس
م	٤٢٣ - ٣٩٥	هنوريوس
م	٤٥٤ - ٤٢٤ ^(١)	ولنتيانوس الثالث

(١) انتخب تحت كفالة والده الامبراطورة «بلاسيدية» اخت هنوريوس السابق
الوفاة سنة ٤٥٠ م.

من مَشَاهِيرِ أَجْزَائِهِ

ابوليوس الماصوري

القرن الثاني للبياد

هو كاتب إفريقي نوميدي عاش في القرن الثاني للبياد . ولد بعدينة ماضور المعروفة اليوم باسم « مداووش »، بشرق عمالة قسنطينة - جنوبي سوق اهراس - سنة ١٢٥ م ، وقد كانت ماضور هذه في ذلك العهد الروماني مركزاً بلديّاً به مدارس لنشر التعليم والتّقافة الأولى ، ولم يكُن يبلغ آبولي (Apulée) او ابوليوس الثالثون من عمره حتى ذاع صيته . وقد رحل الى قرطاجنة التي كانت عاصمة العلم في إفريقيّة ، ثم الى آثينا ، فرّواه وعاد الى ماخور برتبة حمام ، وتولى مع والده بعض المسؤوليات البلديّة . لكنه جو القرية كان يختنقه ، فشدّ عصا الترحال من جديد وسافر الى الاسكندرية ماراً بقرطاجنة وطرابلس ، ولم يُعد من هذه الرحلة الا بعد ستين ، وبعد مغامرات زادت في اتساع علمه وعقربيه ذكره .

وكان على الرغم من اقباله على متع الحياة يجد الوقت للكتابة والتأليف ، ومن كتبه المعروفة والمقرورة حتى اليوم كتاب الشهير الحمار الذهبي (L'Ané d'or) او المسوخ (Les Métamorphoses) وبصع انه تكول فيه التطورات ، وهو من اعجب الكتب في الادب اللاتيني اخرجه مؤلفه في احد عشر جزءاً صور فيه الحياة المغاربية تصويراً دقيقاً كله الوان (L'Hermagoras) وكتاب (Les florides) وكتاب (L'Hermaforas)

و (L'Apologie) وله عدة وسائل في موضوعات متى ، من فلسفة ، وتاريخ ، وشعر ، ونقد ، وحساب ، وطب ، ونجوم ، وما وراء الطبيعة ، وحق الحر الذي اشتهر به . وقد نبه بعض النقاد لسعة علمه بالكاتب الملاع الترميدي (يوبا الثاني) . وقد درس كل علم وفن ولم تكن مادة ما فوق طاقة فكره . وقد كان هو يغفر بأنه كفرع من كل معين ، وكان لا يدين بدين ، بل كان كائناً لكل دين . ولم تكن المسيحية في القرن الثاني قد انتشرت في إفريقيا حتى يعتقدوا كما اعتقدوا بعد ذلك غيره من الأفريقيين ، رغم مزاجة الملل والنحل الونية للمقيدة الساوية .

وقد بلغ أبيوي اوج الجد فصبت له الثنائي في قرطاجنة وطرابلس ومسقط رأسه ماضور « مدارش » الا ان الح焯 المقتفي قاله بكلته وما تركه من اثر صحي في ميدان الفكر والآداب ، وهو الكاتب الخطير الذي حاول جسم الكتاب الافتراقية بعده ان يلقوها درجة وشأنه ومنهم تورتوليان (Tertullien) والقديس اوغسطين الذي وجد فيه اول استاذ له ، الا ان القديس اعتنق المسيحية بعد حرب عنقاء بينه وبين نفسه ، وبعد ان حصل جميع المقالات المعروفة في عهده ، وقد كتب القديس اوغسطين مائتين وثلاثين سنة بعد أبيوي ، كان بذلك ثقلاً ثقيراً غير طبيعي لاتسع معلوماته وكان الونيون يتذمرون نسبياً (١) .

القديس اوغسطين

٣٥٤ - ٤٣٠ م

لقد ولد هذا القديس الجزائري العظيم يوم ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤ م ببلدة « فأجستة » سوق هراس على نحو مائة كيلومتراً جنوب مدينة بورقة - عنابة - من ام مسيحية وأب ونبي لم يعتقد المسيحية الا في اواخر

(١) هنا الجزائر ٤٢ - ١٩٥٦ م.

عمره . ثالثاً «أوغسطين» وتعلم بجامعة مداروش شرقي عاصمة فلسطين ، وقد شب غير متدين بالدين ولا يقيود العفة وأخذ يتنقل في البلاد فدخل قرطاجنة وجال في مدن إيطاليا وهناك تعمق في الدراسات فأحاطت به ظروف كان فيها مانوا ينتقد العقائد ، ثم وقع تحت تأثير مذهب الشراك ، وفي روما تمكن من دراسة آراء بشرون ، وفهم المذهب الأفلاطوني الجديد الذي قربه مراحل إلى العقيدة المسيحية ولم يتأثر بها ، وتحول في مدينة ميلاني على كرمي تدريس البلاغة ، ثم انه كان يرى غيره يتأثر بالدين المسيحي فيجعل من نفسه لاهٍ يتعلم ويدرس الفلسفة ويزعم أنه يحضر الماديات . وفي ذات يوم دعاه ضيوفه وناداه وجذبه إلى الأيام والذين الصحيح فعاد من إيطاليا إلى الجزائر سنة ٣٨٨م وأخذ يبلده تاجستة ديراً للتعبد والدرس ، ومنذ ذلك الحين همت السكينة قلب أوغسطين فائزوري بدراه يدرس ويتعبد على مذهب الارتوذوكس - السلفين - وقد تخرج على يده عدد وافر من علماء اللاهوت وأصبح ديره كعبة علم وفلسفة ودين ، وأضخم القدس بتآليه ودروسه وشهرته ومكانته من اعلام الفكر البشري ومن أكبر رجال الكنيسة . فعن على رأس استقبة بونة سنة ٣٩١م ويومئذ تصدى لقمع المخالفين والمناوئين لمذهب الارتوذوكسي فكتب عدة تأليف نسبية تناهى المأذن مصنف كتابها كلها باللاتينية ، منها «اعترافاتي» (Mes confessions) حيث قص حياته بامانة ونزاهة فلم يخف حتى عيوبه وما وقع فيه من اخطاء الشباب ، وقد كتب هذا المؤثر الشمرين ما بين سنة ٣٩٧م و٣٩٨م بينما بدأ كتابه الآخر «مدينة الله» (La cité de Dieu) ذكر فيه مزية وفضل الحياة الأخرى عن الحياة الدنيا ، ووضعه سنة ٤١٢م وفرغ منه سنة ٤٣٦م . وكان يعد في زمانه الخطيب خطيباً عصره وأكثرهم تأثيراً في مستويه فوياً في الجماعة والجلد والمناظرة ، فحارب بكل ما أوتيه من قوة بقلبه ولسانه جميع المذاهب التي من شأنها أن تُنْفِي حجر عثرة في تقديم الديانة المسيحية ، فكان يمثل القمة التي انتهت إليها الحياة الفكرية في أفريقية المسيحية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي ، وبلغ من تأثيره في الأوساط

العلية ان تسمى العصر الذي كان يعيش فيه القديس بالعصر الاوغسطيني كما اشتهرت تعاليه بالمدرسة الاوغسطينية ، وضلت آثاره الحالة المرجع الوحيد للتدريس في جامعات الفرون الوسطى الى ما بعد النهضة ، وما من رجل فكر الا وکرع من منه الفياض واستمد من معينه الصافي .

وليس القديس اوغسطين هو المبكري الوحيد الذي عرفه الجزائر او بالاحرى افريقيا المسيحية في التاريخ القدم . بل عرفت قبله مفكرين وكتاباً عديدين مسيحيين وغير مسيحيين مثل آبولو (Apulée) وافرانتون (Afranton) وترنوليان (Tertullian) وسريلان (Cyprien) ودونا (Donat) وغيرهم ، نعم وبفضلهم أصبحت مدينة بونة كعبة طلاب العلم الاهوري فكانت من اهم المراكز العلمية والدينية بالجزائر فالافتقت اليها الانظار ، وفيها انعقدت بجامع المطارنة الشهيرة التي كانت سنة ٣٩٥ و٤٢٦ م .

ولاوغسطين هذا موقف سيامي شريف يدل على تفضيجه ووفاته لقومه ووطنه ، ذلك هي مواقفه الشهيرة تجاه المعتدين من القائدان على الوطن الجزائري فانه يجرد ما بلغه سعي اعداء القائد الروماني العام « الكونوت بونياس » به الى روما سنة ٤٤٧ م وعزله من منصبه ، نهض القديس مدافعاً عنه امام الامبراطورة « بلاسية » وعمل جده على تحبس العلائق بين الطرفين فتأثرت الامبراطورة لكلام القديس وعدلت عن دأبها في عزل الكونوت . وكان اوغسطين ايم حواته المفهم القائدلي على الوطن يقاوم ويحارب بنفسه ، فقد دافع القائدان عن وطنه دفاعاً الابطال ، فانه لما انكسر الكونوت بونياس منهزاً الى بونة نهض القديس بأعباء المقاومة ولخلص في دفاعه حتى النهاية وقد امسكته الفرس مراراً من الفرار بنفسه امام هيبة القائدان الوحشية ولكنها ابي ... ووقف في حف المغاربة الاحرار مدة اربعة عشر شهرآ صابراً لحوادث التدمير والتغريب الى ان ادركه حامه ثبات مكافعاً شهد الوطنية والمقدمة يوم ٢٩ اوكتوبر سنة ٤٣٠ م وبوجهه سقطت الجزائر بيد القائدان ، فكان اوغسطين يحقق احد زعماء الفكر بالجزائر ومن عباقرة الوطنيين الاحرار .

جَسْدَوْلٌ تَارِيْخِيٌّ

١٤٦ ق. م - ٤٣١ م

تَارِيْخُ الْمَوَادِيْتُ	اَهْمُ الْاَحْدَادِ بِالْجَزَائِرِ عَلَى عَهْدِ الرُّومَانِ
١٤٦ ق. م	اسْتِلَاهُ الرُّومَانُ عَلَى افْرِيْكَا - وَلَاهَةُ تُونِسُ .
١١٠	ثُورَةُ الْمَلَكِ يُوْغُوْرَطَةُ عَدُوُ الرُّومَانِ الْمَدُودُ وَدِفاعُ الْاَهْرَارِ الْجَزَائِرِيِّينَ نَحْتَ لَوَاهٍ .
٤٦	اسْتِهْارُ وَلَاهَةِ تُومِيدِيَا : حَمَالَةُ قَسْطِنْطِيْنَيَّةِ .
٢٤٤ - ٢٧٠ م	ثُورَةُ الرَّئِيْسِ « اَرَادِبُون » بِالسَّاحِلِ الْجَزَائِرِيِّ .
٢٩٧ م	سَقْوَطُ نَاحِيَةِ جَرْجَرَةِ بِيْدِ الرُّومَانِ وَتَوْزِعُ السُّلْطَةِ بَيْنَهُمْ .
٢٨٨ - ٢٩٧ م	انْدِفَاعُ النُّورَاتِ التَّغْرِيرِيَّةِ فِي وَجْهِ الرُّومَانِ .
٤٠٠ م	قَاسِيسِ مَدِينَتِيْ جَيْلَةِ وَتِيقَادِيِّ عَلَى يَدِ اِمَالِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ
٤٣١ م	وَانْتَشَارُ مَذْهَبِ الدُّوَنَاتِيْسِتِ بِالْجَزَائِرِ .
	انْهِيَارُ الْجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ عَلَى يَدِ الْفَانِدَالِ .

الدولة الفاندالية

٤٣١ - ٥٣٤

أهل الفاندال

الفاندال شعب قديم من شعوب أمة القوط الغريرية التي مكنت شمال نهر الدانوب ، وموطئهم - في القرن الثالث قبل الميلاد - شمال بحر ماينا ما بين وادي فيستول ونهر اوادير L'Oder et la Vistule على سواحل بحر البطيق ؟ متعددون من السلالة الصقلية - السلافية - ولقد امتد هذا الشعب وانتشر في جنوب المانيا ، ومنها تدفق على العالم الغربي - في القرن الخامس وال السادس الميلادي - فاستولى حيثئذ على ارض الغول la Gaule - فرنسا - واتصل بمحب الشيا - البريتات - pyrénées ثم انحدر الى اسبانيا فاحتلها سنة ٤٠٩ م ونزل بمنورها فسكن نواحي غرانطة وجيان وهناك اشتهر اسمه بها ونسبت اليه فصارت تدعى تلك الناحية « فاندلوسيا » ومنها جاء اسما الاندلس بعد ذلك على عهد العرب الفاتحين .

ونظراً لخصوصية موقع بلاد الشمال الافريقي ويسر الحياة الاقتصادية به تسلط عليه هؤلاء الفاندال بقيادة اهلة فكانت تلك السرعة العجيبة منهم في الاستيلاء على هذا الوطن واسروا به يومئذ دولتهم الملكية سنة ٤٢١ م ، ثم استولوا على البروقنطية - ولاية تونس - واحتلوا قرطاجنة سنة ٤٢٩ م .

نظامها المكتوب

هذه اول دولة ملوكية وراثية تأسست بأرض افريقيه نوارث عرشها ستة ملوك من آل « جنسريق » ، وكانت اول عاصمة لهم بهذا الوطن مدينة بونة - عنابة - ٤٣١ م تم انتقالوا الى مدينة صدابي - بجاية - الى ان فتحوا فرطاجنة سنة ٤٣٩ م فانتقلوا اليها سنة ٤٥٥ م .

ونظراً لما كان عليه الفاندال من بعد عن معايرة المدينة والحضارة فانهم تركوا ما كان من النظم الادارية بهذه البلاد على حاله من قبل ولم يجدوا فيها اي تغيير سوى فرض سلطانهم على الاهالي واستبدادهم في توزيع اراضي الوطن الحصبة على الخاصة من الامرة المالكة وارباب الدولة ورؤسائها المتباين . وما تركته الدولة يومئذ من التراب تحت تصرف اهلها اما كان في مقابلة ضرائب واتارات باهضة ! .. وكان ما سنه المستعمرون بعد ذلك من قانون expropriation متزع من هذا ؟ ... وذلك ما دعا الكثير من الرومان وحملهم على الهجرة الى بيزنطة .

نم كان سمي الفاندال مع الاهالي اولا سعيا فيه نوع من الدين والشهادة فخطضوا لهم مبلغ الضرائب التي كانت عليهم ، ولكن ذلك فعلاً استالة لقلوب القوم ليستعينوا بهم على اعدائهم الرومان ، وفعلاً تجحت ساستهم في ذلك وانقاد لهم رؤساء البربر ومدوا لهم يد المساعدة بقصد التشفي من اعدائهم الرومان الذين ارهقوهم مدة قرون ! ... وتطلعوا منهم كذلك الى التحرر من نير الاستهبار ... فدخل الكثير منهم في نظام الجيش الفاندالي الذي كان يبلغ يومئذ نحو الثمانين فرقة بما فيها من جنود البحريه ، ولم يكن الجندي الفاندالي ليحسن حرب المشاة والمقاتلة على الاقدام بل كان لا يرى في حربه كلها الا فارساً مغواراً يحمل معه السيف والرمح وكان اغلب هذه المفرق موزعاً على حفظ الامن وحراسة البلاد . وقد عمل الفاندال على استالة اليهود اليهم وتكربيهم منهم الاستعانت بهم في الاقتصاديات استدراراً لخيرات البلاد . وكان للاسطول الفاندالي السيادة على غرب حوض هذا البحر ايضاً المتوسط . ولهذه الدولة نقود مسكونة مضروبة باسمها .

حدود الجزائر الفاندالية

كان مجرد استيلاء الفاندال على القطر الافريقي هذا ان شرعاً في تقييمه الى ست مناطق مختلفة في الاعتبار والمساحة ؛ ثلات منها هي بالملكة التونسية اليوم ، والمقاطعة الرابعة هي عبارة عن منطقة نوميديا - عالة قنطينة - والخامسة عمل نسبة ، وهم يهانون الولايتن اقلية بالنسبة الى المقاطعات الاربع الاخري ؛ والسادسة هي عبارة عن ارض المقرب الاقصى .

معتقد الفاندال

كانت الامة الفاندالية وثنية تعبد « دوفار » الرعد ، و « تير » الحسام ، وتحضن الشمن والقمر وغيرها من الاجرام العلوية ؛ وتفضيف الى ذلك آلة اخرى من معبودات الوثنية : ومنهم من فتح على مذهب Arius الاسكتلندي وهو مذهب الحكومة ، ولم يلتبث الفاندال ان اقبلوا فأنشروا يقطنون الدواثرين وغيرهم من اهل المذاهب المسيحية الاخرى ورافقهم على ذلك اليهود ايضاً . وذلك ما حل رجال الكنيسة الارتوذكسيه على التعرض الى امبراطور بيزنطة في اثناء حملة على افريقيه . ولم يشمل اخطاءهم الدينى هذا اهالي الجزائر لفترة من كان فيها على هذا المذهب ، والذى كان يجلس على كرسي اسقفيتها الجزائر القدس فیکتور Victor الذي استرک في جمع قرطاجنة المعقد باسم الملك هوریک Huneric الفاندالي سنة 484 م .

البربر والفاندال

ان التأمل جيداً في موقف البربر وحركاتهم تجاه الفاندال يجدم غير خاضعين غام الموضع لهذه السلطة القاسية التي سلطت على بلادهم ، بل استرموا مستعصيین براکزم الجبلية الشاهقة ، عاملين على استسلامهم وانتظامهم بها ، وقد استعادوا بفضل خطتهم هذه ما انتزعته السلطة الرومانية منهم ، وكل ما ظهر منهم من معايدة الفاندال على احتلال البلاد انا كان وراءه حب الانتقام والتغافل من أعدائهم الرومان كما قلنا ، وهم في ذلك

يتاهبون دوماً للفرص ويتغذون لاونوب نحو الاستقلال ، فكانت لهم هذه الظاهرة أول خطوة سياسية خطأها البرير في سبيل تحرير بلادهم ، ولو انهم في الظاهر استبدلوا استعماراً باستعمار ... وفملاً لقد استرد البرير سلطتهم شيئاً فشيئاً حتى كاد ان يتحقق لديهم غرثهم المنشود نولاً ان فاجأتهم القوات البيرزطية بهاجتها .

حكومة الجزائر التحريرية

كان لوفاة الملك الفاندالي « جنسريل » سنة ٤٧٧ م انزكيلاً في تغيير السياسة الفاندالية بهذه البلاد ، فقد ساء سلوك خلفائه من بعده ، ولم يحسنوا صنعاً في تدبير شؤون المملكة وتسخير نظام الجيش والجندية ، فظهر بذلك الخلل عظيم في الحكومة في حين ان العالم كان متوجهاً نحو تاريخ جديد ، وحياة جديدة : ذلك هو عصر ابتداء تاريخ القرون الوسطى ؟ ففي نفس الوقت تحرك البرير متسللين فرقة ضعف السلطة الفاندالية ونهضوا لاستعادة بعدهم الصانع وأعلنوا الثورة على الفاندال سنة ٤٨٠ م واندلع لمبها من جبل أوراس وجبيل راشد غرباً الى طرابلس شرقاً ، وفي تلك الأونة حطم الفاندال مدينة الجزائر بعدما قضوا على سكانها فأفتروهم ، واستمرت الواقعة والمعارك ما بين مد وجزر الى سنة ٤٨٣ م فاتصر البرير على اعدائهم وتحررت نواحي مدينة تيقادي وباغية وتقيست - تبسة - وغيرها بغالب الوطن الجزائري ، وبقيت مدينة سيرته - فسقينية - محافظة على سيادتها كما كانت من قبل ، اذ لم يلتوِ الفاندال على فتحها ، وبذلك كان الاستعمار الفاندالي لم يشمل جميع البلاد ، وإنما كان محله السواحل فقط .

الثقافة والحضارة والعلوم

اني بكل اسى لا استطيع ان اتحدث الى قارئ الكتاب بشيء جديد ما يتضمنه عنوان هذا الفصل ! ... واني أصارح حضرة المطالع

بأنه لا يستفيد من مطالعة هذا الفصل أكثر مما وسعه علمه من قبل ...
اذ لم يظرف التاريخ في دراسة هذا العصر بما يسمى هنالك عدداً أو
أدباً أو فناً، ولا لغة كذلك ولا أثراً معمارياً يصلح لأن يكون
مادة لاستنتاجات الدراسة والبحث ، وإن كل ما فاز به التاريخ في
هذا الميدان هو بعض قطع من تقويد : فضة وبرونز مضروبة باسم ملوك
هذه الدولة ، وعليها تووش رمزية ؟ أو كلمات وألفاظ استغربها علماء
اللغات من لغات الفرم الذين مازجوا هذا العصر أو خالطوا أهله ،
وهذا كما دأيت لا يسمى ولا يعني من جوع ! ... وما اشتهرت به
هذه الدولة إلا أنها أمة تخريب وتخطيم والخلال في الأخلاق وذلك ما
جعل لاسمها معنى مرادفاً للدم والتقص ، فقالوا Vandala . وانت
إذا نظرنا إلى بعض أقوال مؤرخي ذلك العصر من كتب عن مشاهدة
وعيان أمثال المؤرخ البيزنطي الشهير « بروكوب » أصابانا ذهول عظيم .
فإن هذا لما نزل بأفريقيا سنة ٥٣٣ م صحة القائد البيزنطي القاتع
« بلزاريوس » يصفه كتابه الخاص عجب بما وجده بها من العمran
ونشاط التجاره ونفاق الأسواق وخصوصية الفلاحة ؛ وأنه بعدما غاب عنها
ثم عاد إليها بعد عشرين سنة - من استقرار الروم بها - وجدها على
خلاف ذلك ! ... فمن الصادق يا ترى ؟ ... ونزوى التاريخ كذلك بخط
من قيمة القائدالتجاه التعليم أيضاً ، فيقول إنهم كانوا يعدونه جريمة
ينكل بصاحبها ؟ وهم يعلوون ذلك بمقابل آثارهم ومحاتهم إذ لم تكن
لتهم مستعملة إلا في التخاطب كلغة عامة لا تصلح للتغيير عن المعاني
الدقique ؟ ولم يبق هنالك سوى اللغة اللاتينية وهي لغة الدولة الذهابة .
وان عدد أمة القائدالتجاه بهذه الديار كان لا يتجاوز المائتي ألف نسمة
وأنهم كانوا يضطرون للحوادث والواقع التاريخية بعدد أيام ملوكهم .
ووهكذا من القائدالتجاه ييلادنا بدون أن يكون لهم فيها اي اثر يذكر
سوى ما وصهم به التاريخ الذي كتبه عنهم اعداؤهم الرومان والبيزنطيون
وعليه سار الباحثون إلى اليوم .

انهيار الجزار القائدية

من المعلوم بدأمة ان امة مثل هذه منحطة في اخلاقها ساقطة في نظمها العسكرية والمدنية لا تعمـر كثـيراً؛ فلقد امضى القانـدال مـعظم حـياتـهم باـفـريـقـية مـتهـمـكـينـ فيـ اـنـوـاعـ منـ العـيـثـ والـفـسـادـ مـتـفـسـيـنـ فيـ اـحـضـانـ الـخـلاـعـةـ وـسـوـهـ السـيـزـةـ، مـعـرـضـيـنـ عـنـ حـيـاةـ الجـلدـ وـالـحـلـزـمـ غـيرـ مـبـالـيـنـ بـاـهـلـةـ تـطـلـبـ سـيـاسـةـ الـامـمـ منـ الـعـدـالـةـ وـالـاـسـتـدـامـةـ، ذـلـكـ ماـ كـانـ باـعـثـاـ لـاهـالـيـ علىـ اـثـارـةـ الـحـرـوبـ صـدـ هـذـهـ الـادـارـةـ الـفـاشـشـةـ وـمـقاـومـةـ هـذـهـ الفـروـضـ السـائـدةـ فيـ الـاخـلـاقـ وـفيـ الـحـكـمـ، وـفـعـلـاـ نـشـتـتـ التـورـاتـ بـيـنـ الرـاءـيـ وـالـرـاعـيـ، وـكـانـ الـقاـوـمـةـ الـشـعـبـيـةـ عـنـيـقـةـ فـقـطـ اـمـامـهاـ الـحـكـوـمـةـ مـهـمـةـ وـاحـرـزـتـ بـعـضـ النـواـحـيـ مـنـ الـجـزاـئـرـ عـلـىـ اـسـتـقـلـالـاـمـ مـثـلـ اوـرـاسـ؛ وـبـوـيـمـدـ تـوحـشـ القـائـدـ القـانـدـالـيـ «ـ جـالـيـارـ »ـ وـاستـغـلـ فـيـ مـوـاـقـعـ الـحـرـبـ جـمـيعـ وـسـائـلـ الـقـهـرـ وـالـاـرـهـابـ وـتـحـبـراـ عـلـىـ مـقـامـ مـلـكـهـ «ـ هـلـدـرـيـقـ »ـ^(١)ـ فـزـلـهـ عـنـ عـرـشـ سـنةـ ٥٣١ـ مـ وـجـلـسـ هـوـ مـكـانـهـ، وـبـوـيـمـدـ اـسـتـبـدـ هـلـدـرـيـقـ يـقـصـرـ الـرـومـ فـيـ بـيـزـنـطـةـ «ـ بـوـسـتـيـانـوـسـ »ـ، فـصـادـفـ ذـلـكـ هـوـىـ مـنـ نـفـسـ الـقـبـصـ حـيثـ اـنـفـتـحـتـ لـهـ طـرـيـقـ الـاـنـتـقامـ مـنـ سـلـبـواـ مـلـكـةـ دـوـلـةـ الـرـوـمـانـ الـفـرـيـقـيـةـ؛ وـاـنـفـذـتـ الدـسـائـسـ تـحـوـمـ حـولـ دـوـلـةـ القـانـدـالـ الـمـفـتـرـةـ وـدـبـرـتـ فـيـ ذـلـكـ خـطـطـ اـمـلـهـ عـلـيـهـمـ دـوـاعـيـ الـاـقـتـاصـدـ وـالـتـأـرـ منـ القـانـدـالـ وـمـلـكـهـمـ الـجـدـيدـ جـالـيـارـ وـيـلـفـرـواـ بـدـهـاـنـهـمـ السـيـاسـيـ اـنـ شـفـلـوـاـ الـدـوـلـةـ عـنـ نـفـسـهـاـ بـاـثـارـةـ الـعـصـبـيـةـ الـمـذـهـيـةـ وـالـخـلـافـاتـ الـدـيـنـيـةـ حـتـىـ فـرـجـتـ بـالـاـسـطـوـلـ الـبـيـزـنـطـيـ فـيـ خـيـانـةـ قـطـعـةـ حـرـبـيـةـ تـحـمـلـ ١٥٠٠٠ـ نـسـمـةـ، وـهـمـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ اـصـنـافـ، نـصـفـهـمـ مـشـأـةـ، وـخـسـةـ آـلـافـ فـارـسـ، وـالـبـاقـيـ بـحـارـةـ، وـلـبـاـهـمـ بـوـيـمـدـ درـعـ سـابـعـ عـلـىـ الصـدرـ يـلـغـ السـافـنـ وـخـوـذـةـ عـلـىـ الرـأـسـ، وـسـلـاحـمـ السـيفـ وـالـرـمـعـ وـالـسـهامـ.

تـحـرـكـتـ هـذـهـ الـلـهـةـ الـبـيـزـنـطـيـةـ الـعـيـدةـ مـنـ بـيـزـنـطـةـ - القـسـطـنـطـيـنـيـةـ - يـوـمـ ٢٢ـ جـوـانـ ٥٣٣ـ مـ ايـ قـبـلـ الـمـعـرـرـةـ بـ٨٩ـ سـنـةـ؛ وـدـوـلـةـ القـانـدـالـ يـوـمـ

(١) وـعـلـىـ عـمـدـهـ كـانـ اـبـداـمـ اـطـلـاقـ اـمـ «ـ الـمـوـرـوسـ »ـ عـلـىـ السـكـانـ الـاـصـلـيـنـ لـشـاءـ غـربـ الـمـرـيـقـةـ وـمـرـوـفـونـ الـبـيـوـمـ بـاـسـ الـمـوـرـيـطـانـيـنـ.

مشتعلة بفزوءة مجرية حيث كان اسطولها محاصراً بجزيرة سرداانيا ، فأرسلت هذه الحلة يياه مقلية ، ثم انتقلت الى مرسي قابس ، وافقق ان كان اهل حلية وقبس ثالثين على القاندال ، فكانت فرصة سانحة للروم البيزنطيين على مواصلة الفزو ، وليس للقاندال يومئذ ما يضمن لهم الاتصار بسبب ان قوتهم المخربة مشتعلة في البلاد والاكثرية منها في الفزو مع تقدّر تجنيد الاهالي لعدم اتصالهم بهم والخلال الروابط بينهم وحلول العدمة والبغضاء مکانها ، فكانت هذه الظروف كلها ماعدة للفزو البيزنطي على استمراره في الفتح ، وقد جاء ذلك مصرحاً به على لسان قائد الحلة البيزنطية « بلیزاریوس » فقال : لست اعتقد بعدد جندي ولا بشجاعتهم اكثر من اعدادي بحب الاهلين وعطفهم علينا وكرههم للقاندال .

واحتملت الحرب بين الفريقين بنواحي تونس فانتصر البيزنطيون على القاندال ، واحتل القائد بلیزاریوس عاصمة قرطاجنة في شهر او ط من نفس السنة ، وفر منها جالبار ملتحقاً الى جبل « تاوریت » من جبال زواوة وبقي هناك معتصماً بالشعاف والشواهد الى ان احاط به الروم وخرقوا عليه الحصار مدة ثلاثة اشهر ، ثم كانت المعركة الاخيرة بينهم يوم ۱۳ سبتمبر بقرية « ارياتة » - تونس - انكسر فيها القاندال شر انكسار ، وقد حاول جالبار القرار امام العدو للمرة الثانية ذاهباً الى « فانداروسيا » فلم يفلح بل وقع اسيراً في قبضة الروم ، فجعلوه الى بيزنطة واقروا بعده عملية الفتح بتطهير التراب الافريقي من كل اثر فاندالي ؟ فخلص الوطن يومئذ - ديسمبر ۴۳۴ م - للروم البيزنطيين ، وكان بذلك القضاء النهائي على دولة القاندال في العالم ، وذلك بعد ما عاشت ۱۰۳ سنة بهذا الوطن الاقريقي .

ملوك الفاندال بافرقيبة

جنسريلق	م ٤٧٧ - ٤٢٩
هوندريلق	م ٤٨٤ - ٤٧٧
غونداموند	م ٤٩٦ - ٤٨٤
نراسيموند	م ٥٢٣ - ٤٩٦
هيلدريلق	م ٥٣١ - ٥٢٣
جاليلار	م ٥٣٤ - ٥٣١

جَدْوَلٌ تَارِخِيٌّ

م ٥٣٤ - ٤٣١

تاريـخ المـوادـت	أـمـ الـاحـدـاتـ بـالـجزـائـرـ عـلـىـ عـهـدـ القـانـدـالـ
٤٣١ م	انتصاب دولة القائدال بالجزائر .
٤٣٥ م	انقاد الصلح بين القائدال والروم .
٤٣٩ م	الاستيلاء على قرطاجنة .
٤٧٧ م	وفاة الملك القائدالي « جنريق » وتغير السياسة بوفاته .
٤٨٠ م	تشوب نزوات البرير ضد المحتلين .
٤٨٣ م	انتصار البرير وتغريب بعض النواحي الجزائرية .
٥٣١ م	سقوط الملك « هيلدريل » وانتصاب « جاليار » مكانه .
٥٣٢ م	غزوـةـ الـاسـطـولـ الـبيـزنـطيـ لـافـريـقيـةـ .
٥٣٤ م	انهـارـ مـلـكـةـ القـانـدـالـ وـسـقـوطـ دـوـلـهـمـ .

الدولة البيزنطية

٥٣٤ - ٦٤٧ م

لقد بلغ من اتساع رقعة مملكة روما بما فتحته من البلاد في الشرق وفي الغرب وانتشار سلطانها بعثتى بعيد عنها كان ان فكر الامبراطور « دقليانوس » - ٢٩٦ م - في توزيع سلطنته على مرتكزين : احداهما حيث هو بالغرب ، والثاني بالشرق ليكون له معللاً حصيناً هناك ، وجعل مقر ذلك مدينة « نيقوميد » - ازمير - بالاناضول - فكانت هذه يومئذ عاصمة الرومان الشرقية ، وكانت مدينة ميلانو بالغرب هي عاصمة المملكة بقسميها ، واستمر الامر على ذلك الى عهد الامبراطور (قسطنطين) الكبير ، فانه ادرك ذهاب هيبة روما وضعف نفوذها بسبب ما حلتها اخيراً من الفوضى والاضطرابات في كيان السلاطين المدينة والعسكرية ، وتحقق لديه بانها لا تصلح الان مقر الرؤاسة الامبراطورية العظيمة المتراوحة الاطراف ، فتحول يومئذ مقر حكومته الى المشرق سنة ٣٣٣ م واخذ عاصمه هناك مدينة (بيزنطة) ^(١) وجددها ونسبها اليه - القسطنطينية - وهي لها كل مقومات العاصمة الرومانية حتى لقد نقل اليها عدداً من سكان روما واعضاء مجلس الشيوخ فتشا عن ذلك المملكة الرومانية يومئذ عاصمتان شرقية وغربية ،

(١) نسبة الى مؤسساها الاول « بيزناس » رئيس المغاربين ١٢٠٠ ق.م . وقيل بنيت سنة ٦٥٨ ق.م . وهى اهانها بن قسطنطين الاول عاصمه .

والى الشرقية (بيزنطة) تنسب هذه الدولة التي نورخ استيلادها على الجزائر .
وفي سنة ٣٩٥ ، توقي الامبراطور (طيوهوس) وكان قد اوصى بتقسيم
الملكة بين ولديه ؛ فجعل الملكة الشرقية لولده (اركاديوس) وعاصمتها
بيزنطة ؛ والغربية لأخيه (اونوريوس) فلقدت الوصبة على ما هي عليه ،
وبذلك أصبح ملك الرومان متقدماً الى دولتين كل واحدة منها مستقلة
عن اختها ، وقد قدر لملكة بيزنطة ان ترث عرش روما الى الفتح التركي
الهائي (٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٥٧ - ٢٩ مايو ١٤٥٣ م) واضحت
هذه عاصمة العلاقة الاسلامية الى حين .

ولما كان اهل هذه الملكة الشرقية الحديثة مزيجاً من الرومان والطين
واليونان وهم الاقرنيج ، تسموا فيما اصلح عليهم المؤرخون العرب باسم
(الروم) تقليداً لجنبي الامبراطور وفيما لهم عن دولة الرومان الغربية ،
فهم الروم البيزنطيون .

نظامها المكتومي

لم تكن بشائر الفتح البيزنطي ترد على الامبراطور « جستينيان » حتى
امرع الى جعل افريقيا ولاية من ولايات الدولة الكبرى ، وقام على
حكومتها عامل مدیناً لا عسكرياً كما كانت على عهد الرومان من قبل ،
فكانت بذلك افريقية مثل بيزنطة يحيكها مدير او عامل يتربع بنفوذ
واسع ، ومقره مدينة قرطاجنة الواقعة من الحضارة والعمارة مبلغ مدينة
القسطنطينية يومئذ ، ولم يتمول هذا النظام الا في سنة ٥٨٧ م حيث
استطاع « جناريوس » اخاد نوره العبر فكان بهذا اول حاكم عام عسكري
لقب بالبطريق ؛ وكان يبلغ مرتب الحاكم العام سنوياً الى ما يليق على
١١٠٠٠ فرنكاماً تقريباً ؛ وعند تجتمع جميع السلطة على اختلافها ووراءه
يعيش من الموظفين منتشر على كامل البلاد والعواصم والقرى وأكثره مختص
بالتحصيل وجمع المال حيث ان الحكومة البيزنطية ترتكز في سياستها على ثواب
المال ، وقد كان مبلغ ما تتفق السلطة على هؤلاء الموظفين ١٠٢٩٩ ٧٣٧ ،

من الفرنكات (بتقدير ما قبل الحرب العالمية الأولى) وهذا غير ما يرسل إلى الامبراطور نفسه من الأموال وما يجمع من القمتع وما يدفع جعلات لرؤساء العبر ، ثم ما يتبع ذلك من نفقات الدولة ... والحكومة جند بمحرج من الاهالي والبيزنطيين وفيهم الماجور وكلهم تحت تصرف رئاسة اللائد العام المدعى : أكسارك .

حدود الجزائر البيزنطي

لا تتجاوز مملكة البيزنطيين بأفريقية عن أن تكون جزءاً مغيرةً يبدأ من حدود مصر إلى جبل اوراس ثم يأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة ، أما في الجنوب فإنه لا يتدنى نصف امتداد أفريقية الرومانية .

وكان البلد منقسمة إلى سبعة اقسام ادارية ، ثلاثة منها بالقطر الجزائري :

١) نوميديا وقاعدتها قسطنطينة .

٢) القبصرة الشرقية ، أو موريطانيا السطيفية ومركزها مدينة سطيف .

٣) القبصرة الغربية أو موريطانيا القبصرة ومركزها قبصرة : شرشال وبمحكم هذه الاقسام عمال ، ثم تليها أربعة مناطق تستدل على بقية مملكة القطرين الشقيقين : قونس والمغرب الأقصى ، على أن نفوذ البيزنطيين بالمغرب كان ضئيلاً هنالك لا يتدنى المنطقة الشهالية منه وقاعدتهم فيه مدينة سبتة .

وفي أيام الامبراطور « موريوس » (٥٨٢ - ٦٤٢ م) ضمت موريطانيا السطيفية إلى ما بقي من موريطانيا القبصرة ، ف تكونت منها معاً ولاية واحدة ، كما حدث تغير آخر في بقية أملاك البيزنطيين ...

استيلاء الروم على الجزائر

تقدّم وصف حملة البيزنطيين على حكومة الفاندال بأفريقية ، وكيف كان استيلاؤهم على ولاية تونس أولاً (صيف سنة ٥٣٣ م) ولما رسمت

قدمهم بها تقدموا في الفتح غرباً إلى ولاية الجزائر؛ فلتحروا هبونة؛ عنابة؛ وسيرتا أو قرطبة؛ فسنتين سنة ٥٣٩ م وقائلة وناحية الحضنة ونواحي سطيف وأوراس وزاي؛ المسية، وبلغوا إلى قصيرة؛ شرشال وقرطبة؛ نفس وجيجل وبجاية وما اتصل بهذه البلاد من السواحل الجزائرية، وهناك أبى الروم سلسلة من الاستعكارات والمحصون والرباطات التي تحصل القسم الساحلي الذي يظهر فيه الحكم البيزنطي واضحاً جلياً عن القسم الداخلي الذي باعدت السياسة الرومية البيزنطية بينه وبينها؛ فكان أقصى ما بلغ اتساع هذه الحدود التحسينية: سهل بجدة وهضبة الأوراس؛ ووقف حدوده الجنوبية عند نبسة ومسكولا؛ خنشلة وتيقادي، ولبيس، وطبقة، والميلة، أما فيما عدا ذلك فكانت حدوده ملائمة الساحل لا تكاد تتعدي أراضي الوابي من أمثال تيشن؛ قيبازا، وفيصرية؛ شرشال، ونفس، ووهران.

المياه الاجتنابية

دحى الله من قال: إن السياسة لا وجه لها ... ذلك أن الروم لا نزلوا أولاً مرة بأرض إفريقيا استعملوا أنواعاً واساليب من الدعاء الدبلوماسي في استرضاء الأهالي فلم ثبت سياستهم هذه أن كسبت ود هؤلاء البيزنطيين فاستفادت ما أرادته منهم من طاعة وجنود، وذلك لثقة العبريين بالروم ظناً منهم أن خلاصهم من فوضى الفاندال يكون على أيدي هؤلاء البيزنطيين، وما انفك الأهالي في غدرتهم هذه لاهين حتى فاجأتهم «اندیجيتة سوداء» من بيزنطة بما لا يتفق وطبيعة البلاد، فكانت هذه قوانين جور فاصلة بين الحكم والمكتوم لا وجه فيها للاتصال بين الشعرين؛ فكان طبيعياً وجديراً أن تضع الأمة هذه الاتصال عنها وتبتعد عن الحكومة التي لم تحسن وضع نظام ينسجم مع طبيعة البلاد، ويؤمن بذلك نساج الروم إليهم يعاملونهم معاملة العبيد ويرغبونهم على الطاعة، وكأنهم بذلك أوروا نار الفتنة واذكروا لميس الشعناء في قلوب الرعية، فبدأ الزراع الذي أصبح خصومة مشبوهة لا يكاد يحمد اوارها بين الروم

وأهل البلاد ، واستعمل الروم يومئذ الشدة والعنف في معاملة الرعية والقراىء بينهم العداوة والبغضاء بقصد التفرقة ، وارهقوهم بالضرائب والآثارات الفادحة وحملوهم في ذلك مثاق عظيمة مما جعل الناس يومئذ يعطون كراهيتهم وحقدهم على الحكومة باعلان الثورة والعصيان في وجه الحكم وفيهم من هاجر وترك موطنه وببلاده ، ومنهم - من شدة الفقر وال الحاجة - من اضطر الى المخصوصة وقطع الطرق . وقد أجمع المؤرخون على ان سياسة البيزنطيين بأفريقية كانت سياسة شعاء خرقاء ! ... فهي لا تبعد كثيراً عن سياسة الفاندال ان لم تكن من متماثلها . ولقد كان هذه المعامة العنيفة أثر بعيد في مستقبل الحكم البيزنطي بهذه البلاد .

الحالة الدينية

لقد جرى بجري الامثال السائرة عند جميع الامم قومهم في تشيه التزاع والخلاف الفارغ منها كان نوعه بنازعات بيزنطة الدينية ، نعم هو كذلك ! ... فما جر بيزنطة الى حتفها إلا هذه الخلافات والمناقشات الدينية الفارغة ، فقد كان ما عملت عليه هنا بأفريقية - كما فعلته بيبيا امبراطوريتها أيضاً بالشرق - ان سعت في اذكاء الخلاف الديني وإثارة التقاش بين الناس في ذلك وبثت التعصب المذهبى من مرقده ، وذلك يوم ان اعلن الامبراطور جستينيان وجوب اعتناق المذهب الكلانولىكي والفاء غيره - ٥٣٥ م - وكان الجزائريون يومئذ على المذهب الاوثوذكسي - السلفي - والمسيحية يومئذ بالجزائر منتشرة كثيراً بتواجى نوميديا وبجهات وادي سلف وقلمان والأوراس وفي الزاب ، وأخذت هذه الجهات يومئذ تهتز وتضطرب بهذه المناقشات والمناقشات الدينية واتسعت سفة الخلاف بين سائر الاوساط وكان هنالك الجدل العنيف بين الطوائف المسيحية وأرباب المذاهب ، وما يرسوا كذلك ان فاجأهم صدور قانون من هرقل الاول سنة ٦٣١ م يعلن فيه بتعاليم جديدة ينبغي اتخاذها كذهب آخر جديد ، فقابلته الرعية بالرفض ، وهنالك من حمله ذلك على الخاذ الوئبة ديناً وحدثت يومئذ القسامات دينية واختلاف كبير بين

الكنسية الشرقية والتربيـة وأخذت الحكومة في اضطهاد المخالفين لها وخاصة اليهود انتقاماً منهم حيث أعادوا الفاندال على مقاومة مذهب الروم فيها سبق ، وكثير يومـنـا الخلاف والمشاغبات الدينـية ما عـرفـ فيـ التـارـيخ باسم المناقـشـ الـبـيزـنـطـيـةـ .

وكان لهذه المناقـشـ والانتـقامـاتـ الدينـيةـ تأثيرـ شـدـيدـ فيـ سيـاسـةـ الـدوـلـةـ لـاخـتـلاـطـ السـيـاسـةـ عـنـدـ هـنـاكـ ذـلـكـ أحـيـانـاـ إـلـىـ خـروـجـ اـمـمـ بـأـسـرـهـاـ منـ حـوزـةـ الـرـوـمـ إـلـىـ غـيرـهـ كـاـحـصـ لـلـادـمـنـ ،ـ فـاـئـهـمـ لـاـ حـرـمـ جـمـعـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ بـدـعـةـ الطـيـعـةـ الـرـاحـدـةـ وـالـمـشـيـثـةـ الـرـاحـدـةـ لـلـسـيـحـ كـاـهـوـ مـذـهـبـ الـيـعـافـةـ -ـ وـمـنـهـ الـأـرـمـنـ -ـ وـقـرـرـ القـوـلـ بـطـيـعـتـنـ وـمـشـيـثـتـنـ وـجـعـ الـإـمـپـرـاطـورـ يـشـدـدـ التـكـرـ عـلـىـ خـالـقـيـ قـرـارـ الـجـمـعـ فـأـفـغـنـ الـحـالـ بـالـأـرـمـنـ إـلـىـ تـسـلـيمـ بـلـادـمـ إـلـىـ الـفـرـسـ ،ـ وـكـذـلـكـ فعلـ الـقـبـطـ بـصـرـ يـوـمـ جـاهـمـ عـرـوـ بـنـ الـعـاصـ ،ـ فـقـدـ كـانـواـ عـوـنـاـ لـهـ عـلـىـ فـتـحـهـ لـلـبـبـ نـفـسـهـ^(١) .

نعم ، وـأـنـ دـلـ هـذـاـ الجـدـلـ وـالتـقـاشـ الـدـيـنـيـ التـحـلـ الـذـيـ سـبـبـ الـانـقـامـ فيـ الـكـنـاسـ الـشـرـقـيـةـ عـلـىـ نـيـ ،ـ فـانـهـ دـلـ عـلـىـ نـمـةـ كـانـتـ خـفـيـةـ ،ـ وـتـلـكـ هيـ :ـ ذـلـكـ الـانـدـفـاعـ وـنـقـافـ الـنـفـوسـ الـذـيـ كـانـ وـلـاـ يـزالـ يـعـملـ النـاسـ عـلـىـ درـاسـةـ الـفـلـاسـفـةـ الـأـغـرـيـقـ درـاسـةـ مـتـواـصـةـ وـمـخـاصـةـ (ـأـرـسـطـوـ)ـ الـذـيـ اـخـذـ مـنـطـقـهـ اـسـاسـاـ لـجـدـلـ الـدـيـنـ .

نـورـاتـ الـبـرـ الـتـحـرـيرـيـةـ

كان بعد سفر الحكم العام الـبـيزـنـطـيـ (ـبـيلـسـيرـ)ـ إـلـىـ بـيـزـنـطـةـ اـضـطـرـابـ عـظـيمـ فيـ القـطـرـ الـأـفـرـيـقـيـ كـلـهـ ،ـ وـخـاصـةـ مـنـهـ بـالـجـازـرـ ،ـ فـقـدـ سـاءـ سـلـوكـ الـوـلـاـةـ وـالـهـيـالـ فـيـهاـ بـعـدـ سـفـرـ الـحـاـكـمـ الـذـكـرـ ،ـ وـاـنـتـشـرـ الـظـلـمـ وـالـطـغـيـانـ منـ الـحـاـكـمـ الـذـيـ خـلـقـواـ بـيـلـسـيرـ عـلـىـ رـأـسـ الـادـارـةـ الـأـفـرـيـقـيـةـ وـتـقـنـتـواـ فيـ تـوـبـعـ الـذـدـابـ الـتـنـصـبـ عـلـىـ الـأـهـالـيـ وـغـيـرـهـ مـنـ سـكـانـ هـذـهـ الـبـلـادـ ،ـ وـهـمـ فيـ ذـلـكـ

(١) جـوـجـيـ زـيـدانـ :ـ قـارـيـنـ التـدـنـ الـإـسـلـامـيـ جـ ١ـ مـ ٥ـ طـ الـأـمـرـةـ ١٩٥٨ـ مـ .

ينسرون بالدفاع عن العقيدة والدين ، وبما ما أكثر المفترض في كل زمان – الذين انحدروا هذه المظاهر الدينية لاشياع نهمهم والتوصيل إلى غاياتهم التي لا تهدو أن تكون أذانية محضة أو آراء وخصوصات لقصد سياسي تافه هو بعيد كل البعد عن الدين والعقيدة ! ...

ويومئذ انفجرت الثورة العامة من ملوك البربر المستقلين النشرين في أخاء الجزائر وغيرها من شمال افريقيـة . وكانت هنالك حروب ووقائع متسللة اضطرت القوات البيزنطية إلى التسلیم والخضوع للأهلين وغيرت يومئذ مراكز كثيرة من القطر الجزائري كانت تحت قبود الروم ، وكان من أبرز الشخصيات الجزائرية التي قاومت الاستعمار البيزنطي يومئذ الزعيم (يابداس) رئيس قبائل جبل أوراس ، بقاعدة الرئيس « كوتينا وأورتاباس » وقد اجتمع حربهم يومئذ أربعمون ألف مقابلة وسار الكل تحت زعامة يابداس فغزوا نوميديا وتهروا وسلبوا وأحرقوا البلاد وخربيـها ... وفيها كان خراب مدينة تيقادـي ، ويومئذ انهزم البيزنطيـون والتجأوا إلى إنشاء خط ثان من الحصون الملاصكة لبقاء هجرات البربر على قلاعهم وحصونـم الداخلية ، وكان من أهمـها حصن قسطنطـية وقلـة ، وكان انتـيـاد الروم في إقامة هذه الحصون والقلاع على ما كان قائـماً من قبل من المنشـآت الرومانـية كالمـآتمـات والمـلاعـب والمـابـدـ . ولقد أوجـز المؤـرـخ جولـيانـ في وصف هذا النـظامـ الدفاعـيـ بقولـهـ : إنـشاـ البيـزنـطيـون سـلـسـلـةـ منـ الحـصـونـ ،ـ أماـ الـأـولـىـ فـسـلـلـةـ منـ الـاسـتـحـكـامـاتـ تـرـبـطـ المـارـسـ بعضـهاـ بـعـضـ ،ـ وـخـلـلـهـاـ سـلـلـةـ منـ المـدـائـنـ الحـصـينةـ الـيـ كـانـ تـسـعـلـ دـائـيـ مـلـاجـئـ للـنـاسـ .

ورغم ذلك كله فالبربر دائمـاـ سـائـرونـ في خطـمـهمـ هذهـ إلىـ الـأـمامـ فـماـ وهـنـواـ وـلـاـ مـاستـكـلـنـواـ بـلـ ماـ زـادـمـ ذلكـ الاـ تـحـمـساـ فيـ مقـاـوـمـةـ الطـيـانـ البيـزنـطيـ ،ـ فـاغـارـواـ عـلـىـ الرـوـمـ فـيـ جـمـيعـ الجـهـاتـ وـتـقـدـمـواـ مـنـشـرـينـ إـلـىـ بـابـ قـرـاطـاجـةـ فـضـرـبـواـ عـلـىـ الـحـسـارـ سـنـةـ ٥٩٧ـ مـ ثـمـ كـانـ هـذـةـ ،ـ وـماـ بـرـ الـقـومـ وـأـتـقـنـ بـهـذـةـ الرـوـمـ حـتـىـ فـوـجـشـواـ بـغـرـةـ تـشـمـلـ عـلـىـ نـوـاحـيـ

هبة اوراس كلها ؛ وقتل يومئذ الرعيم بابداي (٥٤٠ م) واحتل الروم معقله (اوراسيوس) على ارتفاع ١٥٠٠ متراً واحتلوا كذلك المية واخضروا منها الزاب .

فخضع يومئذ الجزائريون الى قوات الروم المهاجمة ربئاً استعدوا من جديد للقضاء على خصمهم ؛ واستند يومئذ الخلاف وزادت الشحنة بين الفربقين وبلغ الروم في نورهم واغاد الاهالي ثورتهم فعظم الميسان في الوطن واصبحت البلاد عوج في مجرد من القوسي وعدم النظام ، وهكذا الى الفتح العربي الاسلامي .

الثقافة والحضارة والعمارة

لم ينبعنا التاريخ بذكر حالة البلاد الادبية والثقافية في العهد البيزنطي هذا ، اما فن المعمار فانه لم يكن لهم بالجزائر يومئذ سوى تشييد بعض الكنائس واقامة الاسوار حول المدن كأسوار فرطنة : تنس ، وقبصبة : شرشال ، وسطيف ، ومية ، وتقadi ، وقصر الصيحي ، وقلالة ، ومداوروش وبتبة ؛ ويقول المؤرخ غزال عن آثار البيزنطيين بالجزائر : وآثار هؤلاء باقية بنوبيديا ما عدا التحاصين فانها تدل على بؤس شديد . وقال ميرمي : كان المؤرخ بروكوب - البيزنطي - لازل افريقيا مع بليبيه - القاتح البيزنطي - دهش من عراقتها ونشاط تجارتها ونفاق اسرافها وسعادة فلاحتها ، ولكن بعد عشرين سنة لم يبق شيء من ذلك وعمر المزاب جميع افريقيا ، ويقال ان الحرب وحكومة بستانيان حلتا افريقيا خسارة خمسة ملايين من الانفس ! ... ورغم ذلك ، فانه لا مانع من ان يكون هنالك بقايا معمارية خاصة بالفن البيزنطي الجليل الذي يمتاز به عصر الروم بافريقيا عن بقية المصور الاجنبي ، ونحن نشاهد اثره فيما اخذته المأمون بعد ذلك من التقوش المزخرفة من نوع الفاشاني الملون بال تصاویر المرسومة الدالة على براعة الصناع الافريقين من روم او بور ، وقد بلغ تأثير العرب بهذا الفن الجليل ان جملوه في مساجدهم ومعابدهم الخ ... ويدرك لنا ابن فضل الله العمري مدينة

ترشال فيصفها بقوله : إنما مدينة تزيد على الوصف في اتساع الأفقية ، وارتفاع الابنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والاقبة المقودة ، والقواعد المشيدة ، والجدر السينكدة ، مما يشهد له جوال الأرض وسفار الافاق وسيار الحديث بأنه لا شيء له في تحسين بنائها وتحسين صناعتها^(١) ولا شك في أن آثار مدينة ترشال هي من بقايا ما شادته دولة الرومان الابدية ، وما حظ الروم منها الا حظ المحافظ عليها من الضياع والحمى طماها .

ولرب فائل او مسائل يقول لنا : لماذا لا ترى لlama العربية التي فتحت هذه البلاد والدول الاسلامية التي توالت عليها ما زاد لتغييرها من الآثار المعاشرة الضخمة والبنيات الضخمة والهيكل العظيمة التي تركها الرومان والبيزنطيون بهذه البلاد وغيرها مما تفجعه او استولوا عليه في سالف العصور ؟ ... فتجدهن تغيب بكلمة موجزة كان قد اجاب بها مصطفى الشهابي عن مثل هذا السؤال فقال : « ان السخرة التي كان يعرف بها الرومان وامثلهم من كبار الدول والامم السابقة هي مهنة عند اجدادنا العرب » ، وذلک لم يبنوا امثال ما يستهونا من هذه المعايد والهيكل الضخمة التي شيدتها امم اخرى فاهلكت في بنائها الآقا مؤلهة من البشر »^(٢) .

اما ثراء البلاد ونشاطها الاقتصادي فان مؤرخي شمال افريقيا كانوا ان يتقدوا باجماع على ان العرب وسددوا البلاد ساعة دخولهم كثيرة الزرع ولغرة النباتات ؛ وبذلك « دليل » ان في السهل الواسع المجورة التي تند جنوب هضبة الاوراس وفي الاقليم الجبلي الذي يتوسط سهل تونس ، في كل هذه التوامن يجد الانسان في كل خطوة آثار مدن كبيرة او صغيرة وقرى آهلة واراضي مزروعة على امتداد عظيم .

وانني لا ارى في ذلك تناقضاً او تناقضًا فيها فروناء من حالة البلاد

(١) مالك الابصار ج ١ ص ٤٤ ط القاهرة - ١٩٣٢ م - ١٩٢٤ م .

(٢) محاضرات في الاستعمار ص ٤٨ ط القاهرة ١٩٥٨ م .

الشقة البشة طلة عهد الروم . فان ذلك يعود الى اعتبار اختلاف الاوساط وطبقات الناس ؟ فالوسط المعمر هو دائمًا وابدأ يستمتع بفضل البلاد وما فيها من مراافق ثقافية او معهارية او اقتصادية او غيرها ، والمستعمرون هم الاهلون وهم دائمًا كذلك في خنك وضيق وجعل مطبق وفقر مدقع ؟ فالجزائر مثلًا اليوم ، من يراها عند المعتبرين يراها جنة عدن عليه ، ومن ينظر الى اهلها يراهم في جحيم وسيع ، وكذلك حال افريقيا على عهد البيزنطيين ، ونهج الاستعمار دائمًا هو واحد . وبالمثل فان كلًا من الفينيقيين والقرطاجانيين والبروتان انشأ مستعمرات في هذه البلاد الا ان ذلك لم يؤثر من سكانها اجمعين .

انهيار الجزائر البيزنطية

كما تغير الانان في الاسباب والتتابع التي ادت بالجزائر بل بافريقيا البيزنطية الى السقوط والاهيار الا ووجدها ترجع الى سوء الادارة ونظام الحكم الجائز ، وعدم حسن السياسة مع الاهالي باحتقارهم ومعاملتهم معاملة السيد ، وكثرة الحروب والثورات والفقن والاهوال الناشئة عن ذلك مع التصبايات المذهبية والخضم الدیني ، وضعف السلطة الرومية باعتمادها عن الجزائر مع بعد مركز الحكومة العليا عن افريقيا ، ومثابة الجند الذي لم يكن يتصل بجراه ، واستغلال الاباطرة بانقسام في قصف ولمو مع ما كانوا في حاجة اليه من الاستعداد لضرب الفرس ، وتدخل قساوسة رومة يومئذ في الحكم ونسلطهم على المكلام وغير ذلك مما دعا الى خطف سلطان بيزنطة في هذه البلاد شيئاً فشيئاً ، فأخذت الحكومة تتسحب من الشمال حتى لم يبق من املاكه آخر الامر الا ساحل ضيق ، واحتل البربر ما خلا ذلك من البلاد والمحصون ، ويومئذ افتقرت الكلمة وظهر الانحلال التام في الادارة والاخلاق وضفت الحكومة عنقيادة بفترر هم القادة وقلة خبرتهم وافتقار بعضهم بنفسه كما وفع للطريق جريبيوريوس الثاني ، او « جرجير » كا يسميه العرب ، فانه عمل على انفصال افريقيا عن بيزنطة بقطع العلاقة بينه وبين الامبراطورية الشرقية وتحصن بعاصته سيبطلة ،

بالجنوب الغربي من ولاية تونس واعلن نورته على الحاكم العسكري الذي كان يشارك في الحكم (٦٠٧ م) وحيثند اندلع لمب نار الخلاف والغوضي واستبكت الثورات في أنحاء المغرب الثلاث واستمر الحال على هذا الى ان اذن نور الاسلام بالشروع فسطع نوره بالشرق وتهدت السبيل للعرب الفاتحين ففتحوا افريقيا سنة ٦٤٧ - ٢٢ هـ - وقضوا على تلك الاضطرابات كلها وقتل جرجير في حدث طوبيل ساجدتك عنه في محله قريباً، وبعده انقرضت دولة البيزنطيين من افريقيا بعد ما قضت بها ١١٣ سنة.

ولاة الجزائر وزعماؤها

لم يشتهر - فيما نعلم - من ولاة الجزائر وزعمائها في هذا العصر الا كولومبوس أسقف نوميدية ، الذي كان له اثر فعال في انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية ، والرئيسان : كونستانت واوتياس المساعدان لزرعيم يابداس في عروبه ونورته على الروم بحسبة اوراس « ومسوناس » الذي كان سلطانه يشمل كل منطقة وهران ، وامتد نفوذه الى الاوراس و « كليلة » الاوروبي الذي سجدهنك عنه فيما يأتني ، و « الكاهنة » الشهيرة التي كان لها من الاثر في مقاومة العرب الفاتحين ما ستفعل عليه بنفسك .



مشاهير ملوك الوطن الجزائري .

الملكة

شرط الحضنة	اورثينة
موريطانيا	عصياس ^(١)
قبائل الولايات الداخلية	انطلاس
موريطانيا بأقسامها	ناسونا ماستيجاس
شرقي اوراس	قرطيبناس ^(٢)
غربي اوراس	اريثاس
اوراس	ايدباس
اوراس	بيداس
اوراس	ابيعدة ^(٣)
اوراس	اقدبياس

(١) يكتب بذلك القبائل الوريطانية والروماني وهذا ما يدلنا على امكانية التمايز بين التصرين .

(٢) قتل الروم غدرًا سنة ٥٦٣ م .

(٣) اعظم ملوك الجزائر .

أباطرة الدولة البيزنطية

نوابخ الولاية

جستنيان	م ٥٢٦ - ٥٦٦
جستين الثاني	٥٧٨ - ٥٦٦
تيريوس الثاني	٥٨٢ - ٥٧٨
موريس	٦٠٣ - ٥٨٢
فوكاس	٦١٠ - ٦٠٣
هرقل الاول	٦٤١ - ٦١٠
هرقل الثاني	٦٦١
هرقل الصغير (هرقلوناس)	٦٤١
قسطنطط الثاني	٦٦٨ - ٦٤١

من مَّا هِيَ أَجْزَاؤُهُ

بيداوس

هو أشهر ملوك الجزائر وزعامتها المستقلين بجيبل اوراس ، قاتم الاستعمار البيزنطي بكل جهوده وأذاته بأسه وبلغ من الدهاء والسياسة ان وحد كلة الابري وجمع شملهم وخاصة بهم المعارض ضد الروم . ولقد اجهظ به ووقع في المحرر مراراً ولكن نجا وتخلص من العدو في كثير من الوقائع .

جَسْدُولَ تَارِيخِي

٥٣٤ - ٦٤٧ م

تَارِيخِ المَوَادِث	
٥٣٥ م	الاستيلاء البيزنطي على افريقية ونخْم انتقام الذهب الكاثوليكي .
٥٣٩ م	الاستيلاء على ولاية الجزائر .
٥٤٠ م	سقوط الرعيم الجزائري «بابداس» في ميدان الدفاع الوطني .
٥٦٣ م	افتياح الروم غدرًا زعم شرق الاوراس «قرطباتس» .
٥٩٧ م	عصار الاهالي لقرطاجنة - البيزنطية .
٦٠٨ م	انفصال «جرجير» عن بيزنطية ونخْمه بدمينة «سيطة» .
٦٣١ م	تعاليم هرقل الدينية الجديدة .
٦٤٣ م	فتح العرب المسلمين لافريقيا - ٢٢ مجرية .

أبْنَاءُ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ

الأمة العربية

العرب جيل من الناس يسكن الجزيرة او شبه الجزيرة الواقعة بالجنوب الغربي من قارة آسيا، تحدوها شمالاً فلسطين وبلاد الشام ، وجنوباً البحر المحيط الهندي وخليج عدن ، وشرقاً آسيا والخليج القاري ، وغرباً بحر القلزم - البحر الآخر ؛ وهم من أقدم الأمم وجوداً واغرها أصولاً واكثراها في ادوار التاريخ ذكرآ ؛ فهم امة سامية سكنت في اول امدها ارض العربات او العربة ، في هامة - غرب الجزيرة - انحدرت اليها من وادي الفرات او ما بين النهرين ... وعليها نسبت وبها عرف^(١) ، ثم تفرقت هذه الامة في الجزيرة وتفرعت الى ثلاث طبقات وهي : العرب الباندة ، والغاربة ، والمستعربة ، فالباندة بادت واندثرت وهم قوم عاد ونود وطم وجديس والمهلة ومن جاورهم من سكان الاخفاف ، والطبقة الثانية هم بنو قحطان في اليمن ، واستهروا منهم دولتان : سبا وحير ؛ والطبقة الثالثة هم العدنانيون بنو اسماعيل نشأوا يكلة والمجاز ثم انتشروا ببادية الجزيرة .

ولقائهم هي من اغنى اللغات واغزرهما مادة ولفاظاً واوسماها تعبيراً

(١) لقد ذهب العلماء في اصل انتساب الكلمة «العرب» مذهب شئ ، والذي وجده الآخرون منهم انها مشتقة من الكلمة (اووري) التمرية ، ومنها سكان الحبام او الرجل ، وذلك لا يعنيها وبين الكلمة (عبر) من الاصالة الوثيق ثم اصبحت الكلمة هذه في حد البابليين والاشوريين بينيـ مدینـةـ .

واعرقها في القدم واروعها لغة ، فهي نقاوة لغات الشعوب التي سكنت هذه الجزيرة من عهد بعيد وخلامة ما تكلم به الساميون ، وهي تناثر كذلك عن اشوامها ينكرها اقرب الى اهلها السامي من غيرها ، ذات لenguages مختلفة المظهر ، متعددة الفجر ، وما من الخصائص والميزات الفرعية ما تقتصر به على سواها من جميع اللغات .

أخلاق العرب وعاداتهم

استهان العرب بالأخلاق الكريمة والسيجايا الحبيبة كالرفاه والإباء والشجاعة والشهامة والبطولة والكرم وقوة البنس وحفظ الجوار مع طلاقة في السنان ، وفصاحة في البيان ، وفيهم من خرج عن هذه الصفات مذدوداً ... وكلوا لا يهتئون الا بفلام بولد او شاعر يبنج ، او فرس نفتح ، ولا يقتخرون الا بالسيف والضييف والبلاغة ، ولم تكن الكتابة منتشرة فيهم ، بل كانوا يعتمدون الحفظ في كل شيء ، وقد جاء الاسلام وليس يكتب فيهم الا بضعة عشر شخصاً ، وعلومهم النسب والاخبار والشعر والكتابات ؛ ولم درأية بالانوار والتلجم اكتسبوها بتجاربهم ومواسمهم للاسفار ؛ ولنست لهم مدينة مادية كمدينة مصر وبابل واشور اذ اكتثروا بعيش عيشة النجوع ، وربما كانت لهم في القديم حضارة ومدينة بلغوا فيها شأناً عظيماً .

المجتمع العربي

الامة العربية كما عرفها التاريخ امة بدوية رحالة ، غير ان ما في لقائها من الالفاظ والكلمات والمواد والازان المتعددة الدالة على المعاني الاقتصادية والصناعية والسياسية والاجتماعية والعمانية كل ذلك يدلنا على مبلغ الرقي العقلي والماهدي عند العرب وان كانوا لا يألدون الحياة الحضرية ولا يأنسون بالتمام والاستقرار في مكان ، ذلك للشعبهم بالطربة وبغضهم للقيود معاً كان نوعها : فكثثرت فيهم الاسفار والانتقالات والغزو والمقاررات طلباً للمعاش وترفعاً عن المقام على الذل والمران ؛ ولم عنابة

واعتماد بتربية المواتي والانعام ، ومعاملاتهم مع الاجانب كالفرس والروم والمبشة والمند صبغة تجارية خاصة ، وهم دافعًا في طبعة المحافظين على شرف العائلة وعز القيبة واحترام الشخصية .

المعتقد العربي

لم يكن العرب في جاهليتها دين مقرر يدينون به جديماً ، بل كان شأن العقيدة عندم فوضى ، فنهم من كان على ملة ابراهيم ، ومنهم من كان بعيد الاصنام والآوثان والتنصب والحيوان ، ومنهم من كان على الفطرة ، ومنهم من كان من أهل الكتاب الى ايم البعثة .

اعقل الامم ؟ ...

لقد أحرز العرب على مكانة سامية في ميدان النشاط العقلي ، وفي صفاء النفس ولطافة الحس ما جعل الاجانب عنهم واندلاعه فيهم يشهدون لهم بذلك ؛ فقد روى شيب بن ثبة - وهو المؤرخ الحجة - عن ابن المتفق^(١) قال : كنا في مجلس عظيم فرقد علينا ابن المتفق ، وكان من اشراف الفرس وحكاياتهم ، فقال لنا : من اعقل الامم ؟ ... فنظر بعضا الى بعض وقلنا لعله ييل الى اصله ، فقلنا : الفرس ، قال ليسوا هناك ، ملکوكوا كثيراً من الارض وحروا عظيماً من الملك ، فما استبطوا بيكولهم شيئاً ! ... فقلنا : الروم . فقال اصحاب صنة ، فقلنا : الصين ، فقال اصحاب طرفة ، فقلنا : المند ، فقال اصحاب فلقة ، فقلنا : السودان ، فقال شر خلق الله ! ... فقلنا : الخزر ، فقال نعم سامة ! ... فقلنا : فمن ؟ ... قال : العرب . فمضيناها ! ... فقال ما اردت موافقتك ، ولكن اذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتي حظي من

(١) هو اول من عي في الاسلام بترجمة كتب المتفق ، ومن اشهر آله الكتاب في العصر البابلي الاول ، اسمه فارسي ولد في العراق . ولها جوباً واسم على بد عيسى بن علي عم المتفاق : كانت وفاته سنة ١٤٢ - ٦٣٥ هـ

المرفة ؛ ان العرب حكّت على غير مثال ، بجود احمد يقوته ، ويتلذّل
يجهوده ، ويشارك في ميلاده ومسيره ، ويصف الشيء بعقله فيكون
قدوة ، ويتعلّم فصيحة حمة ، ويسجن ما شاء فيحسن ويُقبح ما شاء
فيُقبح ، رفعتهم عقولهم وأعزتهم هممهم حتى نالوا أكرم الفخر وبلغوا
أشرف الذكر ، فلما شرّفهم الله بالرسول محمد بن عبد الله صلّى الله عليه
وسلم ، وهم على هذه الأخلاق الجميلة ، والفضائل الجليلة ، تنافسوا في زيادة
الفضائل ، وتسابقوا إلى تلّ العلوم والمعارف ، فاكتسبوا منها ما لم يكتبه
الآباء والأئمّة العظيمون في أقرب مدة من بناء المدائن وعمل
القناطر وفتح الحرجان ، فقد اجرى مومن بن نصير البحر اثني عشر ميلاً
إلى دار الصناعة بتونس ، وصنع ما تهطل عليه مركب وغزا صقلية وأخذها ،
ووصل عمرو بن العاص بين النيل وبحر القلزم في مدة سنة ، وجرت
فيه السفن من خلافة عمر بن الخطاب إلى ما بعد خلافة عمر بن عبد العزيز ،
احتقره من الخليج الذي في ناجة الفسطاط ، وقال له خليج أمير
المؤمنين وساقه إلى القلزم ثم ضيعه الولاة وتركه وغلب عليه الرمل
وانتفع وصار منتها إلى ذنب التساحج ؛ وقبس لهم من التصنيف في
أنواع العلوم ما لم يتيسر لأخذ قبلهم . ولقد صدق من قال : إن هذا
التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الأمم التي بلقت رسالتها
بالحیر والجلال والحق الا اربعاً : العبران في الدين والسلم ، واليونان في
الفن والعلم ، والرومانيون في النظام والحكم ، والعرب في كل اولئك جيّعاً .

ويصف بعض المؤرخين الامريكيين العرب فيقول : « ائمهم هم الذين
سبق لهم ان قادوا العالم في مرحلتين طوبتين من مراحل التقدم الانساني
طول الفي سنة على الأقل في أيام اليونان ، في العصور الوسطى ، لمدة اربعة
قرون تقريباً ، وليس ذلك ما يمنع هذه الشعوب من ان تقود العالم قافية
في المستقبل القريب او البعيد »^(١) .

وحكى المؤرخ سيدير عن هيمبولد (Hamboldt) انه قال : ان العرب

(١) الدولة العربية الكبيرة المسود كامل من ١٨

خلتهم الله ليكونوا واسطة بين الامم المنشورة من شواطئه الفرات الى اروادي الكبير ياسبانيا ، وبين العلوم واسباب التمدن فتناولتها تلك الامم على ايديهم لأن لم يقتضي طبيعتهم حرفة تخصهم اثرت في الدنيا تأثيراً لا يُشتبه بغيره ...

نم قال : وهذا حجة على انهم كما قال غيرنا - ونحن نعترف به - : اساقذتنا ومعلمنا^(١) . ويقول سيديو ايضاً : ان الكثوز الادبية العظيمة التي اوجدها العرب في ذلك العصر ونتاج ثبوthem العلمي واحترازاتهم الشديدة تهضم دليلاً على نشاطهم الفكري وتؤيد الرأي القائل بأن العرب هم اساقذتنا في كل شيء ، اذ انهم زودونا بمواد جليلة في تاريخ المصادر الوسطى ، وباسفار بعيدة في التراث ، وتركوا لنا صناعة لا مثيل لها ، وفتّاً مهارياً آلة في الروعة والجمال ، واكتشافات هامة في الفنون والصناعات^(٢) .

ويذكر الدكتور غوستاف لوبيون شأن الحضارة الاسلامية فيقول : انه كان لها تأثير عظيم في العالم ، وان هذا التأثير خاص بالعرب وخدم فلا تشاركم الشعوب الكثيرة التي اعتنق دينهم ، فالعرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البراءة الذين قصوا على دولة الرومان ، والعرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تتجهه من عالم المعارف العلمية والادبية والفلسفية فكانت مدننا لذا وألفة ستة قرون ... وظللت الكتب العلمية المصدر الوحيدة تقريباً للتدريس في جامعات اوروبا خمسة او ستة قرون ، فاذا كانت هناك امة تقر بانها مدینون لها بعمرفتنا لعلم الزمن القديم فالعرب هم تلك الامة ، لا رهان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم ان يعرف العرب بمحيل صنفهم في اتقان ذلك الكثوز النبيل اعتقداً ابداً . قال مسيو ليري : لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة اوروبا الحديثة في الأداب عدة قرون^(٣) .

(١) محاضرات المجمع العلمي العربي ج ٢ ص ١٥٨ ط دمشق ١٣٧٣ = ١٩٥٤

(٢) عصر تاريخ العرب نسيم امير علي ، تحرير وطبع رأفت ص ٢٩٥ ط القاهرة ١٩٣٨ م

(٣) حضارة العرب لغوستاف لوبيون ص ٣١ - ٤٣٠ - ٦٧٧ ط القاهرة ١٣٦٧ = ١٩٤٦

ظهور الاسلام

قضت حكمة الباري جل جلاله بانقضاء أيام الفوضى والجلود الحبيبات على العالم يومئذ ، وبانفشار غثاءة الجهل الضاربة اطاحتها على الناس . كي يسود العدل ويظهر العلم ؟ فائتلق نور النبوة والوحى على رأس القرن السابع الميلادي ، فارسل الى رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . هو الذي بعث في الاميين رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لغير خلل مبين ؟ وهو عليه الصلاة والسلام من جنس العرب يعرفون نسبه وفضله وصدقه وامانته وعفافه ، فدعاهم الى عبادة الله وحده ، وخلع ما كان يعبد آباً لهم من الجنارة والآوثان ، وأمرهم بالصدق والوفاء والعفاف وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحرام وسفك الدماء ونهاهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم وقذف المصنفات الفاسدات ، وبعاهم بقواعد الاسلام المبنى وشرعيته كلها عدل وسداد ، فانجذبت اليه التفوس الطاهرة فآمنت به وصدقه .

جاء عن «بوسورة سميت» مؤلف كتاب «حياة محمد» باللغة الانجليزية ، قال : ان من حسن الحظ الوحيد في التاريخ دون غيره ان محمدًا انس في وقت واحد ثلاثة اشياء هي من اعظم الامور وجليل الاعمال : فانه مؤسس لامة وامبراطورية وديانة ، مع انه امن وفناً كان يقدر ان يقرأ او يكتب ، فمع ذلك اني بكتاب هو آية في البلاغة ودستور قشرائع وللصلة وللدين في آن واحد . وقال الدكتور غروستاف لوبيون : «ان محمدًا اصحاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الاسلام ومنها اليهودية والنصرانية ، ولذلك فضل محمد على العرب عظيم ... وادا ما قبضت قيمة الرجال بجليل اعمالهم كان محمد من اعظم من عرفهم التاريخ ... والتعصب الديني هو الذي اهى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد»^(١) .

(١) حضارة العرب ص ١٤

لا يخفى ما كانت عليه دولتا الفرس والروم قبيل الاسلام من النزاع والتطاحن في المروء واستعمال العرب وتسخيرهم في حروبهم ، وكانت الدولتين كانت تستعمل في مصلحتها ما يليها وبما يحاربها من الامة العربية ، وقد فاتتها ان الاطاح على الفريسة قد يخلق منها مفترساً ، وكذلك كان الامر فكان استمرار هذه المروء شيئاً فورياً في ضعف الحكومة معها ، ونهيئاً للعرب في انشاء دولتهم وتدريبهم على النظم العسكرية والترتيب العسكرية ، وذلك ما ساعدهم فيها بعد وفي اجل قريب على فتوحاتهم التزامية الاطراف وبسط نفوذهم على القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا . وقضوا بالفعل على هاتين الدولتين العظيمتين في الشرق وفي الغرب : فارس والروم ، فاستبدل الله منها هذه الامة العربية المسلمة ؛ وعد الله الذين اصروا منك وعلوا الصالات لاستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتفع لهم وليرسلنهم من بعد خوفهم اهناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ... وزرید ان عن على الذين استضعوا في الارض وتعملهم الله ونجعلهم الوارثين ونذكرن لهم في الارض ونزي فرعون وهامان وجندهما منهم ما كانوا يجذرون .

ووصف عالم الماني ميزة المسلمين في فتوحاتهم فقال : « ... ينفي لكل مسلم ان يهد نفسه مسؤولاً شخصياً عن الخطط الذي يحيط به وكل ما يقع حوله ، ومامور بالجهاد لاقامة الحق ومحق الباطل في كل وقت وفي كل جهة » ، فان القرآن يقول : « كنتم خيراً امة اشرجت للناس ثارون بالمعروف وتهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . هذا هو المبرر الحقيقى للحركة الاسلامية الجهادية والفتح الاسلامية الاولى . والاستهان الاسلامي ، فالاسلام استهانى ان كان لا بد من هذا التغيير ، ولكن هذا النوع من الاستهانة ليس مدفوعاً بحب الحكومة والامميات ، وليس من الاثر الاقتصادية القومية في شيء ، ولم يكن يغزو المجاهدين الاولين الى المجاهد طمع في خفض الجيش و وخانه على حساب الناس الآخرين ، لم يقصد منه

الا بناء اطار عالمي لاحسن ما يمكن للانسان من ارتقاء روحى (١) .

ثم ان هؤلاء العرب الفاقدين لم يكونوا في تواحثهم هذه خدمة بلس او رسلاً لشعب او وطن هو من دون الاوطان الاخرى يسعون لرفاهيت او يتخصصون خدمة مصالحة وحده ويؤمنون بذلك وشرفه على جميع الاوطان ، ثم يخلعوا الا ليكونوا حكاماً ولم يخلق الا تكون عحكومة لهم ، ولم يخرجوا ليؤسوا امبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها وبشموخون ويتکبرون تحت حياتها وينزجون الناس من حكم الروم والفرس الى حكم العرب والى حكمهم انفسهم ، انا قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً الى عبادة الله وحده ، كما قال ربى بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزيد برد : « الله ابتنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده » ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام » .

فها نحن نرى الاسم وجميع الشعوب عند هؤلاء سواء والناس عندم سواسية فكلهم كما قال نبي الاسلام : كلکم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لجمعي على عربي ، ولا لأبيض على اسود ، ولا لأصفر على احمر ... الا بالقوى . وليس منا من دعا الى عصية او مات على عصية او قاتل عصية . يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خير ،

وبعد ما فتح الله على نبيه الجزيرة ونشر عليها بنوده والوته وتم فتح العراق والشام والموصى وفارس على عهد الخليفة الاول اي بكر الصديق (ض) ثم كان ثما فتح العراقيين ومصر وطرابلس الغرب (لوبيا) على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ض) وامتلك المسلمون اهم مراكز الدنيا يومئذ في اقل من نصف قرن ، فاحتذوا من مصر بالخصوص مرتكزاً لتابع الفتح بشمال افريقيـة .

Islam At the cross By Mohammad Asad (Lopold Weiss) (١)
fifth Editions p. 29

العرّب في شمال إفريقيا

قبل ان نخوض في تفاصيل الفتح العربي الاسلامي ، وجب علينا تأدية لامانة التاريخ ان نلتقي بنظرية تميذية خاطفة الى ما اشيع من تلك النظرية المتعلقة بتاريخ العرب القديم القائلة باتصال هؤلاء بشمال افريقيا ،منذ اصحاب طوال ، كما قد كنا اشرنا الى ذلك في اوائل الكتاب ، ولما جاء دور العرب الان كان حقاً علينا ان نحقق المقام بما نستطيع مما اتصلنا به من المصادر التاريخية ، وذلك ما يدفعنا الى العودة بالقارئ الكريم الى دراسة موجزة عن تاريخ العرب بشمال افريقيا قدماً .

دولة حمير وصبا بالمغرب !!!

ان موطن هذه الدولة العربية كما هو معلوم باليمين ، تلك البلاد التي اشتهرت عند الرومان باسم *البلاد العيدة* ، كما هي معروفة عند اهلها باليمين الحضراء ، وذلك لما بلغته هذه الملكة من التفوق العجيب في الخزاره والخصب ... وان ملوك هذه الدولة مشهورون في التاريخ باسم الاقبال والادواه او التابعة ، وفي كتب التاريخ خلط كبير بين ملوك سبا وحمير . وفي عدم وسنيهم ايضاً ، وثبت عارجهم بكثير من المرافات ! ...

واباً ما كان فان اول من تملك من ولد فعطان : هو حمير بن سبا وقد توارث بنوه الملك من بعده حتى صار الى الحارث الرايش الذي يرجع تاريخ حكمه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وقد اجتمع له ملك اليمين كلها ، وهو تبع الاول بلغ في غزواته الى الهند ثم غزا بعدها الترك في اذربيجان ، وكان الرابع من هؤلاء التابعة هو افريقيش بن

أبرهة ، او افريقيش ذو القرنين المسما بالصعب وهو الذي يقال عنه انه غزا بلاد المغرب كما عند ابن خلدون ، قال : وافق المؤرخون على غزو افريقيش بن قيس بن صيفي من التابعة الى المغرب كما ذكرنا في اخبار الروم ^(١) ... ويقول ايضاً : وسار افريقيش بن شمر الى افريقيبة بالبربر وكثفان فملكها ^(٢) . وان المروف من تاريخ افريقيش هذا انه حمل ذلك مدة عشرين سنة (٣٠٠ - ٣٢٠ م) . وبذكراً - ابن خلدون - ايضاً انه وصل ملك هذه الدولة العربية بالغرب الى طنجة ... ونقل عن ابن الكلبي ان حمير ، ابا القبائل اليهينة ، ملك المغرب هاتة سنة ؟ ... وان صنهاجة وكتامة من حمير ، ثم اتنا نرى هذا المؤرخ نفسه في مكان آخر من تاريخه يحكم بتزيف كل هذه الروايات ، فانتظر الى قوله في المقدمة : ومن الاخبار الواهية المؤرخين ما ينقلونه كافة - منه ! . في اخبار التابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب ، انهم كانوا يغزون من قوامهم باليمن الى افريقيبة والبربر من بلاد المغرب ... ثم انه هو نفسه يعود الى الموضوع هذا في صلب تاريخه كاستدرك او ناقص لما زيفه هنا فيقول عن هولاء التابعة : وربما كانوا يتاجوزون ملوك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والمهد والمغرب ثانية ^(٣) ... رباه ما هذا الاختراض ! ... وفي كتاب المعرف لابن قتيبة الذي قال عنه (وستنقذه) : انه من اقدم الكتب التاريخية المختصة التي يقترب الى الان من مؤلفات العرب ، ما يثبت ذلك ويؤيدنه ، قال : ان ياسر بن عمرو ملك اليمن (٣٥٠ - ٣٧٥ م) الملقب بياسر انتم لانعame عليهم ، لما سار غازياً نحو المغرب بلغ وادياً يقال له وادي الرمل فلما انتهى اليه لم يجد فيه بجازاً لكتنة الرمل ، وعبر بعض اصحابه فلم يرجعوا فامر ينصب صنم من تمحس على صخرة في شفيرا الوادي وكتب على صدره

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٤١ وج ٦ ص ١٠٦ والمقدمة من ٧١ ط بولاق ١٧٤ م.

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ٨٨

(٣) اظطر مقدمة ابن خلدون ص ٦ - ٧ وج ١ من تاريخه ص ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٨ - ٩٧ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٣٢ وج ٦ ص ٩٦

بالخط المستد : هذا الصن لايسر انعم المجري ، ليس وراءه مذهب ، فلا يتكلفون احد ذلك فيعطي . ورجع^(١) ، ولقد اثبت ابن خلدون نفسه ما نقلناه عن ابن قتيبة (ج ١ ص ٧٩) ومنه ابن الاتير في كامله (ج ١ ص ١٥٦) او بعد هذه النصوص كلها يصبح تاريخ العرب القديم بشمال افريقيا قضية ملقة ؟ .. ولاسيما اذا صح وان الاياغ سكان (ايوبيا) بافريقيا انهم انتقلوا اليها من جزيرة العرب او من جنوبها فان ذلك بما يزيدنا تأكيداً ويكون لنا كبرهان ساطع على ثبوت الانصال الوثيق بين سكان افريقيا والجزيرة العربية منذ القديم .

وسواء اصح خبر انصال هؤلاء العرب التابعة بشمال افريقيا ام لم يصح ، فإنه قد ثبت بقيناً بان ملوك الرعاة - الفراعنة - المعروفة باسم (الشاسو) او - المكوس - دم من العرب كما لا يخفى ، اتصلا بهم من بونخ السويس في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح . واستمر سلطتهم على الدبار المصرية الى سنة ١٥٨٠ ق . م . وامتد نفوذهم الى ارض افريقيا بدون ان تكون لهم فيها دولة منتظمة ، ولذلك لم يكن لهم بها ذكر يخل بتدوينه المؤرخون . وهكذا يدو الآخر السامي واضحاً يصر على عهد الاميرة الفرعونية الرابعة ونقل (يوسيقوس) فلافيوس وهو احد العتيدين من مؤرخي اليهود الاقديم (٣٧ - ١٠٠ م) : ان (افرون) بن مدينة بن ابراهيم الخليل - بين اوائل القرن ١٨ واواخر ١٩ ق . م . - جرد حلة على لوبيا واحتلها ، وان ابناء ابنته اقاموا هنالك وسموا الارض باسم افريقيا ، ولقد اثبتت البحوث والكشف العصرية الحديثة بان ابراهيم - الخليل - كان ساماً عربياً ، وانه كان يتكلم العربية ، وهي طبعاً غير العربية التي نعرفها اليوم او نكتبه ونقططها بها ، ولا هي كذلك التي بالشعر الجاهلي^(٢) . وهل هي الكلدانة ؟ .

كما انه قد صح في التاريخ بان الساميين جازوا الى افريقيا من جزيرة

(١) المارف لابن قتيبة من ٤٧٣ ط مصر ١٣٥٣ - ١٩٣٤ م .

(٢) ارجع ايضاً الى من ٤٨ من الكتاب .

العرب في ثلاث دفعات ، وكان مجئهم إليها في كل مرة من طريقين : شمالية عن طريق برونز السويس ومصر ، وجنوبية عن طريق باب المدب ، وكانت الدفعة الأولى في زمن قديم جداً لا يعرف مبدؤه ، فاختلطوا باهل البلاد الأصليين وأمتهنوا بهم ، فتولدت منهم أمم هي الأمة المصرية القديمة ، وقبائل البدو في المغرب ... والمرة الثانية كانت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً ، أو في عصور أخرى ترجع إلى ما بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد^١ . وهؤلاء العرب هم الذين اتوا بالجبل معهم إلى هذه البلاد إذ لم يكن الجبل معروفاً بها قبل هذا التاريخ ، كما انهم جاؤوا قبل ذلك بالجبل ؟ أما المرة الثالثة فهي التي كانت في قصة المиграة الأولى إلى الحبشة في صدر الإسلام .

ولقد اكتشف الدكتور (استانلي تيمبود) على مقربة من نهر (زمبر) في مقاطعة (روديا) من جنوب إفريقيا آثاراً متقدمة عليها رسوم مكتوبة استدل بها الدكتور على أن العرب قد استقروا هناك مناجم الذهب التي كان استشرها أسلافهم «عرب اليمن» قبل ذلك بعهد طوبيل . وكما ظفر الحفريون بنقوش حميرية ببعض قرى إفريقيا . فكل ذلك يجعلنا نختزل خبر هؤلاء العرب من النهاية الحميريين في شمال إفريقيا ، وقد يكون الضريح الموجود إلى اليوم بالجنوب الغربي من بسكرة المنسب إلى خالد بن سنان العبسي^(٢) هو لأحد أعضاء هذه الجاليات العربية القديمة التي ارتادت هذه الأوطان ، هذا إن لم يكن قبولاً لأحد المبشرين بالمسيحية من ذكرنا أسماءهم في صفحة ٨٦ من كتابنا هذا ؟ أو قد يكون كذلك لأحد رجال الكنيسة وأعيان مذاهبها الشهيرة ؟ ... والمستقبل كشاف .

(١) راجع الحميري للباحث ج ٣ ص ٦ ، ونهاية الارب للوري ج ١ ص ١٠٦ - ١١٠ ، والجميرا لابن حزم ص ٢٤٠ ، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢٧٠ وسليم البدان ليبالوت ج ٣ ص ١٩٣ ، وهيمن الأخبار الصديق (خطوط) ورقة ١٣ ، ومحاضرات الأدباء للأسفار ج ٢ ص ٢٧٨ ، والاصابة لابن حجر ج ١ ص ٤٤٦ ، والمؤنس لابن أبي دينار ص ١٧ ، ورحلة العاشي ج ٢ ص ٢١٤ ، و تاريخ الحبس ج ١ ص ٣٣٥ ط مصر ١٣٠٣ .

فتح أفريقية

٢٢ - ٦٤٣ م

افريقية - المغرب

اتسع مدلول لفظ افريقية على عهد البيزنطيين فشمل كل ما دخل تحت نفوذهم من هذه القارا : من برقة الى طنجة ؛ وبهذا المفه استعمله العرب في أول الامر ؛ ثم بعد ذلك أخذ لفظ افريقية يضيق شيئاً فشيئاً وبدأ لفظ المغرب في الظهور ، فاقتصر ام افريقية على ما يلي مصر غرباً الى بجاية من مقاطعة قسنطينة - الجزائر - ثم يلي ذلك المغرب حتى المحيط ، وربما أدخل فيه بعضهم الاندلس ؛ ولا شك ان لفظ المغرب حسب مدلول معناه هو ما يقابل الشرق ، ولهذا أدخل فيه بعضهم مصر والاندلس ، وقصره آخرؤن على المغرب العربي الحالي وهو الاقليم الذي يلي مصر غرباً حتى المحيط ، ثم هم يقسمونه أجزاءً بحسب الحكومات والولايات كبيرة وطرابلس وافريقيا - تونس - والمغرب الاوسط - الجزائر - والمغرب الاقصى والوس.

مقدمة لفتح

كان من الطبيعي المعقول ان يتبع العرب فتوحاتهم شمال افريقية بعدما فتحوا مصر والشام وغيرها من ممتلكات امبراطورية بيزنطة ،

والجزائر يومئذ هي ضمن هذه الامبراطورية التي غزتها العرب في الشرق ، فكان لزاماً على الدولة العربية الناشئة ومن واجبها السياسي ان تستر على خطتها في الفتح وقتابع «الملك الدولة المفروضة حينها انتشرت في الارض وابسط سلطانها في المعمورة »، وذلك توطيداً للامبراطورية الاسلامية الناشئة يومئذ في الشرق ، واماً لسلسلة الفتوحات العربية ، فقد كتب على العرب القاغنون ان يصطدموا بالروم في المغرب كما اصطدموا بهم في الشرق .

من المعقول جداً ان يفكوا فاتح مصر عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، في متابعة الفتح والاستيلاء على هذا الشهاب الافريقي ، بعد فراغه من الاستيلاء على القطر المصري وقام جلاء الروم عنه ؟ ولا شك انه بلته اخباره واتصل بها وهو يومئذ على فتح مصر ، فعرف انه من بلاد الروم البيزنطيين وان لهم فيه منعة وعزّة ، وان جزء من مصر ، وكان اهل برقة وطرابلس اذا ذاك على علاقات قوية موصولة مع اهل مصر ، حتى ان بعض قبائلها كان محدوداً من قبطها . وكانت الطرق بينها مطروفة مأوسة ، فلما فرغ عمرو من فتح الاسكندرية وجد الطريق الى برقة سهلة ميسورة ؟ فخشى من وثبة تكون من الروم ياجرون بها مصر ، او قد يغدر بمحكمه روم بيزنطة بها ، فبعث اولاً بالطلائع تستطلع له احوال البلاد ، وبعد ان اتصل بالمعلومات الكافية سار هو بنفسه فزوا برقة وطرابلس ثم صبرة او - سبوت Sabrata - ففتحها عنوة سنة ٤٤٢ م - ومن هناك بعث ابن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يستأنه في فتح افريقيا فأقرّه عمر ونهاد عن التبادي في الفتح فانلا له في كتابه الذي ارسله اليه : إنها ليست بأفريقية ولكنها المفرقة عادرة (القادرة) مفدوّر بها ، وذلك لأن اهلها كانوا يؤدون الى ملك الروم شيئاً فكأنوا يغدوون به كثيراً^(١) ، وكان ملك الاندلس صالحهم ثم غدر بهم ؟ لا يغزوها احد ما بقيت ، او قال : لا اوجده اليها احداً

(١) وكان شكلة موسى بن نصير التي تقدمت في صفحة ٥٠ من الكتاب مقتبسة من هذا ، او هي من قبيل توارد المخاطر ؟ ... فاظهرها هناك .

ما مقللت عين الماء . ويدو من كلام الخليفة انه كان على خبرة قاتمة واطلاع واسع على احوال الملك و خاصة افريقية فانه كان على بصيرة منها ومن تاريخها وطبيعة اهلها فعرف انها ليست مأمونة الجانب ولا بيسورة الفتح ولا قوية الطاعة ، فجعل ياقاف عرو .

ونستطيع ان نفهم كلام عرو هذه بوضوح تام ونشرحها على خوه النظرية التي اشار بها ابن خلدون حينما تعرض الكلام عن عصيان البر وانتهاكم على العرب وقرر ان الاوطان الكثيرة القبائل والصائب قل ان تستحكم فيها دولة ... ثم قال : والسبب في ذلك هو اختلاف الاراء والاهواء ، وان وراء كل رأي منها وهو عصبية قاتع دونها ، يكثير الانتهاك على الدولة والخروج عليها في كل وقت ، وان كانت ذات عصبية ، لأن كل عصبية من تحت يدها تظن في نفسها صفة وقوة . ثم يستشهد ابن خلدون على استنتاجه هذا بما حدث في افريقية والمغرب من احداث وما وقع فيها من فتن وثورات فيقول : « واظهر ما وقع من ذلك في افريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد ، فان ما كان في هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغرن بهم الغلب الاول الذي كان لا ينلي سرط عليهم وعلى الافريقي شيئاً ، وعاودوا بعد ذلك الى الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الائdan من المسلمين بهم ، ولما استقر الدين عنهم عادوا الى الثورة والخروج والأخذ بدين الموارج مرات عديدة ... وهذا معنى ما ينقل عن عمر من ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها ، اشارة منه الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحامية لهم على عدم الاذعان والانقياد ... »

والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان نحصي ، وكالمهم باديه اهل عصائب وعشائر وكلها هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والتي دبتها من الخلاف والردة فطال امر العرب في نجد الدولة بوطن افريقية والمغرب ،^(١) .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٠ ط بولاق ١٤٧٤

ورغم ذلك كله فإن عصيّتهم هذه لم تكن مانعة من تكبيرهم
باليسلام كما سمعناه.

ولاشك أن عمراً رأى من قوات جرجيوريوس التحصنة المددة لدفع
العرب ومقاومتهم ما يحتاج منها إلى المدد ، ولما اتصل بكلة الخليفة
خشى من المزية إذ ليس لديه من قوة الجيش ما يكفي لهاجحة البربر
والروم في بلادهم فلم يجد عمرو إذا بدأ من الانسحاب والتراجع ،
فطوى كعبه وانصرف عائداً إلى مصر بعد أن صالح أهل برقة على
ثلاثة عشر ألف دينار ، وقد ألحقت هذه الناحية بولاية مصر فاعتبرت
جزءاً منها يحكمها عامل مصرى ، يحيى خراجهما وبقى جندها .

حالة ابن أبي سرح

لقد أصبح عبدالله بن سعد بن أبي سرح عاملًا على مصر منذ سنة
٦٤٦ - ٦٤٥ م . وما كاد يستتب له الامر حتى قاتح الخليفة يومئذ
عثيأن بن عفان ، رضي الله عنه ، يخربه بقرب الروم من حوز المسلمين
ويستأذنه في غزو أفريقية ؛ وبعد ما تدور الخليفة في الامر كتب إلى
عبد الله سنة ٢٧ ، ويقال سنة ٢٨ أو سنة ٢٩ هجرية ، يأمره بغزوها ؛
وتقاطر المسلمين من مختلف القبائل على الخليفة يريدون المشاركة في هذا
الفتح وعلى رأس كل قوم نفر من كبارهم ، وكان جيش هذه الحملة
يتجمع بـ « البرف » وهو مكان يبعد عن المدينة المنورة بثلاثة أيام ،
والخليفة نفسه لا يبي إن يشبع الناس على التطوع ، فأعاد الجيش بألف
بعير من ماله : يجعل عليها ضعفاء الناس ، وحل على الحيل ، وفرق
السلاح وأمر للناس بأاعظياتهم ؛ واندمج في سلك الغزوة نفر غير قليل
من مشاهير الصحابة وأولادهم ، وقد عرف هذا الجيش بجيش العبادة .
ولما أكمل القوم خطب فيهم الخليفة مرغباً لهم في الجهاد ، فاندلأ : لقد
استعملت عليكم الحارث بن الحكم الى أن قدموا على عبدالله بن سعد
فيكون الامر اليه ، واستودعكم الله . فارتحل الجيش من المدينة في
المحرم سنة ٢٧ هـ - أكتوبر ٦٤٧ م .

ولما حار الجيش الى عبدالله بن سعد واتصل بقوات الخليفة أخذ عدته وجمع أمره واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجفني ، وبعث أمامه بالطلافع ، ثم فصل عن مصر وخرج بنفسه للفتح في عشرين الف جندي ما بين عرب من الجزيرة وقطط من مصر وبربر من افريقيه ؟ وسار حتى بلغ قونية او قودة (ولعلها كابوت فادا Caput vada المبناء البيزنطي المعروف) وهناك استقر وبدأت المفاوضات بينه وبين البطريرق ^(١) جرجيروريوس (جرجير) حاكم افريقيه وأمبراطورها المستبد ، المتربع يومئذ بعدينه سبيطة - على مائة وخمسين ميلًا جنوب قرطاجنة - وهناك عرض عليه عبدالله الاسلام او الجزيرة وطال المفاوضات ١٣ يوماً ^(٢) وكانت المفاوضات طوال هذه المدة تدور بين القوم بفترور ؛ وجرجير يومئذ مصر على الرفق ، وكان المسلمين يومئذ أدر كفهم شيء من القبور فلما الى طلب الامداد من الشرق ؟ فجاءتهم بعنة عبدالله بن الزبير فهلووا لها وكبروا وتحسوا لمقابلة الروم فتقدموا من قونية الى حيث البطريرق جرجير رابضاً في مائة وعشرين الف مقاتل ؛ ويقول الباجي : في مائة الف مقاتل ^(٣) ؟ ... فدارت المعركة بين الطرفين على مقربة من حصن عقوبة - فانهزم الروم شر هزيمة وقتل فيها جرجير ، فأقام الافارقة كيلومتراً - فانهزم الروم شر هزيمة وقتل فيها جرجير ، فأقام الافارقة عليهم مكانه « جناحة Ghenaba » فهو الذي عقد الصلح مع العرب بعد ذلك ، فأصبحت ولاية افريقيه يومئذ تحت قيادة العرب وانتشر الفاخون بكامل الولاية يقتلون وينهبون والمخاز أنغلب المهزومين الى الشرق في حصن الجم (الجم - الاعاجم) فأحاط به العرب وحاصروه بين في ففتحوا ، وفي تاريخ الحبس قال : ان فتوحات عبدالله بن سعد بن أبي

(١) لقب مدن سياسي Patrice , Patrique وهو غير البطريرك Patriarche المقدس برؤساء الديني .

(٢) وفيها تلقى عبدالله بن عباس رضي الله عنه بمجرد العرب من طرف جرجير ، حيث قال لعبدالله : ما يتبين الا ان تكون حرب العرب .

(٣) يقدر الرواة ان عدد سكان شمال افريقيه يومئذ نحو ١٩ مليوناً ...

مرح بلفت الى الجزاير التي في بحر بلاد المغرب^(١). ويومئذ بلا رؤساه البربر الى طلب الصلح من ابن أبي سرح وتعاهدوا معه على ان ينصرف عن بلادم لقاء مبلغ يقدرها البعض بيليوني وخمسة الف دينار، وبقدره البعض الآخر بثلاثمائة فنطار من الذهب^(٢) ويروى مائة الف رطل ذهب ... وزاد على ذلك ابن أبي مرح فاشترط عليهم بأن ما أصاب المسلمين قبل الصلح فهو لهم، وما أصابوه بعد الترداد رد عليهم، فوقع الاتفاق على ذلك، واقسمت الغنائم بين الفرازة، فأصاب كل فارس ثلاثة آلاف مثقال - دينار - والراجل منهم ألف وعاد البشير (عبد الله بن الزبير) الى المدينة ليقص خبر الفتح على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتب ابن أبي سرح الى نائب بصرى يأمره بانقاد المراكب الي يجعل عليها الغنائم وانقال المسلمين خشية انقلاب الروم عليه ، فكان الامر كذلك ، وعاد ابن أبي مرح الى مصر من غير ان يولي على افريقيا أحداً ولم يتخد بها مسكنراً ، وقد دامت هذه الزيارة خمسة عشر شهراً ، ثم كانت بعدها الاحداث التي عصفت بالبلاد العربية عقب اغتيال الخليفة عثمان ، فتأخر اقام الفتح الى ایام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنها .

يلتفت بعض المؤرخين عودة عبدالله بن سعد هذه وانفصالة عن افريقيا بعدما انتصر ذلك الانتصار الباهر على الروم وفاز المسلمين بفائز كثيرة ! ... وقد رد بعضهم أسباب هذه العودة الى احداث اضطررت قائد الملة الى التعبيل بالمسلمين قبل انقلاب الروم عليهم فيسلبواهم ما غنموه ، وقد لاحظنا له خوايا المقاومة التي أبداعها أهل الساحل يومئذ ، وخصوصاً اذا لاحظنا كذلك ما كان من التوتر بين قادة الجيش العربي مع ضعف الجند أمام قوات الروم والبربر المتكتثر وانقطاع العرب عن المدد ، مع اضطراب

(١) تاريخ الحسين قد يباري تكريي ج ٢ من ٤٩٧ ط القاهرة ١٣٠٢.

(٢) حاول باهوت تقدير الفنطار فقال انه يبلغ ثلاثة آلاف وأربعمائة دينار وهو عدد ثغرى ولدر « دولان » الدينار في ذلك المهر بشارة فرنكاك .

جل الخلافة بالشرق . فإذا لاحظنا ذلك كله فلا نستبعد هذه الجملة في رجوع القائد بحملته إلى مركز ولايته مصر . ولو ساعدت الظروف بيزنطة وكانت على شيء من القوات لاستعادت البلاد في هذه الفترة ، ولكنها كانت تعاني ما تعانيه نفس الدولة الإسلامية الناشئة من الضعف وأضطراب الحال .

اضطراب أفريقية

ما كاد يتصل الامبراطور البيزنطي بخبر انعقاد الصلح على الصفة المتقدمة مع العرب وبها قال العرب من مال ونشب حتى ثارت ثائره واستشرف هو أيضاً إلى مثل ذلك أو أكثر ، فامسرع إلى تعبئة بعثة عسكرية إلى أفريقية وجعل قيادتها لأحد بطارقه ، فجاءت الحلة وأظهرت رغائب الامبراطور ومطالبه القادحة وأرغبت الشعب على ذلك ، فثار الإفارقة لهذا واستندوا إلى بيان وكانت بين الفريقين حوادث دامية وأخيراً تقلب الطريق على حاكم أفريقية - خليفة جرجير - فزعه وجلس هو مكانه ؛ ويومئذ انسل هذا الحاكم المزول إلى الشرق متبعاً إلى الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان فعرضه على عودة العرب إلى أفريقية على أن يكون هو دليلاً على عورات القوم ، وما شعر الخليفة بالامر حتى فاجأه اسطول بيزنطة هاجماً الاستثنائية فكانت هنالك واقعة ذات الصواري المشهورة ٣١ - ٦٥١ م انهزم فيها الروم أيضاً .

حالة معاوية بن خديج^(١)

يدرك كثير من المؤرخين أن في انتهاء هذه الفترة التي أعقبت رجوع عبد الله بن سعد والتي دامت نحو البعثة عشر سنة هناك من اتصل من زعماء البربر بالعرب في الشرق بمحنة على العودة إلى أفريقية واستئناف القتال تخلصاً من الارهاق والاضطراب الذي حصل لهم ، وهذا صحيح

(١) ضبط صاحب معلم الاعيان ج ١ ص ١١٣ ١٤٢٠ ط تولى ١٤٢٠ للحال : خديج يتم إلقاء المسبة وفتح المجال من خديج ...

تزويد المعاشرة الحسنة التي كان يهدى الجيش الفاتح من الأهلية ، وفصة
الحاكم المعزول .

أصدر أباه الخليفة بغزو إفريقية إلى عامله على مصر وكان يومئذ
معاوية بن خديج ؛ فخرج الجيش الإسلامي سنة ٤٥ - ٦٦٦ م في عشرة
آلاف مجاهد ، وفقيهم الكثير من أعيان الصحابة من المهاجرين والأنصار ،
وجاء منهم يومئذ حاكم إفريقية المخلوع وهو الذي كان عند الخليفة يجده
على التزور ومات في الطريق وسار ابن خديج في طريقه إلى إفريقية
ففتح بعض مواطنها مثل بنزرت وجلواء وجربة وسوسة ؛ ثم عاد من
غير سبب معقول ودون أن يختلف أي أمر يذكر ؟ ...

حملة عقبة بن نافع الأولى

لقد سبق لعقبة أن عرفته إفريقية وعرفها فمارسها منذ كان مع عمرو
بن العاص في فتوحاته وبعوته الأولى فأقام بها أميراً على ما فتح منها ،
ومتجولاً مغيراً تارة ودارساً وبمشراً وتندواً تارة أخرى ، ولبت ميساً
بالتواحي حتى استعمله معاوية بن أبي سفيان على ولايتها هذه المرة
سنة ٤٥٥ - ٦٧٠ م فسار إليها على رأس عشرة آلاف جندي وانضم
إليه من كان أسلم من أهل البلاد . ففتح بهم أماكن أغلبها بولاية
تونس وكان سيره هذا بالداخل متجلباً السواحل لما فيها من الحصون
والمحارس البيزنطية .

ويشهد التاريخ حملة عقبة هذه بأنها حملة موفقة جديرة بأن تعد فتحاً
 حقيقياً لإفريقية ، كما أنه هو أحق وأجدر بلقب الفاتح من غيره من
سيقه ، وذلك لما فكر فيه عقبة يومئذ وأمه من إقامة مدينة المسلمين
في إفريقية إذ قال : إن إفريقية إذا دخلها إمام تحوموا بالإسلام فإذا
خرج منها رجع من كان أسلم بها وارتدى إلى الكفر ، وأدري لكم
بما عشرون المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تجعل فيها عسكراً وتكون عن
الإسلام إلى (أول) الدهر . وبذلك وضع عقبة الجسر الإسلامي لابتكاء

افريقية الاسلامية فأنشأ مدينة «القبروان». فلم يمرri انه قد وفق في ذلك الى شيء لم يوفق اليه غيره من الفاتحين السابقين وهو أمر ضروري في انشاء الملك وانخاذ الحصون بها.

كان الجند قبل حلة عقبة هذه بخرج من مصر مغيرة على ما يستطيع من بلاد افريقيا ثم يعود الى مصر او يرقى بالفتح او من غير غنائم دون ان يختلف في البلاد اثراً ودون ان يكون في غاراته معنى للفتح ... فاصبحت افريقيا بصنيع عقبة مقرأً يقيم به المسلمين مطمئنون فيه دون ان يعودوا الى مصر بعد كل غزوة؛ وكان افريقيا بذلك استثلت بعض الشيء - رغم قبضتها لصر - فأصبحت ولاية اسلامية ثانية، وهذه هي الحظرة الاولى نحو ظهور ولاية افريقيا الاسلامية بهذه البلاد.

ثم ان حسن الخيار عقبة لتوقيع مدينة القبروان كان في غاية الاحكام الحربية اذ كان الحاكم الذي يتخد هذا الموضوع مركزاً لاعماله - كما قال المؤرخ كودل - : يستطيع ان يرى العدو من بعيد ويتعذر من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البرير، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتوحة امامه، اذ كان يستطيع بعد مسيرة بضع ساعات الوصول الى أعلى المضاب، عن طريق وادي نزوه ووادي مرجل وملوك جبل بارجوه ومن أعلى المضاب كان يستطيع الاشراف على ما يجاورها، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك. ولقد لاحظ عقبة نفسه هذه الملاحظة الحربية لتحسين مركز القيادة الاسلامية هذا بقوله لاصحابه المؤمنين الفاتحين : افي اخاف ان يطرها صاحب القسطنطينية فهلكلها صاحب البحر يصلوا بينها وبين البحر ما لا تقدر فيه الصلاة، واحاط عقبة المدينة بسور يبلغ دوره اثني عشر ميلاً؛ وبعد ان مكث عليه بافريقيا ما يقرب من خمس سنوات استخلف باي المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد (والذي مصر) ولا نعلم عن اسباب هذا الاستخلاف او العزل شيئاً؟... والظاهر انه كان بسيع من مسلمة.

فتح المغرب الأوسط - الجزائر -

اتصب مسلمة بن محمد على ولاية افريقيا ونختها يومئذ مدينة مصر ، وقد جمع له الخليفة في ولايت هذه ما بين مصر وافريقيا والمغرب والصالة ، فشق عليه القيام بجميع هذه الاعمال المأمة كلها ، فبعث بولاه اي المهاجر دينار الى المغرب وقال : ان ابو المهاجر صبر علينا في غير ولاية ، ولا كبير ميل ، فتمن نحب ان تكافأه . فلم يلبث دينار ان اصبح اميراً على افريقيا سنة ٦٥٥ هـ واستمر على ولايتها مدى سبع سنوات فتنتهي سنة ٦٦٢ هـ (٦٧٤ - ٦٨٢ م) .

خرج عقبة من افريقيا مهاناً من طرف اي المهاجر فذهب الى الخليفة بالشام يشكرو اليه حاله ، فما زاده معاوية على ان قال له : « قد عرفت مكان مسلمة بن محمد من الامام المظلوم ^(١) وتقديمه اياه وقامه بدمه وبذلك سبته وقد ردتك الى عملك » ؟ ... ولكن مسلمة يابي ذلك ! ... قالى ما بعد وفاته ...

اتصل ابو المهاجر بافريقيا واسس بها مركزاً هو غير قبوران عقبة ولكنه يجنبه على مسافة ميلين « تيكروان » وسار في خطه غرباً الى المغرب الأوسط او بلاد الجزائر ، حيث يخدم ملك البربر « كبلة » يحيى اوراس ، فاتخذ مسلمه الى هناك بوابة بسکرة المنخفضة التي تقتل فجورة في الاطلس فتسكن من الانتصار على اهل قسطنطينة سنة ٦٩٥ هـ - ٦٧٨ م وجعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة فابتني بها دار الامارة وجعلها ملاصقة للجامع كما شاهدتها البكري بن نفسه ومكث الامير بها ستين ، وقد حظيت الجزائر بذلك - طيلة هذه المدة - بشرف امارة افريقيا الاسلامية ، وبذلك كان ابو المهاجر اول امير مسلم وطنط خليه المغرب الأوسط ، وارول من حل الاسلام الى هذه الديار الجزائرية ؛ ومنها تقدم في فتوحه الى احواز تمسان فقضى بها زماناً طويلاً احتفر

(١) يعنى مهان بن عطاء رضي الله عنه .

في آثار جنده تسمى باسمه «عيون أبي المهاجر»، وعند ذلك ظهر بخاصة كسبيلة فعمل عليه حملة متعددة وعرض عليه الاسلام فأاعتصم به، وحينئذ خلى عنه الامير وأبقاء معه، ثم كان بعد ذلك حصار الروم بقرطاجنة فنزلوا له عن شبه الجزيرة «شريك».

اتفق المؤرخون لاعمال أبي المهاجر في الفتوح بأنها كانت على جانب عظيم من الاهمية والخطورة، فإنه أول من جعل غاية الاخرية فتح البلاد وتثبيت قدم العرب والاسلام فيها، فهو لم يعاشر الروم على ان يتصرف على فرطاجنة كما فعل غيره لتأهيله فدية من المال وانما طلب اليهم ان يتنازلوا له عن جزء من البلاد لانه لم يطلب الغنم والعودة، وانما كان يرغب في اقام فتح البلاد، وان سياسة كانت ترمي الى تفريغ البربر وكسبهم بالمرودة وحسن المعاملة.

حملة عقبة بن نافع الثانية

فضلت حكمة الباري ان يبق وعد معاوية لعقبة معلقاً حتى بعد وفاة الخليفة نفسه ووفاة والي مصر مسلمة بن محمد أيضاً. وما كان لعقبة أن يأس من مجده ساعة ينفذ فيها وعد معاوية، وقد حان الوقت الان فرجع عقبة الى عمله بأمر صدر من اليزيد بن معاوية وقد مات المعارض - مسلمة - فبدأ عمله بافريقية سنة ٦٦ هـ - ٦٨٢ م وان أول ما قام به من الاعمال هو الاعتناء بجذرة القبروان فأعاد عمرانها واقتصر من سببه أبي المهاجر فأوْفقه بالتحديد، ويقال انه وجد بجزئته مائة الف دينار، وأخذته منه هو وسكنية (الملك البربرى) وتوجه بها في خمسة عشر الفاً من جنوده الى فتح البلاد وتدعيم اهلها، ففتح طريق السهل ونجحت المسير على المضبة الورقة ففتح في طريقه مدينة «باقاية»، - شرق جبل اوراس قرب خنشلة - وذلك حيث تمحض له البربر والروم للتاوته، فقاتلهم قتالاً شديداً ونعم منهم خيلاً لم ير أصلب منها ولا أمرع وهي من نجاج خيل اوراس، ومنها توجه الى مدينة

ليس - ليز ذلك الحصن البيزنطي المعروف وكانت المقابلة هنالك أشد وأعظم وأصاب بها مفاجم كثيرة ، وكه المقام عليها فوصل إلى الراب وأحاط بعاصته يومئذ «أذبة» ، على مرحلة شرق المسيلة وكان حولها ثلاثة وستون قرية كلها عاصرة ، وهنالك احتشد له جيش العدو فقاتلهم بها قتالاً عنيقاً وما زال بهم حتى بده شملهم فأطاعوه ، ومنها توجه إلى «تيهرت» ، وكان بها حصن بيزنطي قديم اقتل فيه العرب والروم والبربر فلم يكن لهذين طاقة بالعرب إلا أن الأمر اشتد على المسلمين أكثر من ذي قبل لقتلهم أمام جيش العدو المبارزة ، ومن هناك انحدر عقبة من المضبة إلى السهل الساحلي وسار إلى المغرب الأقصى وعرض في طريقه على قلسان ودخل طنجة ففتحها واحتل مدن المغرب وتقدم إلى التخوم حتى بلغ المحيط الاطلسي وكان بصحبته أبو المهاجر ، وقد حكى هذا عن أميره فقال : «بلغ عقبة بن نافع في غزوته إلى الروس الأذن والروس الأقصى والبحر المحيط وأدخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لب فرسه وشهر سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول بأعلى صوته : يا رب لولا هذا البحر لضي في البلاد مجاهداً في سبيلك ! ...

واقعة تهودة

عاد عقبة أدراجه بعد أن اعترضه البحر عن التقدم في الغزو والفتح راجعاً إلى القبوران ، وكان معه أسيره كسبلة فحسب في مهنة وذل . وعلم به أبو المهاجر المكتب يومئذ بالتحديد فتعذر عقبة عن إهانة الملك البربرى قائلاً له : «ما هذا الذي صنعت ؟ ... كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يستألف جبارية العرب كالآفروز بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ، وأنت تحب إلى رجل هو خيار قومه في دار عز » قريب عهد بالكفر فقصد قلبه ! ... توقي من الرجل فاني أخاف فتكه ! ، فلم يلتفت عقبة لنصيحة دينار واستمر على إهانة كسبلة ، واستطاع هذا أن يغير دون أن يشعر به عقبة وقد عرف الطريق الذي يسلكه عقبة في

مسيره الى القبروان من قوله الجندي قبل ذلك : امر الى مدينة نهودة والى مدينة بادس اعرف ما يكتفيها من المدة والجيوش - وكان في ذلك الوقت من اعظم بلاد الجزائر - فاعتبره هنالك كسيبة في قومه وقد نكنا عهم ، واستمر عقبة متوجهًا الى القبروان وقد دبرت له مكيدة اخرى في طريقه حينما كان سائراً الى المغرب الا وهي فسakan هنالك من تقبه بدم الابار خلله ليقطع عليه سهل المودة ويضل عليه الطريق ؟ وما بلغ عقبة مدينة طبقة : بربكة حتى اطمأن على نفسه فاذن بعض الفرق من الجندي بالتقدم امامه والسبق الى دار الامارة : القبروان ، ولم يبق مع عقبة يومئذ من الجندي سوى نحو ثلاثة فقط ؛ وكان فيما حضر مع عقبة من بور الجزائر في هذا القتح واتبعه الى البحر الضييق بالموس : قبيل بني عبد الواد ومنهم هلوك تمسان فيما بعد - فانهم أبلوا في هذه الفزوة البلاه الحسن فدعا لهم عقبة واذن في رجوعهم قبل استئصال الرخف^(١) . وحينئذ اسرع اليه البربر والروم وقد سنت لهم الفرصة يومئذ لقتاله وظهرت كسيبة على رأس الجندي المغارب .

ويذكر ابن الاثير ان ابو المهاجر حين رأى عقبة كسيبة ومسيره نحو المسلمين قال لعقبة : « عاجله قبل ان يقوى جمه » ثم يقول « فزحف عقبة ففتحت كسيبة عن طريقه ليكتفى جمه » ، ولقد مثلت كسيبة من طرف قومه عن الخرافه عن طريق عقبة قليل له لم تنتهي من بين يديه ونحن في خمسة آلاف ؟ فقال « اناكم كل يوم في زيادة وهم في نقصان » ، ومدد الرجل قد افترق عنه فاذا طلب افريقيه زحف اليه ، ولما رأى ذلك ابو المهاجر قتل بقول ابي محجن التيفي :

كفى حزننا ان ترتدي الجيل بالثنا واتراك مشدوداً عليّ وناينا
اذا قت عناي الحبيب واغلقت مساعي من دوني قضم المناديا
وحيثند ادرك عقبة خطأه في سياسة مع العامل البربري كسيبة ولات

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ٥٩ ط بولاق ١٩٨٤

حين مناص ! .. فامصرع الى ابي المهاجر فأطلقه وقال له « الحق بال المسلمين وقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة » ، فانقض دينار من قول عقبة واصحابه بقوله : « وانا ايضاً اغتنم الشهادة ! .. ووقدما جنباً لجنب متبليين في كفاح العدو وتوجل القوم وكسروا جقان سيفهم ونزل الصبر واستلعم عقبة واصحابه ، رضي الله عنهم » ، ولم يقتل منهم احد وكانت زهاء ثلاثة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد وفيهم ابو المهاجر (توک) اصحابه في اعتقاله فأبلى ، رضي الله عنه ، في ذلك اليوم البلاه الحسن واجداد الصحابة رضي الله عنهم او تلك الشهداء عقبة واصحابه بكلهم ذلك من ارض الزاب لهذا العهد (بالجنوب الشرقي من مدينة بسكرة - الجزائر -) وقد جعل على قبور عقبة اسنية ثم جصع والخذل عليه مسجد عرف باسمه وهو في عدد المزارات ومطان البركة بل هو اشرف مزور من الاجداد في بقاع الارض لا توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه ^(١) ، وكان استشهادهم رضي الله عنهم ستة .

ويروى بعض المؤمنين من علماء الآثار وتحف الفن ان باب مسجد سيدى عقبة القائم اليوم بنفس الفريح هو من صنع عهد عاشر الدولة الزيرية الامير المغر بن باديس الصنهاجي ، وذلك اعتقاداً منهم على ما دلت عليه قرائع هذا الفن ودلائل المتركزة على فرائض الاحوال والاستنتاجات الفنية ^(٢) .

ذلك كسبلة

بعدما انتصر كسبلة على القاتع العربي عقبة في واقعة هودة المشهورة ،

(١) این خلدونج ٤ من ١٨٦ وج ٦ من ١٤٦ و ١٤٧ والمغرب البكري من ٧٤ ط الجزائر ١٩١١ م والاستعمال من طفيها ١٨٥٢ م وانظر این الاین والتوري ايضاً

(٢) Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman - Alger 1957 — p. 151

ذهب توا الى مركز القيادة العربية وعاصمة الاسلام الجديدة بافريقيا :
القيروان ، وكان بها يومئذ زهير بن قيس البلوي خليفة عقبة ؟ فاعترض
هذا اولاً على القاومه ثم عدل عنها نزولاً عند رأي الجماعة وتغيير اولى
الثورى ؟ فانتقل منها سنة ٦٥٥ - ٦٨٤ م منحلاً الى يرققة . وترك افريقيا
غاراً تلظى ، ففتحت الودة وكثرت المنازعات والمنابعات السياسية وبقي
الامر على ذلك الى لقاء الفتح على محمد حسان ابن النهان .

ويخروج زهير من القيروان خرجت افريقيا عن ايدي المسلمين ووقفت
يد كسبية البربرى التصافى ، فثبت فيها ملكاً طيلة هذه الفترة التي بين
استشهاد عقبة وعودة زهير بن قيس البلوى ، اي مدة اربع سنوات ،
ما دعا العرب الى فتحها من جديد والزحف اليها سنة ٦٩٥ - ٦٨٨ م .

-

أُمَّرَاءُ افْرِيقِيَّةٍ وَحُكَّامُهَا

تَارِيخُ التَّوْلِيَّةِ

عُبُودُ بْنُ الْعَاصِ	٦٤٣ - ٦٢٢ م
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ	٦٤٨ - ٦٢٧ م
مَعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجَةِ الْكَنْدِيِّ	٦٦٥ - ٦٤٥ م
عَقْبَةُ بْنُ نَافِعِ الْهَبْرِيِّ	٦٤٩ - ٦٢٠ م
أَبُو الْمَاهِرِ دِينَارٍ	٦٧٥ - ٦٥٥ م
عَقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ (الثَّالِثَةُ)	٦٨٢ - ٦٦٢ م

الخلفاء

تاريخ الولاية

عمر بن الخطاب	٦٤٢ - ٦٣٤ م	١٣ - ٥٢٣ هـ
عثمان بن عفان	٦٥٦ - ٦٤٤ م	٢٣ - ٥٣٥ هـ
علي بن أبي طالب	٦٥٦ - ٦٤٠ م	٣٥ - ٤٠ هـ
معاوية بن أبي سفيان	٦٨٠ - ٦٦٩ م	٤٠ - ٤٩ هـ
يزيد بن معاوية	٦٨٠ - ٦٦٣ م	٦٣ - ٦٣ هـ
معاوية الثاني	٦٨٣ - ٦٨٣ م	٦٣ - ٦٣ هـ

جَسْدَوْلٌ تَارِخِيٌّ

٦٣ - ٢١

٦٤٢ - ٦٨٢ م

تاریخ المروادت	اُهم الاحداث بالجزائر على عهد الفتح الاسلامي
٦٤٢ م = ٢١	طبعۃ عقبة بن نافع الفهري بافريقيۃ ، في شهر ذی العقدة - سبتمبر .
٦٤٣ م = ٢٢	مسیو عمرو بن العاص الى برقة وفتحها وفتح فزان .
٦٤٣ م = ٢٣	فتح طرابلس وصبرة - بعث ودان - عود عمرو من افريقيۃ .
٦٤٤ م = ٢٧	حملة عبدالله بن سعد بن ابی سرح على افريقيۃ .
٦٤٤ م = ٢٨	موقعۃ سیطة .
٦٤١ م = ٤١	بعث عقبة التمہیدی الى الصحراء .
٦٦٥ م = ٤٥	حملة معاویة بن حدبیع على افريقيۃ .
٦٦٩ م = ٤٩	حملة عقبة بن نافع الاولی على افريقيۃ .
٦٧٠ م = ٥٠	اختلطان القیروان .
٦٧٤ م = ٥٥	ولاية ابی المهاجر دینار على افريقيۃ وفتح المغرب الاوسط : الجزائر .
٦٧٨ م = ٥٩	حضار ابی المهاجر لقرطاجنة .
٦٨٢ م = ٦٢	بعد ولاية عقبة بن نافع الثانية ، وحملت الكبیری على الشمال الافريقي کله .
٦٣ م = ٦٣	موقعۃ ترودة واستشهاد عقبة - انتصار کبلة على عرش القیروان .

مواصلة الفتح

حملة زهير بن قيس البلوي

اذا كان اولو الامر في الدولة الاسلامية مخربين فيها ماضى بين ان يواصلوا الفتوح او ينصرفوا عنها ، و اذا كانت النزوات على المغرب قد ظلت الى الان وهنَا برغبة الخليفة او الحاج عامل مصر ، فقد اصبحت اعادة ما كان قد تم تجاه الى الطاعة ، و اقام قتح بقية البلاد كما قال الاستاذ حسين مؤنس : ضرورة لا بد منها ، لا لل المسلمين وحدم بل للغرب واهله كذلك ؟ فلقد ظل رجال الامبراطورية البيزنطية بعد استشهاد عقبة يختلون الولاية الفضلىة احتلاً قريباً والشريط الساحلي من الولاية الداخلية والجزء الاكبر من نوميديا ، وظل الروم على اتصال بالملك البريسي كسبيله وقد عاد اليهم نشاطه لاستعادة ملكتهم بهذه البلاد فتبىء بذلك كله الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، ورغم ما كان يحيط به في الشرط من ثورة ابن الزبير واضطرابات الشيعة فلقد امر بتولية زهير بن قيس البلوي اميرآ على افريقيا ، سنة ٦٩ - ٦٨٨ م وبعث اليه بأربعة آلاف جندي عربي انتصمت الى جيوش زهير التي تبلغ الالافين من البريسيين ؛ وكان زهير بعد منصرفه من القیروان متيماً بیوقه فسار على طريق الساحل حتى اقنى الى جوار القیروان وعسكر بجوارها ؟ وما كاد كسبيله يتصل بمحور حملة زهير هذه حتى جمع اليه قرمه وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال : « قد رأيت

ان ارحل (من القبروان) الى بمش^(١) فائزها فان بالقبروان خلقنا
 كثيراً من المسلمين ولم علينا عهد فلا تقدر لهم ونخاف ان قاتلنا زهيراً
 ان يتب هؤلاء من ورائنا ؟ فاذا نزلنا بمش امتهن وقاتلنا زهيراً فان
 ظفرنا بهم بتعناهم الى طرابلس وقطعنوا ازهم من افريقيه وان ظفروا بنا
 قاتلنا بالليل وبمحونا ، فماجاوه الى ذلك ورحل الى « بمش » وخرج زهير
 راسحاً بمحوده الى بمش ، فكانت هناك المعركة الحاسمه التي انجلت عن قتل
 كليلة في اصحابه وفارار من بقي منهم معتصماً بالليل فادر كهم جيش
 العرب فقتلتهم ، وبعد ما حوال زهير في ارجاء اعمال القبروان ورأى ان
 همته قد انتهت بأخذ الثار من قاتل عقبة وتخلص المسلمين من عدوهم
 ولـى مسرعاً الى برقـة فـاتـلا : اـنـى ماـقـدـمـتـ الاـلـلـجـهـادـ وأـخـافـ عـلـىـ نقـيـ
 انـتـيـلـ يـيـ الـدـنـيـاـ فـاهـلـكـ . ولـستـ اـرـضـيـ بالـدـنـيـاـ لـاجـلـ مـلـكـهاـ وـرـغـدـ
 عـيـشـهاـ وـتـنـازـلـ عـنـ لـوـايـهـ عـنـ طـوـاعـيـهـ مـنـ نـفـسـهـ وـلـكـنـ الرـومـ اـغـتـسـلـواـ
 خـلـوـ الـبـلـادـ مـنـ اـمـيـرـ وـتـوـغـلـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ النـوـاحـيـ الـفـرـيـقـيـهـ بـمـهـمـ مـلـوـيـهـ فـادـرـواـ
 الـأـسـتـدـادـ فـيـصـرـ الـقـسـطـنـطـنـيـيـهـ فـامـدـهـ باـسـطـولـ ضـخمـ عـرـجـواـ بـهـ عـلـىـ بـرـقـةـ
 فـابـصـرـمـ زـهـيرـ هـالـكـ بـاـيـدـهـمـ الـأـسـرـىـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ ، فـاقـامـ عـلـىـ عـارـبـهـمـ
 حـتـىـ اـسـتـهـدـ هـوـ وـاصـحـابـهـ فـيـ حـوـمةـ الرـغـنـ رـحـمـهـ اـهـ .

حـلـةـ حـسـانـ بـنـ النـهـانـ

كانت مقامة زهير بافريقيه متوجهة في القابل الى ناحية بور الشمال ،
 وهم أقوى عناصر المقاومة يومئذ ، وهم الذين اسقطوا عقبة في اليدان ،
 ولكنـهـ معـ ذـلـكـ اـغـلـلـ نـاحـيـهـ الرـومـ ، وـمـ عـنـرـ المـقاـوـمـةـ النـاكـيـ ، فـلـمـ يـحـفـلـ
 لـهـ لـانـ رـيـجـهـمـ كـانـتـ قدـ سـكـنـتـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ وـلـمـ يـكـنـ يـتـوـقـعـ اـنـ
 يـسـتـيـظـ الرـومـ مـرـةـ اـخـرىـ كـماـ قـالـ حـسـنـ مـؤـنـسـ وـيـمـوـدـواـ اـلـىـ مـحاـوـلـةـ اـسـتـعـادـةـ
 الـبـلـادـ ، فـماـجاـوـهـ هـذـهـ الـمـاجـاجـةـ الـتـيـ اـسـتـهـدـ فـيـهاـ بـرـقـةـ ، لـهـذـاـ كـانـ مـقـتـلـهـ

(١) بـمشـ اوـ مـسـ Mamma مدـيـنـةـ بـيـزـنـطـيـهـ حـصـيـنـةـ قـدـيـعـةـ لـقـعـ بـجـنـوبـ الـقـبـرـوـانـ كـانـ
 مـنـ خـارـسـ الـبـلـادـ الـثـانـيـ الـكـبـرـىـ

منهاً خلقه من بعده إلى أنه لا يتم هذا القتيع إلا إذا عمل على استئصال النصر البيزنطي من البلاد ومن هنا كان على الفاتح الجديد أن يتوجه بهسه نحو الروم .

يدرك المؤرخون من العرب خلقة حسان هذه عدة تواريخ فهم مختلفون فيها ما بين سنة ٧٣ إلى سنة ٧٩ على أن الراجح من تلك الروايات كلها هو سنة ٦٩٥ م حينما يؤكد ذلك مؤرخو الروم أيضاً فهم متقدرون على أن حسان هاجم قرطاجنة هجومه الأول في هذه السنة .

سار حسان مسرعاً إلى إفريقيا بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان وكان عدد جيشه اربعين ألفاً وهو أعظم عدد عرفه إفريقياً بليش العرب منذ ابتداء الفتح ، ولم يشهد الإقارة حيث اسلاماً عظيماً قبل هذا ، فاجتاز بيرقة وطرابلس وهناك وجد نفراً من المسلمين - ما بين عرب وبربر - فأخذهم معه وسار أولاً إلى القبرص ومنها حل على قرطاجنة إذ لم تزل يومئذ بيد الروم لم يغزوا المسلمون بعد لحسانتها واتصالها بالبحر وقربها من مقلية حيث كانت الإمدادات تأتيها بسرعة ، فحاصرها حسان مرتين فاستعاد الروم بذلك إسبانيا القوطية^(١) الذي ازعجه اقتراب العرب من بلاده ، فرجع إليهم حسان للمرة الثالثة فقضى عليهم القضاء الأخير وامر بهدم المدينة وتخربيها حتى لا يبقى الروم ولا قبربر مطبع في التستر بمجرد أنها وخصوصها ، وبذلك قضى على آخر معقل للروم بهذه البلاد ثم عاد إلى القبرص ، وانطلق الروم على وجههم متوجفين مشردين في البلاد فدخلوا بورقة - من القطر الجزائري - وغيرها مما وراء البحر كقصبة وسردانيا والأندلس ...

يوم البلاء ! ...

اطلق المؤرخون هذا الوصف على ذلك اليوم الذي التقى فيه حسان

(١) القوط هم قوم من الشعوب البربرية الجرمانية التي بسطت من شمال أوروبا في أوائل القرن الخامس الميلادي قهوة سرج الامبراطورية الرومانية وكان من تصفيها إسبانيا .

بالكاهنة وما كان اطلاقاً . المؤرخين ذلك من قلقاء انفسهم ، سلا ، وإنما هي تسمية اتصلت بهذا اليوم منذ جريان تلك الحوادث المئات فيه : حوادث الكاهنة وحسان ، وذلك - لا شك - هول الموقف وما حقق الناس يومئذ من الفزع الأكبر ! ...

ما كادت الكاهنة تتحقق من اتصال العرب بالجزائر ، وما كادت تتسامع بเสير حسان إليها حتى رحلت مسن الجبل - الاوراس - في عدد لا يحصى من قومها جراوة ، وجراءة هذه هي احدى قبائل الباري الحضر المقيمين في الاوراس ، فمطرت رحالها عند باغایة ، وهي مدينة حصينة على سفح الاوراس قرب خشلة ، تقوم من الجبال مقام الباب من الدار ، وهي لا شك تقصد من ذلك ان تكون على مقربة من مواطن جراوة الاصحية في الاوراس لكي تستمد منها العون او تطلب النجاة فيها اذا دارت الدائرة عليها ، وكان مجرد وصولها الى باغایة ان امرت بهدم اسوارها وحصونها خشية من تحصن العرب بها ، ولو أنها استبقتها قومها لكان اولى بها في سياستها الحربية من ذلك التعطيم ، فقد ظهر منها بذلك أنها لا تحسن الخلط الحربي ، ثم سارت من هناك الى مدينة (سكنانة) (مسكينة) على مرحلة من باغایة وبجاية بجهة قسنطينة .

وسار حسان من القبوران حتى دخل تبنة ومنها اتجه نحو الشمال الشرقي في وادٍ كثیر التهيرات والاخوار والزروع حتى ادرك وادي نيني وهو الذي سماه ابن عذاري بوادي سكتانة ، ويسمى ابن خلدون مسكنة ، اي بين عين البيضاء وتبنة . ويقول ياقوت ان نيني واد شهير في طرف افريقيا ، وهناك عسكر حسان ، وجعل ينتظر الكاهنة ، وكانت المعركة خسارة على العرب وهم بعد مجهودون من آثار حلة فرطاجنة وما قاتلها فانهزموا انهزاماً شنيعاً واسرت منهم الكاهنة ثانية رجالاً ، ثم اطلقتهم واحداً خالد بن يزيد القبيسي وقيل العبيسي فتبنته لما رأته عليه من الجمال والشجاعة ، ولم تكتف الكاهنة بهزيمة العرب في قلب الاوراس بل قتلت حسان حتى اخرجته من حدود افريقيا واطمانت على سلطانها منه ثم عادت ادراجها .

تنهى حسان الى برقه ، وبنى هناك قصوراً سميت بقصور حسان ، ومنها كتب الى الخليفة يعرض حاله عليه ويبيط له ما حدث ، وما جاء في رسالته هذه قوله : ان امم الغرب ليس لها غابة ، ولا يقف احد منها على نهاية ، كلما بدت امة خلفتها امم ، وهم من الخلف والكثرة كساقة النعم ... فعاد اليه الجواب من امير المؤمنين يأمره بالاقامة حيث وفاه الجواب . فذلك ما حل حسان على المكث يومئذ برقه ثلاثة سنوات وبضعة شهور « وملكت الكاهنة افريقيه كلها واسامت السيرة في قومها وعسفهم وظلمتهم » .

الكافحة في تحطم وتخريب البلاد

يبدو أن الكاهنة لم تدرك تطور سياسة الفتح بعد مقتل عقبة وبعد قيام مدينة القيروان ، فاتها كانت ترى أن العرب لا يزالون يريدون من الفتوح الا امراً واحداً : الاموال والغنائم والاسلاب فقط ، وقد فاتها لهم اليوم غيرم بالامس وان خطتهم السياسية في الفتح تغيرت منذ انشاء عقبة القيروان وسقط بنفسه شهيداً في الميدان ، فاتهم اصحابوا لا يريدون من مغازيم الا استكمال الفتح بادخال الاسلام على اهل البلاد ، ولكن الكاهنة لم تشعر بذلك كله رغم كهانتها ! ... فلما وأت ابطال العرب عنها قالت قبرير ان العرب اذا يطلبون من افريقيه المدائن والذهب والفضة ، ومحن اما زرید منها المزارع والمراعي ، فلا ترى لكم الا خراب بلاد افريقيه كلها حتى يأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر ، فوجهت قومها يقطعن الشجر ويدمرون المتصون وذلك ما يسمى بسياسة الارض المحترقة La Terre Brûlée مثل ما فعلت روسيا في حربات نابوليون (١٨١٢ م) ... وقد كانت افريقيه على ما يروى ظلاً واحداً من طرابلس الى طنجة مسيرة الفي ميل في منه ، كلها مданى منتظمة وقرى متصلة حتى انه لم يكن في اقليم الدنيا أكثر خيرات ولا أدخل بركات ولا أكثر مدانى ومحضناً منها ؟ ...

اقام الفتن

لقد اثار صنيع الكاهنة هذا احتقان الكثرين من اهل البلاد وأدركوا انها سياسة خرقاء ، ففيهم من أظهر الاعتراض فارفعته ، وفيهم من سالم على مرض ، وعم الاستثناء البلاد ، الامر الذي بلغ بعضهم ان سعى في استقدام حسان متصرراً له ، وجاءت الحامية من دار الحلة سنة ٨١٥ - ٧٠٠ م فكتاب حسان يومئذ خالد بن يزيد في ذلك ، فاجابه في ظهر الكتاب : « ان البربر متفرقون لا نظام لهم ولا رأي عند الكاهنة عينا على البربر وجد في المسير » . مما يدل على ان خالداً يقي عينه عند الكاهنة عينا على البربر ويومئذ سار حسان قاصداً معلم الكاهنة بالأوراس ، فلما قرب من البلاد تقه جمع من أهلها يستغيثون به ضد الكاهنة فقدموا اليه الاموال والطاعة ، فسره ذلك ، وكانت له هذه أول خطوة في تحقيق النجاح من غزوه .

ولما رأت الكاهنة ما أصبح عليه أهل البلاد من التفود عنها والاقبال على الفاتحين العرب ، تحققت المية وتوقعت السقوط بيد حسان فاستكشفت ان نسل نفسها ووجدت ذلك عاراً عليها فاستأمنت تولدتها من حسان بواسطة خالد وأخذت هي في اعداد ملجاً لها بمبيل اوراس ، وهناك كانت المقاتلة بين الفريقين في جيوش عظيمة من كلا الطرفين ، فانتصرت يومئذ الجيوش العربية وهربت الكاهنة منزهة تويد قلعة بسر تحصن بها فأصبحت القلعة لاصقة بالارض فمضت تويد جبال اوراس ومنها صنم كبير من خشب تعده قببها حسان حتى أدركها وانتصر عليها وقتها عند بئر الكاهنة ، وتزل الموضع الذي قتلت فيه ، ويقول ابن خلدون : انها قتلت بمكان السر المعروف بها لهذا المعهد بمبيل اوراس واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة ، وعلى ان يكون منهم اثنا عشر ألفاً مجاهدين معه فأجابوا وأسلوا وحسن اسلامهم ، وعقد للاكبر من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل اوراس^(١) وكان الفراغ من وقائع الكاهنة في رمضان سنة ٨٢٥ (اكتوبر ٢٠٠١ م) .

(١) مسلم الاعيان ج ١ ص ٦٠ - ٦١ و تاريخ ابن خلدون ج ٦ من ١٠٩

وكتيراً ما وأينا علماء العرب الفكيرين وكتاب الكتاب منهم يأسفون
جد الأسف على عدم متابعة الفتن الإسلامي وعدم تيسيره للعرب في
أوروبا ، نظراً لما جاء به هؤلاء الفاتحون من الرق والخمار ، فهذا
الدكتور غوستاف لوبيون يقول : « ... يروى أن موسى بن نصير فكر
بعد فتح إسبانيا في العودة إلى بلاد الغول - فرنسا - وإسبانيا وفي
الاستيلاء على القسطنطينية وفي احتضان العالم القديم لاحكام القرآن ، وأنه
لم يقعه عن ذلك العمل العظيم سوى أمر الخليفة إيهان بان يعود إلى
دمشق ، فلو وفق موسى بن نصير بذلك سجعل أوروبا مسلمة ولحق
للام المتدينة وحدتها الدينية ولا ينذر على ما يحصل أوروبا من دور
القرون الوسطى الذي لم تعرفه إسبانيا بفضل العرب » . وانتهت إلى
« كلود فارير » الأديب والكاتب الفرنسي الكبير وهو أحد أعضاء مجمع
الأكاديمي بباريس كيف لم يخف حزنه وجزعه الشديد من المفاجأة التي
اصابت العرب في وفاته « بواتي » باريس فرنسا ، وهي الوفاة المشهورة
ببلط الشهادة ، قاسمهما إليه أذ يقول : « في سنة ١١١٤ - ٧٣٢ م
حدثت فاجعة رعايا كانت من أيام الفجائع التي انتصبت على الإنسانية في
القرون الوسطى ، وكان منها أن غمرت العالم العربي مدة سبع قرون
او ثمانية أن لم تقل أكثر - طبقة عية من التوحش لم تبدأ بالتبهد
الاعلى بعد النهاية (لا رونيسانس) ... هذه الفاجعة هي التي أريد أن
امقت حتى ذكرها ، واعني بها الانتصار البيض الذي ظفر به على مقربة
من بلدة (بواتي) - قريباً من بلدة (تود) في مقاطعة (شامبانيا)
أو تلك البربرية المغاربة من الأفرنج بقيادة الكارلوفي (شارل مارتل)
على كتاب العرب المسلمين الذين لم يحسن عبد الرحمن الغافقي جدهم على
ما يتبغي من الكثرة فأنهزموا وأُجعِنَ أدرابهم ، في ذلك اليوم المشؤوم
ترجمت المدينة ثانية قرون إلى الوراء ... ما عساها تكون بلادها
الفرنسية لو انفتحت لها الإسلام العبراني الفلسفي السلمي المتسامع ؟ ... وهكذا
نجد مثله الأديب (هاري سامبوت) مدير مجلة (ريليو باري لينتي)
يكشف لنا عن ندامة التاريخ وامتعاضه الشديد لهذه النتيجة الحاصلة

للمغرب في أوروبا في هذه الوقفة فيقول : « لو لا انتصار جيش شامل مارشل المعمعي على تقدم العرب في فرنسا لما وقعت فرنسا في ظلمات القرون الوسطى ولا أصبحت بقضائها ... لو لا ذلك لما تأخر سير المدينة ثانية فرنسا ! »^(١)

المجتمعالجزائري

كان سكان الجزائر كثيرون من بقية سكان اقطار المغرب - على عهد الفتح الإسلامي - ثلاث طوائف : البربر ، والبيزنطيون ، والافارقة ، فالبربر سكان البلاد الأصليون والغالبية العظمى بها ، وهم ينقسمون بصفة عامة إلى قسمين كبارين : الاول البربر المستقرون وهم سكان السهول الساحلية وبعض الاراضي الصالحة للزراعة في الداخل المتஸوت بالبربر البرانس ، وقد اطلق عليهم الرومان اسم الموريطنians كما اطلقوا على امم بلادهم موريطانيا القيصرية - اي القطر الجزائري - ، والقسم الثاني البربر الراحل ، وهم الذين يسكنون البوادي والجبال ويعيشون عبئه قرية ما كان عليه العرب الجاهليون ويسمون البربر البتار ، وهم الذين اطلق عليهم الرومان امم التوميديين اي سكان توميديا وهي جبال الاطلس الوسطى . والطائفة الثانية وهم البيزنطيون كانوا يومند حكام البلاد وسادتها امتد سلطانهم على افريقيا - تونس - وربما شمل بعض اجزاء من سواحل المغاربة - الاوسط والافقى - وكان عددهم قليلاً ، ولكنهم كانوا على درجة كبيرة من التحضر والمدنية ، وكانت ديانتهم المسيحية ، وكان مركزهم الرئيسي ميتاء قرطاجنة ، اما الطائفة الثالثة وهم الافارقة وهم جماعات من اهل البلاد خالطة البيزنطيين والرومان قبلهم واخذت حضارتهم ولغتهم ودينهem وربما تراوحت معهم ، وكانت قلة في البلاد ولكنهم كانوا

(١) محاضرة العرب لفوسناف لوبون من ٢٢ قصة الادب في الاندلس محمد عبد خطاجي ج ١٠ من ١١ - ٢٢ ط القاهرة ١٩٥٥ م

يتولون الوظائف الكبيرة ويقومون بالتجارة وشؤون المال ، ومن هنا فقد كان لم دور عظيم في تاریخ البلاد قبل الاسلام^(١) .

تبکیو البربر بالاسلام والعروبة

يبدو من دراسة تاريخ الفتح العربي للغرب ان هناك طوائف وقبائل كثيرة من البربر أقبلت على اعتناق الاسلام من أول وهة بدون عناء كبير ولا مشقة ، وان أغلب هذه القبائل هي من فصية البربر كقبيلة زناتة وبرغواطه ونقوسه ولواته وهوارة الخ ... وأكثراهم من أهل الجنوب ، وذلك لشدة التباين بين هذه القبائل الجنوبية والمناطق العربية ، سواء ذلك في حياتهم البسيطة الساذجة أم في أدواتهم ورميوفهم والاتجاهاتهم السياسية ، وقد لاحظ البربر في المسلمين الفاقدين الاستقامة والعدل والمساوة ، فرأوا فيهم المقد الرجيد بما هم فيه من الميز المتصري والجلور السياسي والاضطهاد الديني والفرضي الشاملة ، ومصداق ذلك ما لقي العرب في البربر من التصرة والتبعدة في حوادث كثيرة بتهمة والكافنة بالأوراس ، فان الذي حمى الامری المسلمين عند استشهاد عقبة ، هو ابن مصاد صاحب قفة والذي تقدم في طليعة جيش حسان الذي أرسله على الكافنة هو هلال بن شروال القوافي مع محمد بن أبي بكر في جماعة من البربر ، والذي وفد على الخليفة عثمان بن عفان وأسلم على يديه منذ الساعة الاولى هو رئيس مفرأوة وسائر زناتة : الملك صولات بن وزمار ، وأسلام كثرة ملك أوروبياً بجيال الاوراس لاول ملقاءه مع أبي المهاجر ، وكاد الاسلام يومئذ يعم افريقياً أجمع لولا تلك الاساءة التي أسامها عقبة لكتيبة التي اتت به قتلته ووقف معها سير الفتح العربي اياماً ... وأسلام ولدي الكافنة الخ ... وضرورة ان اسلام هو لاه الرؤساء والملوك : ابن مصاد ، وصلوات ، وكثرة تمه اسلام قومهم اذ الناس على دين ملوكيهم ؟ وبالبلاذري رواية في ذلك تؤيد لنا

(١) نعاليق حسين مؤنس على تاريخ الشهدن الاسلامي ج ٥ ص ١٩ ط القاهرة ١٩٥٨ م

هذا التكبير في البربر للإسلام منذ أيام الفتح الأولى ؟ قال : إن عمرو بن العاص أرسل إلى عمر بن الخطاب كتاباً يعلمه فيه أنه قد ولد عقبة بن نافع الهمري المقرب ، فبلغ زوجة ، وان من بين زوجة وبرقة أسلم كلهم ، (فتح البلدان ص ٢٢٤) فكل ذلك وغيره يجعلنا على يقين من اقبال البربر على الإسلام من أول مرة ؟ وهذا لا يمنع مما رواه ابن خلدون عن محمد بن أبي زيد من ارتداد البربر عن الإسلام اثنى عشرة مرّة ؛ وإنهم لم يستقرّوا على الإسلام إلا في عهد موسى بن نصير وقبل بعد ، أجل قد يكون ذلك صحيحاً بالإضافة إلى الفترات التي تخللت أيام الفتح والأضطرابات التي كانت تحدث أثناء ذلك مما لا يخلو منه عمر من عصور الغزوات والمحروقات مع خلو الوطن يومئذ من مرشد أو أمير ، فكثيراً ما وأينا الغزاة الفاحشين يعودون إلى أوطانهم بسرعة بدون أن يبق في البلاد أحد منهم ! ... ولا نفس بعد المسافة بين إفريقيا وببلاد الإسلام ؛ ولا ينكر كذلك ما كان يصيب البربر احياناً من بعض الزلاء من العسف والارهاق ؛ فسواء أكان البربر أم غيرهم على هذه الحال فانهم - حسناً - يرتدون ، ولكن ذلك كله لم يؤثر في البربر من ناحية الدين ؟ بل كانت اغلب نوراتهم سياسية أكثر منها دينية . أما المسيحية فقد تضاءل شأنها حتى كاد أمرها أن يذهب . وأما عن التكبير بالعروبة وتأثير العرب العظيم في البربر فانت لا تستطيع ان تأتي بيوهان اووچن اوضح بما ظهر من معجزات البيان على لسان القائد البربرى طارق بن زياد التغزى فى تلك الخطبة المؤثرة البليغة التي سجلها التاريخ العظمة والاعتبار ؛ هي خطبته أمام جيشه الموارى يوم تقدم به لفتح الاندلس^(١) .

ويكشف لنا غوستاف لوبيون عن اعجابه البالغ من قعرب البربر وتعريب فنون البربرية فيقول : « وتعرب البربرية كما تعرب البربر انفسهم مع ذلك ، فتتألف نحو ثلث البربرية التي يتكلم بها سكان منطقة القبائل

(١) انظرها في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ١٦٧ ط القاهرة ١٣٢٢ - ١٩٠٤ م ووفيات الاعيان لابن خلkan ج ٢ ص ١٧٧ ط بولاق ١٣٩٩ .

الكبرى - الزواوية بالجزائر - من كلمات عربية ، فأمر طريف مثل هذا يثبت لنا سرة أخرى مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يكتب منه لأية إمة أخرى ، ومن هذه الأمم الأغريق والرومان الذين دام سلطانهم في شمال إفريقية دوام سلطان العرب من غير أن يتفق الفتحم أي اثر في اللغة البربرية ^(١) .

ونوضح أسباب هذا التعرّب والتعرّيف وشرح السر المكتوم في ذلك بخليد الدكتور « فيليب حتى » يقول : إن سواد البربر الذين كانوا يسكنون بعيداً عن الشاطئ لم يتأثروا بالحضارة الرومانية أو البيزنطية لأنها حضارة غربية عن أولئك الأفريقيين الرجل ، وإن الإسلام قد امتاز بطبعه ابتداءً بالبربر ، وإن العرب وتقوا صلتهم بأبناء عمومتهم فتحققت معجزة الإسلام في استمرار اللغة البربرية وتحول البربر إلى دين الإسلام وإن دم العرب وجده بخاري بشريعة « Ethnici » جديدة صالحة لتنزيله كما وجدت اللغة العربية سقلاً واسماً للامتداد وتمكن الإسلام من قواعد جديدة تعينه على الصعود إلى سعادة العالم ^(٢) .

وكان مما عمل على تبييت قدم العروبة في البربر ما انتشر بينهم من طوائف الجند العربي واختلاطهم بالوافدين عليهم من عرب المدينة وعرب الشام لغزو الاندلس ؛ وما به الارماء في القبائل من معلبي القرآن والفقه . فقد حكى الدباغ في معالمه عن عياث بن شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور علينا ونحن غلة بالقبروان فبسم علينا في الكتاب وعلىه عامة قد أرخاه من خلفه ^(٣) . فإذا علمنا أن سفيان بن وهب هذا دخل إفريقيا سنة ٦٧٨ عرفنا أن الكتابة كانت قائمة قبل ذلك التاريخ بالقبروان ؟ ولا نفس

(١) حواره العرب من ٣٠٠ ط القاهرة ١٣٦٧ = ١٩٤٨ م

(٢) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى من ١٣٨ - ١٤٤ ودائرة المعارف الإسلامية مادة : ببربر

(٣) مسلم الإبان ج ١ من ١٢٠ ط تونس ١٣٣٠

كذلك ما كان للبعثة العلمية التي بعث بها عمر بن عبد العزيز الى افريقيا من الانجاز في نشر المروبة وخدمة الاسلام بين الابير . قال بيروني : احتار كل المؤرخين من سرعة تأثير العرب على الابير في ديانتهم وعاداتهم واخلاقهم ؟ وبوجه ذلك بعضهم يأن العرب والفينيقيين متقاربون في اللغة ، ومتعدرون في الاصل الذي ينشأ عنه تقارب في الطبائع .

وقد ساو استعراب الابير قدمآ خطوات جبارة وتم الاستعراب هذا فيما بعد في منتصف القرن الحادى عشر الميلادي بقدوم بنى هلال ، ولذلك فان المتوفرين على دراسة تاريخ الابير يقررون انهم ما زالت سلالتهم هي المنصر غالب في شمال افريقيا ولكنهم قهروا قبلياً عظيماً لاحتلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تيزيم في اغلب الاحيان ، فهم لم يعودوا يذكرون شيئاً عن اصولهم الحقيقى او لقائهم او عاداتهم .

ومعها كان الامر فقد لاق العرب الامرين في فتح بلاد الابير واعترفهم في ذلك مصاعب ومشاكل عديدة لا نظير لها فيها فتحوا من سائر القطرات ، فلم يتورع الابير عن مقاومة العرب والاستبسال في مقاومتهم ولقد استردوا استسلام سرات ، وخاض العرب معهم معارك هائلة ، ولم يقدر هؤلاء الفايقين قام الانتصار والسيطرة على شمال افريقيا الا بعد نصف قرن من تاريخ الفتح .

النظام والادارة

قضى المقرب مدة وجيزة من الزمن نابعاً في ادارته لولاية مصر الى ان توّاه معاوية بن حدبيج فأصبح ولاية مسللة ملحة رأساً بدار الخلافة .

وفي ولاية حسان بن النهان اختلط الحضط والتراقيب والنظم السياسية والادارية ، فهو الذي دون الدواوين وحال على الخراج وكتب على عجم افريقيا وعلى من اقام معهم على دين النصرانية ، فكان العرب اعتبروا الارادى الي كانت للروم فتحت عنوة فاستحلوها واعتبروا اهلها

ومن وجدوه عليها موالي لهم يتصرفون في سرورهم كما يريدون ؟ في حين اعتبروا الاراضي التي كانت للبربر مقرحة صلحاً فتركوها في ايدي اصحابها يؤدون عنها المال للدولة ، واعتبروا البربر انفسهم احراراً لهم ما للرب من الخرق وعليهم ما عليهم من الواجبات ؟ فكان حسان يعاملهم على قاعدة المساواة التامة ليس هناك شعب حاكم وآخر محكوم فالكل امام القانون الاسلامي سواء ؛ فالاحكام تجري بينهم بالعدل والاحسان ، ويظهر ان منصب القضاة كان للخليفة وحده فهو الذي يعين القاضي كما ثبت عن عمر بن عبد العزيز انه هو الذي اختار القضاة افريقيا عبد الله بن المغيرة بن بودة الكثافي .

ولم يقتصر حسان في نظام الجندية على الجيش العربي فقط ، بل اشترك فيه البربر ايضاً ، فضم اليه منهم ائم عشر الفاً وانخذ منهم طائفة بتابعة المرس متقل تجول في اقطار المغرب لبسط الامن العام ، على انهم لا يفارقونه جيماً في مواطن الجهاد ، وكانت لهم ارزاق ومنع غير ما يصيرون في الحروب ؛ وكان الوالي يرمي مكلافاً باعطاء الجندي والمهال من مال الجباية وما يفيه افة عليه من الغنائم ، وتؤكد التواریخ العربية على ان ولدي الكفونة ثالا الولاية على قومها في ادارة حسان بعد اسلامها ، فكان احدهما رئيساً مدنياً على قبة جراوة والآخر على الجيش ، وبذلك وضع حسان اسس الحكومة الاسلامية بهذه البلاد وجعل خططها الفرعية للبربر ، كما استغل بانشاء ميناء بجيري جديد تشرف منه ولاية المغرب على البحر الابيض المتوسط فاختلط حرس تونس واستخدم الاهالي في صناعة الحشب لانشاء المراكب ، وجاء بالآف عائلة مصرية تحسن الصناعات فأسكنها هنالك واسس لهم دار الصناعة بتونس فكانت هذه اول دار امست لاصناعه في الاسلام ؟ وفيها صنع بعد ذلك يامر موسى بن نصير مائة مركب ؛ وظلت العمدة الرومية راجحة بين المتعاملين في افريقيا الى ان ضرب موسى بن نصير نقوده بها سنة ٩٢ هـ - ٦٧٠ م وبهذا كانت السياسة الاسلامية في افريقيا اساساً لهذا التطور العظيم في تاريخ هذه البلاد ، فلم تتم شريطها ساحلياً يسكنه جماعة من المستعمرين المتعفرين ، وفيما بلي ذلك « اهل » متواشون على درجة

يسيرة جداً من الرقي ، وإنما أصبحت بلاداً واحدة يسكنها شعب مسلم فوي متحضر ينشيء الدولة ويساهم في العلم والحضارة الإنسانية بنصيب مشكور^(١).

رفاهية إفريقية

إننا إذا نظرنا إلى ما قبل عن إفريقية وبلاط المغرب كلها يومئذ من أنها كانت ظللاً واحداً من برقة إلى طاجنة : قرى متصلة ومدائن منتظمة ، وما قبل أيضاً عن قوى الراباب وخدوه من أنها كانت تبلغ ثلاثة وستين قرية كلها آهلة عامرة ؛ وإلى ما صالح عليه الولاية أهل البلاد من تلك الأموال الطائلة والقاطنات المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث^(٢) وما ظفر به الفزاء من عظم النفيضة ، وإلى مسي طبنة – بريكة – الذي بلغ عشرين ألفاً يوم فتحها موسى بن نصير وما استصحبه منهم القادة والأمراء إلى الخلقان من المدابا والتحف النفيسة ... جزءاً ينحبب هذه البلاد ورفاهيتها وسعة رزقها ...

ففقد أهدي حسان إلى أمير مصر وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان مائتي جارية من ابناء ملوك الروم والبيبر وجنباً وخليلاً وأمامة ووصاف ووحقان . وذهب إلى الخليفة الوليد بشيء كثير من الذهب والفضة والجرامير واليراقيت فاستعظامه الوليد وعجب من أمره ؛ وقد بلغ سهم الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار وسهم الرجل ألفاً في الخ ...

وروى مالك – الإمام – عن عبي بن سعيد عامل عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية قال :

« يعني عمر على صدقات إفريقية فاقتضتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم »

(١) انظر فتح العرب للغرب من ٤٧٨.

(٢) يذكر أنه لما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من تلك الأموال الطائلة التي صالح عليها أهل الترب : كان هناك من العرب من أطعم العجب والدهش من كثرة هذا المال ووفرة النفيضة ... وحيثند للدم إليه أهل يعمل في يده زينة ، يرمي بذلك إلى أنه حصلوا على هذه الثروة من للاحة الربتون .

فلم يجد بها فقيراً، ولم يجد من يأخذها مني، فقد اغنى مهر بن عبد العزيز الناس».

فكمل هذه دلائل ناطقة على عظمة ثروة البلاد ويسارها، ولبس من التناقض ما قدمه عبد الرحمن بن حبيب لل الخليفة العبامي المنصور بعد ذلك من هدية فيها بزارة وكباب وذهب قليل واعتذر له عن ضعف هديته بأن الغرب اليوم بلاد إسلامية لا سي فيها؟ فلعل ذلك كان في ظروف خاصة احاطت بالبلاد لقطعها أو جدب أو لنظرية سياسية هنالك؟ ...

ولاية الجزائر وزعماها

كان من أشهر ولاة الجزائر وزعماها في هذا العصر زعيم مفرادة ورفيقها العظيم صولات بن وزمار بن صقلاب، وقيمه من أشهر القبائل البربرية العديدة المترعة من زناتة، وموطنها شمال وانشريس ووادي شلف إلى البحر، وينتهي شرقاً إلى وادي البت قرب متيبة، وغرباً إلى البطماء بناحية تبر مينة من عالة الجزائر، ومن بلادها بالجزائر: الأغواط والمحضنة وربوة.

وفد هذا الرئيس الجزائري الجليل على الخليفة عثمان بن عفان وأسلم على يده وقيل كانت وقادته على الخليفة صحبة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وعقد له الخليفة على قرمه وابقاء رئيساً عليهم؛ قال ابن خلدون: فاختص صولات وسائر الاحياء من مفرادة بولاه عثمان واهل بيته من بنية امية، وكانت خالصة لهم دون غيرهم من سائر قريش، وذلك ما كان سبباً في مظاهره هذه التي تبيّن لدعوة المروانية بالاندلس بعد ذلك، رعياناً لهذا الولاء.

استمر صولات على رئاسته إلى وفاته فورتها عنه ولده حفص فكان من اعظم ملوك زناتة، ثم خلفه من بعده ابنه خزر فاشتهر ملك مفرادة على عهده وعرف بعد ذلك ملوكهم ببني خزر إلى أن قضى عليهم المرابطون سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٨٠ مـ . ومن مشاهير رجال صناعة يومئذ ميسون بن جيل بن أخت طارق بن زياد النخراوي صاحب فتح الاندلس.

ملوك الوطن الجزائري

ستردید - كسبية

لم اقف في هذا الدور من تاريخ الجزائر على كثير من امهاء الملوك سوى اربعة : صولة ملك مفراوة ، والكافنة ملكرة جراوة ؛ وستردید ، وكسبية^(١) ؛ يقول ابن خلدون : وكانت البطنون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتار كلهم لمهد الفتح ، او ربة واهوارة وصنهاجة من البرانس ونقوسة وزنانة ومطغرة ونفراة البتار وكان التقدم لمهد الفتح لاورية هؤلاء بما كانوا اكثر عدداً واشد بأساً وقرة ، وكان اميرهم بين يدي الفتح : ستردید ابن روبي او زوغن ؟ ... بن بارزت بن بوزيات ؛ ولي عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة وادرك الفتح الاسلامي ومات سنة احدى وسبعين هجرية^(٢) وولي عليهم كسبية بن لمرم وفي الاستبصار : أقدم اولزم ، او لزم ؟ ... الاروري فكان اميراً على

(١) خبطه ابن الاتير بفتح الكاف وكر البن المهمة ، انظر اسد الثابة ج ٢ من ٤٢١ ط القاهرة ١٩٨٠

(٢) يذهب فورناري Fournel الى ان ابن خلدون اراد ان يقول سنة ٦٦٥ هـ باختصار ورسمه ٦٦١ هـ ، ورجحه حين مؤمن فقال : وهذا تليل مقول لأن الحوادث تتغير به .

البرانس كلام^(١) وكلامها كان على دين النصرانية فأسلما لاول الفتح ثم ارتدوا عند ولادة أبي المهاجر واجتمع اليها البرانس ، وذحف اليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون قلسان فهزهم وظفر بكسيلة فاسلم واستبقاء ثم جاء عقبة بعد أبي المهاجر فنكبه غيضاً على صحابته ل أبي المهاجر ، ثم استفتح حشون الفريجية ... وقتل راجعاً وكسيلة اثناء هذا كله في اعتقاله يجمعه معه في عسكره سائر غزواته ، فلما قتل من السوس سرح للمساكر الى القبروان حتى بقي في خف من الجنود ، وتواصل كسيلة وقومه فارسلوا له شهوداً او انتهروا الفرحة فيه وقتلوه ومن معه وملك افريقية خمس سنين وتزل القبروان واعطى الامان لمن بقي بها من تخلف من العرب اهل الذراوي والاتقال وعظم سلطانه على البربر^(٢) .

وذهب ماسكري الى ان كسيلة كان واسع الملك ، وان ملكه امتد الى الاوداس والى ما يليها غرباً ؛ باضافة الجزء الجنوبي من قسنطينة والجانب الاكبر من تونس وعلمون ان مرکز قوه الطربة ايام الفتح كان المنطة الجبلية الواقعة بين تاهرت ووهران ؛ وكانت وفاته في واقفة مسـ - Memsa جنوب القبروان قتل زهير بن قيس البلوي سنة ٧٠ - ٦٨٩ م ؟ ...

(١) اظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٦ .

(٢) ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٨ - ١٠٩ ط بولاق ١٢٨٤ .

امرأء افريقيية وحكامها

الامويون

تاریخ التولیة

زهیر بن قیس البلوی
حسان بن الشهان
موسى بن نصیر^(١)

٦٨٨ - ٦٩٦ م
٦٩٢ - ٧٣ م
٧٠٥ - ٨٦ م

(١) وهو الذي تم على يده فتح بلاد هوارة وكتامة وستهاجة وبجانة من بلاد الجزر الـ
وغيرها من بلاد المغرب والandalus .

الخلفاء الامويون

تاريخ التولية

مروان بن الحكم	٦٧٣ - ٦٩٤ م
عبد الملك بن مروان	٦٨٥ - ٧٠٥ م
الوليد بن عبد الملك	٧٠٥ - ٧٤٦ م

من مَّا هِيَ أَجْنَابُ

الكافحة

٢٠١ - ٦٨٢

هي ملكة يوروبية اسمها دهيا بنت ثابت بن تيفان ، كانت زوجاً لرجل من رؤساء قبيلة جراوة احدى قبائل البر العظيمة المقيبة بحيل « اوراس » جنوب قسطنطينية ، وينتهي نسب هذه الملكة الى جد هذه القبيلة المسماة باسمه « جراوة » وقد كانت الكثرة والرئاسة في هذا القبيل قبل الاسلام . كانت هذه المرأة البربرية الزعيمية مقيمة بعاصمتها « تيسدروس » قرب خنشلة ولها ابنان احدهما يوري والآخر يوتفاني كما حدثنا بذلك ابن عذاري ^(١) ، وكانت تدعى الاطلاع على احوال الغيب والتكميم للناس فعرفت بذلك في قومها واشتهرت يومئذ بلقب « الكافحة » ويقال انه كان لها صنم عظيم من الحشب يحمل بين يديها على جمل ، وهناك من المؤرخين من يقول انها كانت على دين اليهودية ... واستبدت بالملك بعد زوجها فسلكت كما يقول ابن خلدون خمساً وعشرين سنة ، وعاشت هاتمة وسبعين سنة ، ويقال ان قتل عقبة كان بايمان وقد يدور منها . وهي التي هزمت حسان بن النعمان في غزوهاته الاولى فتلهقر الى برقة ، وأسرت طائفة من جنده فقتلت منهم خالد بن يزيد القبيسي وأطلقت البقية وعملت يومئذ

(١) اظرر البيان المقرب ج ١ ص ٤١

على تخريب أفريقية وعدم البلاد والمحصون تحيطًا لعزم العرب عن القمع حتى لا يجدون ملعاً أو مدخلًا ، لعلمهم إليه يرجعون ؟ ... ولكن العرب استروا وأبصرن بطرابلس يتظرون المدد من دار الحلافة حتى جاءتهم النجدة فعملوا على البلاد فاقتصرت إهانة واستندت الخناق يومئذ على الكاهنة وانتفت أن تسلم نفسها للسان ووجدت ذلك عاراً عليها ، وربما خثبت أن يأسها العرب فيصلونها منهم سية إلى دمشق ففضلت أن تستأمن لولديها عند حسان وإن قظل هي - ومن يبقى على الولاء لها - على حرب العرب فاستقدمت خالد بن يزيد وقالت له أنا كنت تبنيتك مثل هذا اليوم فأوصيك بأنخوبك هذين خيراً فقال خالد : أني أخاف أن كان ما تقولين حقاً ! إن لا يتبعياً ؟ ... قالت يلى : ويكون أحدهما عند العرب أعظم ثانًا من اليوم ، فانطلق فخذل لها أماناً ، وانطلق خالد إلى حسان فأخبره خبرها وأخذ لابنها أماناً ، وكان مع حسان جماعة من البوير البتر فولى عليهم الأكبر من ابني الكاهنة . وفريه^(١) . وتقول المصادر أنها اطلعت بطريق الكاهنة على أنها مقتولة فأخبرت خالداً بذلك ، فقال لها : إذا فارطلي وخلي البلاد ! ... فقالت : وكيف أفر وانا ملكة ؟ ... والملوك لا تقر من الموت فأفلد قومي عاراً إلى آخر الدهر . ولا عجب في هذا الموقف الحازم الذي أخذته الكاهنة على نفسها وظهرت به في ميدان الكفاح والبطولة والدفاع عن الوطن فانها الملكة وهي التي تعرف حق المعرفة تاريخ المرأة البربرية ومواصفاتها الحاسمة في التاريخ ، وقد رأينا ما أحرزته البطلة البربرية « سيرة » من الانتصار حيناً وقفث في وجه السكرنات « تيبيوس » الروماني بعد وفاة أخيها « فيرمونس » ، ملك موريطانيا القمرية وما باه به هذا القائد الروماني من الجحود والمفرزة الشهادة التي حصلت له بالقرب من ناحية « أورزيا » سور الفزان سنة ٢٧٥ م . وهكذا استمرت هذه الملكة الصنديدة الجزائرية على كفاحها حتى دخل عليها حسان الحصن ففرت أمامه إلى حيث أدركتها حسان

(١) داجع نوح أفريقية من ٤٠١ والبيان المترجع ١ ص ٢٢ و ٢٣

فقتلها بكل السر المعروف بجبل اوراس عند بئر المطر التي سميت بعد ذلك بئر الكاهنة ويقال انها قتلت بطيرقة؟ ... بمحدود الجائز الشهائية الشرقية ؟ وذلك في رمضان سنة ٢٠١ - ٦٨٢ م ويعودها ثم فتح العرب للغرب - وخاصة الجزائر - وقد كان فتحاً لا كالفتح السياسي والانتصارات العربية العامة بل هو فتح الحضارة الشرقية بما فيها من مادة وروح ؟ ذلك لأن الاسلام ليس هو مجموعة من طقوس أو عادات وقرب يتقارب بها الانسان الى مولاه فحسب انما هو فوق ذلك بمجموع من قواعد ونظم سياسية واجتماعية يستطيع الناس ان يعيشوا بفقضها ؟ فالمؤمن لا يجد في الاسلام حل لمسألة الآخرة فقط بل وسيلاً فاملاً في الدنيا سداً أيضاً .

وفي تحقيق ما ذهبنا اليه من هذا المعنى يقول الدكتور غوستاف لوبيون ويقول : « ... فاذا حدث ان اعتنق بعض اقوام النصرانية الاسلام والخذلوا العربية لغة لهم بذلك لما رأوه من عدل العرب الفالبيين مما لم يروا منه من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الاسلام من الاهمة التي لم يعرفوها من قبل ... فلما تحقق ان الامم لم تعرف فالمجتمع واحد متلاحم مثل العرب ، ولا دينياً سمحوا مثل دينهم^(١) . ويقول المؤرخ (فون جوت شميد) : ان الاقبال الشامل على اعتناق دين جديد على اثر فتح انجني امر لا يكاد يعرفه العصر القديم ، ولكن الاسلام يقف وحيداً في هذا الفوز .

(١) حضارة العرب ص ١٥

جَسْدَوْلٌ تَارِيخِيٌّ

٦٩ - ٦٨٢

٦٨٨ - ٦٧٠

تاریخ الموارد	أُم الاصدات بالجزائر على عهد الفتح الإسلامي
٦٦٥ م = ٦٨٤	انسحاب زهير بن قيس الى برقة واخلاه افريقيا .
٦٦٩ م = ٦٨٨	انتصار زهير بن قيس في حملة على كثيبة وقتلها .
٦٧٠ م = ٦٩٠	وقفة ميس بجنوب القิروان .
٦٧١ م = ٦٩١	مقتل زهير في برقة .
٦٧٦ م = ٦٩٥	مسير حسان بن النهان الى افريقيا وانتصاره على الروم بقرطاجنة .
٦٧٧ م = ٦٩٦	واقعة نبني - وادي مكباتة - وارتاداد حسان عن افريقيا .
٦٨٠ م = ٦٩٩	الكامنة تخرب افريقيا .
٦٨١ م = ٧٠٠	مسير حسان الثاني الى افريقيا .
٦٨٢ م = ٧٠١	انتصار حسان على الكامنة وقتلها (رمضان - اكتوبر) .

الخواج بأفريقية

١٢٢ - ١٥٧

٧٤٠ - ٧٧٤ م

الخواج في التاريخ اسم لطائفة او طوائف كانت بايعت علي بن ابي طالب بالخلافة ثم خرجت عنه ونفت بيعتها في قضية التحكيم المشهورة ؛ وهي في مبادئها هذه كانت ترمي الى غرضين : فهنا من بايع الامام لكتبه يراء احق بذلك من غيره يومئذ ، ومنهم من تقدم الى ذلك اعتزازاً به وبفضلاً للعنانيين الامويين ؛ وكثيراً ما سمع هذا الفريق الثاني من الخليفة الامن منصباً على قتلة عثمان وخزيه لهم ؛ فكان ذلك من يواثق المذر عند هؤلاء خشية اتفاق الكلمة بين المهزتين فعملوا جدهم على توسيع سقط الخلاف بين معاوية وعلي ، رضي الله عنها ، وكان ذلك سبباً في موقفة الجل المشهورة (١٠ جمادى الثانية ٦٣٦ - ديسمبر ٦٥٦ م) وهم الذين ايضاً حلوا علياً على قبول التحكيم والنزول عنده (الجمعة ١٠ صفر ٦٣٧ - جولiet ٦٥٧ م) ثم عملوا على نقض ذلك وحاولوا علياً في رفضه ودعوه الى اعلان ذلك بنفسه فامتنع كرم الله وجهه من بخارائهم على هذا التلاعب الذي لم يظهر له وجه معقول ، وحيثند سخط عليه لقوم واعلنوا خروجهم عن طاعته والانزال عن الجماعة ، ثم عاد فريق منهم الى الطاعة واصر آخرون على الخلاف والمعصية ، وغادر الفريق الثاني الكوفة وهي يومئذ مركز الخلافة العلوية وسكن بظاهر قرية قربة منها تعرف بجروداء ؛ وكل ذلك وعلى يعلم على رفع الخلاف وجمع الشيل فبعث

اليهم رس له بذلك فقتلهم وتجاهروا بالعصيان ، وبعدما اندر الخليفة واعذر حل على اهل الهروان فلقي عليهم قتلا ؛ ويومئذ تكونت بذرة المارجية في الاسلام واصبحت بعد ذلك فكره مستقلة ومبدأ سياسياً خاصاً ، ثم تطورت الى عقيدة دينية وطريقة متبعة ، ثم كانت مذهبًا مدوناً باصوله وفروعه عقيدة وفقها ؛ ثم نشأت عنه فرق كثيرة بلغت الى حد العشرين فرقه وكلها تتطوّي تحت اسم الحوارج ؛ والى احياء هؤلاء الحوارج وتعاليمهم السياسية يرجع السبب الاكبر في نورات البربر التي عمت المغرب العربي يومئذ او كادت .

الحركات المارجية بالغرب

كانت منازعات الاحزاب السياسية بالشرق على اشدها طوال العصر الاموي ، وعصفت بوجال الدولة ثارات الصبية ، فكثر الاضطهاد وتعددت الخصومات ، وكان للامويين طائفية عظيمة من الاعداء الياسين لا يتكلمون عن الشعب ولا يكف الامويون عن تعقبهم بالاذى ، فكثر فرار هؤلاء من البلاد والغاصم الامان في ناحية بعيدة عن مركز الدولة ، وكان المغرب من النواحي التي كثُر الناس هؤلاء الفارين للامان فيها لاتساعها وتشعب مسالكها وكثرة قبائلها ، وكان الكثير من هذه القبائل ينطوي على الخط على العمال لما يصيّها من الاذى على ابدئهم فكانت ترحب بهؤلاء اللاجئين لأنهم واباها على هوى واحد ، ولهذا كثُر وجودهم على المغرب والتعاظم الى قابله^(١) .

ولقد حاول البربر الناس ساد لم يتلون به السلطة العربية فلم يجدوا لهم خيراً من الاخذ بدعوة الحوارج التي ينص دستورها على عدم استراتط الفرشية في الخلافة ، وبقوا ينتظرون الفرصة لذلك حتى سمعت لهم على عهد امير افريقية عبدالله بن الحجاج الذي كان وقتئذ مهتماً ومشتغلًا بتجهيز جيش الفتح الى صقلية ؛ فاندفع البربر يومئذ نحو تكوين

(١) انظر فتح المغرب للغرب من ٢٩٢ و ٢٩٣ .

دولة لم مستقلة عن الحكومة المركزية ، فاتحلوا مذهب الصفرية والاباضية^(١) من الخارج ورثقوها خروج الجيش العربي وخروج الفرصة فاتت يوماً ان شخص الجندي الى مدينة ضبيه عاصمة الزاب (غريبي اوراس) ، فنهض البربر في نحو الاربعين الفاً من الصفرية وخمسة وعشرين الفاً من الاباضية ملتفين حول رؤسهم ميسرة المطفرى^(٢) الصغرى الماجرب ، واوقفوا نورائهم بالغرب الاقصى فاحتلوا طنجة وعزلوا عنها عاملها يومئذ عمر بن عبد الله المرادي وبادروا بها صاحبهم ميسرة خليفة سنة ١٢٢ هـ - ٧٤٠ م فكان هذا اول من دعي باسم الخلافة بالغرب من البربر ثم انتلبو عليه فقتلوا وولوا مكانه خالد بن حبيب الزناتي ؟ فقام هذا بشأنهم ورثف بهم فيما بين المقربين : الاوسط والاقصى ، وجاءت عساكر الامير ابن الحجاج لرد هجمات البربر والتنقى الجماعي بوادي شلف فانهزم فيها الجندي العربي وقتل قائده يومئذ خالد بن حبيب وهي الواقعة المشهورة بواقة الانراف (١١٤ هـ - ٧٣٢ م) .

وفي سنة ١٢٣ هـ - ٧٤١ م تذمرت الرعية من عسف الامير كلوم بن عياض حيث كان يعاملها معاملة الرعايا المازمين بأداء الجزية على الرغم من كونهم مسلمين قائين بجميع الواجبات ، مؤتياً في ذلك بسابقه :

(١) كلاماً من اشهر واكبر غرف الخارج السنة ، فالصفرية هي اتباع زيد بن الاصغر ، وقيل يعقوب بن ليس الصغرى نسبة الى مناعة الصغر - النها ، وقيل هي اتباع صدقة بن صفار الحسدي وهو أحد بن مقاعد الحارث بن عمرو ، وقيل عبد الله بن صفار من بيته صوير بن مقاعس ! ووزعم بعضهم ان الصفرية يذكر الصاد ... وينطال لهم الزراوية والنكارية . والاباضية هي اتباع عبد الله بن اباش - يذكر المفرزة - الملاعبي التبصري المزري وكان من غلات المحكمة ، وتوفي بغير تقوية كما ذكره ابن حوقل سنة ١٣٠ - ٧٦٨ م . ويقال انهم ينتسبون الى اباش - بضم الميمزة - وهي قرية بالمرس من ارض اليمامة لم يُر اطول من خلها ، تزل بها بحد بن عاصي الماجرب واسمي بأمير المازمين .

(٢) ويقال ايضاً الماجرب بالدار لا بالطاء نسبة الى المدادر الذين هم بأزاره ندرومة . وأما « مطرفة » هكذا بالطاء فهو اسم لكتاب او ما فيلان الان أحدهما بصل « قازا » والأخر من عمل « ظنان » .

يزيد بن أبي سلم ، وهو نفس محل المجاج بأهل المراق ، ويومئذ اشتكى الرعية امراها الى حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع القمي يومئذ بتمisan ، فلما تكلم هذا الى كثرة ينها عن ذلك ويتهدده ، قبعت كثرة بالاعذار الى حبيب تضمنا ؛ ثم ذرفت بمحنته على تمisan فقاتل حبيبا ... وهكذا وجد دسل الخوارج المقاولون من الشرق واكتور من المهزعين في حروب العصيات امام الرواتين ، سرعا خصبا لذر تعاليمهم حيث كانت النفوس مستعدة للثورة ، فعرضوا البير على الخروج عن الخليفة الاموي وحرر كوم لرفع راية العصيان ، حتى اذا تقدم البير الى الخليفة بالشكوى فلم يستجب لهم ولم يسمح لهم حتى بالتمويل امامه ، فاندلعت بافريقيا حيث ان تمisan الثورة من كل جهة ، وتوالت بعد ذلك الفتن وبقيادة هؤلاء الخوارج فدخلوا القبروان مرارا ؛ وهكذا حتى جاء حنظلة بن صفوان اميرأ على افريقيا سنة ١٢٦ - ٧٤٢ م فعادوا الخوارج واجلام وشدّ جوّهم في مقنة عظيمة بلغ عدد القتلى بها ١٨٠٠٠٠ قتيل ، قيل انه ما علم في الارض مقنة كانت اعظم منها ، وانتشرت الفوضى والاخربات فعمت المغرب كله من اقصاه الى اقصاه .

ويومئذ ظهر الفهريون احفاد عقبة بن نافع على ساحة تاريخ المغرب منهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي غزا قدمisan سنة ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م وظفر بالبير ودوش افريقيا كلها وذلل من بها من القبائل البربرية ؛ واستبد هؤلاء الفهريون بالادارة فانكشف ضعفهم وظهر عجزهم امام الخوارج الذين تقطروا على الحكومة العربية الى ان جهز لهم الخليفة ابو جعفر المنصور جيشاً يشنّ على خسين الف جندي موزعاً تحت رعاية ثانية وعشرين رجالاً من خيرة القادة والرؤساء والكل تحمل امرة واثراف القائد الاعلى محمد بن الاشت امير مصر ؛ فجاءت الجنود الى افريقيا صيف سنة ١٤٤ هـ - ٧٦١ م فقضت اولاً على ديرث الثوار بطرابلس ومات يومئذ قائد الثوار ابو الخطاب بن السمع الاباضي في شهر صفر - ماي - ، فظن ابن الاشت بذلك انه قد فتح على الفتنة بقتل ابي الخطاب ، وان الخوارج سينتهون عن خطتهم ويعودون الى الطاعة ، وسرعان ما

علم ان هناك ستة عشر الف ثائر قتلت امر ونسها اي هربة الزنافي ، فتقدم الى مؤلاء فقاتلهم في شهر ربیع الاول ، صيف سنة ١٤٤ هـ - ٧٦١ م وتغلب عليهم فدخل القیروان عاصمة الامارة فجدد سورها واته في سنة ١٤٦ هـ - ٧٦٢ م ما كاد يستقر على عرشها حتى نقض بعض الدداد والشراط الى مقاومة جيش الامارة العربية تحت قيادة احد منهم يدعى هاشم بن الشاجع فهزموا جند الامير وتفرقوا في البلاد وذهب رئيسيهم الى تاهرت وقد كان معه من الاقباع نحو العشرين الفاً ، ومنها ذهب الى تهودة بالزاب الجزايري وهنالك قهرتهم الجنود العربية فاندحروا منهزمين ، وما كاد الامير يستريح من هذه الفتنة القاتمة حتى فاجأه ثائر آخر من الجند يدعى عيسى بن عجلان الحراساني ومعه طائفة من القادة العصاة فشنوا على الامارة العربية حرباً عواناً اعجزت ابن الاشت عن المقاومة حيث تكاثرت ضده الوقائع والفتنة ، وكان هو في اقلية من الحامية والعاشرة بسبب كثرة من مات منهم في تلك المغارات ، وحيثئذ خرج ابن الاشت من المقرب عائداً الى ولائه ومنصبه بصرى ، وكان على ولابة الزاب يومئذ الاغلب بن سالم التسبيسي فيه الخليفة اميرآ على افريقيا ؛ فخرج يومئذ من دار عمالته طينة ، وذهب الى القیروان ، وذلك في اواخر جمادی الثانية سنة ١٤٨ هـ - جولیط ٧٦٥ م وخلفه على الزاب يومئذ عمر بن حفص بن قيصة الهلبي المعروف بزار مرد وبأبي الدوانق محمد مدينة طينة (١٥١ هـ - ٧٦٨ م) .

نورة اي قرة بتلسان

اتفق ان قبائل من البربر منهم مغيرة وبنو يفرن قد نقضوا بيتهم ونهضوا بنواحي تلسان فخرجوها عن الطاعة وبايعوا حاجبهم زعيم زنطة اي قرة اليلري او المفلي أصح الصوري ^(١) باياعوه بالخلافة سنة ١١٨ هـ - ٧٥٧ م وثارت الحرب ضد الحكومة العربية فنهض اليهم الامير الاغلب

(١) وهو الذي زلل عليه صغر فريش عبد الرحمن الداخل مددع من الشرف واختفى عنده .

بن سالم فشلت شلهم من غير قتال ، ثم كانت المزائم والخروب بينهم
 سجالاً ، ومات الاغلب فيها في شهر شعبان سنة ١٥٠ هـ - سبتمبر ٧٦٧ م .
 فف kep على الامارة ايضاً عمر بن حفص الهلي المعروف بهزار مرد والشهور
 بابي الدواثق . وكانت بداية تاريخ امارته في صفر ١٥١ هـ - في فبراير ٧٦٨ م .
 وبعد ثلاث سنوات وأشهر من امارته أمر من طرف الخليفة بالمسير الى
 مدينة طيبة عاصمة الزاب الجزائري لتجديده بنائها وترميمها ؛ وقد بلغ سيفها
 يومئذ عشرين الفاً ، فخرج عمر من القبور واستخلف عليها حبيب بن
 حبيب الهلي . وبينما الامير منكبًا على عمله في تعمير طيبة اذ انقض عليه
 المقرب كله وجاءه الجموع النائرة من كل جانب فاحتاط بالزاب وخاصة
 حيث الامير بطبة ؛ وبلغ عدد جند النورة يومئذ واحداً وسبعين الفاً ،
 فكان مع ابي قرة منهم اربعون الفاً ، ومع عبد الرحمن بن رست خمسة
 عشر الفاً ، ومع عاصم السدراني ستة آلاف ، ومع المسعود الزناتي عشرة
 آلاف فارس ، وغيرهم من الاتباع كثير ، ولما تحقق الامر منهم الخطر
 عزم على محاربتهم والخروج اليهم بنفسه فنفعه الخاصة من اهل مشورته
 و قالوا له : اخرج هنا من اوردت الى عدوك ولا تروح مكانك من طيبة ،
 فانك ان اصبت تلف المغرب وفداً ، وحيثذا بحالي الحيلة والدهاء
 واعتدى الى اتخاذ الموقف بتقدیم الاموال والحلل الفاخرة والمدايا الثمينة
 الى كل من ابي قرة وآخيه فصانعها بذلك ، فعمل جينذا على سحب
 الجنود من يومها ، ثم حلقوهم جيوش الامير بتهودة فقضت على فئة عبد
 الرحمن بن رست دهرمت الى تبرت .

ويومئذ اخذ امر الخارج في الضعف والانحلال واستمرت الواقع تتكرر
 وتتجدد بين الخارج والحكومة البرية ما بين مد وجزر الى ان قوى
 عليهم الامير يزيد بن حاتم الهلي سنة ١٥٢ هـ - ٧٧٤ م فاستكانوا جينذا
 للقلب واطغوا الدين ؛ وقد بلغت وقائهم نحو ثلاثة وخمسين وسبعين وقمة
 في مدة لا تزيد عن خمس وتلاتين سنة ؛ ويذكر عن المنصور العباس انه
 اتفق في عمارية الخارج بأفريقيا ٦٣٠٠٠٠ درهماً وذلك لسنة واحدة
 فقط (١٥٤ = ٧٧١ م) وكل هذه الواقع ثابت كما ذكرنا آنفاً عا

جبلت عليه أخلاق البربر وما تذكر في غزيرتهم من حب الحرية إلى حد الملوكي وكرامة السلطة عليهم كيما كان نوعها، وما تهدف إلى عقيدة الحواروج من وجوب القيام على الحكومات الوراثية، وكان الحافر الأكبر في ذلك ما كان عليه بعض ولاة المغرب يومئذ من المف والجلور، فهذا ما دفع باهل المغرب إلى احضان الدعوة الخارجية.

امارات الحواروج بالجزائر

كانت الحركة الخارجية بالغرب عاملاً قوياً في استقلال بعض القبائل الجزائرية تحت امارات اباضية، فنها امارة بني مسرة وهم فخذ من زناتة، وعاصمتهم « اوذكا » بنواحي سعيدة بمعاهدة وهران على ثلاث مراحل يحيط بهم تغيرت ورئيسيهم عبد الرحمن بن اودموم بن سنان ثم تقللت الرئاسة في منه من بعده. وامارة بني در بنواحي قصر البخاري من عالة الجزائر وعاصمتهم فيها « تيطلاس » ورئيسيهم مصادف بن جربيل، كان بين حصنه وبلد نتيجة مسير ثلاثة أيام مما يلي البحر، وامارة هوارة بنواحي وادي سلف حوالي نهر مينة شرقاً ومدينة سيق غرباً من عالة وهران، وعاصمتها « قلعة مغيلة دول » على مسافة يومين من مستغانم - بتلديهم وهو ما يليغ نحو المائة كيلومتراً؟ - وكانت رئاسة هؤلاء لرجل يقال له ابن مسالة الاباضي، وهو مختلف للآفة الرستميين بتغيرت. وينذكر ابن خلدون ان الصفرية وهم من الحواروج، هم الذين اخطروا مدينة « سجلامة » تأييلات سنة ١٤٠ = ٧٥٧ م وانها فلاريب بها كانت ضمن هذه الامارات.

المذاهب والعقائد

لا شك ونحن في هذا الدور الاول من تاريخ الفتح الاسلامي للغرب، بأن المغرب يومئذ كان في تدينه بالاسلام متسلكاً به على طريق المذهبية او الدعوة السياسية في عقيدته او في عبادته ومعاملاته كلها، بل نراه بعيداً عن ذلك كله حيث لم تكن حينئذ مدارس او آراء هذه المذاهب مدروسة منظمة ولا منهاجها وقواعدها معروفة والكثير

منها كان متعدماً لم يكتب له وجود بعد، فكانت العقيدة والبادرة والمعاملة وكل ما جاء به الصحابة والتابعون منهم لفتح هذه البلاد هو ما تلقوه وسموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خطوه عن بعضهم بعض من شاهده منه من الاصحاب: من قول أو فعل أو تقرير، ولم يكن منهم من قسر القرآن الكريم إلا ما وعده في مدورهم أو جعوا عليه وعده عليهم من قسر الرسول أو هم صريح أوبيه أولى بالفطنة والذكرة منهم من كثرة مدارستهم لأسلوب القرآن الكريم وعلوستهم قلة وقصيم لكلام العرب أو ما لرنس على منته ظهورهم من أهل أكبر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فالعقيدة الإسلامية والقيام بجميع الولجيات فريضة كل سترًا على المطرقة الحقيقة لانسانية فيه نوع خاص أو منع من نشرها فتحة في التهيج لون انتظارها أهل المذلوب الإسلامية فيها رس، وكتاب عن ذلك من الشواهد كثيرة ومنها هذه البينة الطيبة النبوة بختورة من النبيين الذين يحيى عمر بن عبد العزيز إلى المغرب لتثبت لهم بالحقيقة الدينية وتتحقق العبرة قوله وهذه الدين كما جاء بها صاحبه صلى الله عليه وسلم، وهي كذا نوادر لها كثوارها خالصة من كل ثانية توكيبي لوتقييد أو استردة أى دأب أو مبدأ خالص:

حدث عبد الأعلى بن عقبة الفقري فقال: لما غرت الحروف على حنظلة بن صفوان بطيبة، جمع حنظلة علاء فريقة، وهم الذين يعنهم عمر بن عبد العزيز إلى افريقيا ليقروا لهم في الدين، منهم سعد بن مسعود وجابر بن أبي جبلة وطلق بن حباب وغيرهم فكتبوا له هذه الرسالة ليعتدي بها المسلمين ويعتقدوا ما فيها وهي :

بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ طَبَّةِ

اما بعد فان اهل العلم باشة وبيكتابه وسنة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، قالوا: انه يرجع جميع ما انزل الله عزوجل الى عشر آيات: آية، وزاجرها، ومبشرة، ومتذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومشتبهة، وحالات،

وحرام ، وامثال . فآمرة بالمعروف ، وناجرة عن المنكرة ، وببشرة بالجنة ، ومنذرة بالنار ، ومحيرة بغير الاولين والآخرين ، ومحكمة يعلم بها ، ومنتاجهة يؤمن بها ، وحلال امر ان يوقى ، وحرام امر ان يجتنب ، وامثال واعظة . فمن يطع الآمرة وترجعه الناجرة فقد استبشر بالبشرة واقدرته المذكرة ، ومن يخل الحلال ويحرم الحرام ويرد العلم فيها اختلاف في الناس الى الله ، مع طاعة واضحة ، ونية صالحة ، فقد اففع وانجح وحيا حياة الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(١) .

وعن معاوية الصهاد حي عن عبد الرحمن بن ف زياد قال : ان المحر كاتت عند اهل افريقية حلالا حتى بعث عمر بن عبد العزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا انها حرمت ، ثم ايضا لما دخلت المسودة يعني الجند فشا ذكرها انها حرام ^(٢) .
هكذا كان اهل هذا العصر في تدينيهم بالاسلام من غير التفات الى رأي او مذهب خاص . اذ لم تكن المذهب اذا ذلك - بعثناها الاصطلاحى - معروفة ولا موجودة .

اللهم الا ما يذكر عن بعض من جرء دعاء الاعتزاز الى عقائدكم ، وهؤلاء لم يكن لهم كبير شأن في اجراء فواعد هذا الدين بين الناس ، فقد روی عن واصل بن عطاء رأس المعركة $(٨٠ - ٨١ = ٧٩٧)$ م) انه بعث عبد الله بن الحارث الى المغرب فاجابه خلق كثير ، وفي ذلك يقول صفوان الانصاري بفتح واصلا .

له خلف شعب الصين في كل نقرة الى سوسها الاقصى وخلف البرابر رجال دعاء لا يفل عزيمهم تهكم جبار ولا كيد ماسكر
اما عن شأن الاديان الأخرى فقد قضاول شأنها امام الاسلام .

(١) رياض النور لابن بكر عبد الله البالكبي ج ١ ص ٦٧ ط القاهرة ١٩٥١

(٢) طبقات عليه الريبيه لابن المربج ج ١ ص ٢٠ - ٢١ ط باريس ١٩١٥

ان اعظم واجل مظاهر بروزت به افريقيـة العربية المسلمة في هذا العصر هو اتجاه شمالا الى الشرق في اقتباس حضارته ومدنـته ؟ فالي مركز الـوحـي كان التـقـاه في تـصـبـح عـقاـنـه وعـبـادـانـه ؟ والـى عـوـاصـمـ الشـرقـ الـلامـعةـ كان اتجـاهـهـ في ثـقـافـةـ الـعـلـمـيـةـ الـفـنـيـةـ ، لـوـ لاـ ماـ نـشـأـ يـوـمـنـهـ عنـ بعضـ الـوارـدـينـ عـلـيـهـ منـ الشـرقـ منـ دـعـاـةـ الـخـزـيـةـ وـالـطـائـيـةـ وـالـسـيـاسـةـ الـمـفـرـقـةـ فـعـادـ عنـ جـادـةـ الـاسـلـامـ حتـىـ كـادـ يـكـونـ انـ لـاـ اـسـلـامـ ! ... فـقـاتـ عنـ ذـالـكـ تـلـكـ الـفـقـحـ وـالـاـسـطـرـاـبـاتـ الـتـيـ شـمـلتـ الـمـغـربـ الـعـرـبـيـ كـلـهـ وـكـانـ مـنـهـاـ تـلـكـ الـوـقـائـعـ الـقـيـ فـصـلـاـهـاـ فـيـ تـقـدـمـ وـكـلـهاـ نـشـأـتـ عـنـ سـوـهـ التـوـجـيـهـ فـيـ نـشـرـ تـعـالـيمـ الـاسـلـامـ معـ ماـ يـاـزـجـهاـ مـنـ تـزـعـاتـ السـيـاسـةـ وـالـمـذـهـيـةـ . وـقـدـ نـشـأـ عـنـ ذـالـكـ تـقـورـ فـيـ تـقـوـسـ مـنـ اـهـلـ التـأـوـيلـ وـالـاحـكـامـ اـلـىـ العـقـلـ مـنـ الـمـاـشـارـقـ ، فـابـتـدـواـ لـذـالـكـ عـنـ مـذـهـبـ اـلـيـ حـيـثـةـ الـذـيـ اـشـهـرـ اـهـلـهـ بـالـرأـيـ وـالـقـيـاسـ وـتـرـكـواـ فـقـهـ وـبـنـدـواـ عـقاـنـهـ الـمـعـرـلةـ تـبـيـعـةـ لـاـ اـصـابـ بـلـادـهـ وـماـ قـرـضـتـ لـهـ مـنـ مـلـاعـبـ بـسـبـبـ اـصـحـابـ الـآـرـاءـ وـالـتـأـوـيلـاتـ مـنـ دـعـاـةـ الـاـرـاءـ وـالـمـتـنـرـفـةـ وـقـسـكـواـ بـالـكـتـابـ وـالـسـنـةـ تـسـكـنـاـ مـشـدـدـاـ حـتـىـ اـهـمـ رـفـضـواـ الـقـيـاسـ وـالـاجـاعـ ؟ وـاقـبـلـواـ يـوـمـنـهـ عـلـىـ الـاخـذـ بـاـ جـاهـمـ بـهـ مـنـ حـضـرـ بـجـالـسـ مـالـكـ بـنـ اـنـسـ بـالـمـدـيـنـةـ مـنـ قـصـدـ الـمـجـازـ مـنـ طـلـيـةـ الـعـلـمـ الـاـفـارـقـةـ حـيـثـ عـلـوـواـ فـيـ تـزـامـ الـقـرـآنـ وـالـحـدـيـثـ وـالـابـتـهـادـ عـنـ التـأـوـيلـ وـالـقـوـلـ بـالـرأـيـ مـعـ الـاـقـتـصادـ فـيـ الـقـيـاسـ مـاـ اـمـكـنـ وـاـنـ كـانـ جـلـ اـعـيـادـ اـمـرـاءـ اـفـرـيقـيـةـ مـنـ الـعـرـبـ فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ اـلـىـ اـخـرـ مـهـدـ الـاـغـالـبـةـ عـلـىـ الـعـرـاقـيـنـ مـنـ فـقـهـ الـذـهـبـ الـخـنـفـيـ ، وـبـذـلـكـ اـنـسـ اـهـلـ الـفـرـبـ اـلـىـ قـسـيـنـ ، فـالـحـكـامـ كـانـواـ عـلـىـ مـذـهـبـ اـهـلـ الـعـرـاقـ ، وـالـاـفـرـيقـيـوـنـ وـرـزـمـاـهـمـ مـنـ الـفـقـهـاءـ كـانـواـ مـالـكـيـةـ ، وـقـدـ شـفـرـ الـحـكـامـ وـالـاـمـرـاءـ هـذـهـ الـمـارـاثـةـ الـقـوـيـةـ الـحـطـرـةـ الـتـيـ يـتـعـمـهـ اوـلـكـ الـفـقـهـاءـ . فـبـطـشـواـ بـعـضـهـمـ وـقـتـلـواـ بـعـضـ دـيـنـ وـخـلـقـ مـتـبـنـيـنـ فـعـسـبـ ؟ بـلـ شـهـادـهـ لـقـواـ الـاـذـىـ وـالـحـلـوفـ اـيـضاـ فـيـ سـبـيلـ الـعـقـيدةـ الصـحـيـحةـ وـفـيـ سـبـيلـ الـضـعـفـاءـ وـالـمـظـلـومـيـنـ مـنـ اـهـلـ الـبـلـادـ ؟ وـاـنـتـلـواـ - بـهـذـهـ الصـفـةـ الـمـزـدـوجـةـ - اـلـىـ مـقـامـ الـاـولـيـاءـ ، وـاـرـتـبـطـ فـيـ اـذـهـانـ

الناس ممن الولي بصورة الزعيم القومي ، وهكذا نرى مبادئ العقيدة التي اشتهر بها اهل المغرب في الاوليات والصالحين ، ونستطيع ان نفسر تفاصي المقاربة في سبيل الصالحين وكتاب الفقهاء ، ذلك لأن الولاية ارتبطت في اذهانهم بمعنى الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكماء الاجانب ، ومن هنا نضع ايديتنا على عصب ثان من اعصاب التاريخ المغربي الاسلامي ، عصب الاعيان في الزهاد والابولياه الذي ما زال ينبع حتى قامت بفضله الدول المغربية الاصلية ، وغير غريب في هذه الحالة ان نجد الذين وضعوا اسس دولتي المغرب الكبيرتين - المرابطين والموحدين - كانوا من الفقهاء المالكيين على وجه التحديد^(١) ، وبذلك عم تقليد المذهب المالكي وصاحبه في سيرته ، وحتى في حياته الخاصة التي كان يعيشها الامام نفسه ، سواء ذلك في مأكله ومشربه وملبسه وفي مشيته وحديثه الخ ... وبذلك نستطيع ان نقول ان حضارة المغرب العربي وتحذيمه كانتا على يدي مالك كما ان نهض الاندلس كان على يدي زرباب .

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان من اشهر من عرفه التاريخ من ولاة الجزائر في صدر الاسلام الاغلب بن سالم التسبيسي عامل طبنة - عاصمة الرايب الجزائري - قبل ولاته الامارة ؟ كما عرفنا المهاجر المخارق الذي استخلفه عليها ايضاً عمر بن حفص سنة ١٥٤ هـ - ٧٧١ مـ وعامم السداوي ، والتصور الزقافي ، وعبد الملك بن سكردید الصنهاجي الصفري والفضل بن روح قبل امارته وهو آخر المهاجرة بها ، فكل هؤلاء كان على ولاية طبنة ؟ وكان على ولاية تلسان ابو فرة اليقرني ، ومومي بن أبي خالد مولى معاوية بن حدبيع ، عزله ابن الجعاب وولي مكانه حبيب بن أبي عبيدة ، وكان على ولاية وطن زناتة بهذا المغرب الاوسط عبد الجبار بن قيس المرادي ، وامير ورقعومة التفزاوية بجبل اوراس عاصم بن جبيل الكاهن .

(١) راجع مقدمة حسين موسى لكتاب رياض النفوس ط القاهرة ١٩٥١ مـ .

امراء افريقية وحكامها

الامريون

تاريخ التولية

عبد الله بن موسى بن نصير (أئمَّة تغيب والده بالأندلس) .	٩٥	م ٧١٤ =
محمد بن يزيد ، مولى قريش ^(١) .	٩٦	م ٧١٥ =
اسحاقيل بن عبد الله بن أبي المهاجر دينار .	٩٩	م ٧١٨ =
يزيد بن أبي مسلم دينار التلفي .	١٠١	م ٧٢٠ =
محمد بن اوس الانصاري .	١٠٢	م ٧٢١ =
بشر بن صفران الكلبي .	١٠٢	م ٧٢١ =
عيدة بن عبد الرحمن (بن أبي الأغر) السلي (ربيع الاول - جوان)	١١٠	م ٧٢٩ =
عبد الله بن الحجاج الموصلي (ربيع الثاني - ماي)	١١٦	م ٧٣٥ =
كثوم بن عياض القبسي (الفثري) ? (رمضان - جوليط)	١٢٣	م ٧٦١ =
حنظلة بن صفران الكلبي (ربيع الثاني - فيفري)	١٢٤	م ٧٤٢ =
عبد الرحمن بن حبيب الفهري .	١٢٧	م ٧٤٥ =
الباس بن حبيب الفهري .	١٣٨	م ٧٥٦ =

(١) كانت له عمة معروفة باسمه .

الخلفاء الامويون

تاریخ التولیة

سلیمان بن عبد الملك .	٩٦ م = ٧١٥
عمر بن عبد العزیز .	٩٩ م = ٧١٧
یزید بن عبد الملك .	١٠١ م = ٧٢٠
هشام بن عبد الملك .	١٠٥ م = ٧٢٤
الولید بن یزید بن عبد الملك .	١٢٥ م = ٧٤٣
یزید بن الولید .	١٢٦ م = ٧٤٤
ابراهیم بن الولید .	١٢٦ م = ٧٤٤
مروان بن محمد الجعدي .	١٢٧ م = ٧٤٤

امرأة أفريقية وحكامها

العباسيون

تاريخ الدولة

حبيب بن عبد الرحمن (رجب - ديسمبر) . ١٣٨ = م ٧٥٥
 عاصم بن جليل الورقجوني (ثائر) (حرم - ماي) . ١٤٠ = م ٧٥٧
 عبد الملك بن أبي الجعد اليفري (ثائر) . ١٤٠ = م ٧٥٨
 أبو الحطاب عبد الأعلى بن السجح المعاوري الباشي . ١٤١ = م ٧٥٩
 محمد بن الأشعث الخزاعي . ١٤٣ = م ٧٦٣
 عبيسي بن يوسف (أو موسى) الحراساني (ربيع الأول - اغسطس) . ١٤٨ = م ٧٦٦
 علي بن موسى الحراساني (ثائر) . ١٤٨ = م ٧٦٦
 الأغلب بن سالم بن عقال التميمي (جمادى الثانية - جوليوس) . ١٤٨ = م ٧٦٦
 الحسن بن حرب الكلبي . ١٤٩ = م ٧٦٦
 الأغلب (للرة الثانية) . ١٥١ = م ٧٦٧

بني المطلب

أبو جعفر عمر بن حفص هزار مراد المليبي^(١) (صفر - فيبروي) . ١٥١ = م ٧٦٨
 أبو خالد يزيد^(٢) بن حاتم بن قبيصة بن المطلب . ١٥٤ = م ٧٧٠

(١) مغرب الملة باسمه .

(٢) استمر أبو خالد على إمارته بالفريقيبة إلى أن توفي يوم ١٨ رمضان سنة ١٦٠ = م ٧٨٧ وقد مُنْزَبَ العلة باسمه ، وفي هذهؤ ذات الدولة الرستمية بنيت بيت المقدس ١٦٠ = م ٧٧٦ وهي أول دولة مسلمة مستقلة تأسست بالجزائر .

الخلفاء العباسيون

تاريخ الدولة

١٣٢ م = ٧٥٠ م	أبو العباس السفاح .
١٣٦ م = ٧٥٤ م	أبو جعفر المنصور .
١٥٨ م = ٧٧٥ م	المهدي بن المنصور .
١٦٩ م = ٧٨٥ م	الهادى بن المهدى .
١٧٠ م = ٧٨٦ م	هارون الرشيد .

من مَشاھير أجيال

سکو بن واسول

هو بري من قيلة مكتنasse من اهل مواطن ملوة ، كان يعد من تابعي التابعين ، وهو جد ملوك سجلاسة من بنى مدار ، كان من حلة العلم الذين اخذوا عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وناهيك بعكرمة ، فقد قبل لسعيد بن جبير هل قعلم احدا اعلم منك ؟ ... فقال : عكرمة ؟ وجزم ابن خلكان في تاريخه بأن عكرمة من بربرة المقرب .

أبو الوليد مروان المبللي

ترجم له أبو العرب في طبقات علماء افريقيه وقال عنه انه كان ثقة مستجلا فاضلا في مثل سن سعنون بن سعد ، وكان سعنون يقول : مروان رجل صالح وهو مولى آل عمر بن حنبل : ما رأيت أحدا أوعى من وكيع ولا احظ ، وكيع امام المسلمين . وكان سعنون يعرف فضله ، وحدث عن أبي الوليد هذا قوله عبد الرحمن فقال : كان أبي يعمل الطوب بيده ، فيتصدق بثلث ما يربع ، ويتفق الثلث ويرد ثلثا في الطين والتين وفيها يصلح به عمل الطوب . قال : ولم يكن له سرير يرقى عليه ، فإذا كان قد نصب

طربا فعليه ينام في بيته . وكان يومها بالتشيبة ، فقيل لسخنون ان مروان
 يرى التشيبة فلم يقبل ذلك وقال : مروان لا يقول الا ما روى ؛ ونفي ذلك
 الى الامير محمد بن الاغلب فوجده في طلبه فوافى قبل دخوله عليه خصيا
 بيده عود او طببور فأخذته مروان من يده بقزع عنيف فكسره . فدخل
 الحصي على الامير وقال شيخ بالباب كسر من يدي كذا وكذا وخرق
 الحصي ثيابه لفظ ما نزل به عند نفسه ، فلما دخل مروان على الامير عاتبه
 فيها صنع ، فقال نعم رأيت منكراً فغيرته ! ... فلم يراجعه الامير ،
 وسأله عن مذهبها فيها قيل له وما يدين به في ذلك ؟ .. فقرأ عليه سورة
 الاخلاص حتى ختمها . قال وانا شمع عليه اهل الزينة وكان بعيداً بما
 قيل فيه ... قال وكان موته فيها احسب قريباً من موت سخنون ^(١) في
 حدود سنة اربعين ومائتين للهجرة .

(١) طبعات ملاد العربية لابي الدرب من ١٩٥٥ ط باريس ١٩١٥ م ورثاث الفتوح
 للالكتي ج ١ من ٣٠٣ ط القاهرة ١٩٥١

جَزْوَلَ تَارِيْخِي

٨٥ - ١٥٧

م ٧٧٤ - ٧٠٤

تاریخ المروادت	ام المروادت وأبوز الاحداث
م ٨٥ = ٢٠٤	عزل حسان وبده ولاية موسى بن نصیر .
م ٨٦ = ٢٠٥	فتح زغوان .
م ٨٩ = ٢٠٧	حملة موسى بن نصیر على المغرب الاوسط : الجزائر .
م ٩٠ = ٢٠٨	حملة على المغرب الافريقي .
م ١٢٢ = ٧٤٠	ثورة ميسرة المطغربي – او المدغري – ومبايته بالخلافة .
م ١٢٣ = ٧٤٠	واقعة الاشراف بنواحي وادي سلف ؟ ومقاتلة كلثوم
م ١٢٤ = ٧٤٢	بن عياض طيب بن عبيدة بتلمسان .
م ١٤٠ = ٢٥٢	واقعة القرن والاصنام ، وحروب خنطولة بن صفوان مع الخوارج .
م ١٤٤ = ٢٦١	ثورات البربر بنواحي تلسان ومبايتهم لابن فرة
م ١٤٤ = ٢٦٥	القرفي مؤسس مملكتهم .
م ١٤٨ = ٢٦٧	مقاتلة محمد بن الاشت للخوارج وموت زعيمهم أبي الخطاب .
م ١٥٠ = ٢٦٨	مقاومة الاغلب بن سالم الشيباني ببربرية تلسان .
م ١٥١ = ٢٧٤	حصار البربر من الخوارج للأمير أبي جعفر عمر بن حفص بعدينة طبة .
م ١٥٢ = ٢٧٤	تممير طبة على يدي الأمير عمر بن حفص .
	قضاء يزيد بن حاتم على الخوارج .

الدولة الرسمية

١٦٠ - ٢٩٦

٧٧٦ - ٩٠٩ م

شأنها

خرج ابو الخطاب عبد الاعلى بن السبع المعاوري امام الاباضية من القيروان سنة ١٤٩ - ٧٥٨ م لقمع شوكة قبيلة وفرجومه المتبعة بطرابلس ، واستخلف عنه القاضي عبد الرحمن بن رستم ، وبقي ابو الخطاب هنالك الى سنة ١٤٤ - ٧٦١ م حيث بعث لابن رستم ليتحقق به في وقائع الامير محمد بن الاشتت ؛ وما كاد ابن رستم يتصل في جنوده وعساكره الجراراة بأبي الخطاب حتى يلقه نعيه وانهزام جيشه ؛ وشاهد يومئذ ابن رستم في قابس حوادث نورات الاهالي على العامل بها ؛ فما وسعه الا الرجوع الى القيروان فصادفها كذلك في نورة عامة عارمة فقتل منها في اده وولده وخرج مختلياً عن الاعين الى ان حل بالغرب الاوسط فنزل على قبيلة (ملابة) محيل منيع يسمى سوفجع . فاقتله اهالي الجبل بما يليق به من الاص��ام ، وساع يومئذ ذكره في الآفاق فرفدت عليه وجوه الاباضية من العلماء والاعيان واخذوا حيئته في تدبرهم وتنظيم شؤونهم من رفع شأن الخارج بانشاء دولة لهم ؛ وبينما

القوم يخوضون في ذلك اذ فاجأتهم جنود ابن الاشت فاحتاطت بالجبل ثم ارقدوا عنه بأمر اميرهم ؛ وبرغم ذلك خرج ابن رستم في اصحابه يطلبون مكاناً متبايناً يختذله كفركز لبث دعوتهم ونشر مبادعهم بذلك النواحي ، فكان ذلك المكان بعالة وهران على غية بين ثلاثة انور عند سفح جبل جزول^(١) ، هو (تيهرت) المعروفة اليوم بتقادمت غرب المدينة الرومانية (قيارات) الحالية اي على نحو خمسة اميال منها^(٢) ، وكان شرعيهم في ذلك سنة ١٤٨ هـ - ٧٦٥ م ؛ ثم كانت بيعة عبد الرحمن بن رستم بالأمامية في سنة ١٦٠ هـ - ٧٧٦ م فكان بذلك عبد الرحمن اول مؤسس لدولة اسلامية جزائرية مستقلة ، ويبدو من عدم مقاومة الامير العباسى بالقيروان لهذه الدولة الجزائرية الناشئة ان الامارة الغربية كانت ضعيفة بالغرب العربي يومئذ ؛ كما ان اهال الاغابة لها هو كذلك من بواعث نشاط هذه الدولة في توطيد ملكها بهذه الديار .

ولقد نجحت هذه الدولة في تأسيس مركزها هذا فوفقت فيه غالباً التوفيق فان قرب تيهرت من الصحراء ينبعها من الواقع في يد العدو في أيام الطرف ، كما ان موقعها هذا بين جبال الاطلس الى بلاد التل الحصبة جعلها تومن على بلاد المغرب من جهةها الأربع ، فلا هي متطرفة جنوباً ولا شمالاً ، ثم انها كانت حسب موقعها الجغرافي ايضاً متوسطة بين ولاية تونس والمغرب الاقصى .

نظامها المكتومي

يرتكز عود نظام الحكم بهذه الدولة على قواعد الكتاب والستة حسب ما تؤديه قواعد اتجاهاته المذهب الاباضي تحت ادارة واشراف رئيسها

(١) وهو جبل متصل بارض السوس وبسي عددهم بجبل دري وهو ما يسمى في ارض الزاب الجزائري بجبل «اوراس». انظر البقوبي: كتاب البلدان ص ٣٠ ط بيدي ١٨٦٠ م.

(٢) انظر البكري ص ٦٦ ط الجزائر ١٨٥٧ م .

الاعلى الملقب بالأمام - اذ لا خلافة وراثية عندهم - والامام يتعين في منصبها هذا بالانتخاب والكلفادة او المهد اليه من سلفه ؟ وله مستشارون ومحاسبون وامانة بيت المال ؟ والقاضي السلطة المطلقة في تطبيق الاحكام الشرعية وهو في الغالب يكون من غير اهل البلد ليهاب الناس ، وهناك شرطة لغاية الامن العام وتجند مختلط من العرب والمجمح والبربر . وماليتها متكونة بما يتجمع في خزینتها من مال الزكاة والجزية والخراج ^(١) مع ما كان يتجمع لديها من ثبعات خوارج المشرق ايضاً . فكلات الحكومة تلقى منها بالعدل وما فضل عنها ردهه على الفقراء والمساكين ، والحكومة سكة مضروبة باسمها اما لغتها الرسمية فهي العربية وبجانبها البربرية وكثيراً ما ترجمت اليها كتب العلم والدين والدعاوى ايضاً وحتى القرآن الكريم ؛ ولقد تعاقب على ملوك هذه الدولة غالباً من الأفة .

حدود المملكة الوستمية

يمتد هذه المملكة شمالاً تلول منداش الى قرب غليزان ، ويذهب الخط جنوباً من هناك الى فرندة وينطف شرقاً بجبل مور ، ومن هناك الى وطن ميزاب والى وارجلة ، وينبع الخط من الناحية الشرقية الى تيسبيل والرسو ، ويذهب صعداً الى ثنية الاحد والى قصر البخاري شرقاً واعالي وادي سف : ويذهب جنوباً شرقاً الاغواط الى تقرت ووادي ريني ؛ وبالجملة فان هذه الدولة قد استولت على جميع التراب الجزائري الحاضر ما عدا ناحية الزاب شرقاً وتلمسان غرباً .

وفي كتاب البدان لليعقوبي قال : « ويتصل بعدينة تاهرت بلد عظيم ينسب الى تاهرت في طاعة محمد بن اففع بن عبد الرحمن بن رسم ، والمحصن الذي على ساحل البحر الاعظم ترسى به مراكب تاهرت يقال

(١) الجزية مال ينفاضي من اهل الكتاب ، والخراج مال يؤخذ من ارض الصلح . وما قطع عنوة (فهو وضر) بخلاف فيه ما لا يؤخذ الا من ارض المعركة فقط .

له مرمى فروع . وفي سياق حديثه عن مدينة طرابلس وارض نفوذه قال : « ان بهذه الارض قوم عجم الالسن الاباضية كلام ، لم يُتم دينهم يقال له الياس لا يخرجون عن امره ومتنازفهم في جبال طرابلس في ضياع وقري ومزارع وعارات كثيرة لا يؤدون خرائجاً الى سلطان ولا يعطون طاعة الالهي دينهم لم يتأهرت وهو رئيس الاباضية يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن دسم فارسي »^(١) الخ ...

هذا النص يجعلنا نعتقد سمة رقة المسلكة الجزائرية وانتشار سلطان الرستميين بها الى ما وراء طرابلس الغرب شرقاً . ويدرك لنا ياقوت المويي عاصمة الرستميين - تأهرت - فيقول انها لم تكن في طاعة صاحب افريقيا ولا بلغت عساكر المسودة اليها فقط ولا دخلت في سلطان بني الأغلب .

الامام عبد الرحمن بن دسم

اصل هذا الامام فارسي وينسب الى الاسرة الملكية الكسروية ... وهو من موالى عثمان بن عفان ، يويع بالامامة سنة ١٦٠ - ٧٧٦ م بتأهرت وكان على جانب عظيم من العلم والعمل والمعدل والمعدل والمعذد ، وكانت له عنابة كبيرة ياعلاه شأن دولته ، وله اهتمام خاص بفن المعمار ، مشتمل بشؤون الرعية والسرير على مصالحها ، ويبلغ من زعده ان رد على اهل الشرق ما ي思وا به اليه من عشرة احوال ذهب ، وقد سبق ان قبل منهم متلا قبل ذلك حيث كانت الدولة في حاجة اليه ايام التأسيس ، وكانت ايامه كلها سلماً وامنأ ، وله من التأليف تفسير للقرآن العظيم وديوان خطب ، ورسائل اخوانيات كاتب بها اخوانه واصدقائه ، وكانت وفاته سنة ١٧١ - ٧٨٧ م وقد عهد بالامر بعده الى سبعة من الاعيان

(١) كتاب البلدان من ٧ و ١٤ ط ليدن ١٩٦٠ م .

منهم ولده عبد الوهاب فبايعه الناس بعده^(١).

الامام عبد الوهاب

بوبع اثر وفاة والده بشير ، وهو من اعلم علماء الاباضية في وقته ، كان متضلعماً في علوم الشريعة وله في الفقه كتاب اشتهر باسم « مسائل نقوسة » ما عدا فتاوى ورسائل في مسائل شتى . واشتهر بقوة الشكيبة والدهاء السياسي والخمر والتغرة الطائفة ؟ وان اول ما قام به من الاعمال السياسية ان همل على موادعة امير القiroوان روح بن حاتم وربط صلته به ، فاطمأن الناس الى ذلك وتأكدوا من رسوخ قدم الدولة الرستمية في الملك .

ثورة ابن فندن

هو احد الرجال السبعة الذين عهد اليهم عبد الرحمن بن رستم بأمر الشورى بيده ، قطع اولاً الى الملك وتطلع الى منصب الامامة ، وبعدما تحقق اخفاقة عبايعة عبد الوهاب تشفى الى تبوأ المنصب الممتازة في الدولة فلم ينبعج كذلك ، ويومئذ عمل على ايقاد نار الفتنة ضد الحكومة القائمة ودبر مكيدة لاغتيال الامام وجاه بشيعته من التكاريـة - وهم من الموارج ايضاً - فكانت بينه وبين الحكومة وقائع عديدة سفكت فيها الدماء انهاوا فاضطررت الحكومة الى مهادنته حقناً للدماء ؛ وبقي ابن فندن مع ذلك يتربّب الفرصة لا لوثب مرة ثانية على الدولة ؟ فاتلق يوماً ان صادف تعيّب الامام عن العاصمة - تاهرت - فزحف هذا التأثر باتباعه على المدينة فكان فيها حتفه على يد افلح بن عبد الوهاب ، ويقدر عدد القتلى في هذه الواقعة باثني عشر الفاً ، فاستثار ذلك دفين حقد البكارية وكين ضغبيتهم فهاجروا العاصمة وقتلوا ميسون بن عبد الوهاب ثم انهزوا واندحروا .

(١) يذكر النابيون ان لمد الرعن بن رستم بتنا اسماً « اروى » توجهها مدوار الشعر ساحب سبلة ؛ بنها بعد اعتزاله الملك توفي سنة ٣٥٣ هـ = ٩٦٧ م .

رفقت هذه القيبة الجزائرية مبادرة الدولة الرستمية واعلنت عصيانها سنة ١٧٣ - ٢٨٩ م ومدت يدها الى دولة الادراسة الفاسدة يومئذ بالغرب الاقصى وتلمسان ؛ فنهضت اليها الحكومة الجزائرية لردها الى الطاعة وسمت لدتها بكل وسيلة فلم تتبعج ويومئذ اعلنت الدولة الحرب في وجه القيبة وخاصة منها بطن مغراوة وبني يفرن فلم يجد الحكومة ذلك تفعلاً واستمرت زنانة على عصيانها خاضعة للادراسة الى النهاية .

ثورة بنى مالة

كانت رأسة قيبة هراوة التي تحتل الساحل من برقة الى قابس ، لولا من بني مالة فاتتفق ان خطب احد رؤسائها يد بنت رئيس من رؤساء قبائل البربر بالجزائر يقصد الالتحام مع هذه القيبة تعزيزاً لقوتها ؛ فحال بينما الامام الرستمي خيبة تحزب القبيلتين ضده وعقد هذه المظاهرة لنفسه ، فقضى بذلك بنى مالة هاجروا المغرب الاوسط وحملوا على الرستميين السلاح فانتصر عليهم الامام عبد الوهاب وطاردتهم جيوشه الى ناحية تلمسان .

امتداد الملكة الرستمية

اشتد سير التنازع بين امراء افريقيا من الاغابة ورؤساه هراوة ،

(١) قيبة ببربرية عريقة في القدم منتشرة في كامل الشمال الافريقي وهي تسكن على الانسخ المغرب الاوسط - الجزائر - بحيث انه ينسب اليها ويعرف بها ، ليقال وطن زنانة ؛ ومنها بطن مغراوة وبهراءة قوم الكاهنة ، بنو يفرن ووجه بالجنوب الجزائري ، وكانت الرأسة لهم قبل الاسلام بحراوة ثم هراوة وبين يدرن وموطنها بنواحي تلمسان الى وهران وشف ثعالة والى غرب من نهاية المسكر جنوباً . ويقول الادريسي ان زنانة عرب صرح واما تبرروا بالجاورة والمخالفة قهير من الصابد ... ويؤثر عن حسان بن البشان انه كان يقول بعروتهم ... ومن زنانة بنو ورسين ملوك ملائكة ، وبنو منديل ملوك مازونة ، وبنو خزر ملوك وهران .

فادي ذلك الخلاف والنزاع الى اتفاق المقرب ينتها وقاد النصر ان يكون حليف الامارة الاغلية لولا استبعاد هوارة بالدولة الرستمية واستئصالها بها ويومئذ رأى الامام عبد الوهاب ان الفرصة سحيت له لبسط نفوذه على التواحي الشرفية ففتح منها طرابلس وقابس وجزيره جربة ؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون : ... وبلن الخبر - أبي خبر ثورة هوارة بطرابلس خد الاغالة ٨١١ - ١٩٦ م - الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رسم فجمع البوارى وجاء الى طرابلس فمعاصرها وسد عبد الوهاب بباب زنانه وكان يقاتل من باب هوارة ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالهم على ان يكون البلد والبحر لمبداه - وللي طرابلس من قبل الاغالة - واعمالها لمبد الوهاب ، وسار الى القيروان^(١) . وقضى عبد الوهاب خبه سنة ٨٠٥ - ١٩٠ م وقيل انه عاش الى سنة ٨٢٣ - ١٩٠ م فبويغ بعده لابنه افلح .

الامام افلح

هو أطول ائمه هذه الدولة مدة في الملك ، فانه بويغ اثر وفاته والده عبد الوهاب سنة ١٩٠ - ٨٠٥ م الى ان توفي سنة ٨٤٠ - ١٩٠ م أي مدة خمسين سنة ، وكان يسلم عليه بالخلافة كما ذكره ابن القبيه الميداني^(٢) ، وكانت أيامه كلها أيام رغد ويسر ؛ وهو أحد اخذاد ائمة الدولة البارزين والعلماء العارفين ذا أدب بهم واطلاع واسع وشر وريق ومتانة في الدين ؛ كانت له مواقف حاسمة رد بها على توار جيل نفوسه ، وهو تارة يسلك معيهم مسلك الذين والخلف ، وتارة يأخذهم بالشدة والعنف وكان الانتصار حليقه دائمًا .

اما علاقته بالخارج ، فانه كان على صفاء واتصال ودي مع خلقه

(١) العبر جزء ٤ من ١٩٧ ط بولاق ١٢٧٤ .

(٢) كتاب البلدان س ٣٠ ط الجزائر ١٩٤٩ م .

الأندلس الامويين ومع السودان أيضاً تربط بينهم جميعاً أوامر التجارة ووحدة الموى أيضاً، ويظهر ذلك جلّاً في جقاء الامام للدولة الأغليية المجاورة التي هي من صنائع الدولة العباسية: فانه لما بني ابو العباس محمد بن الأغلب مدينة «العباسية» بقرب تبرت سنة ٨٤١ - ٥٢٧ هـ هدفها الامام افلح وأحررها وكتب في ذلك الى صاحب الاندلس يترب اليه، فبعث اليه هذا يائلاً الف درهم؛ فانتقم لذلك العباسيون بالقبض على ابنه أبي اليقطان حين قدم الى الحجج وأودعوه السجن ببغداد، فحزن الامام على ولده ولم يزل محزوناً بهجاً الى ان توفي سنة ٨٥٤ - ٥٢٤ م وتولى بعده ولده الثاني أبو بكر.

الامام ابو بكر بن افلح

اشهر الامام أبو بكر بخصال الكرم والجلود ولبن العريكة والنسامح وسهولة الخلق ميالاً الى الدعة والرفاهية، فاركأً أمر ملكه وادارة شؤون دولته الى صهره ابن عرفة التهري الذي أصبح بسعاته من الوساثة والخدمة ينافس الامام في ملكه فحصلت بينهما من ذلك وحثة أدت الى اغتيال ابن عرفة واضطراب حبل المكرمة بقيام اصحابه على الامام واستمرت الفتن بتبرت الى ان عاد أبو اليقطان من الشرق واستلم زمام الدولة من أخيه فهر التائز وقضى على المتصوم فسكنت البلاد مدة ثم نشأت حركات ثورية أيضاً من الاعاجم المزاحين لآل ابن دسم في الرئسة، انتصر فيها هولاً مراراً على الحكومة كما اذاقهم الجلد باسًّا في كثير من مواقف القتال، وعمت الفتنة اباخية جبل نقوسة فانضم اليهم أبو اليقطان وتعددت المراكز بين الطائفتين وكان النصر فيها سعالاً، ولم يزل شأن أبي بكر يضفي اماماً خصوصه وأعدائه حتى لاذ بالفرار بعد عامين من ولاته فقط، واحتل المدينة محمد بن مسالة الغواري فقبض على دقة الحكم وأبعى عن المدينة من كان فيها من أهل لواحة ثم أبعى الناس على مبايعة أبي اليقطان.

الامام أبو البقطان

هو محمد بن افلاج بوييع يحسن لواثة على قرب من قاسلونت حيث تلibur عيون نهر مدينة الباري قبلة تيهرت ، وكانت مبايعة انور خروج أخيه الامام أبي بكر سنة ٤٢٤ هـ - ٨٥٥ مـ . وقد حفظ لنا التاريخ من صفاته الخلقية انه كان ربعة ابيض الرأس واللحية ؟ ومن الخلقية انه كان ذا علم وورع متتفقاً ناسكاً زاهداً فان كل ما وجد في تركته بعد موته هو سبعة عشر ديناراً فقط ! ... وقد سبقت هنا الاشارة الى سببه أيام ولاده افلح وبقى العباسين عليه الى خلافة المترکل حيث رفع عنه القبض فعاد الى الجزائر ، فوافاها ثائرة على أخيه فحاول القبض على زمام الدولة فلم ينجح واستمرت حروات اصحاب ابن عرفة والمنافسين من الاعاجم حتى انضم أبو البقطان الى اباخية نقوسة فاعانوه على القضاء على الثورة وفتح تيهرت صلحاً واستقر بها اماماً مطاعاً الى وفاته سنة ٤٢٨ هـ - ٨٩٤ مـ عن سن تناهز المائة سنة قضى منها زهاء اربعين سنة في الولاية .

جماعة ووباء ١ ...

استد القحط الناس وعمت الجماعة جميع بلاد المغرب والأندلس من سنة ٤٥٣ الى ٤٦٥ هـ (٨٧٧ - ٨٧٨ مـ) ثم انقض ذلك وباء وموت مئات سنة ٤٨٥ هـ - ٨٩٨ مـ وقد عم ذلك بلاد مصر وال Hijaz ايضاً .

ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر

ظهرت هذه الدعوة الشيعية بالجزائر لأول مرة في وادي الورمل (سوق حمار) بنواحي قسنطينة ومرماجنة (ما بين بجاية وسيبة) وكان ظهورها على يدي وجلين سلامهما جاءه من الشرق سنة ٤٧٩ هـ - ٨٩٢ مـ موقداً من طرف بعض الصادق لبث الدعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذ ببغداد ، وخلافة الامويين بالأندلس والمغرب ، ونشر مبادئ الشيعة التي ترمي الى

اقامة الخلافة الاسلامية في آل البيت ، فقاما بهذه الاوساط التربوية بعمان على تفاصيل خطتها الى وفاتها فخلفها من بعد ابو عبدالله الشيعي بكتامة ، وهو الذي قضى على مملكة الاغالبة شرقاً وبنى رسم غرباً .

الامام أبو حاتم

هو يوسف بن أبي القظان جاءته اليمعة اثر وفاة والده سنة ٨٢٨ هـ ١٤٩٤ م وهو متقب بجبيشه في حياة الفواضل فعاد الى العاصمة مصراعاً لتحمل اعباء المملكة وكان رجلاً وسياً حسناً كرم البهاء والأخلاق مدرباً على ادارة شؤون الدولة وتنظيم شأن الحكومة ، وبعد ستة من ولادته خرج عليه عمه يعقوب بن افلح وكان يكره الاباضية مع شذوذ فيه وجمع حوله طائفة من اهل تبرت ومشيختها فاقضام الامام عن العاصمة ثم عادوا فاقتحمواها عليه وأثروا بها فنتهم ؛ ويومئذ خرج أبو حاتم عن عاصمة فاجتمع اليه انصاره فزحف بهم الى العاصمة وضرب عليها الحصار مددداً عليها المخناق الى ان اضطر اهلها الى طلب الكف عنهم والهادئة ، فشكف عنهم الامام على ان يسلمو اليه رؤسائهم وكباراهم ، فأبوا ، وحينئذ عادت الحرب الى ما كانت عليه من قبل وباءروا عمه يعقوب بن افلح .

الامام يعقوب بن افلح

بويع وهو يأرض زواقة غربي طرابلس ، فأسرع من جبه الى العاصمة تبرت فقاتل بها أبو حاتم ودامت الحال على ذلك مدة أربع سنوات الى ان سعى ذوو الوجاهة والفضل في الصلح بين الطرفين فانتشر السلام بالملائكة أربعة أشهر . وفي اثنائها عمل أبو حاتم على استغاثة القلوب اليه واكتساب مردودة القوم فكانت اليه الرعاية وانقلب على عمه يعقوب فخلعه ، فذهب حينئذ الى حيث كان مجاهدات طرابلس ، وطال به أجله الى ان شاهد سقوط تبرت بيد الشيعة العبيدين ، فارتمى اثراها الى بني وارجلان

- وارفة - وهنالك عرضت عليه البيعة فألى ما علمه من ضعف الرستميين أيام الشيعة وقال يرمي كملة المشهورة التي أرسلها مثلاً: لا يستر
أجل بالغم ! ... ومات هنالك .

عودة أبي حاتم

تصدى أبو حاتم في هذه المرة إلى قمع الفتن وتسكين النوار ورفع
شأن العلماء على اختلاف مذاهبهم وزعامتهم والعنابة باصلاح البلاد ونشر
العدل والامن بين الناس ، فجاءه وفود الخطباء والشعراء فاقفة بين يديه
تعدد اباديه وتقشر مناقبه ، وأخيراً اتسر عليه مناسوه من يبني عمه
وأخواته فقتلوه غيلة سنة ٥٢٩٤ - ٩٠٦ م وقيل بعد ستين من هذا
التاريخ ? ... وفر حينئذ أبو سليمان بن يعقوب بن عم ابن حاتم إلى
ورجلان ، وبابعوا أخاه اليقطان .

الإمام اليقطان

هو ابن اليقطان محمد تولى الإمامة وأيام دولته ذمة وحكومة
مضطربة ، فعاش مهدد الجانب بختل النظام ولم تطل إقامته حتى دخل
عليه أبو عبد الله الشيعي فقتله في خاصته وجاءة من أهل بيته في سوال
سنة ٥٢٩٦ = جوان ٩٠٩ م وذلك بابعاً ومؤامرة من وجوه الرعية .

المذاهب والعقائد

كان أهل المغرب العربي في صدر الاسلام يسيرون في عقائدهم وعبادتهم
حسبما يرسند اليه الكتاب والسنّة وما ورد في ذلك من الآثار عن السلف
الصالح من غير انتهاء الى أهل مذهب او طائفة او فرقه او نحلة الى
أن قدم عليه جماعة من المشرق من تشبعوا بأراء أهل العراق فكلوا
برون رأي أبي حنيفة واصحابه مثل عبد الله بن عمر بن فروخ الفارسي
واسد بن الفرات قاضي افريقية فتشروا مذهب الكوفيين بافريقية وهكذا

إلى أن تولى سحنون بن سعد القضاة فنشر مذهب مالك؛ وكان المخواج يومئذ من وفدا على المغرب عتيقين فشرعوا به كذلك عقائد ومذاهبيهم من نكارة وصفرية وباضية الخ... وكان ابن رستم مؤسس هذه الدولة على مذهب البااضية^(١) فرضع قواعد دولته على اسس مذهبها الخارجي وكان مع ذلك هو وجميع من خلفه على عرش تيبرت متبايناً مع جميع أهل المذاهب الأخرى من أهل الرأي وغيرهم، فقد كانت الناظرات والباحثات العلية تعقد بين أيدي الآلة للنظر والجدل في مسائل الاعتقاد وغيرها وذلك بصدر رحب. قال ابن الصغير الملكي مؤرخ هذه الدولة... ومن أني إلى حلقة البااضية من غيرهم قربوه وناظروه لطف مناظرة، وكذلك من أني من البااضية إلى حلقة غيرهم كان سببه كذلك^(٢)... ورغم ذلك فإنه وقع شيء من التنازع المذهبي بين النكارة والبااضية على عدم الامام عبد الوهاب وهو في حقيقة أمره راعٍ سيامي لا ديني سببه التهالك على الرأسة من أصحاب المقاصد والمتافع الشخصية وهو الذي كان سبباً في فتح باب الطعن في الامام والانكشار

(١) راجع هامش صفحة ١٧٨ عن هذا الجزء.

(٢) كان أكبر سول فقهاء البااضية على مذهبة ابن غازم وهي بريبرية المائة ثم مزجوا فهم بالعربي ولا تزيد مسائل الخلاف بين البااضية وغيرهم من المسلمين أقل الصلة عن بعض مسائل اجتماعية؛ أمها مسألة العصات فغير البااضية يقولون أنها غير المقصودة وإنما ذريعة يقدمه عزوجل، والبااضية يقولون بأنها عن الذات. ومسألة رؤبة الباري بسجنه فغير البااضية يشنونها كما يليق بعلمه، وهم ينكرونها. ومسألة القرآن فيه البااضية ينكرون حلقة، وهم يقولون بأنه مخلوق محدث. ومسألة الإيمان فهو عند البااضية لا يتم إلا بالعمل، وعند غيرهم أنها هو مجرد اعتقاد يصبح النطق. ومسألة الخلوة في النار فهو عند البااضية لا يقولون بذلك العصاة المؤمنين، أما عدم فحذرون. ومسألة الكفر فإنه لا يطلق عند الاشاعرة إلا على من كفر بالله أو أشرك، وعند البااضية يطلق أيضاً على التافق وعلى كل من كفر بالنسنة. ومسألة الشفاعة فلا ينالها عند البااضية أصحاب الكتاب، أما عند غيرهم فهم، الخ... وهناك مسائل أخرى لا تختلف كثيراً عنها هو موجود ومحروف كذلك بين الاشاعرة والماتريديه من الخلافات المذهبية والاجتماعية؛ كما أن هناك أيضاً مسائل خلافية في الفروع الفقهية من قبل ما هو متدين وشائع بين سائر المذاهب الإسلامية؛ ولكن وجهة، ولكن بمعنى آخر.

عليه ، وقد ادى ذلك الى وقائع دامية ، وهكذا حب الرئامة مها دخل شيئاً الا وافسدة .

الثقافة والحضارة والعموران

ليست هنالك دولة من الدول الاسلامية الجزائرية كانت قد اني حضارة هذه الدولة فيها بلغت من الرقي والازدهار المادي والادبي سوى حضارة الدولة الحادية التي تلألت أبووارها بالقلعة وبمحاجة كما سمعدتك عنها فيما يأتي ؟ فلقد بلغت تيهرت يومئذ شأراً عظيماً من المدينة وال عمران ومن توفر أسباب الحضارة والرفاهية حتى أنها كانت تبني وتقارن بقرطبة وبنداد ودمشق من عواصم الشرق اللامعة ، حتى أنها كانت تدعى بعرق المغرب وكانت بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والمحصنة والهبارات والمساجد والمتربفات ما يشهي منشآت هذه البلاد ، وسكن بها من أهل الكوفة والبصرة والقيروان والأندلس وببلاد العجم وغيرهم من أرباب الصناعات والحرف والفنون الجليلة عدد واخر ، وكان فيمن وفد على الجزائر يومئذ من أكابر أعيان الشرق : عبد الرحمن الداخل - صقر قريش - فلقد حل بها مستجراً بباطل افة تيهرت وملوكها الرستميين ، وتقلب بين قبائل البربر هناك الى أن استقر عند قوم من زناتة قبل انتقاله الى الاندلس^(١) .

ولا ننس ان امه بربورية تقزية من قبيلة نفزاوة . وقد كان بالجزائر من العلماء والادباء ما يحق لها ان تفخر بهم يومئذ على البلاد مثل : أبي الفضل احمد التاهري ، ومشاهير بيت آل الطيني زيادة الله ، وسعيد بن واشكشل التاهري ، وبكر بن حماد الشاعر وغيرهم ... ويكفيانا في الاستدلال على ذلك نبوغ امثال جوذا ابن قريش التاهري - في القرن الرابع المجري - فإنه كان متضلعماً في كل من اللغات العربية والعبرانية

(١) نفع الطيب ج ١ ص ٣٦٢ وج ٤ ص ٢٨ ط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٩ م .

والازمية والفارية والبربرية ، وحاول المقاربة بين بعضها ، وهو الواقع لاساس النحو النظيري ، وله في ذلك كتاب موجود بكتبة اوكلسفلوره من بلاد الانكليز هو من نفس ما كتب في الموضوع . وقد كان امة هذه الدولة ورؤساؤها يعتقدون بمحالس العلم والتعليم يعلمون الناس ويعلقون عليهم بأنفسهم دروساً عامة بالمساجد في فنون من العلم مختلفة ؛ وفيهم من يقول الشعر ايضاً ؛ فمن ذلك قول الامام افلاع في العلم :

العلم ایش لاهل العلم آثارا
يربك اصحابهم روحأً وابكارا
حي وان مات فو علم وذو ورع
ما مات عبد قضى من ذاك اوطارا
كبت قدم ثوى في الرمس اعصارا
له عصبة اهل العلم ان لهم فضلاً على الناس غياباً وحضارا

وهي تصيدة طويلة تغطي على الاربعين بيتأً وكلها على هذا التوال في مدح العلم وبيان فضله وزيايا العلماء ... ولهزلاه الافنة والولادة عنابة شديدة بجمع الكتب النادرة وجلبها من اي مكان كانت فتكومنت لم بذلك خزانة دار الامارة الشهورة بكتبة قصبة المحمودة وكان فيها من نوادر المخطوطات ونقالس الكتب ما يؤسف لفقده اليوم ا ... ولقد فقدت هذه الخزانة العاهرة في حرواث الاحتلال الفاطمي ، ويقال عنها انها كانت تشتمل على ثلاغة ألف مجلد ...

وبينا الحال على ما وصفنا في الجزائر ازدهاراً اذ كان شارللان امبراطور فرنسا الاكبر - في القرن الثاني المجري ، والثامن الميلادي - يحاول ان يتمل ويتعبب الى الآداب خلياً ساذجاً كما يحب غير المتعلمين ان يروا احياناً السطور المكتوبة ، وكانت تبه آداب عصره ادب صيانت المدارس وغاربيتهم اليوم ، بل لم يكن في غاليا - فرنسا - شيء يشبه الادب ، ولقد فقد منها على عهد شارللان وبعدة بزمن طويل كل اهتمام بشيء يقال فيه تقافة العامة .

اما عن الحياة الاقتصادية من فلاحة وتجارة وحركة الصادرات والواردات فان مملكة تيهرت كانت تعد احدى عجائب العالم الاقتصادية الكبرى

فهي واسعة الأخذ والعطاء فكانت الجبوب والازهار بأنواعها تزعم بأرض الجزائر والأسواق ملأى ب مختلف البضائع والمصنوعات ، وكانت طرق التوافل معدة متصلة بصحراء افريقيا وبلاد السودان شرقاً وغرباً ، قال البكري : « وفيها - اي تيهرت - جميع الموارد سفرجلها ينفق سفرجل الآفاق حسناً وطعماً ومشماً ويسمى بالفارس ، وهي شديدة البرد كثيرة الفيوم والناتج ... قال : وبتيهرت آسواق عاهرة وحمامات كثيرة ، يسمى منها ائم عشر حاماً ، وحوالياً من البربر امم كثيرة ، ومدهم الذي يكتالون به خمسة افقرة ونصف قرطيبة ، وقسطار الزيت وغيره عندم قسطاران غير ذلك إلا الجبوب من الفلالل وغیره فإنه قسطار عدل ، ورطل اللحم عندم خمسة ارطال . ويفرق المقدمي في وصفها بأوصاف الحسن والكمال الى ان يقول فيها : هي بلد كبير كثير الحير ... هي بلخ المغرب ... »^(١) . كما ان السفن تقدو وتزور بين بو العدوة ومرامي الجزائر مشحونة بشئ أصناف السلع ... ولقد خصت أخبار تيهرت بالتدوين ، فأفرد لها بالتأليف أبو عبدالله محمد بن يوسف التاريجي الاندلسي المشهور بالوراق في كتاب خاص لا ندرى أين هو اليوم ؟ ! ...

اهيار الدولة الرستمية

ان اكبر عامل في سقوط هذه الدولة هو اختلاف الكلمة بين الحكومة والشعب وما انتشر عن ذلك يومئذ من الفتن والاضطرابات التي اضفت الدولة امام رعيتها فتضعضعت بفقد جندها الحامي . واخذت احزاب الامة يومئذ في حبك المؤامرات ضد الحكومة فقتل الامام ابو حاتم ، وقامت « دوسرا » بنت اليقطان - الامام نفسه - تشارك في حالة ابي عبدالله الشيمي للقضاء على الدولة وقتل الامام ! ... وكانت الدعوة الشيعية يومئذ قد اطبقت البلاد وذاع خبر انتصارها على الدولة الانجليزية الجاوية فخرج

(١) المسالك والمالك البكري ص ٦٦ - ٦٩ ط الجزائر ١٨٥٦م ، وامثل النمايس للعنسي ص ٢٤ ط الجزائر ١٩٥٠م .

الامام البظاظان مستسماً العبيديين فقضوا عليه وعلى دولته سنة ٩٠٩ - ٥٣٩٦ فكان ذلك كله من عوامل تسيير الاستيلاء الشيعي على البلاد فسقطت يد العبيديين من غير قتال ولا حرب .

تأسيس بلاد مزاب

كان لسقوط هذه الدولة وقع عظيم في نفوس اولى الفيرة الوطنية والخاسين الذين هاجروا تبرت الى الجنوب فنهم من هاجر الى الجنوب الغربي ، ومنهم من هاجر مع الامام يعقوب الى نواحي وادي مينة فأسسوا مدينة الكربعة ، ودخلوا مدينة بني وجلان - وارقة - وهناك على بعد اربعة عشر كيلومتراً جنوباً اخذوا في تأسيس عاصمتهم الجبلية « سدراتة » المروفة عند البربر بأسدوان ذات المدينة العظيمة ، فأثاثوا بها فصورهم البدعية والمنازل الرفيعة واقاموا بها البساتين والمزارع والمنشآت الضخمة ونشروا فيها من الرفاهية والمحضارة ما اعجب منه العلماء اليوم . ولقد شرع الباحثون من علماء الآثار والحفريات منذ ربيع سنة ١٩٥١ في الكشف عن هذه المدينة التي غطتها الرمال وتركتمت عليها الكتابان ؛ فعنروا في بجوبتهم الخضراء على آثار جليلة قيمة من مبان عجيبة ونقوش مزخرفة وخطوط كوفية وأشكال هندية واروان متنوعة ذات اهمية كبيرة في تاريخ الجزائر الحافل ولا يزال البحث وأعمال الحفر والتقييب مستمرة حول هذه المدينة التي يبلغ طولها اكثر من كيلومترتين ، وعرضها نحو كيلومتر واحد : فهي حقاً احدى ذخائر وكنوز الفن الجزائري باتم معناه ؛ وبالتحف الجزائري اليوم بعض تحف ثانية وقطع نحيلة غير عليها بهذه المدينة فهي موضعرة هناك معروفة للجمهور ، آلة ناطقة بعصرية الجزائري وتقدم الفن الاسلامي بالجزائر منذ اكتر من ألف سنة ؟ قال الشريف الادريسي عن مدينة « وارقلان » - وارقة - هي مدينة فيها بسائل ميسير وتجار اغنياء يتجلبون في بلاد السودان الى بلاد غاتة وببلاد ونقارة - هكارة ؟ - فيغزجون منها التبر ويضربونه في بلدم - عملة مسكونة - باسم بلدم ، وهم وعبيبة اباشية . وبعد ما اظهر القوم هنالك نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي هاهم اهل

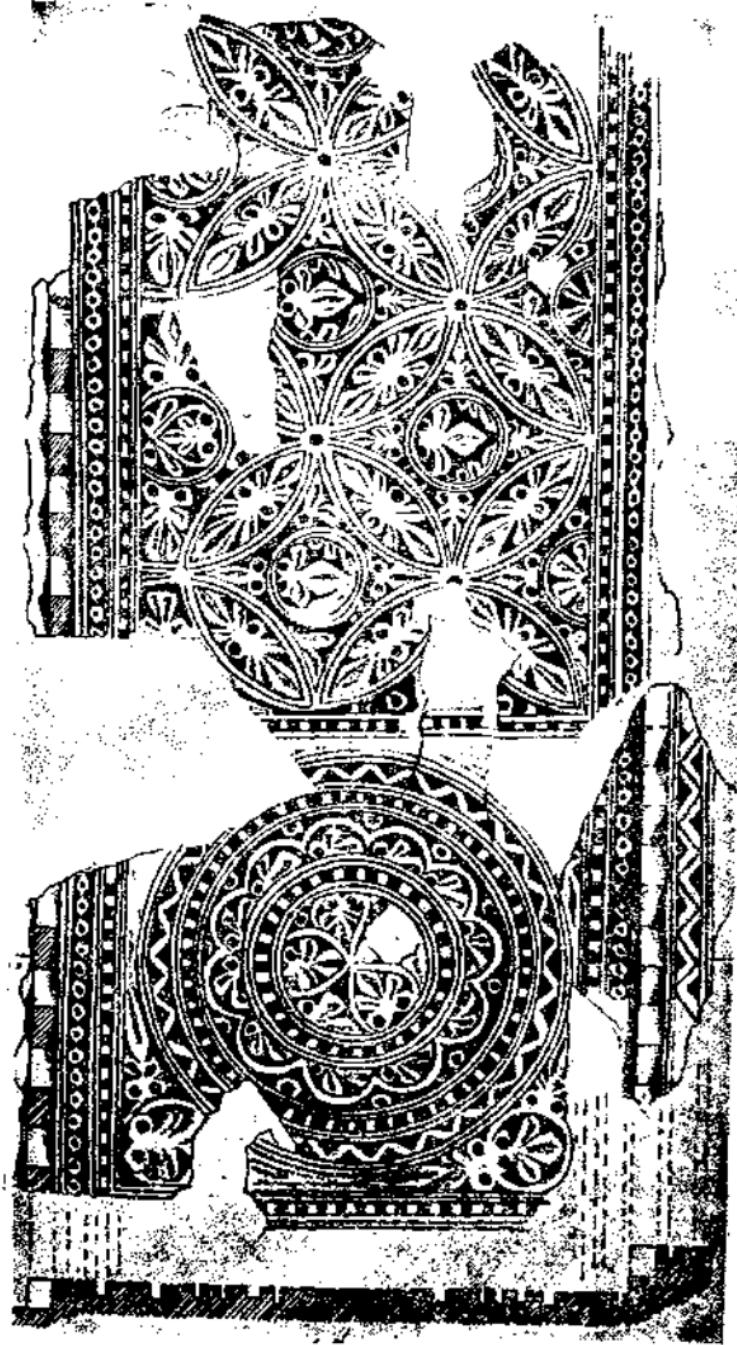


من آثار مدينة سدراة في القرن الرابع المغربي



من آثار مدينة - سدراة - (يرك)

— گلہاری کا ایک دلچسپی کا نام ہے —



وارفة ونوجسوا منهم خيلة وخشوا منهم المتأفة والمزاجة ؛ فأجلوهم عنها وحل محلهم الزوج . فغدر الأباية منها يؤمن إلى جبال بني مصاب ، أو مزاب بالشمال الغربي من وارفة وجنوب مدينة الأغواط فسكنوا أولًا الحمام ثم اخذوا في تأسيس المدن والقرى ، فكان أول ما أسموا هنالك مدينة العطف اختلطها رئيسهم خليفة بن آبيهور سنة ٤٠٢ - ١٠١١ م . وفي سنة ٤٣٧ - ١٠٤٥ م تأسست مدينة بونورة ، ثم الداخصة غردية سنة ٤٧٧ م - ١٠٨٤ أسمها ثلاثة من زعاء الأباية : سليمان بن يحيى وعيسى بن علوان ، وأبو جمة ، وأصبحت هذه المدينة مركزاً لثلث القصور الأباية الستة التي انشئت بعدها : كبني يقعن ، و مليكة ، وأخيراً القرارة وبهوان . ومن الأباةين من توجه بعد الجلاء من تبرت وسدراه إلى البلاد الطرابلسية والتونسية فهم فيها إلى الآن .

وذكر ابن خلدون بلاد « مزاب » هذه ورسم اسمها بصورة صاد وسطها زاي كرم أهل المصحف شرוף الاشتام كالصراط في قرامة خلف ، فإن النطق بصاد فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي ودل ذلك على التوسط بين الحرفين ، قال وهو اسم قوم الذين اخترعوا هذه البلاد وتزلوها ، و (بنو مصاب) من البرير وهم فخذ من بطون بادين بن محمد من ولد زحيك بن واسين بن وديشك بن جلا (من قبيل زناتة) المتشعبين إلى شعوب كثيرة منهم بنو عبد الواد وبنو مرين وبنو توجين وبنو مصاب وبنو زودال ، يجمعهم كلهم نسب بادين بن محمد ، وفي محمد هذا يجتمع بادين وبنو راشد ، ورأشد هذا هو أبو بادين ... قال وسكنها أي بلاد مصاب - لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زودال فمما يضاف إليهم من شعوب زناتة ، وإن كانت شهرتها مختصة بصاب ، وحالما في الباني والاغراس وتفرق الجماعة بتفرق الرئامة شيبة بحال بلاد بني ديفة وازاب^(١) .

(١) مقدمة ابن خلدون من ١٧ ط بولاق ١٩٦٤ م ، وتاريخه ج ٦ ص ٥٩ ط بولاق ١٩٨٤ .

من — شهادات (مارغوريت لان بري) في سيرها بسيرها



الآن دار عربياً سيرها
أكتوبر ١٩٥١



١٩٥٢ بيروت — مكتبة بيتنا بيتنا من أوروبا إلى

كما يسكن بذلك التواهي ايضاً غير مؤلاء فوم من صناعة ولادة
ويني فان وغريم .

ولاة الجوزا وزعاؤها

كان من حافظ التاريخ على اسهامهم من ولاة هذا العصر وزعائهم :
محمد بن مسالة امير هوارة المستبد بتبريرت امام ابي بكر بن افلح وكان
يسكن مدينة الجبل ، ومحمد بن عرفة التبريري مفوض حكومة ابي بكر ،
ويزيد بن فندن مناهض بني دسم ، وشيخ المدينة ابو مسعود ، وبعد
الرحن بن صواب النجاشي امير بيت المال ، ومحكم المواردي الاورامي
قاضي تبريرت على عهد الامام افلح ، ومثله القاضيان : ابو عبدالله محمد
بن ابي الشيخ وشعب بن مدمان ، ومزدر بن هران وزير الامام عبد
الوهاب ، ووزكار وابوهيم بن مسكنين رئيسا الشرطة على عهد الامام
ابي حاتم . وابو سهل الفارسي من احفاد الامام افلح تولى خطة الترجمة
بدواوين الحكومة على عهد الامامين : افلح وابي حاتم ، وله تأليف
كثيرة باللغة البويرية ودواوين شعرية وكان افعى اهل زمانه بها .

ائمة الدولة الرستمية

تاریخ التولیة

الامام عبد الرحمن بن رستم	٦٦٠ - ٧٧٦ م
الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن	٦٧١ - ٧٨٧ م
الامام افلح بن عبد الوهاب	٦٩٠ - ٨٠٥ م
الامام ابو بکر بن افلح	٢٤٠ - ٨٥٤ م
الامام ابو القطان بن افلح	٢٤١ - ٨٥٥ م
الامام ابو حاتم بن ابي القطان	٢٨١ - ٨٩٤ م
الامام يعقوب بن افلح	٢٨٢ - ٨٩٥ م
الامام القطان بن ابي القطان	٢٩٤ - ٩٠٦ م

من مَشَاهِيرِ الْجَزَائِرِ

بَكْرُ بْنُ حَمَادٍ

٤٢٩٦ - ٢٠٠

م ٩٠٨ - ٨١٦

أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن صهر أو سهل ؟ ... بن أبي اسماعيل الزفافي التاهري هو من أشهر كبار علماء الجزائر وأدبائها في هذا العصر ، ولد ونشأ بتبريرت حوالي سنة ٢٠٠ - ٨١٦ م فأخذ العلم والآداب عن علماء بلده ثم ارتحل إلى القิروان فأخذ عن أمثال صاحب المدونة سعتون بن سعد ، ودخل بغداد سنة ٢١٧ - ٨٣٢ م فأخذ عن ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر ، ولقي من الآدباء أمثال أبي قام صاحب ديوان المائة ، ودببل الجزائري ، وعلى بن الجهم ، ومسلم بن الوليد (صريح الغواصي) وابن الأعرابي ، والريانبي وابي حاتم السجستاني وغيرهم من فطاحل الآداب العربي وشيوخ الشرق وعلمائه وكانت له مع هؤلاء مساجلات ومطاراتحات أدبية شعرية ونثرية ؛ واتصل ببنلقاء الدولة العباسية وبملوك بلده تبريرت ، وحصلت له جوائز وصلات من الملوك والأسراء ؛ قال عنه البكري أنه : كان ثقة مأموناً حافظاً للحديث ؛ وقال ابن عذاري : كان عالماً بالحديث وغبيزاً الرجال وشاعراً ملقاً . تصدر الشيخ بجامع القิروان لاماً الآداب والعلم سنة ٢٧٤ - ٨١٦

٨٨٧ م فارتحل اليه الكثير من اهل الاندلس للأخذ عنه والتخرج على يده ، وكان منهم قاسم بن ابي علياني ؛ وقد وقفت له مع هذا قصة حوار ادبي دار بين الشيخ وتلميذه ، وتدل هذه القصة على توافق الشيخ وتجانفه عن مقاعد الكبر ورجوعه الى الصواب ، قال القرطبي :

« وذكر ابو محمد قاسم بن ابي علياني قال : لما رحلت الى المشرق نزلت الفيروان فأخذت على يكر بن حماد حديث مسدد » ثم رحلت الى بغداد ولقيت الناس ، فلما انصرفت عدت اليه لقاء حديث مسدد ، فقرأت عليه فيه يوماً حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قدم عليه قوم من مصر بجتني النار ، فقال : انا هو بجتني النار ، فقلت انا هو بجتني النار ، هكذا قرأت عليه كل من قرأت عليه بالأندلس والعراق ، فقال لي . بدخولك العراق تعرضا وتفخر علينا ! ... او نحو هذا . ثم قال لي : تم بنا الي ذلك الشيخ - لشيخ كان بالمسجد - فان له مثل هذا علياً ، فقينا اليه فسألناه عن ذلك فقال : انا هو بجتني النار ، كما قلت : وهم قوم كانوا يلبسون الثياب ، جيوبهم امامهم ، والنار جمع غرة . فقال يكر بن حماد وانخذ باقه : رغم اتفي للحق ، رغم اتفي للحق ، وانصرف^(١) . »

وكان مجلس ابن حماد حافلاً بطلة العلم على اختلاف مذهبهم ؛ كانت عودته الى بلده تيهرت سنة ٩٠٦ - ٢٩٥ م ثم كانت وفاته بقلعة ابن حبة شمال مدينة تيهرت وذلك في شوال سنة ٩٠٩ - ٢٩٦ جوان مـ ١٩٣٥ م اي في نفس السنة التي سقطت فيها الميزان الرستمية بيد العبيدين ؛ ومن شعره قوله لما عاد من العراق معتذراً للامام ابي حاتم :

مؤنة لي بالعراق تركتها وغضن شبابي في الفصون نضير
 فقالت كما قال الترامي^(٢) قيلها « عزيز علينا ان نراك نسير »

(١) نصير القرطبي ج ١ ص ٢٨٧ ط القاهرة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م.

(٢) ابو نواس الشاعر الباقي المشهور .

فقلت جفافي يوسف بن محمد فطال علي الليل وهو قصير
ابا حاتم ما كان ما كان بقضة ولكن انت بعد الامور امور
فاكرهني قوم خثبت عقابهم فداريتهم ، والدائرات تدور
وله في جميع اغراض الشعر قصائد طويلة وقطع رائعة هي متفرقة
في كتب الادب والتاريخ ومنها قوله في وصف طقس مدينة تاهرت
الشديدة البرد شتاء :

ما أخشي البرد وريعانه وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدت كلها تنشر من تحت
فمن في مجر بلا جلة كفرحة الزمن بالبيت



جَسْدَوْلَ تَارِيْخِي

١٦٠ — ٤٠٤

٢٧٦ — ١١٠ م

تأريخ الحوادث	أهم الحوادث وأبرز الأحداث
١٦٨ م = ٧٦٥	إنشاء مدينة تاهرت - تغيرت .
١٦٠ م = ٧٧٦	مباعدة عبد الرحمن بن دستم بالإمامية بتاهرت .
١٧١ م = ٧٨٨	توثيق العالقين بين الحكومة الرستمية والأغالبة وولاية الإمام عبد الوهاب .
١٧٢ م = ٧٨٩	مقاومة الدولة الفقيلة زنقة الثازة .
٢٣٩ م = ٨٥٣	تخريب مدينة العباسية واحتراقها على يد الإمام افلح .
٢٤١ م = ٨٥٥	امتناع تاهرت عن أبي القظان .
٢٧٩ م = ٨٩٢	ابتداء ذيوع الدعوة الشيعية بالجزائر والمغرب الأقصى .
٢٨٢ م = ٨٩٤	الخلاف بين أبي حاتم وعمر بن قوب .
٢٨٥ م = ٨٩٨	انتشار الجماعة والوباء .
٢٩٤ م = ٩٠٦	اغتيال أبي حاتم وولاية القبطان
٢٩٦ م = ٩٠٩	سيطرة الدولة الرستمية وقتل القبطان .
٣٦٠ م = ٩٢٠	تأمين مدينة سدراقة وبلادة الكربلة بالجنوب الجزائري .
٤٠٢ م = ١٠١١	تأسيس بلاد مصايب - زراب .

الدَّوْلَةُ الْأَدْرِيَّةُ

١٧٢ - ٤٣١

٧٨٨ - ٩٢٣ م

نَشَأَتْ

خرج ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن الثاني بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من الشرق لما يائس من نجاح مطلب الطاليين هناك وغنا بنفسه من اخطاء العباسيين الى المغرب ، وقد علم يومئذ ضعف سلطانهم به والخراف اهله عنهم فقصده وتزل منه بعديته « وليلي » بال المغرب الاقصى ، فصادف تعطش المغاربة الى تأسيس دولة اسلامية مستقلة عن المشرق كما فعل اهل الاندلس من قبل ، وكانوا من قيل يبحثون عن ذييم لهم ليكونوا حوله الوحدة المغاربية ؛ وكان العلويون – ومنهم ادريس هذا – يرون احليتهم في العلاقة دون العباسيين ، وذلك لانقاد الامامة الشرعية لهم قبل اولئك ^(١) ويومئذ انتهز ادريس هذه الفرصة واباح سرره حول تأسيس الدولة الجديدة واظهر بالغرب دعوة العلويين الشيعية الزيدية ^(٢)

(١) ويقع محمد بن عبد الله - النسخة الركبة - بالخلافة في المدينة ، وهو اخو ادريس الاكبر وكان يمين سفر اليسة يومئذ وبايده ابو جعفر المنصور الباسى وأخوه السفاح ثم نكث المتصور بيته وتلله سنة ١٢٥-٥٧٦ م

(٢) لا يزال يوجد اتباع هذه الدعوة بالمعنى الى اليوم ، وهم يتبعون في دعوتهم الى زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؟ خرج زيد على هشام بن عبد الملك بن مروان لقتله الخليفة وسلبه ١٢٦-٥٣٩ م

فيما يلي حكمة المغرب البربرية غرة وبيع الاول ١٧٢ - او ط ٧٨٨ م
وكان على رأس هذه الحكومة يومئذ اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاويبي
المقتصري ، واطاعه معها القبائل البربرية المجاورة وخلقت طاعة العباسين ،
ويومئذ قضى ادريس على ما بقي هنالك متفرقًا بالبلاد من عقائد المجرية
واليهودية والنصرانية ومذاهب الاعتزاز ووحد كلمة المغاربة حول الدولة
المغربية الجديدة .

نظامها المكتومي

لا تختلف هذه الدولة في نظامها الاداري وشكلها السياسي عن نظم بقية
الدول الاسلامية المعاصرة عامة ؛ سوى انها غير مرکزية ، وهي جنائية
سياسية كانت عليها وبالا ؛ وكان أثنة هذه الدولة يرون انفسهم احق بامارة
المؤمنين من غيرهم لبق اتفاقداها لهم قبل سواهم من العباسين كما ذكرنا .

قال ابن خرداذبة : وليس بسلم عليه - يعني الامام الادريسي بالخلافة ،
ولما يقال « السلام عليك يا ابن رسول الله » ^(١) . والامام هو صاحب السكرة
والقواء ^(٢) والدعاء على التبر ، واقامته كانت يقاس ومتلك ولادة ومرأة
وعمال منتشرون في أنحاء المملكة ولم فيها نوع استقلال .

الجزائر الادريسي

وبعد ما اطهان المولي ادريس على المغرب الاقصى وادعنت له قبائله زحف
في جموع مطفرة وغيرهم على المغرب الاوسط - الجزائر - لفتح الطريق الى
الشرق وتوسيع مملكته المغربية ، فنزل على محمد بن خزر بن صولات المغراوي

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٠ ط الجزائر ١٩٤٩ م

(٢) كانت راية هذه الدولة يضعه عكس المرودة من بن البياس ، وظل كذلك الى
محمد الدولة المتمهجة فأخذتها هذه من جورج ووشنها بالذهب ؛ واشتهر المطربون وهم الطالبيون
معوما باسم البيضة لاخذهم البياض شارون في باسم وراياتهم عائلة العباسين اعدائهم في الحاذ
شمارم - السواد - وذلك حزنا منهم على شهدائهم من بن هاشم ونبأ على بن أبي قتيبة في قتالهم

امير تلسان فباعه محمد في رجب سنة ١٧٢ هـ - ديسمبر ٧٨٨ م واسلم له تدبير شؤون ولايته الجزائرية بدون محاربة ولا قتال ، ودانت له القبائل المجاورة هنالك من بني يفرن ومغراوة وجميع امهات قبائل المغيرين الاقصى والأوسط وقد كان لهذه المبايعة انو خطير في فصل الشمال الافريقي عن الخلافة العباسية وفي ظهور تلك القبلة العتيقة زناة على مسرح تاريخ هذا الشهاب وخاصة الجزائر .

حدود الجزائر الادريسية

وإذا نظرنا الى حدود الجزائر الادريسية وجدناها لا تتعذر من جهة الشمال الشرقي مدينة وهران وتم سلف ؟ ومن جهة الجنوب سهل غريس بناحية معسکر الى جبال مدیونة قبلي قاس ؟ وذلك ان تقول انها تند على الساحل من الريف غرباً الى ارض الحفنة من عمالة قسنطينة شرقاً، ثم تعود بناحية نفس غرباً وجنوب سلف الى ميلانة وتنتهي بتيبة .

اماولة تلسان

مكث ادريس الاول يتلسان نحو السبعة اشهر وفها كان تأسيس مسجده الجامع ونقش على صفح منبره هذه العبارة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن الثاني بن علي رضي الله عنهما وذلك في صفر ١٧٤ هـ . ولم يبق من اثر لهذا المسجد اليوم الا اطلال من مأذنته بأكادير^(١) - تلسان القديمة - ثم عاد بعد ذلك ادريس الى عاصمه « وليلي » المعروفة اليوم بقصر فرعون^(٢) وترك

(١) كلية سامية استعملها البيبيون والمبرانيون يعن « الجدار » وهي من لفظ البربر بمن الحمى والبار وهو المكان الذي يجمع وينتفد فيه الرزق والحبوب .

(٢) هي اليوم خراب واطلال فاتحة على ربوة متصلة ببيل زهرون من جهة وادي خومان ، تعرف في الخراتط باسم (Volubilis) بعد عن الفريح الادريسي بستو ثلاث كيلومترات وعن مدينة ناس بسبعين كيلومتراً غرباً .

ابن العلاء واليَا على تلسان . وفي هذه السنة اخذ ادريس السكة وغرب
 عمله بعدها ترفة ، وفي فاتح سنة ١٩٩ - ٨٩٦ م احدثت طائفة الصرية
 وبقائل نفرة ثروات بتلسان عجز العامل عن اخادها ، وهو يومئذ محمد
 بن سليمان بن عبد الله الكامل ، فزحف اليهم ادريس الثاني من عاصته
 الجديدة - فاس - فافع النازرين وقضى على الفتنة ومكث هناك بتلسان
 ثلاث سنوات رسم فيها حدود مملكته وعقد فيها اتفاقية مع جيرانه الغالبة
 على ان يكون نهر سلف هو الحد الفاصل بين الملكتين وتعاهدوا على
 السلم والمواعدة . وأمر ادريس يومئذ بترعيم ما بلي من المسجد الجامع
 الذي اشاده والده واصلح منه ، وجدد المهد لابن محمد على ولاية
 تلسان ثم عاد الى فاس ؟ وبقي محمد هذا على ولايته مقيناً بعين الموت
 الى وفاته بجبل وهران ، فخلفه يومئذ ابناؤه وحدهما . واستمرت هذه
 الولاية فيهم الى ان سقطت بيد موسى بن ابي العافية المكتاني عامل
 الشيعة سنة ٣١٩ - ٩٣١ م ويومئذ خرج منها عاملها الادرسيي الحسن
 بن ابي العيش وهو من اعقب سليمان بن عبد الله الكامل متبعاً الى
 جزيرة ارشنول ؟ وانتشر الادارسة يومئذ بالغرب العربي كله واعقبوا
 فيه ، ومنهم من استقل ببعض المدن الجزائرية ، فحكم بعضهم ارشنول ،
 وهي على خمسة عشر ميلاً شمال تلسان ، ومنهم من سكن نفس ،
 ومنهم بتنا على ثانية اميال من تدرومة ، ومنهم بغلستان ومذكرة
 بنواحي مليانة ومنهم من حل بسوق ابراهيم بنواحي شبوة والرسو
 حيث مصب نهر اسلي في سلف وغيرها . وهي آخر المدن التي بايدهم
 وكل من هذه الاماكن والجهات كان مستقلاً بيد هؤلاء الادارسة لا
 ارتباط لهم مع امامه فاس الا في الدعاء على المنابر والسلكة .

امارة متيبة

كانت لبني محمد بن سليمان العلوى مالك متيبة بالغرب ، ومنها
 بالجزائر امارة متيبة هذه ، وهي ارض فسيحة كلها سهل واسع يتدنى من
 العلة شرقاً الى ماراتكو غرباً ويحدها من جهة الشمال مدينة الجزائر ،

وجنوباً جبل بني صالح وبني ميسرة ، و « متيبة » ام قاعدة هذه الامارة القديم وبقال لها ايضاً « قررونة » ولعلها نفس المكان المدعو اليوم خزرونة قرب مدينة البيدة باميال . كانت هذه الولاية تحت ادارة وتصرف محمد بن جعفر عم ادريس الاول ؟ ومن نسله ابو فربك الكافر المسماة به ناحية يوفاريك الحصبة الشهيرة بسهل متيبة قرب البيدة ، فهو من ولد جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وذكر ابن حزم ان نسله متيبة .

امارة هاز

هاز اس مدينة قرب المسية بنواحي عن يوسف يسكنها بنو يرقان او يربنان من زناتة وهي عاصمة البلاد التي بين البويرة وجبال جرجورة الى قصر البيطاري ونواحي زاغر الشرقي ، وتشمل سهل حزة الفريح المنسوب الى حزة بن الحسن بن سليمان الطالي العلوي مؤسس مدينة البويرة ، وبه ابناءه اصحاب هذه الديار ، ومن الاماكن والبلاد المشهورة بهذه الامارة مدينة عن بسام وسود الغزلان وسمادي عبسى ؟ وكان خراب هذه الامارة على يد ذيري بن مناد الصنهاجي حين اخذ يمادى الدعوة العبيدية - الفاطمية - ثم أجلب عليها بعد ذلك جوهر الصقلي قائد المعز العبيدي فقضى عليها .

متى ظهر تمسان ...

وفي هذا العهد ٢٣٧ - ٨٥١ م ظهر بنواحي تمسان رجل كان مؤذناً باحد المساجد هناك ولم يذكروا لنا التاريخ اسمه ؟ .. فادعى التبوعة وأخذ يفسر القرآن الكريم على غير وجهه ويحمله من الماعن ما يتبرأ منه الاسلام والعربية ، ونبي الناس عن خصال الفطرة قالاً : لا تغيير خلق الله ! ... فاجتمع عليه من الاوغاد من يصح لهم قول القائل : انعق بما شئت تجد انصاراً ! ولما شعر بعم الشرطة على القبض عليه ذهب الى مرسي

هيبة فركب من هناك الى الاندلس فراراً من امير قلمان ، وهناك في الاندلس فعل مثل ذلك بحيث اخذ في نشر دعوه فاجتمع عليه الاندلس والاویاس فقبض عليه الامير فاستتابه فلم يتب فقتل وصلبه .

اختطاط مدنیتی نسی ووهران

كثيراً ما كان الجماعة الاندلسيون يرثادون السواحل الجزائرية والاماكن
المتبعة منها امتدأ من الرابع والاخطر ايات البحريه ، وللتجارة ايضاً . وكان
ما اعتادوا التزول به ساحل تنس وهران ، وخاصة في الشاه فانهم كانوا
يغدون ساحل نفس خاصة ، ولم يكن بذلك المكان يومئذ سوى قلعة
فقط . وفي ذات يوم اجتمع عليهم سكان هذه الناحية ورغبوا منهم اتخاذ
هذا المكان سوقاً لتجارتهم وسمعوا لهم باقامة ما شاؤوا من البيان في
تلك البقعة ، ووعدهم بالعون والمساعدة وحسن الجوار والعشرة ؟ فلبي
هؤلاء الاندلسيون هذه الرغبة واجبوهم الى ذلك فكان يومئذ تأسيس مدينة
تنس سنة ٢٦٢ - ٨٧٥ م على يد جماعة من الاندلسيين منهم ابو عائشة
والصقر وصهيب والكركري ... وسكن بها على الاخص اهل البيره وقدمير
من بلاد الساحل الاندلسي ؟ واصحاب تنس يومئذ هم ابناء ابرهيم بن محمد
الحسيني ، وما كاد يتم اختطاط المدينة حتى اقبل على تعميرها ايضاً سكان
سوق ابراهيم في اربطة بيت ، فاوسع لهم اهلها واثر كوم في اموالهم
وتعاونوا جميعاً على انشاء المدينة واسادة بنائها ؟ فأصبحت اذ ذاك عاصمة
من عواصم القطر الجزائري ومركزها علياً ثقافياً اشتهر بها جماعة من
العلماء منهم ابراهيم بن عبد الرحمن النسي مفتى مدينة الزهراء بالandalus ...
نم خربتها الفضادات وسول المياه الدافقة ستة نف وعشرين وسبعين .

اما وهران فانها است كذلك على يد جماعة من الاندلسيين كانوا
تجاراً يتبعون سرقه المدينة الازدية « ايفرى » يعنى الكهوف ، بمشاركة
نفرة وبين م SCN ويقال لهم مسرفين وكلامها من فيلة زجاجة الزناتية ،
وبذلك المكان قامت مدينة وهران سنة ٩٠٣ - ١٢٩٠ م . ومن هؤلاء
الاندلسيين الذين شاركوا في هذا العمل العماني الجليل : محمد بن أبي عون

ومحمد بن عبدوس في آخرين من بحارة الاندلس فاستوطنها هؤلاء سبع سنين ثم لشب الحلاف بينهم فغزت المدينة وأضمرت فيها النيران ثم انشئت من جديد كما استقر عليه في مكانه ؛ ويدرك المشرقي في جهة التاظر : « ان الصحيح في تأسيس هذه المدينة أنها يرجع إلى ما يعرف عن خزد بن حلصن بن صولات المغرادي فهو الذي أنشأ مدينة وهران وبناها على سيف البحر الرومي كأمره بذلك أمراؤه الامريون بالأندلس حيث كان يرجع اليهم بالولاء ». وانتشر من علماء وهران غير واحد ، فنهم عبد الرحمن بن عبدالله الوهراوي شيخ الحافظين الاندلسيين ابن عبد البر وابن حزم ...

المذاهب والعقائد

ما كان لهذا المغرب أن يتعد في عقيدته ومذهبها إلا في عصر هذه الدولة الأدرية ؛ فإنه بمجرد ما اطمأن ادريس الأول لتدعم اركان دولته وتوطيد دعائم ملكه نهض للقضاء على ما كان بالغرب من مختلف المقايد والأديان فقضى على بقایا اليهودية والتصرانة والمفروبة وناهض الخارج والمغيرة وجمع الناس على عقيدة السلف ودعاه الى الاقتصاد على مذهب الامام مالك وجاءهم بالموطأ فنشره بينهم ، ويقال ان أول من جاء بالموطأ الى المغرب هو علي بن زياد التونسي المتوفى سنة ١٨٣ - ٧٩٩ م وان روايته للوطأ مشهورة بين الموطات توجد منها قطعة صالية بكتبة القبروان العتيقة^(١) وكان ادريس يقول نحن أحق بالتابع مذهب مالك وقراءة كتابه ، وذلك لرواية الامام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل ، ولما كان يراه مالك أيضاً ويفني به من خلق الخليفة العابسي أبي جعفر المنصور وصمة اليمامة محمد النفس الزكية اخي ادريس ؛ وقد حلق مالك^(٢) في ذلك من المنة والاذى ما حلّه^(٣) ! ... فانتشر لذلك

(١) تاريخ ابن أبي الطيب ج ١ ص ١٠٠ ط تونس ١٩٦٤ م

(٢) راجع الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٨٢ ط القاهرة ١٩٠٦ = ١٣٢٢ هـ وابن خلدون ج ٣ ص ٣ ط بولاق ١٩٨٤ م

يؤمنون بالذهب الماليكي بالمغاربة الأقصى والأوسط كما نشره سعثون بالغرب الأدنى - تونس - فعمت الملكية المغرب الكبير مع ما في ذلك أيضاً من عقائد الزيدية والذهب الشيعي .

الثقافة والحضارة والعلوم

كان عهد الادارسة بالغرب عهد عمارة وتأسيس وذلك ما يمتاز به الحضارة الادريسيّة ، فانهم كثيرون ما انشأوا مدنًا مزدهرة ومبانٍ فخمة وخاصة بالغرب الأقصى اعظمها عاصمة قاس وسبته ... اما في الجزائر فلم يكن لهم بها كبير اثر يسمى بعدها عن مقر الامارة ودار الملك ؟ وقد شاهدنا كيف تأسست مدينة تنس بوهران على يد الاندلسيين وأكادير يتلسان على يد ادريس الاول والبوريطة على يد حمزة بن سليمان العلوى ، كما ان ابا العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان العلوى اسس مدينة جراوة سنة ٢٥٩ - ٨٧٣ م وهي على مرحلة من وادي ملوية الى ناحية تلسان ؛ وقد دعيت بهذا الاسم لكثرتها من سكن بها يؤمنون من اهل قيبة جراوة ، وهي منعدمة اليوم ويدرك اليقونى مدينة تلسان فيقول : « عليها سور حجارة وخلفه سور آخر من حجارة ايضاً ، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة »^(١) . كما يمتاز هذا العصر - في اوله - بانتشار الرخاء ونفع العيش وكثرة الخصب حتى يبع وست القبع بدرهين وتلاتة دراهم ووست الشعير بنصف ذلك ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة باربعة دراهم ، وخمسة عشرون رطلًا من العسل بدرهم واحد ، واما الفواكه والمحضر والبقول والقطنية فلا سوم لها بحيث لا تباع ولا تشرى ولأخذ منها من شاء ما شاء ، ولقد دام هذا الرخاء والبسير عشرات السنين الى توالي أيام القحط والاوية الفتاكـة ٢٥٣ - ٢٦٥ - ٨٦٧ - ٨٧٨ م فتغيرت الاحوال حينئذ وارتفعت الاسعار الى حد الشطط . اما عن الحياة الثقافية والحركة العلمية فلا نعلم عنها يومئذ الا هذه

(١) كتاب البلدان من ١٧ ط ليدن ١٨٦٠ م .

المؤسسة العلمية الضخمة التي أحدثت يقاس : جامعة القرويين ٤٤٥ - ٨٥٩ م التي هي أقدم الجامعات - بعد جامعة الزيتونة بتونس^(١) - فكثير وفود العلامة عليها من كل ناحية وصوب ، وخاصة من أهل الفيروان والأندلس .

اما عن الجزائر فقد حدثنا التاريخ عن عدة شخصيات لامعة جزائرية كان يشار لها بالبيان امثال الفضل بن سلمة البجائي وابي بكر بن يحيى الوهراوي وغيرها من مشاهير علماء الجزائر في التاريخ .

انهيار المذاهب الادوية

اول ما يلاحظه طالب التاريخ في سقوط هذه الدولة هو انقسامها اولاً على نفسها ، فانه لما توفي ادريس الثاني وتولى مكانه ولده محمد قسم بلاد المغرب بين ابنائه واخوه وبني عمه وهم كثيرون ، فاقتسمهم البلاد وجعل منهم في كل بلدة او ناحية اميراً مستقلاً لا يشاركه الامام الا في الدعاء له على المنبر فقط ! ... فكان هنالك من خرج عن طاعة الامام وباعي الامويين كأهل تبرت وسجلماسة وذلك رغبة او طبعاً في نيل رتبة منهم او رهبة لقرب بلاده من ولايتهم . وهكذا تقطعت اوصال الحكومة الادوية وتغيرت وحدتها فتفرد الامراء والعمال والمخاز كل الى مهد ، وقد اكتفى الامير يومئذ مطامع دولتين عظيمتين : الدولة الاموية بالأندلس ودولة العبيدين الفاطمية بتونس . ثم ان الحكومة نفسها لم تكن تقنن لتعتني بالشعب المغربي العناية الازمة التي تتطلبها الظروف المكتنفة بها من حيث السياسة الخارجية ؛ مع تراة اخلاق البربر ووضعتهم الشاذة ؛ بل توكلتهم على فطرتهم وطبيعتهم الفوضوية ينضون مع كل ناعق ويتبعون كل ناعر ، حتى اذا صاح بهم داعي الشيعة العبيدي فسقطت فاس عاصمة الدولة بيده بسرعة ثم انتهت بالقبض على آخر

(١) تظاهرت الروايات على ان المؤسس لهذا الجامع هو الامير عبد الله بن الحسّاب سنة ١١٤ هـ وتم تأسيسه سنة ١٤١ (٢٣٢ - ٧٠٨) وما جامع القرويين فالفضل عالى في تأسيسه لامرأة بربة من هواة كانت تسمى يام البنين فاطمة بنت محمد الفريسي .

ملوكها الامام الحسن الجعاجم^(١) سنة ٩٣١ - ٩٢٣ م وتأخرت قليلاً
 بعدها امارات الجزائر الى ان جاء دورها فسقطت سقوطاً جراوة وكانت تحت الحسن بن ابي
 الواحدة قلو الاخرى ؟ فأولها سقوطاً جراوة وكانت تحت الحسن بن ابي
 العيش عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل فتغلب عليها موسى
 بن ابي العافية عامل العبيدرين سنة ٩٣٧ - ٩٢٩ م فانتقل اهلها يومئذ
 الى جزائر ملوية ومنها الى مدينة ارشقول ؟ فتعقبهم ابن ابي العافية
 وأخلي منهم البلاد واستولى على جميع ملكتهم سنة ٩٣٩ - ٩٣١ م ثم
 رفض موسى التبعي واتصل بعده الرهن الناصر بالأندلس ودعا الى
 المخلافة الاموية . ثم كان سقوط ولاية قسن التي كان يرأسها علي بن
 بجي فانتصر عليه زيري بن مناد الصنهاجي حليف العبيدرين سنة ٩٤٢ -
 ٩٥٣ م فلحق يومئذ علي بالخير بن خزر المغروبي صاحب وهران
 مستنثراً به وبعث بولديه الى الناصر الاموي بالأندلس ، ثم عاد زاحفاً
 على قسن فلم يظفر بها فكان ذلك آخر الهجوم بالدولة الادريسيه بهذه
 الديار وقد عمرت بالجزائر مائة وسبعين سنة . اما في اقصى المغرب حيث
 كان مركز خلافتها فقد تقدم اميراؤها عن امارات الجزائر بحادي وتلائين
 سنة ، ولقد نص بعض الادارسة بعد ذلك يحاولون اعادة بعدهم فلم يتمحوا .

ولاة الجزائر وزعماؤها

كان محمد بن خزر المغروبي هو صاحب قلسان قبل ولاية هذه
 الدولة على المغرب ، ولما احتلها ادريس الاول ولـى عليها رجالاً يعرفون
 بابن العلاء ، ثم كانت من اقطاعات سليمان بن عبد الله اخي ادريس ثم
 خلفه عليها ابنه محمد ، ثم اخذ اخوان ابناء ملوك زناتة يقال له علي بن
 حامد الزناتي . ولا تولى المخلافة محمد بن ادريس الثاني جعل المغاربة
 الاوسط والاقصى اوزاعاً بين الخوارق واقاربه فكانت قلسان واماكنها
 لابيه حزة ، ثم تولاها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان

(١) كان ينت بذلك لشيعته وطئت لاعدائه في الماجمـ.

وتوارثها عنه ابناه من بعده الى زمن ظهور بنى عبيد . وكان على امارة متيبة بنو جعفر بن حسن عم ادريس الاول ومنهم ابو فربلك الكافر ، وعلى تيهرت الحسن بن محمد بن سليمان ، وعلى امارة هاز ابناء الحسن بن سليمان ، وعلى مدينة مدكرة بعيد متيبة محمد بن سليمان ثم ولده ، وعلى سوق ابراهيم ، عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان ؟ وعلى مدينة الثالثة قبل وادي ملوية غرباً : محمد بن علي بن سليمان ؟ وكان على مدينة ارسقول على ضفة نهر التافنا عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الى وفاته سنة ٩٥٧ - ٩٢٥ م فتلولاها بعده ابته ابراهيمالمعروف بالارسقول ثم يحيى بن ابراهيم ، ثم اخوه ادريس بن ابراهيم الى ظهور الشيعة عليه سنة ٩٣٣ - ٩٣٥ م وتولى قضاها يومئذ عيسى بن جنون ، وكان على مدينة جراوة - على ستة اميال من البحر وعلى مرحلة من ملوية الى ناحية تلمسان - ادريس بن ابراهيم ثم ولده الحسن . وكان للحسن هذا ولد يدعى بعد الله التوفاني لولاته على تنانا وهي على مرحلة من تلمسان ، وكانت ولاية مازونة وتنفس ومستقامت لا يحيى بن محمد بن سليمان ثم لابنه محمد من بعده ثم يحيى بن محمد ثم لعلي بن يحيى الى ان تغلب عليه ذيوري بن مناد سنة ٩٤٢ - ٩٥٣ م الى البحرين محمد بن خزر . وجاز ابناء حزرة ويحيى الى الناصر بالأندلس فتلقاهم رجباً وتكرمة ورجع منها يحيى الى طلب نفس فلم يظفر بها - وهكذا اقسم الطالبيون المقرب الاوسط بينهم كما فعلوا ايضاً بالقرب الاقصى .

قال ابن خلدون : وسليمان بن محمد بن ابراهيم من رؤساء المقرب الاوسط وكان من بنى محمد بن سليمان هؤلاء وبطوش بن حنا ثش بن الحسن بن محمد بن سليمان . قال ابن حزم : وهم بالغرب كثير جداً وكان لهم بها بهالك وقد يطلق جميعها ولم يبقَ منهم بها رئيس يتواصي بحياة ، وحل بنى حزرة هؤلاء جوهر الى القิروان وبقيت منهم بقايا في الجبال والاطراف معروفة هناك عند البربر^(١) .

(١) ابن خلدون ج ٤ من ١٨ ط بولاق ١٢٨٤

أئمة الدولة الادريسيّة وخلفاؤها

تاریخ التولیة

ادريس الاول بن عبد الله الكامل ()	رمضان - ٥١٦٢	فبری (٧٨٩ - ٨١٢٩)
ادريس الثاني بن ادريس الاول (فاتح جمادى الثانية - ١٣ سبتمبر)	٥١٧٧	٧٩٣ م (٢٩٣ - ٩١٧٧)
محمد بن ادريس الثاني (ربيع الاول - ماي)	٥٢١٣	٨٢٨ م (٢١٣ - ٨٢٨)
علي الاول بن محمد (ربيع الثاني - مارس)	٥٢٢١	٨٣٦ م (٢٢١ - ٨٣٦)
مجي الاول بن محمد (رجب - جانفي)	٥٢٣٤	٨٤٩ م (٢٣٤ - ٨٤٩)
مجي الثاني بن مجي الاول	٥٢٩٢	٩٠٤ م (٢٩٢ - ٥٢٩٢)
علي الثاني بن عمر	٥٣١٠	٩٢٢ م (٣١٠ - ٩٢٢)
مجي الثالث بن القاسم	٥٣١٣	٩٢٦ م (٣١٣ - ٩٢٦)
مجي الرابع بن ادريس	٥٣٢٧	٩٤٨ م (٣٢٧ - ٩٤٨)
الحسن بن محمد بن القاسم الحجاج	٥٣٤٣	٩٥٤ م (٣٤٣ - ٩٥٤)
موسى بن أبي العافية (منصب)		
القاسم كثون بن ابراهيم بن محمد		
ابو العيش احمد بن كثون		
الحسن بن كثون		

من مَشَاهِيرِ الْجُنُوبِ

الفضل بن سلمة البجاني

٩٣١ - ٤٣١ م

الحافظ الجبعة والفقير الضلبي الفضل بن سلمة بن جرير الجبوني البجاني اخذ عن مشيخة بلده ثم ارتحل الى افريقية فلقي بها ابن مجلون والمغامري احمد بن سليمان ويعيى بن عمر ولازم منهم العالم حاسا ومن في طبقته من العلماء فذاع صيته يومئذ وبه ذكره ، وارتحل اليه الناس للتلقي عنه فتغزج على يديه جم غفير من ذوي المكانة العلمية والتحقيق العلمي الدقيق ، منهم ولده ابو سلمة واحد بن سعيد بن حزم وسعيد بن عيان ومحمد بن عبد الملك الحولاني واحد بن خالد ، وابو العرب محمد بن التجار في آخر من اهل الاندلس والقبروان ، وله من التأليف : مختصر المدونة والواضحة والموازنة ، وله كتاب جمع فيه مسائل الموازنة والمستخرجة . توفي رحمه الله سنة ٤٣١ - ٩٣١ م

ابو بكر يحيى الوهراوي

٤٣٠ - ١٠٣٩ م

الحدث الكبير ابو بكر بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يحيى القرشي الوهراوي ، روى عن القتبة ابي محمد عبد الله بن ابراهيم الاصلبي وابي عمر الاشبيلي وعباس بن اصبع وابن العطار وابي نصر التحري وآخرين ... عنه تخرج ابو حفص عمر بن الحسن الموزفي وابو محمد بن خزرج وقال في شيخه الوهراوي : كان شيخنا هذا متصرفاً في العلوم قوي المحفظ حسن الفهم ، وكان علم الحديث اغلب عليه ، توفي حدود ستة ثلاثين او احدى وتلائين واربعين سنة هجرية - ١٠٣٩ م .

جَزْدَوْلٌ تَارِخِيٌّ

٢٣٧٥ - ١٧٢

م ٩٨٥ - ٧٨٩

تَارِيخُ الْمَوَادِعِ	أَمْ الْمَوَادِعُ وَأَبْرُزُ الْاسْنَاتِ
م ١٧٢ = ٧٨٩	تأسِيسُ الدُّولَةِ الْأَدْرَاسَةِ وَمِبَايَةِ ادْرِيسِ الْأَوَّلِ بِالْأَمَامَةِ (٤ دِرْمَضَانَ - ٥ فِيْغُري) .
م ١٧٣ = ٧٩٠	إذْعَانُ قَلْسَانَ لِلْأَدْرَاسَةِ (رَجْبٌ - دِيْسِيرُ) .
م ١٧٤ = ٧٩٠	تأسِيسُ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِأَكَادِيرَ - قَلْسَانَ - (صَفَرٌ - جُوانٌ)
م ١٩٢ = ٨٠٧	تأسِيسُ مَدِيْنَةِ فَاسَ .
م ١٩٩ = ٨١٤	فَصَاءُ ادْرِيسِ الثَّانِي عَلَى نُورَةِ الصَّفَرِيَّةِ وَنِقْزَةِ بَلْسَانَ .
م ٢٤٥ = ٨٥٩	تأسِيسُ جَامِعَةِ الْقَرْوَيْنِ بِفَاسَ (فَاتِحُ دِرْمَضَانَ - ٣٠ تَوْفِيرُ)
م ٢٥٩ = ٨٧٣	تأسِيسُ مَدِيْنَةِ جَرَاؤَةِ قَرْبِ قَلْسَانَ - لَا وَجْودَ لَهَا لِيَوْمٍ .
م ٢٦٦ = ٨٧٥	تأسِيسُ مَدِيْنَةِ تَنْسَ .
م ٢٩٠ = ٩٠٣	تأسِيسُ مَدِيْنَةِ وَهْرَانَ .
م ٢٩٢ = ٩٢٩	اتِّصَارُ ابْنِ أَبِي الْحَافِي عَلَى إِمَارَاتِ الْأَدْرَاسَةِ بِالْبَلْزَاطِرِ وَالْمَقْرَبِ الْأَصْفَى .
م ٣١٩ = ٩٣١	سُقُوطُ وَلَايَةِ قَلْسَانَ يَدِ الشَّيْخِ الْمَدِيْنِيِّ .
م ٣٤٢ = ٩٥٣	فَصَاءُ زَيْرِيِّ بْنِ مَنَادَ - عَامِلُ مَنَاهَةِ وَطَلِيفِ الْمَدِيْنِيِّ - عَلَى إِمَارَةِ تَنْسَ .
م ٣٧٥ = ٩٤٥	نِهايَةُ حُصْرِ الْأَدْرَاسَةِ بِالْمَقْرَبِ الْأَصْفَى .

الدَّوْلَةُ الْأَغْلَبِيَّةُ

١٨٤ - ٢٩٦

٨٠٠ - ٩٠٩ م

شأنها

كانت ولاية افريقية الشالية بأواخر القرن الثاني المجري تحت امرة محمد بن مقاتل العكي - رضيع هرون الرشيد - فهو الذي كان يومئذ اميراً بالقيروان وبيده قرابة زمام هذه الولاية العربية بافريقية وكان لسوء سلوكه مع الرعية وحيقه واستبداده وجوره ان كرهه الناس وثاروا ضده سنة ١٨٣ هـ - ٢٧٩ م ومهما يومئذ عامل تونس قام بن قيم ، فانهزم ابن مقاتل وحاول الفرار من الثنائيين الى دار الامارة بالقيروان ، فحال الناس بيته وبينها فرج يومئذ على مدينة طبنة عاصمة الزاب الجزائري مستجدةً بعامها ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمي فأخذ بيده العامل وخرج معه الى قع هؤلاء الثنائيين فهزهم وكسروا من شوكتهم ، وعاد الامير منتصراً الى مركره بالقيروان ، ولكن الرعية بقيت على كراهيتها له وعملت على خلعه بداعية ابراهيم بن الاغلب وحثه على توبيه الامارة ؛ فكاتب ابراهيم الخليفة في ذلك ملتمساً له بدفع اربعين ألف دينار سنوياً الى دار الخلافة ببغداد واسقاط ما كانت تت鹓خاه هذه الامارة من النفقات : (مائة الف دينار) من خزينة الدولة العباسية لتفق بمصالح افريقية وان يتولى ابراهيم قبض الحراج والجزية وسائر الضرائب ويتفق منها في مصالح الدولة بالمغرب

ما يشاء ولا يكون مطلأً لم اللامة العباسية الا بما تعهد به لاخزنة
 وهذا ما يسمى بتضييف الخارج او تقبيله . فاستشار يومئذ الخليفة رجال
 الملك السياسي في ذلك فاصحوبه اهل الرأي منهم وشارروا عليه بقبروه
 نظراً لتقل كاهل الدولة العباسية الناشئة بولاياتها المترامية الاطراف من
 الهند والصين شرقاً الى المغرب الاقصى وببلاد الاندلس غرباً ؛ ودفعاً للدعوة
 العلوية التي اقامها لنفسه المولى ادريس بن عبد الله بالغرب ؛ وحيثنة اصدر
 هرون الرشيد امره في اوسط جنادي الثانية ١٨٤ هـ - جوان ٨٠٠ م بعزل
 محمد بن مقانق العكي عن ولادة افريقيا وتولية ابراهيم بن الاغلب عليها
 وجعلها وراثية في عقبه ومنحه شبه استقلال داخلي ؛ وهذا ما يسمى في
 اصطلاح الادارة ونظام الحكم العباسى بأمره الترفيس او الاستكفاء وهي
 الامارة العامة . وهو يومي بذلك الى غاينين المغرب من الدفع عن حوزة
 الخلافة العباسية امام الدولتين الناشتين بالغرب : دولة الامريين - الادريسيه -
 القائمة يومئذ بالغرب الاقصى ، ودولة الامريين بالاندلس ، ومن هنا ابتدأ
 استقلال افريقيا الذي ، فكانت بذلك ولادة المغرب هي اول من استقل
 بالحكم من الولايات العباسية في العالم الاسلامي يومئذ وكان بما ساعد الاغلبة
 على الاقدام على هذه الخطوة هو بعد موقع البلاد عن دار الخلافة العباسية
 ومساندة البربر لهم على ذلك في اول الامر .

نظامها الحكومي

المملوكة الاغلبة حرقة في داخليتها ثانية امباً للخلافة العباسية في ظاهرها
 بدير امورها اميرها او الملك^(١) المقيم بالقاهرة فهو صاحب الفرود الاعلى
 على جميع المملكة المتعدة من طرابلس الى الحضنة والزاب الجزائري ؛
 وبعاصده في ذلك وزيره فيها المتصوفان في انواع مصالح الدولة الاربعة :
 البحرية ، والجربية ، والمالية ، والبريد ، ولكل من هذه النواحي الاربع

(١) كان للملك غالباً عند ولادة الاطراف والعمال بالدولة العباسية . راجع ابن خلدون ج ٦٢ ط القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .

رئيس مفروض مُؤول عن ادارة كل واحدة منها ولكل ادارة كتاب ،
 وفوق ذلك كله منصب الحجابة ، فاحاجب عندهم بمنزلة مدير التشريفات
 اليوم ، واما الجند فأنه يشتمل على اربعة فرائق ، وكل فريلق منها مختص
 بطبلة او صنف من الناس ؟ وهم ما بين عرب وعجم وبربر وعيديس سود ،
 والتکل مأجور ، وهم يتقسمون حسب اعمالم الى ثلاثة اقسام : الحرس
 الملكي ، والجيش البري والجيش البحري ، وسلامهم جميعاً السيف والرماح
 والحراب والاقواس والدروع والدرق وما كان مستعملاً كذلك يومئذ
 من بعض الالات وادوات الحرب مثل التجنيد والتکيش والدبابة الخ ...
 ويرجع امر الجيش كله الى تصرف مصلحة الجيش العامة وقيادة الحرب
 العليا ؟ والحكومة الاغلبية اسطول خصم عيده توصلت به الى الاستيلاء
 على سواحل هلكة فرنسا وایطاليا وجزارو كورسيكا وسردانيا وصقلية ،
 وهو يشتمل على عدة قطع فيها السكان وتنوع من هيآت السفن البحرية ؟ من
 افريقيا وشوابي وطرادات وحرافات الخ ... قال ابن خدون : وكان ولاة
 افريقية من الاغلة ومن قبليم ايضاً يرددون عساكر المسلمين واساطيلهم
 من المدورة حتى غلبوا - الافرنج - على الجزر البحريه ونازلوم في
 باسائط عدوهم ^(١) . قال ابن حمدين المقلي السرقوفي بدح اليجيس الحسن
 بن علي بن يحيى :

انشأت شوانی طازة وبنيت على ماء مدننا
 ببوج قتال نحسبها في شم شواهدنا فتنا
 ترمي ببوج ان ظهرت لعدو مخرفة بطننا
 وبنقط ايض تحبه ماء وبه تذكي السكنا
 ضمن التوفيق لها ظفرا من هلك عدائقك ما ختنا

ولقد خلد تاريخ الاسطول الاغليبي ذكرآ حسناً وصفحة ماجدة في تاريخ
 البحريه العربيه الافريقيه بما يبعث المغري على المفاخرة والباهاه به .
 ومنذ يومئذ اصبحت دولة الغرب الاسلامي دولة بحرية .

(١) العبرج ٤ ص ٢٠٠ - ٢٠٠ وج ٦ ص ٢٩٠ ط بولاق ١٢٨٢

واما القضاة فانه كان اولاً من خصوصيات الخليفة فهو الذي يبعث يوم ولایة القضاة لمن يستحقه من صدور العلامة وأئمة الفقه والتشريع ، والقاضي التقویض في اصدار احكامه في جميع المروادت والقضايا التي من شأنها ان ترفع الى القضاة من احكام الدماء او غيرها من المعاملات ، وله ان ينوب عنه من يتولى الحسبة والشرطة وغيرها من المناصب التي تعينه على فصل التوازن والقضايا اليومية التي تجري بالقرى والأسواق . ولهذه الدولة عملتها الخاصة وسكنتها المضروبة باسم ملوكها ، ومصدرها الخارج والجباية ، ولها علاقات ودية وتجارية مع دول اوروبا المجاورة لها .

وفيا يرجع الى مبلغ جباية هذه البلاد فالمتقول عن قافية ابن خلدون انه كان يبلغ على عهد الخليفة المأمون الى ١٣٠٠٠٠٠ درهماً و ١٢٠ باطاً ، وخرج الفدان الواحد كان يبلغ ١٨ ديناراً ؛ ولا يستبعد ان يتسرر الاغابة على تضليل هذا المبلغ الى أيام المأمون ، ذلك لأن الالقاء العابسين ظلوا يدعون المغرب او بالاحرى افريقيا من ملكتهم أيام الاغابة وكانتا يعنون الولاية عليهم من بعدهما باعتبار ان الاغابة تحت هولاء الولاية^(١) .

حدود الجزائر الاغالية

كان المغرب العربي منذ محمد الفتح الاسلامي الى انتصار هذه الدولة متقدماً الى خمسة اعمال : طرابلس وتراجيها الى حدود يرقق ؛ وقططية وهي بلاد الجريد اليوم وعاصمتها مدينة توزر ؛ وتونس وما حولها من شمال القطر التونسي ؛ وببلاد السوس او المغرب الاقصى وعاصمته يومئذ مدينة طبقة ؛ والخامس من هذه الاعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبنة - شرق الحضنة - وفارة بسكرة ويهدى الى جنوب عمالة قسنطينة ؛ وكانت الحدود الاغالية بهذا القسم تند من سكيكدة شرقاً الى وطن زواوة غرباً ، ومن ميلة وسبعين شمالاً الى سط الجريد جنوباً ،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٨ ط بولاق ١٢٧٤ هـ - تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢ ص ٩٠ - ط القاهرة ١٩٥٨ م .

ال歇止與擴張的
中西對比



()

ويصح أن نقول هي عالة قسنطينة بحدودها المعرفة اليوم مع شيء قليل من التغير ، وذكر العقوبى مدينة اربية فقال هي آخر مدن الزاب بما لي المقرب في آخر عمل بني الأغلب ، ولم يتبعوا لها المسودة . يعني بني العباس . ولكل من هذه الاعمال عامل يتصرف في دائرة الحامة به تحت سلطة دار الامارة العليا بالقروان . والباقي من ارض الجزائر موزع بين دولة الوستميين شرقاً ودولة الادراة غرباً . وقدرت مساحة القطر الجزائري يومئذ بـ ١٨٤٥٠٠ ميلًا .

اهم الاحداث الجزائرية

ليس هناك ما يهم ذكره في تاريخ الجزائر في هذا العصر سوى بعض الوفاقين والاضطرابات التي حدثت بالزاب ، وأغلبها يرجع إلى تفاصيل الشعب الجزائري من سوء معاملة السلطة الحاكمة التمثل في ظلم بعض ولاته وجوههم . وقد قام بعملية القمع والتجويع يومئذ ابراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب فقضى على اهل الزاب قاطبة كبيرة وصغيرة وحطم على العجل - عربات النقل - فألقاهم في المخفر سنة ٢٦٨ - ٩٧٨ م كما أوقع أيضاً بأهل بلد بلزمة - على مسافة ٢٧ كيلومتراً في الشمال الغربي من مدينة باتنة - سنة ٢٨٠ - ٨٩٣ م . وقام بذلك ابراهيم بن احمد ابراهيم الاغلي سنة ٢٨٦ - ٩٩٩ م فاقع بي بباطيط بسكرة فقتلهم وشردتهم في البلاد ؟ ثم كان منه بعض اصلاح لما جرته هذه الواقف من التغريب والتدمير . وعاد ابو عبدالله الاغلي بأمر والده ابراهيم بن احمد إلى اهل الزاب فعمل عليهم في جيش عظيم سنة ٢٨٨ - ٩٠١ م . ثم كان استيلاء محمد بن خزد الزناتي وتنبله على الزاب سنة ٣١٩ - ٩٣١ م فسقطت بسكرة بيده . وذلك كله يعود إلى ازعاج الأهالي من جور الحكومة وسلطتها في المقرن وتأديبها عن طبقات الشعب المغاربي . وب يكن ان يلاحظ كذلك ما حدث يومئذ ٢٥٣ - ٢٦٥ - ٨٦٢ (م) من القمع والجذب الشديد الذي عم المغرب والأندلس وما

اعقبه ايضاً من المجاعة الكبرى التي حللت الناس على اكل بعضهم بعضاً ! ...
فاذما استعمرنا كل ذلك علمنا اسباب الاضطراب الواقع يومئذ بالجزائر
ابام بنى الاغلب .

ظهور أبي عبدالله الشيعي

الله كان جميع ما تقدم ذكره من الظروف القاسية التي احاطت بالشعب الجزائري وما كان من نعف بعض امراء بنى الاغلب فرحة سانحة لظهور دعوة الشيعة في الجزائر وانتشار مبادئ دعوتهم بها ، والتبرير بقرب انجاز ملك الاغلبة وظهور المهدى المتظر وقام حكومة عادلة تحت طاعته وامره ، فكان ظهور هذه الدعوة الشيعية او لا بوادي الرمل (سوق حمار) بنواحي قسنطينة ، ومر ماجنة - ما بين مجانة وسميبة - سنة ٢٧٩ - ٨٩٢ م ، ثم كان ظهور داعي الدعوة الاكبر ومنتسب المهدى العيدي بهذه البلاد أبي عبدالله الشيعي الصناعي ، ظهر بارض فرجورة من بلاد كناتمة^(١) متتصف شهر دبيع الاول سنة ٢٨٠ - اوائل جوان ٨٩٣ م ، وقد بقى له التعرف بعض رؤسائه هذه القية العتيدة في الحج ، فنزل عليهم ضيقاً مكرماً واخذ في نشر دعوه بينهم عشر سنين الى ان افصح امره للامير ابراهيم الاغلى الاصغر ، فبعث الى عامله على الزاب موسى بن العباس يستطيعه خبر أبي عبدالله الشيعي ، فهوون هذا عليه الامر واجابه بان الرجل بعيد عن مظان التهم ! ...
وانه رجل دين وتقشف لا غير ، فلم يقنع الامير الاغلى بجواب عامله ولم يطمئن لتعليله هذا فبعث من يكفيه مؤونة الشيعي بخالطته والاتصال به حتى يقف على حقيقة امره بنفسه فكان الامر كذلك ، وبعد ما افصح امر الشيعي وانتكشف حاله خاطبه الامير كذلك ، وبعد ما

(١) هي من اشهر القبائل الجزائرية الكبيرة ، تسكن النحوس والسهول والجبال لها بين فسطينة وبجاية ، يوجد منها بعض الطعون بجيال اوراس ، وهي من اشد القبائل يأساً واطرها باعاً في الماء : ولها المذاق وبطون منتشرة بالغرب الاوسط .

له : ما حملك على التعرض لسخطي والرثوب على ملكي وافساد دعيتي
والمحروم علي ؟ ... فان كنت تبغى عرضًا من عرض الدنيا فانك تتجه
عندى ، وان كان قصدك غير ذلك فلقد عملت عوائق من سولت له
نفسه ما سولت لك نفسك . ولما اردت الاعذار اليك ، وهذا اول
كلامي لك وآخره فانتظر في يومك لندنك ! ... فاجاب الشيعي رسول
الامير بقوله : قد قلت فاسمع وبليغت فابلغ ، اما ما ذكرت من التهديد
فاذا من يروع بالايقاد ؟ واما تخويقك ايدي بوجال دولتك ابناء حطام
الدنيا فافي في انصار الدين وحمة المؤمنين الذين لا تردهم كثرة انصار
الظالمين مع قول الله عز وجل (كم من فئة قليلة غلت فئة كثيرة
باذن الله واثق مع الصابرين) واما اطهاعه لي في دنياه فلست من اهل
الطعم فيها عنده ، اما بعثت رسولاً لامر سُمْمَ وقرب وانجاز وعد من
الله سبق واثق لا يختلف الميعاد ، هذا جواب ما جئت به . وما كاد
يتشر تصریح الشیعی هذا بین الاوساط الاغلیی حتى تأمراوا علی قته
والفتك به لولا ان فرقهم السیاسة ، فخلص يومئذ داعی الشیعیة الى
غرضه ونجح ...

حصارية الشیعی

وبعد ما تحقق الاغلبة المطر في جانب هذا الداعی الشیعی الكبير
وادرکوا ان ملککهم هدد بالزوال عزموا على مقاتلته . فخرج اليه ابو عبد الله
الاحول بن الامیر الاغلیی سنة ٩٠٢ - ٢٨٩ م فنازله بنواحي طبلة ،
على خو اربع کیلومترات من شیال بوریکة ، وكان النصر ينتها سعیاً ...

. زحف الشیعی على عالة فلسطینیة .

وفي نفس التاریخ غزا ابو ایم الاصغر جزیرة مقلیة وخلف ابنه ابا
الباس وصیاً على العرش وادصاد بمرافقة موقف الشیعیة من الملكة والدفاع
عن الحوزة وكان من المقدر ان توفي الامیر الاغلیی في غروته هذه سنة

٢٨٩ - ٩٠٢ م، ودفن بصفية. فخلقه ولده أبو العباس على أمارة أفريقية، فسكن الشيعة يومئذ إلى أن ثبات لهم الفرصة باشتغال الامير أبي العباس بولده أبي مضر والي صقلية حيث انكر عليه والده أشيه فعزله وأدخله السجن سنة ٩٠٣ - ٢٩٠ م، فاغتاظ لذلك أبو مضر وعمل الحيلة للتخلص من السجن والقضاء على والده فقتلته وجلس على عرش الأغالبة بالقيروان ليلة الأربعاء ٢٩ شعبان ٩٠٤ م - فاتح جوليت ٩٠٤ م وأعمل السيف في جميع من كان مظنة المزروع عليه من أهله وأقاربه وبين معه ويومئذ اندفعت الشيعة لاختلاس الفرصة من بين هذه الظروف والزواجم المزاجة القاتمة يومئذ في بيت الملك فزحف أبو عبد الله الشيعي على بلاد كنامة فاحتلها ودخل مية وباغية وسطيف وبلت جيوشه إلى مجاهدة فأصبحت جميعها تحت طاعته وأمره.

منازلة حكماء

استمرت الواقائع والمحروب بين جموع الشيعة والأغالبة بنواحي كينونة ... وكان النصر فيها للشيعة، ويومئذ حد زيادة الله الثالث جوعه وفي القبور وجعهم كالمتحت قيادة حاجب أبي المزارع ومعه شيب القوادي وضفاعة العبي يماضياته وخرجت الكتابة سنة ٩٠٥ - ٢٩٣ م، لمقاطعة كتابة المائة يومئذ للعدو فكانت هنالك وقائع حربة هائلة قتل فيها عدد عظيم من الطرفين وكان ذلك مقدمة لأنصار قوى الأغالبة وضعفها بالغرين : الجزائر وتونس .

المذاهب والعقائد

لا يخفى ما كان للأمير قضاة الخلافة العباسية أبي يوسف صاحب أبي حنيفة من تفوذ الكلمة والسلطة والشورى عند خلقه ببغداد والمقام السادس الذي كان يحتله بين رجال البلاط العباسي وخاصة الخليفة الرشيد نفسه المسיטر على جميع الولايات الإسلامية يومئذ، وما الإمارة الأغالبة إلا

صنيعه ، فكان من الطبيعي ان تأخذ هذه الامارة بتأليف دار الخلافة فكتلتها فيها قدين به من المذاهب والعقائد وخاصة في تشرع الاحكام والقوانين التي يجري عليها نظام الحكم في البلاد ؟ فكانت الدولة الاخلاقية بذلك حقيقة ؟ ثم انه لا يخفى كذلك ما كان يتمتع به قلامذة المدرسة المالكية من الجاه والحرمة والتقدير عند الشعب خاصة ، مثل أبي القاسم الزواوي تلميذ الامام مالك ، وأسد بن القرات وسحنون بن سعد ، وما قام به ادريس بن عبدالله الكامل بالمغرب الاقصى من نشر المذهب المالكي وأخذ الامة للتربية به ، وما كان كذلك ليعي اليه من الحضوة والسلطان لدى خلفاءبني أمية بالأندلس الخ ... فكل ذلك كان عاملاً قوياً في نشر المذهب المالكي . بالمغرب ، فاجتمع يومئذ بالمغرب المذهبان الحنفي والماليكي وقد عرف الناس مع ذلك مذهب الشافعى وداود ولكنه بقة ، وفي ذلك يقول عياض في مقدمة كتابه المدارك :

واما افريقية وما وراثها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اثرب والبهول بن راشد وبعدم اسد بن القرات وغيرهم بذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يغروا الى ان جاء سعنون فقلب في ايامه . وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الاقطاع الى وقتنا هذا (٤٧٦ - ٥٤٤ھ) وكان بالقيروان قوم قلة في القديم اخذوا بذهب الشافعى ، ودخلها شيء من مذهب داود (الطاهري) ولكن الغالب عليها اذ ذاك مذهب المدينة والكوفة . وروى ابن البزار الكردي في تاريخه بسته عن عبدالله بن عبدالله قال : رأيت أبي بن ناظر في المسجد المرام رجلاً غريباً في المسائل الدقيق وحوله جماعة ، فقال له أبي من أين أنت ؟ ... قال : من طيبة أصهى بلاد المغرب ليس ورائي اسلام ، من مكة على داوس الف وخجالة فرسخ أو أكثر ، قال : وكيف وقفت هذه الدفاتر عندكم ؟ ... قال : وقت عتنا كتب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ؟ وقد تذكر عندنا أقاويل الامام مالك والاورزاعي ،

وقروا على رأي أبي حنيفة^(١) وطالما شاءنا الخلاف فاما بين اتباع المذهب المالكي والطافحي وكثيراً ما تفاقم الخلاف والجدل بين الحاكم والمحكوم حتى بالغ الولاية في البطش بحالفهم الى حد القتل في بعض الاحيان ، ولكن المالكية تصلبوا في التمسك بعقدهم الى النهاية . ولقد استمر مذهب أهل العراق سائداً بالغرب بجانب المذهب المالكي الى اواخر القرن الثالث المجري حيث افل نجمة الى العهد التركي في القرن العاشر المجري فأخذ به بعض اهل المواضر الجزائرية أي حيث يغلب وجود الازاك .

وكانت العقائد ومباحث أصول الدين بعيدة عن الآراء الفلسفية والمذاهب الاعتزالية فالإيمان البسيط الواضح عندم كافر في صحة عقيدة المسلم ، وكيف يستطيع أهل الجدل الديني التظاهر بعقيدتهم أو المناظرة في علم الكلام في دولة منع قاضي قضانا الصلاة خلف المتكلمين الذين يجادلون في الصفات ؟ ! ...

الثقافة والحضارة والعمان

يتاز عمر الاغاثة هذا بكثرة عقد الرحلات في طلب العلم . وكتب التراجم حافلة بذلك اسهام العلماء من اهل المقرب الذين أخذوا عليهم عن مالك وابن القاسم ومحمد بن الحسن وسفیان بن عيينه وابراهيم من ائمة المشرق ؛ وشاع يومئذ بين الناس التعليم العام والخاص في المساجد والكتاتيب وغيرها وعلى الحصوص علم الفقه والتشريع ، ولقد خصص الخليفة المنصور (الجزائر) بيعنة من الفقهاء فجاءت الى هنا واستقرت بمدينة مرمي المحرز - القالة - وكان بما ابيط بهذه البعثة علاوة على ما عهد اليها من نشر الاحكام الشرعية بين الناس اها تتولى جباية اموال الزكاة ، وما فعل ذلك المنصور الا خدمة للدين ، وذلك لعله بشدة حاجة الناس الي

(١) مناقب الامام الاعظم لابن البارز الكردي ج ٢ ص ١٠٥ ط جيدر آباد المكن ١٣٢١

يومئذ حيث انهم لا يزالون حديثون عن نظام الاسلام وقوانينه التشريعية .
فكتير من المجازرين اشتهروا بالتفوق الادبي وحازوا على الرئاسة
في العلم ببلدهم وفي غيرها كذلك ، مثل محمد بن حسين الطبقي واسحاق
اللثوني وأحمد بن علي الباغي وأبي القاسم يوسف البكري وأبي الفضل
عطاء الطبقي وهو القائل :

قالوا التحس وانكشفت شمه وما دروا عذر عذاريه
مرأة خديه جلامها الصبي فلاح فيها في صدغبه

كما انتشرت يومئذ بالمغرب علوم الحكمة والفلسفة والطب على يد
العالم الحكيم ابي يعقوب اسحاق بن عرمان البغدادي فقد استدعاءه الامير
زيادة الله الثالث لمعالجه حين اصيب بمرض اعجز الاطباء علاجه ، فجاءه
هذا الى القิروان و معه ابو الحسن بن حاتم ؛ وكان ابا يعقوب هذا ماهراً
حادقاً في صناعة تأليف الادوية المركبة والبساطة بصيراً يتفرقة العلل
واسع الاطلاع على علوم الفلسفة جيد القرىحة ، فاستوطن القิروان سنة
٢٩٣ - ٩٠٥ م وبها الف كتبه ونشر عليه وعنه اخذ المغاربة الطب
والفلسفة ؛ ولا ننس كذلك فضل علي بن تافع الملقب بزرباب وما جاءه
يه من علم وادب وفن الى بلاد المغرب امام مكنته بالقิروان في طريقه
الى الاندلس ؛ وكان بما زان هذا العصر ايضاً تبوغ احمد بن المزار
صاحب كتاب «زاد المسافر» الجامع للعلوم الطبية المتuarفة في وقته
واليه يرجع الفضل في انتشار هذه العلوم ياؤروبا ابان القرون الوسطى
كما اعتقد بذلك كبار دكاترة الغرب انفسهم . وتعتبر اعمال هؤلاء جميعاً
النواة الاولى لتأسيس دار الحكمة في القิروان .

وذكر ابن جليل في طبقات الاطباء : انه لم يكن في الاندلس لغاية
عهد اميرها عبد الرحمن بن الحكيم (٢٠٧ - ٢٣٨) الا اطباء نصارى
يعتدون في علمهم و دراستهم على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال
له الابريشم و معناه المجموع او الجامع .

ثم يذكر ابن جلبل عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٢٨ - ٢٧٣هـ)^(١) والامير عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ) فيقول: انه برع بعض الاطباء على عهد هذين الاميرين ولكن لم تعرف لهم مؤلفات، اما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) فظهر بعض الاطباء الذين بدأوا بتأليف الكتب ...^(٢)

وإذا كان شأن الطب والاطباء المسلمين يومئذ هكذا بالأندلس والدولة الاموية فلما هناك مستكملة لقواعد الخلقة والملك ، صحيحة الدعائم ، والحضارة الاسلامية آخذة في الاندفاع نحو التقدم والرقي ، فكيف يكون حال المغرب العربي وهو كما علمت احدث عهد بالحضارة الاسلامية والتقاليد العربية بالنسبة الى الاندلس ؟ ... فلا شك انه كان مختلفاً ، ولانس ان اقليم الاندلس هو ما كان بعد مع الاقطار المغربية .

ويرجع الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه (دراسات عن العصر العباسي الاول) ان يكون مصدر قصة الساعة المهداء من طرف الخليفة هارون الرشيد الى شرمان هو ان نفراً من تجار المغرب ارادوا ان تكون لهم حظرة عند ملك فرنسا ليسيير اعلام التجارية فزعموا انهم رسول الخليفة وخلوا اليه المهدى ومنها هذه الساعة الدقيقة ...^(٣)

ثم ان هذه الدولة عرفت كيف تستثمر خلاصة حضارات من تقدسها من الدول الاعجمية الكبيرة التي حكمت هذه البلاد مثل دولة الفينيقيين والرومان ، فانها انتفت بما احدثه هؤلاء من سبل وجهازات للري ، واستفادت كذلك بما جاء به الاعجم من صناعات النسيج والطرز وبما خلقه الكتاعيون من اساليب التجارة في البر والبحر والزراعة وغيرها من

(١) مطبوعات الاطباء والمخترعين لابن جلبل الاندلسي م ٩٢ ط القاهرة ١٩٥٥م

(٢) راجع هامش تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٤٦٦ وج ٥ ص ١٧٦ ط القاهرة ١٩٥٨م

صناعة البناء^(١) فأحدثت المساجد والأسوار والقصور والمنائر^(٢) قال ابن خلدون : ولما توفي أبو العباس محمد ابن أبي عقال سنة اثنين وسبعين ولي مكانه ابنه أبو لباعيم أحمد فأحسن السيرة وأكثر العطاء للعهد وكان مولعاً بالمهارة فبني بأفريقيا نحواً من عشرة آلاف حصن بالجبارية والكلس وأبواب الحديد ... وذكر إبا الفرانق محمد فقال عنه : إنه بنى حصوناً ومحارس على ساحل البحر بالقرب على مسيرة خمسة عشرة يوماً من برقة إلى جهة المغرب وهي الآن معروفة^(٣) . ونهدت الطرق وعبدت السبل

(١) جاء في كتاب التاريخ العام للعلماني : لايس درامي ، إن إنكلترا الانكليزية في القرن الرابع الميلادي الـ ما بعد العاشر كانت قوية في أرضها منطقة الصة بغیر بلادها ، سبة وحشية بين البيوت بغير غير غيت ولتشدها من تراب مدفون وخطها في وطا من الأرض ... ولم يكن الناس أحسن مسكنًا وإنما من الحيوانات ، وكانت البيوت في باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المحجون باللنش والقصب ولم يكن فيها منفذ ولا غرف مدفونة . وقد اعترف المصوفون من علماء أوروبا بأن كل ما كان بعد ذلك من أشراق وفن وجمال في حضارة أوروبا ورقها المادي والآدبي أفاد كان مطلعه شمال أفريقيا في مهدها العربي الإسلامي وذلك لأن المدينة الفرنسية تكونت بعد فتح العرب للأندلس وجنوب فرنسا ومتلية وسواحل إيطاليا وسائر جزر البحر الأبيض المتوسط ، وكل هذه التراثات ما عدا جزيرة قبرص صدوت عن شمال أفرقيا كما شهد لهم بذلك آثارهم البالى يحيطها إلى اليوم .

(٢) هي موأيد بيت على رؤوس الجبال العالمية بحيث يتقارب ببعضها ويشرف بعضها على بعض ، ويقال لها أيضاً الباب والماور أو المناظير ، يقام فيها حراس يستمرون المراقبة لرسائل العلام بالنهار عندما يرون حدوث شيء مهم يجهذهم : ويعقدون اليران بالليل ، وهكذا يصل الذين يلوذون ثم الذين يلوذون إلى أن يصل الخبر إلى المدينة أو التقر أو المسنة في زمن قليل فقد كانت الرسائل تصل من سنتة إلى الإسكندرية بواسطتها في مدة أقل من أربع ساعات ، وقد كان بالغرب يومئذ نحو الشارة آلاف ميل ، وكما كانت مبنية بالجبارية والكلس وعليها أبواب من حديد ولم تكن هذه المنائر معروفة عند المسلمين إلا في البلاد التي كانت قاعدة للدولة البيزنطية من قبل . قال ابن خلدون في سباق حدثه من ولاية إبراهيم - الأصر - ابن أحد ... وبني حصون ومحارس بسواحل البحر حتى كانت النار موجودة في سواحل سنتة للنذر بالدو فجعل إيقادها بالإسكندرية في أقبية الواحدة ، وبناء سوره سوسة ... وفي سنة احدى وعشرين اتقل إلى سكنى تونس وأخذ بها القصور (ابن خلدون ج ٤ ص ٢٠٣) .

(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٤٠١ .

واست المدن مثل العباسية بالجزائر قرب تاهرت ٢٢٧ - ٨٤١ م، احرها افعى بن عبد الوهاب ابن رستم وكتب بذلك يترب لصاحب الاندلس فبعث اليه هذا باءة الف درهم^(١) كما است هذه الدولة وغيرها بولاية تونس وكان السفر مأموناً والاموال معلمة مسوحة ؛ فان طول المسافة من القيروان الى السوس الادنى على الحيط الاطلسي يبلغ الفين ومائة وخمسين ميلاً، وكان على طول مسافة الساحل المغربي حصون ومحارس ومخافر بلند المحبة، وكانت الصناعات مثل الحداوة والتجارة والقش والخياكة والتعدين منتشرة في ارجاء المملكة فانهم كانوا يستخرجون من معادن محانة ومناجم بوة وغيرها انواع الحديد والرصاص والفضة والكحول^(٢) ومن مرسى الحرز - القالة - انواع المؤلز والمرجان ونشطت الحركة التجارية في المرانى فكانت متصلة بالعواصم الاوروباوية بما لم يتحقق لغير هذه الدولة من حكم هذه البلاد من قبل وقد ذكرنا فيما سبق مبلغ بلغ خراج الفدان^(٣) الواحد على عهد ابراهيم بن الاغلب ١٨ ديناراً، وكان مبلغ خراج ارض افريقيا وجباتها في اوائل القرن الثالث ١٣٥,٠٠٠ درهماً و ١٢٠ بساطاً وكل ذلك يدلنا على سعة ثروة البلاد ورفاهيتها .

وقال علي بن الفتح المعروف بالملطوق : أهدى زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب صاحب المغرب الى المكتفي بالله في سنة احدى وسبعين ومائتين (٩٠٣ م) هدياً لما قدر جليل ، فيها مائة خادم ، ومائة جارية ومائة فرس ، ومائتا لبد مغيرة وترکش (الكتنانة او الجمعة يوضع فيها اللستناب) وطيبب وزراقة وبقر وحشية ومائة الف دينار كل دينار عشرة دنانير ؛ قال وقرأت ديناراً من تلك الدنانير فإذا عليه مكتوب في الجانب الاول :

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٠٠

(٢) مساحة من الارض للدر بـ ٤٠٠ متر مربعاً .

يا سلوا نبو الخليلة قل له ان قد كفاك الله أمرك كله
بزيادة الله بن عبد الله سيف الله من دون الخليلة سله
وفي الجانب الآخر :

ما ان يرى لك بالخلاف منافق الا استباح حرمه وادله
من لا يرى لك طاعة فلان قد اهانه عن طرق المدى وأخذه
قال وكان تحت هذه الآيات احرف لم اقف عليها .

وحيث هرب زباده الله بن الغلب من القبروان حين دخلها ابو عبد الله
داعية المهدى فر سنة ست وثمانين ومائتين (٩٠٩ م) متوجهاً الى مصر
خرج معه بالف خادم دفع الى كل واحد منهم الف دينار سوى ما
كان في خزانة من الاموال والجوائز والاثاث المحمول والمترافق ، وضل
عنه من ماله ثلاثة حلا دنانير خالقه الى ناحية تونس ، وانتهت من
امواله امثال ما خرج معه^(١) .

اهياء الدولة الأغلبية

ان اهم ما اصر بهذه الدولة وكان سبباً مباشرأً في سقوطها هو
معاملتها القاسية للشعب وأخذتها له بالعنف والتضييق عليه في ضرب المغارم
والإتاوات الباهضة واتارة مشاعره بالعصبية العربية والتضييق المذهبي مع
أخذ الجند المأجور الذي لا يتحرك إلا عن طمع وجشع فلا حمية دينية تبعث ولا
حفيظة أو حسنة وطنية تحرزها إنما هو أجير ، ومني أجبارك أجير ؟ ...
ويلاحظ على الدولة في قصر نفوذها واكتفiamها في حكم المغرب الأوسط يبسط
يدها على قسم من نوميديا الشرقية فقط ؛ مع سوء سلوكيها مع أهل
الزاب وبذلة من ابقاها بهم وأهلوا لهم سنة ٢٨٠ - ٨٩٣ م كل ذلك
ما زاد في نفور الرعية وهي عاصي كثامة والتغافل في تصلبها وتنسكتها بالدعاوة

(١) النهايات والتخفيف للماضي الرشيد بن الزبير ص ٢٧ - ٢٤٦ ط الكويت ١٩٥٩ م

الشيعة ؟ ويشرح لنا العالم الانكليزي (نيلكسون) أسباب هذا التدهور الذي لحق دولة الاغلبة بالغرب ونجاح الدعوة الشيعية وانتصارها عليها هناك بما كانت عليها دولة العباسين المهيمنة على العالم الإسلامي من الضعف الذي حلّ بها في جميع أقطار البلاد الإسلامية التي زال عنها نفوذ بغداد الفاطملي ، وبما كان عليه البربر واستهروا به من حب القتال وما تعودوا من شطط العيش وما فطروا عليه من عدم اخلاق للنظام ، كانوا متاهلين للخطاورة يأرمواهم اذا ما عرض لهم باعت بحرك في نفوسهم ما جبلوا عليه من اقدام على الخطأة وركوب مقن الاهوال ، فد على ذلك ان عمل الشراعة الذي فطر البربر على ارضائهم وما انطوت عليه أخلاقهم من حق وخسارة - كل ذلك جعلهم أسلس قيادا الى أبي عبدالله الشيعي فشكّن من الوصول الى أغراضه من اثار حسitem واعجائبهم بآل علي والمهدى^(١) . ثم كان القضاء المبرم الذي قضى به زيادة الله الثالث على دولته بالدمار وهو الموقف الشنيع الذي وقّه نجاه والده وغالب رجال البيت الاغلبي من القضاة عليهم بارقة دهم جميعا ظالما وعدواناً وكأنه في ذلك كان مقتدياً بسلكه ابراهيم بن احمد الاغلبي ، أخف الى ذلك وھتكه سرمات الملك ينهكه في الحلاعة والانهاك في الشهورات حينما كان الشيعة يتقدّمون سراعاً في مواقعهم العربية متصرّفين على خصومهم ، فكان هذا كله فرصة لابي عبدالله الشيعي لادعاته في القوم فكرة التحرر والاستقلال عن الدولة العباسية وانتظار المهدى المنتظر وبئه فيما مذهب الإمامية فتعلّقت فيه عقائد الشيعة وتجمّع الناس حول الداعي أبي عبدالله وكانت هنالك حروب خرج لها زيادة الله الثالث في ثانية الف مقاتل ، فاللتين الجماع بتواحي الاربعس - قرية بنواحي السكاف بتونس - وهنالك دارت بينهم رحى الحرب فكانت هذه الواقعة هي المعركة الفاصلة في مستقبل البلاد فانزلم الاغلبة فيها شر هزيمة وخُرج زِيادة الله هارباً من رفادة^(٢) مصوّباً بأهل

(١) تاريخ الدولة الفاطمية لـ الدكتور حسن ابراهيم س ٤٤ ط القاهرة ١٩٥٨ م .

(٢) مدينة أسمها ابراهيم الامر سنة ٩٤٦ - ١٠٣٧ م بعد عن البربران بباتنة امالي جنوبا وهي اليوم اطلال .

وذويه ليلة الاثنين ٢٦ جمادي الثانية ٩٠٩ هـ - مارس ١٩٩٦ م ، وذهب
بعدها إلى بيت المقدس وسقطت مملكة الأغالبة بما فيها - الجزائر - بيد
الشيعة . فكانت مدة حكمهم ١١١ سنة وثلاثة أشهر .

ولاية الجزائر وزعاؤها

لم تكن سلطة الأغالبة في الوطن الجزائري لتعدي حدود عالة
فقط بل كانت عاصمة الجزائر الأغالية يومئذ هي مدينة طنجة
على نهر اوربيع كيلو متراً شمال بربحكة وقد تو لاها لهذا العهد الأغلب
بن نعيم ، ثم الحارق بن غفار الطائي ، ثم المطلب بن زياد من آل المطلب
بن أبي صفرة ثم إبراهيم بن الأغلب ثم عمر بن حفص المهمي المعروف
بهزارمرد ، وكان من ولاتها أيضاً منصور الترمذى فانتقض يوماً على
زيادة الله الأول وسار إلى تونس فلكلها سنة ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م ولها
فتح الشيعة طنجة كان بها يومئذ أمير مسالة : الفتح بن مجيس فقتل
الشيعي ، وكان على بلد مية رجل منبني سليم يقال له موسى بن
العباس بن عبد الصمد فقتلته الشيعي أيضاً وولى مكانه ماكون بن خبارة
وكانت ولاية سطيف لبني اسد بن خزيمة وآخرهم علي بن جعفر بن
عسكروحة وأخره أبو حبيب ، وكانت ولاية بلازمة فيبني نعيم ومواليهم
وكانت ولاية المسية ومية موسى بن العباس فقتلته الشيعي في غزوته لمانه
المدينة . وكان من أمراء كتامة لهذا العهد عروبة بن يوسف ؟ وعلى
باغية هرون الطبني ؟ وكان على الزاب سالم بن غلبون فقتله الأغالبة مع
ولده ازهراً بسبب تورثتها عليهم سنة ٢٣٤ هـ - ٨٤٧ م . وكان من ولاية
الزاب أيضاً احمد بن سوادة المترفي سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م .

وذكر بعض مؤرخي المغرب أن مناد بن منقوش والد ذيري عاهل
صنهاجة ، امتلك جانباً من إفريقيا والمغرب الأوسط - الجزائر - مقبلاً
لدعارةبني العباس وراجعاً إلى أمر الأغالبة .

امراء الدولة الاغلبيّة

تاویخ التولیة

ابراهیم بن الاغلب	جادی الثانية - جران	٨٠٠ = ١٨٤ م
ابو العباس عبدالله الاول	صغر - اكتوبر	٨١٢ = ١٩٧ م
زيادة الله الاول	ذو الحجه - جران	٨١٧ = ٢٠١ م
ابو عقال الاغلب	١٤ ربیع - ١١ جوان	٨٣٨ = ٢٢٣ م
ابو العباس محمد الاول	٢٢ ربیع الثاني - ١٨ فیفري	٨٤١ = ٢٢٦ م
ابو ابراهیم احمد	٢ محرم - ١١ ماي	٨٥٦ = ٢٤٢ م
زيادة الله الثاني	١٣ ذي الحجه - ٢٨ دیسمبر	٨٦٣ = ٢٤٩ م
ابو الفراتیق محمد الثاني	٢٠ ذي القعده - ٢٣ دیسمبر	٨٦٤ = ٢٥٠ م
ابراهیم الاصغر	٦ جادی الاولى - ١٦ فیفري	٨٧٥ = ٢٦١ م
ابو العباس عبدالله الثاني	شبان - جولیط	٩٠٢ = ٢٨٩ م
زيادة الله الثالث	رمضان - جولیط	٩٠٢ = ٢٩٠ م

من مَشَاهِيرِ أَجْنَابِ

اسحاق المنشوني

أواسط القرن الثالث المجري
(اواسط الناجع البلادي)

هو شيخ امراء بنى الغلب وندم بلاطهم اسحاق بن أبي عبد الله عبد الملك المنشوني نسبة الى ملشون قرية من قرى بسكرة قرب تهودة وهي يرمذ حاضرة العلم ؛ كان اسحاق هذا عالماً نعم مؤرخاً ثبتاً ذا درابة ومعرفة واسعة بفن التاريخ والمخضرات ، كان يحمل عنه وعن ايه العلم ، اخذ عن والده وعن مائتة يلدنه ، كما جالس الامام سحنون بالقروان واخذ كل منها عن صاحبه قال ابو العرب كان ابو القاسم بن شبلون القمي رضي الله عنه يروي فيما كان يرويه ان سحنون بن سعد دخل على محمد بن الغلب الامير اول يوم من شهر رمضان فلقى الامير خالياً ، فقال له : اراك اها الامير خالياً ، فقال نعم ، انفردنا في هذا الشهر معظم وخلونا فيه وتركنا ما كان لنغير اهله عز وجل ، فقال سحنون : فلابد انت اها الامير من اسحاق المنشوني يحيى ذلك بأخبار الامم السالفة والاعوام الماضية ؟ فامر محمد بن الغلب باحضاره ، فكان يحضر عند محمد بن الغلب في كل يوم مجدته بذلك حتى انقضى شهر رمضان ؛ قال ابو العرب : وسمعت بعض المائتة من يروي البريء من الاخبار بحدث عن اسحاق بن عبد الملك المنشوني انه قال : لم يدخل افريقياً نبي قط ، ولو لمن

دخلها بالاعان بعض حواري عيسى بن مرير عليه السلام^(١) فain زعم القاتلين بوجود قبر النبي خالد بن سنان بالقطدر الجزائري ودفعه حيث الفريح المنسوب اليه المشهود قرب بسكرة ...

نعم روى ابو العرب في طبقاته والماليكي في رياضه كلها عن قاضي افريقية الثقة عبد الرحمن بن زياد بن اننم المتوفى سنة ١٦١ هـ ٧٧٧ مـ انه قال : كنت امشي وانا غلام مع عمي بقرطاجنة فاذا بقبر مكتوب عليه بالميرية : وانا عبدالله بن الاراشي رسول رسول الله صالح يعني الى اهل هذه القرية ادعorum الى الله ، انتهم ضعى ، قتلواني ظلماً حسيبهم الله ، وقيل ان شعيبا هو الذي بعث عبدالله ابن الاراشي . والاراش فخذ من بلي^(٢) ولم نعثر على اي دوایة صحيحة ثبت لنا صحة نسبة القبر الى خالد بن سنان العبسي^(٣) .

محمد بن حسين الطبّاني

٤٣٩٤ - ١٠٠٤ م

الاديب الكبير والشاعر الملقن ابو عبدالله محمد بن حسين بن محمد الطبّاني نسبة الى طبلة عاصمة الزاب الجزائري ولد بها سنة ثلاثة او ٣٠٣ هـ ... وصله ابن بشكوال بسمة العلم والتبرع في الادب وقال : انه لم يصل الى الاندلس اشعر منه ، وكان اتصاله بالاندلس سنة ٣٢٥ هـ وكانت وفاته مسلن شهر ذي الحجة سنة ٤٣٩٤ هـ - اكتوبر ١٠٠٤ م وصادر جنازته المظفر عبد الملك بن أبي عامر في اهل دولته وصلى عليه ابن قطليس رحيم الله جيماً .

(١) طبعات علماء افريقية من ٨ ط باريس ١٩١٥ مـ .

(٢) طبعات علماء افريقية من ٧ ط باريس ١٩١٥ مـ وربما النقوس من ٥ ط القاهرة ١٩٥١ مـ .

(٣) راجع من ١٣٨ - ١٤٩ - ١٤٠ - ١٤١ من كتابنا هذا .

جَسْدَوْل تَارِيخِي

١٨٤ - ٢٩٦

٨٠٠ - ٩٠٩

تَارِيخُ الْمَوَادِيْتُ وَأَبْرَزُ الْاَحْدَادُ	أَهْمُ الْمَوَادِيْتُ وَأَبْرَزُ الْاَحْدَادُ
تأسيس الدولة الفاطمية (جمادى الثانية - جوان)	٨٠٠ = ٢٩٦ م
استيلاء منصور الترمذى - والى طبة - على تونس	٨٢٢ = ٢٠٧ م
إنشاء مدينة العباسية - قرب تبرت - هُنَى عليها الرستميون	٨٤١ = ٢٢٧ م
اشتداد أزمة القحط بالغرب العربي كله ، وقد دام سنوات	٨٦٢ = ٢٥٣ م
فتح ابراهيم بن احمد بن محمد بن الأغلب بأهل الزاب .	٨٨١ = ٢٦٨ م
ظهور الدعوة الشيعية بنواحي قسطنطينة .	٨٩٢ = ٢٧٩ م
ظهور أبي عبد الله الشيعي بأرض فرجيورة من بلاد كنامة	٨٩٣ = ٢٨٠ م
مقاتلة الحكومة لبني بطليط ببسكرة .	٨٩٩ = ٢٨٦ م
مقاتلة أهل الزاب .	٩٠١ = ٢٨٨ م
زيارة الدولة لابي عبد الله الشيعي بنواحي طبلة .	٩٠٢ = ٢٨٩ م
سلطان بلاد كنامة ومية وباغية وسيف ومجاهة	٩٠٣ = ٢٩٠ م
بيد الداعية الشيعي .	
انتقام الدولة من كنامة .	٩٠٥ = ٢٩٣ م
انهيار الدولة الأغلبية ووقوعها بيد الشيعة (٢٦ جمادى الاولى مارس) .	٩٠٩ = ٢٩٦ م

الدَّوْلَةُ الْعَبِيدِيَّةُ (الْقَاطِنَيَّةُ)

٢٩٦ - ٥٣٦

٩٠٩ - م ٩٢٢

نشأتها

تنسب هذه الدولة - حسب اسهامها - إلى عبيد الله المهيدي الشيعي مؤسس الخلافة العبيدية بالغرب ، وجد الخلفاء الفاطميين^(١) بالشرق ؛ فهو عبيد الله ابن أحمد بن اسحاعيل الثاني بن محمد بن اسحاعيل بن جعفر الصادق ؟ على ما في هذا النسب من جدل وخلاف ؟ ! ... ولد عبيد الله بالليلة من بلاد الشام وقيل بيغداد سنة ٨٧٣ م - ٤٦٠ هـ وين خطط السياسة على فكرة القول بالأمام المهيدي المنتظر وما يحيط بها من غموض وخفاء ، وكثيروما استعملت هذه الفكرة في إثناء دول وعصبات سياسية لترويج دعوتها والقضاء على غيرها ؛ وهي فكرة شيعية محضة .

والشيعة تحب اصطلاحي خاص بأحدى الفرق الإسلامية التي ترتكز في دعوتها السياسية والاجتماعية والدينية أيضاً على تفضيل آل البيت ولا سيما منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ف قالوا بتقدمه على غيره من

(١) نسموا بذلك تورياً بالسياسيين ؛ فقد يقول هؤلاء إنهم أبناء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم لا ينطليون إلى الاتهام إلى فاطمة الزهراء ، فهو اتهام إلى بيت التوبة ذاته ، وليس هو كلاماً لهم إلى الأعمام ...

الصلابة ؛ وانه الوصي على الخلافة وانها مستمرة في عقبه الى النهاية ،
وان الخلفاء من نسله معصومون الغ ... وكان من فرق الشيعة المشهورة
طائفة الامامية الملقبة بالباطنية ذات البدع الشنيعة في الاسلام ، القائمة
بامامة اسحائيل بن جعفر الصادق ، مع انه مات قبل والده ! ... وذلك
توصلاً منهم الى انتقاماً في عقبه المتعدد منه عبيد الله المهي مؤسس هذه
الدولة ؛ ولا تزال طائفة الامامية هذه قائمة الى اليوم في بلاد المعم
والمند والنام يرأسها اليوم «آغاخان» الزعيم الديني المفتي المشهور .

في الوقت الذي كان عبيد الله المهي مضطهدآ من طرف العباسيين
بالمشرق مختبئاً عن اعين الناس مطارداً ؛ كان داعيته الاكبر ابو عبد الله
الصفاني الشيعي بالقرب يعمل على توطيد الدعوة الشيعية وتركيز الخلافة
وتبيتها ليد المهي ؛ فكثت بيني كتامة بيجيل اوراس عشر سنتين وما
اطنان بنيجاه في الدعوة بعث الى عبيد الله يستقدمه - وهو يرمي مختبئاً
بعصر فخر المدي مع ولده ابي القاسم وابي العباس احمد اخ الصناعي
فارتحلوا جميعاً في زي التجار وجاؤوا الى المغرب فاختلوا بطرابلس فمكث
بها ابو العباس وارتعل عنها المهي وولده الى قسطنطينة ثم الى سجلاتة -
تأفلاط - وهناك وقعا معاً في قبضة صاحبها الياس بن ميمون المتمرد
من بني مدرار عامل بني العباس ؛ وسرعاً ما اتصل الخبر بالصناعي
فاستقدم اخاه من طرابلس فخلقه على ولاية رقادة وخرج بغير ورائه
جيشاً اضطرب له المغرب الاوسط ، فقضى على دولة بني وسم وامتلك
ثارت وانتهى بجيشه ناحية المغرب الاوضي فاستولى في طريقه على عدة
مراکز وتابع سيره الى سجلاته فشن عليها المغاربة وقضى على عاملها
الياس من بني مدرار وخلص الى المهي وولده فانقضىها من الامر
ورجع بها الى رقادة ، فدخلها المهي واكبها على فرس ورد وعليه ثوب
خر اذكن وعامة منه متعملاً تعلاً عربية وخلفه ولده ابو القاسم مرتبلاً
ثوب خرز خلوق وعامة منه وتحته فرس اثغر ؛ متقدماً امامها الصناعي
على فرس كبيت وعليه ثوب توقي ، وظاهرة كثان وعامة ومتذليل
اسكتندرافي ويديه سبعة يسوع بها العرق والنبار عن وجهه والناس بين

يديه يسلمون وهو يقول : هذا مولايكم حتى انزله الخيم برقادة ، وهناك كانت اليمعة له بأمير المؤمنين وذلك يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني ٩٣٧ - ١٩٢٩ م فأشبه في ذلك سلفه عبد الرحمن الداخل ، غير ان المهدى يمتاز عن صاحبه بأنه كان بذلك اول من اعلن مراجحة الخليفة العباسي في قبره ؟ والواقع ان عبيد الله الشيعي لم يجلس على عرش الدولة الفاطمية في (رقاده) حتى كان قد زال ملك بنى الأغلب من افريقية ، وملك بنى مدرار من سجلماطة ، وملك بنى رسم من تاهرت . ولقد اتصف عبيد الله بقوة البناء وجمال الست ونemie ، كما اتصف ايضاً باليقنة واصالة الرأي والعلم مع سعة الملة ورباطة الجأش وشدة الحزم فأعانته صفات الخليفة هذه وما انتبه في دعوته من المسائل الدبلوماسية التي لم يسبق اليها سابق ولم يهد اليها احد قبله على انشاء دولته التي اقامها بين اكثر من ست دول اسلامية وغيرها كلها تحاربها وتختفي عاقبتها .

نظامها المكتومي

فامت هذه الدولة الشيعية على كاهل فن التخديل او كما يسمى في العصر الحديث « الطابور الخامس » فكانت لذلك اعظم واجل رتبة بها هي وظيفة داعي الدعاة ، لا يفضلها الا ملائكة قاضي القضاة او الخليفة نفسه الذي يعتقدون فيه العصمة ، ولم يكن لهذه الدولة في أول أمرها بالقرب وزراء الا بعد انتقالها الى مصر في عهد الخليفة العزيز بالله ، وهناك خطة صاحب المظلة ^(١) يختار لها فارس يجاذب الملك في سيره من حيث كانت الشمس ، ولا يعلم احد من الملوك اتخاذ هذه المظلة المكتومة قبل بنى عبيد ، وفي ذلك يقول ابن هانئ الاندلسي من قصيدة مدحها الخليفة العزيز العبيدي :

(١) وصفها الفلكيتشندي في حجه (ج ٤ ص ٧ - ٨) بأنها ثقبة من حجر اصغر مزروكتس بالذهب ، على اعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في الميدان .

وعلى أمير المؤمنين غامة نشأت فضل تاجه تضليلًا
نهضت بمثل الدرع ضوع نسبه وجرت عليه عسجداً عشوياً

وفي القصر منشئون وكتاب لا يقل مرتب احدهم عن ثلاثة ديناراً
لكل شهر ولرتبهم مائة وخمسون ديناراً ، وجلب المزاج والجباية والمفرم
ووقف الزكاة موظفون آخرون . والنظر في الجرائم والجنح واقامة الحدود
راجع الى صاحب الشرطة ، ووظيفة الهيئة مندرجة تحت رعاية القاضي
 فهو الذي يولي عليها من شاء . والعمل بالبلاد اناس هم غالباً من سكان
البلاد الوطنيين واكثر الجندي متجمع من قبيلة كاتمة الشديدة البأس ،
وكان ابو عبد الله الصناعي اذ اراد ان يركب للعرب نادي مناديه :
يا خليل الله اركبوا ، وكتب على افتخار الجيل « الملك الله » وعلى
اللاح « عدة الله » وعلى الرابة اليضاء « سیزم المفع ویولون الادبار » ؟
وقد يكون على الوبتهم احياناً أهلة من ذهب في كل منها صورة سبع ،
وكان متقوشاً على خاتمه الذي يخت به السجلات ، وقت كلة ربک صدقها
 وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . وللسلطول العبيدي ميزانية
ضخمة من خراج الاقطاعات الموقوفة عليه وترؤسه المراكب مرتبات
تبلغ العشرين ديناراً في كل شهر ؛ قال ابن خلدون : وكان لكل بلد
تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من التوابية يدير امور
حربه وسلامه ومقاتلاته ، ورئيس يدير امر جريمه بالرياح او بالجاذيف
وامر ارسانه في مرافقه ، فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض
سلطاني مهم عسكرت يرافقها المعلوم ، ومحضها السلطان بوجالة ، والجند
عاكروه ومواليه ، وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته ،
ويرجعون اليه كلام ثم يسرحهم لوجههم ويستقر لهم بالفتح والفتحية^(١)
وتمتاز هذه الدولة العربية الناشئة بالقرب بالمحافظة على عائلة الاهالي سكان
البلاد الاصليين فأثر كتمهم في الادارة باستادها مشيخة التواهي وادارة
الب يريد وحماية الفرسان اليهم ؛ ثم كان لهم التقدم في المناصب والرتب

(١) مقدمة ابن خلدون من ١٤٣ ط بولاق ١٩٧٤ .

على غيرهم اثر الفتح القاطع بالشريقي . فقد رأيت كيف كان تأسيس هذه الدولة بالغرب امراً مشتركاً بين العرب والبربر كما كان الشأن في إنشاء الخلافة العباسية بالشرق بين العرب والفرس . وللدولة بعد ذلك علتها وسكنها المضروبة باسمها منقوش فيها «بلغت حجة الله» وعلى الوجه الآخر «فرق أعداء الله» وهي مستقلة استقلالاً تاماً لا يسيطر عليها فيه أحد ، وبقيام هذه الدولة في المغرب كان في العالم الإسلامي يومئذ ثلاثة خلافات : خلافة العباسيين ببغداد ، وخلافة الامويين بالأندلس ، ثم هذه الخلافة العبيدية بالغرب .

حدود الجزائر العبيدية

لأول مرة في تاريخ المغرب العربي اتحدت افريقيا الشمالية تحت لواء دولة اسلامية واحدة ، وقد كان بالوطن الجزائري يومئذ اربع ولايات : ولاية المسيلة وهي تشتمل على مواطن زنقة بالزاب والخضنة ومواطن عبوية ما بين سطيف وقلعة بني حاد ، وولاية باشية المشتملة على وطن كثامة من نواحي عنابة وقالمة الى نواحي سطيف وجيجل ، وولاية اشير الخنزير على مواطن صنهاجة وما يجاورها من زواوة وزنقة ، وولاية تاهرت المشتملة على مواطن مغراوة ما بين مليانة ومازونة ، ويفرن وغالب زنقة .

فتح عمالة الجزائر الشرقية

كان ابتداء ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر حوالي سنة ٨٩٢ - ٥٢٧ م ، بواسطة الدعاة المنشئين في الاقطار المرسلين الى المغرب من طرف جعفر الصادق ، وكان ظهورهم اول مرة بناحية قسنطينة - سوق حار - ما بين ارض مجاعة وسبية ثم ظهر بكتامة^(١) ابو عبد الله الصناعي ؛ المتصر بقبائل

(١) أعلى الجبال الواقعة ما بين مدينة القل وعياية الى مجاعة

لميصة وغسان المصالحة معه ضد كل معاكس له في دعوه ، وهكذا استمر ابو عبد الله بذكائه وعزمه النادر في اسقاط القرم اليه بدعوى التحرير من ريبة السلطة الاغلية والانتصار للدين حتى امتلك قلوبهم واكتسب موادتهم فاجتمعوا عليه وكثير عدهم حوله فأخذ جيشه في تأسيس مدينة « دايكجان » قرب لميصة Chevreuil الحالية بنواحي « فوج مزاله » فجمع بها انصاره وسمها « دار الهرة » ومنها زحف الى مية فتحها سنة ٢٩٠ - ١٩٠٢ . وجرت بينه وبين الااحوال اخ اي العباس الاغلي حروب طاحنة ووقائع شديدة بنواحي سطيف وبازمة انتصر فيها الااحوال اولا ثم دارت الدائرة عليه فقلب الشعي وفتح طبقة عاصمة الزاب - على نحو اربع كيلومترات شمال بويكة - واحتلها صلحا في آخر ذي الحجة سنة ٢٩٣ - ١٩٠٦ م تظاهر امام اهلها بالقشف والتعصب لكتاب والسنة واتهاج مناهج العدل والاستامة قمله به القوم ورغبو في توليه عليهم ؟ وفي شعبان سنة ٢٩٤ - ماي ١٩٠٧ م خرج الشعي من طبقة في جموعة فاسطلى على بازمة وباغية ومنها توجه الى مسكناته وتيبة ، وهناك جاءته الوفود من اهالي مدینة سطيف مستأنمة على نفسها فأقامتها بعد ما هدم المدينة ، ثم استولى بمنورده واتباعه على تييس ومرماجنة وقسنطينة وبجاية وسائر بلاد الجزائر ونواحيها الشرفية ، ومنها اندفع الى ناحية تونس وقصبة وكان معه يومئذ ما يزيد على مائتي ألف جندي ؟ وهنالك التقى بجيشه الاغلية الذي كان يبلغ نصف العدد المذكور وكانت المارك بينهم بالاربعين فانتصر عليهم الصناعي بمحروشه واحتل القيروان في اواخر جمادي الثانية ٢٩٦ - مارس ١٩٠٩ وتقدم في رجب - افريل الى رفادة دار ملك الاغلية قبراؤها ، فكان ذلك آخر العهد بدورة بني الاغلب .

فتح عالة الجزائر الغربية

بعد ان ظهرت الدولة العبيدية بالملائكة الشرفية من الجزائر الى تونس حولت انظارها الى امتلاك الجهة الغربية ؟ فجهزت لها جيشاً عظيماً بقيادة

عروبة بن يوسف الكتامي فاحتل علامة الرستميين وقفى على امامية الخارج
 بها لتناقض الفلكرين فيها ، وجعلت ولاية العاصمة ثأرت الى اي حيد
 دواس بن صولات الاهيسي والسيد الصغير ابراهيم بن محمد المعروف بالمواري
 وفي سنة ٩٠٩ - ٦٢٩٧ م هبم محمد بن خزر الزناني امير مغراوة في
 قبيلة على تهيرت فهزمه واليها ابو حيد وامره في قومه بحسن ابن
 بخاتة - المعروف بتاھرت القديمة - ثم اجهز عليهم وخجا ابن خزر بنفسه ،
 وفي سنة ٩١٠ - ٦٢٩٨ م نص الناصريون ضد عامل الشيعة العبيدي
 فخرج منها العامل ملتحقاً الى حصن ابن بخاتة واستد اهلها رأسهم الى
 امير مغراوة محمد بن خزر الزناني فنزل هذا المدينة وتقلب على ارباضها :
 ثم جاءت الجلة الشيعية في شهر صفر ٩١١ - ٦٢٩٩ م فاقتحمت
 مدينة تهيرت قهراً ونصبت على رأسها مصلحة بن جيوس المكتاني ،
 واستمرت هذه الولاية في عقبه الى سنة ٩٣٦ - ٦٤٣٦ م حيث عاد
 اليها ابن خزر السالف الذكر رهاجها مراراً فلم ينجح ، وقد التهبت
 النيران في تهيرت سنة ٩١٢ - ٦٢٥٥ م فأحرقت أساها . وفي سنة
 ٩٢٧ - ٦٣١٥ م تقدم ابو القاسم بن عبد الله المهدى متغللاً في اعمال
 تهيرت ففتح يومئذ بلاد هوارة وزارة ومطهاطة .

وفي ذي الحجة سنة ٩١٠ - ٦٢٩٧ م اوطع الخليفة عبد الله
 المهدى الى اي حيد الاهيسي عامل تهيرت بمحصار مدينة وهران ومقاتلة
 اهلها من بني مسكن الزناتين ان هم امتهوا عن الاسلام ، فحوصرت
 وهران ومنع اهلها الماء فخرج منها بنر م SCN ليلاً وتركوا اموالهم الى
 النهب وخربت وهران فاضرمت فيها النيران وفر عنها يومئذ مؤسوسها
 الاندلسيون ، محمد بن ايي عون و محمد بن عبدوس في جماعة ... ثم ردم
 اليها ابو حيد وشرعوا في تجديد المدينة في شعبان - افريل ٦٢٩٨ -
 ٩١٠ م فعادت ابوج ما كانت عليه من قبل وتولى عليها يومئذ محمد بن
 ايي عون الاندلسي فتقدم بها العمran والرقى الى منتصف جادى الثانية
 سنة ٩٤٣ - ٦٣٤٣ م . حيث كانت بها الوقفة المشهورة بين
 يعلي بن محمد بن صالح البقرفي وبين زداجة وبين م SCN - كلام من

زناتة ومواطئهم بازاه وهران - فاحتل يعلي المدينة وعمل على خراها
 والبيت والفساد فيها وارقد فيها اليران فعادت وهران الى ما كانت
 عليه من التدمير والحراب واخذ يعلي في نقل اهلها الى موطنها الزناتي ،
 وكانت النهاية من هذه الرقة مقاومة الشيعة لا غير وبقيت وهران على
 ذلك مدة سنوات ثم تراجع الناس اليها وبنيت من جديد . وفي سنة
 ٩٣١ - ٥٣١ هـ تحرك محمد بن ابي العافية عامل العبيدين على المغرب
 الاقصى فجاء في جوع كثيرة فاحتل ولاية تمسان وهران وتتنس
 وشرشال وقطع يومئذ دعوة الادارة من المغرب الاوسط ؛ فخرج
 حينئذ اعقاب محمد بن سليمان من سائر اعمال تمسان واخذدوا بدعوة
 الامويين بالأندلس واجزوا اليهم ثم كان بعد ذلك من الفتن والثورات
 بهذا الوطن ما اخرجه سراراً عن طاعة العبيدين وادخله في طاعة الامويين
 تحت تصرف يعلي الافريقي عامل الناصر الاموي بالمغرب ، وبقي الامر
 على ذلك يتارجع بين الطائفتين ما بين مد وجزر الى ان تجرد لها
 القائد جوهر الصقلي سنة ٩٥٨ - ٣٤٧ هـ فاخضع جميع هذه التراصي
 الجزايرية شيئاً الى سلطة الدولة العبيدية وأخافتها الى اعماله بالمغرب
 الاقصى . ثم منعتها الحكومة الى حليتها حاكم مدينة اشير مؤسساً ذري
 بن مناد الصنهاجي .

مؤامرة تنس

يقال ان ابا العباس احمد المعروف بالخطوم اخ ابي عبدالله الصناعي
 ندم على ما صدر منه ومن أخيه في خدمة الدولة الشيعية وتوطيد الملك
 وتهيءه لبني عبيد ، فكان بما رواه التاريخ عنه انه أسر لأخيه ذات يوم
 فقال له : تكون انت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسليها الى غيرك
 وبقي من جهة الاتباع ؟ ! ... فكان هذا ما حس ابا عبدالله على ان
 يفرض شخصيته على الحكومة وعلى اصحاب العذر بعيد الله المهدى وفي
 يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ٩١٠ - ٢٩٦ هـ تم تدبير المؤامرة

بعدينة ننس ضد الخليفة ؟ وبيشروا على قتل المهدى فكان هناك من نوى
الجبر الى الخليفة فاعتبروا اولاً من التآمرين متربصاً بهم الدوائر الى ان
حان الوقت فدس لابي عبد الله و أخيه من قتلها صبراً، وذلك وقت
الزوال من يوم الثلاثاء منتصف جمادي الاولى سنة ٢٩٨ - ١٩ فيفري
٩١١ م وكان المتأمر لقتل ابى عبد الله هو عروبة بن يوسف من وجوه
كتامة ؟ ومعه اخوه حبابة ، وقيل معه جابر بن غاسب الميلى ؟ يقال
انه لما حل عروبة على الداعية الصناعي واراد قتله ، قال له لا تفعل
يا بني ا... فأجابه هذا : ان الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك . وقتل
معهما جماعة من شيخ كتامة بن غالوا على ذلك ، واظهر الخليفة
الرضى عن غيرهم عن ظن فيهم الظنون وكأنوا عنده من المشوبهين ،
فجعل يفرّقهم في المناصب الثانية وكأنه يفعل ذلك تكرماً منه وبجازة
لهم وانهم محل نفه وهو في الواقع بقصيم عن مواطن الخطر ويوقع
بينهم الحذر والمنافة .

مناهضة الشيعة بالجزائر

استد غضب كتامة على الخليفة حين اوقع بعض الذوات من رؤسائهم -
الذين شاركوا في المؤامرة - فأذمموا على الانتمام واصرروا على الخلاف
فكثُرت الحوادث والوقائع والمحروب ضد الشيعة ؟ وفي سنة ٢٩٩ - ١٩١
م اقطع الزاب عن العبيدرين فقويت شوكة اعدائهم به ؟ فنهض
الرّبّم يومئذ ابى القاسم محمد بن عبد الله المهدى فأخضعهم واحتل مدينة
قسطنطينة واعملها ؟ وفي سنة ٣١٥ - ٩٢٧ م غزت قبيلة زناتة بلاد كتامة
يدعوی مناهضة الشيعة المختلين لتلك البلاد ، فكانت الحرب بينهم شديدة
انهزمت فيها زناتة ، فانتهزها يومئذ الامويون فرصة نفذوا ايديهم للأخذ
ببعض زناتة فيابهم رئيساً يومئذ محمد بن خزر سنة ٣١٦ - ٩٢٨ م
وادعن للخلافة الاموية وحمل على ناحية التل فاستولى على مدينة وهران
وتنس وسلف ثم اخفق في الاخير .

مقتل عامل اوراس

لقد بالغ ابو معلوم فلخون الكتامي عامل اوراس في مطالبة رعيته بدفع المبالغ الباهضة من المقرض وكلفها من الكلف ما لا تطيقه ، فأظهرت له الرعية الطاعة والامتثال متربصة به حتى ظن انه ينجع في خطنه واطمأن فانقض عليه يوماً اهل الجبل فقتلوه ومن معه من الحامية والجند - ٩٣١٠ م ٩٢٢ م ؛ فكانت هذه الحادثة من مهام حradث مناهضة الشيعة بالجزائر .

مقتل عامل تاهرت

كثيراً ما خرجت ولاية تاهرت عن طاعة العبيدرين ، وتولاها رؤساء زنانة تلك القبيلة التي لم تكن لتذعن لهذه الدولة الشيعية طيلة ولايتها على الترب ؛ وكثيراً ما نشأت بينها حروب دائمة ، منها هذه الحرب التي خرج فيها مصالحة ابن جبوس عامل تاهرت سباجياً لقبيلة زنانة المنشقة ، وقد استولى في طريقه على التواحي ؛ وفيها كان حتى يوم الجمعة ٣٠ شعبان سنة ٩٣١٢ - ١٩ جانفي ٩٢٥ م وانهزم يومئذ حزب الشيعة ، ولم تكدد تقطع الواقع بين زنانة والشيعة ومن والاها من قبائل صنهاجة وكتامة مدة نحو خمسين سنة .

إنشاء مدينة المسيلة

بعدما انتهى الخليفة ابو القاسم محمد بن عبيد الله المهدى من جولته في أنحاء الوطن للقضاء على الثورات القائمة ضد تقدم يومند بلاد مطاطة وهوارة ونواحي تاهرت ففتحها نهائياً واوغل في التغور الى ما وراءها فكسر من شوكه المعارضين هنالك ، وفي متصرفه الى قاعدة سر في طريقه على وادي سهر فاعجب بهذا المكان الذي كان يسكنه يومند بنو ملكان من بطون هوارة ، فأمر بنقلهم الى قيع القيروان ، وأخذ رعه فاختلط به في ذلك المكان مدينة المسيلة وهو راكب على فرسه ؛ وقد كان ذلك اليوم الأحد ٩ صفر سنة ٩٣١٥ - ابريل ٩٢٧ م وعهد بالقيام على بنائها

والوقوف على تخصيصها وتحسينها الى احد قادة المُشهرين اي الحسن على بن حدون المعروف بابن الاندلسي^(١) وجعلها سداً منيعاً بينه وبين عاديه زنانة ، ولما تم بناؤها نسبها الخلية الى نفسه ودعاهما باسمه «المحمدية» ونقلت ادارة الزراب اليها من طبقة ، فأصبحت المسيلة - المحمدية - هي عاصمة الزراب يومئذ وبلافت من الحضارة والعمران الغالية القصوى ، فقد كان بها من الفصور والمنشآت المعاصرة من حمامات ومنتزهات ومساجد الخ ... ما يحق للجزائر ان تفخر به على غيرها في ذلك العصر ؟ وقد صدرها يومئذ العلماء والادباء فيجازرها من كل جهة وصوب وبعثت ولايتها لمؤسسها علي بن حدون الى ان هلك في حرب ايوب بن زياد الخارجي سنة ٩٤٦ - ٥٣٤ م فخلفه عليها ابنه جعفر بمدحه ابن هاني ، وبقي في ولايته الى ان نافسه صنهاجة ونشأت الحرب بينهما فقتل فيها زيري بن مناد الصنهاجي وذهب فيها ضعيف عشرة فرسه ، فقام ابنه بلکین منتصراً لوالده وظهر على جعفر فخرج منها حيثذا يوم ١٨ رمضان ٩٦٠ - ٥٣٧ جوليط ٩٧١ م . وذهب الى قرطبة فكان هو واخوه يحيى في جانب المتصور بن أبي عامر على اعدائه وقتل جعفر هنالك وفر يحيى الى مصر ، فأضاف المعرز العبيدي ولاية المسيلة يومئذ الى بلکين الصنهاجي فعمت ولايته حيثذا كلها من اعمال الجزائر الثلاثة : المسيلة وتأهرت واشير .

إنشاء مدينة اشير

هي مدينة بالجنوب الشرقي من البرواقية قرب «ثلاثاء الدواوئ» لا تزال اطلالها باقية الى اليوم عند الكاف الاخضر على التحدى الجنوبي الشرقي جبال تيطري وهي تبعد ب نحو ٢٥٠٠ متراً الى الشمال الغربي من (بنية) او منزل (بنت السلطان) وهي المدينة التي اقيمت مكان اشير ، وقد تدمت هذه كذلك ايضاً . انشأها زيري بن مناد رئيس

(١) هو الذي خرب مدينة أدونة - على سرقة شرق المسيلة - وامر بالاعاطلها عند دخون ميسور الحق من المغرب سنة ٩٤٥ - ٥٣٤ م .

صنهاجة واميها سنة ٩٣٦ - ٥٣٢ م وجعلها مركزاً حربياً للفتوحه
 بلاد زناتة الممتهنة عن طاعة العبيدرين الفيرة على تفورهم ، جلب اليها
 البنائين والصناع من المسيلة وطينة فاحسكتوا وضعها واسأدوا بناءها حتى
 قيل انه ليس في هذه الاقطار احسن ولا احسن منها ولا احكم ؛
 ووصف يحيى ابن خلدون الحصن الذي بناه فزيي ابن مناد الصنهاجي
 على جبل تيطري حيث كانت توجد مدينة اشير فقال : معقل تيطري
 المشهور الحصانة الاخذ من الصحراء والتل المزاحم بناكه الصحاب ؟ ...
 ووصف صاحب العبر هذا الجبل او المكان الذي اقيمت عليه مدينة
 اشير فقال ... الذي كانت فيه المدينة الكبيرة ... وذكرها صاحب
 الاستبصار فقال : ليس في تلك الاقطار احسن منها^(١) . وبعد ان رأى
 الخليفة النصور شدة تكاليف مؤسساها في العدو - اي يزيد - بقلعة كتامة
 واخلاصه في نصرة الدولة وصله بتحف وهذا ما نفيسيه وعقد له على قومه
 وعلى تيمرت واعملها وادن له في الخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة
 اشير فاستاجر بها العرمان وقصدتها العلماء والتجار من الفاسية وكانت
 بها سوق تباع فيها كل طيقه وطريقه ، وضرب بها العبيدرين عملتهم ،
 ثم جاء بلکين ولد المؤسس فابتلى سورها سنة ٩٧٧ - ٥٣٧ م وبقيت
 المدينة حرماً اثمناً الى ما بعد سنة ٤٤٠ - ١٠٤٨ م حيث خربها
 يوسف بن حاد الصنهاجي ، ثم تراجع اليها الناس بعد سنة خمس وسبعين
 واربعمائة - ١٠٦٣ م فعادت الى ما كانت عليه .

ثورة ابو يزيد الظاهري

كان ابو يزيد هذا رجلاً مشهوراً بالعنف يركب الحمار ويجلس الحشن
 من الصوف متسلماً بالسنة آخذاً نفسه بالحسبه يأمر بالمعروف وينهى عن
 انتكراه ويعلم الصيان القرآن ويؤذهم ، واسم ابو يزيد خليل بن كداد

(١) بقية الرواد ج ٢ من ١٨٥ ط الجزائر ١٢٢٢ هـ وال عبر ج ٦ ص ٦٤ ط
 بولاق ١٢٨٤ هـ والاستبصار من ٥٨ - ٥٩ ط نينا ١٨٥٢ هـ

المشهور بصاحب الحار وذهبه التكاري من فرق الخارج ، متبعاً لذهبه
وهو من أهل جبل اوراس ففي سنة ٩٤٣ - ٥٣٢ هـ يابه اهل الجبل
على الثورة في وجه الشيعة وتلقب بشيخ المؤمنين وعمره يومئذ ستون
سنة فخرج معه الكثير من خوارج زناة ومشيخة المالكية أيضاً وكهم
يدعو إلى مبابعة الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب قرطبة ، وذلك
توصلاً منهم إلى نبذ الدعوة الشيعية وتحرير البلاد من سلطةبني عبيد ،
فخرج أبو يزيد من اوراس على رأس هذه الجموع نائراً لوليته الصفر
فاحتل من بلاد الجزائر مدينة تبسة وبجاية وغالب مدن القطر
الجزائري الشرقي وحاصر قسنطينة وبلغ في سيره إلى القิروان ثم إلى
تونس فاحتلها وحاصر المهدية دار ملك العبيدين ثانية عشر شهراً حتى
قاد الخليفة المنصور العبيدي - وهو يومئذ بها - أن يقمع وييأس نولا
أن عمل الحلة في التخلص بنفسه منها وذهب إلى بسكرة ثم إلى مقره
من بلاد الزاب الجزائري ، ومن هناك كاتب دفين صنهاجة زيري بن
مناد مستجداً به على أبي يزيد وأهدى إليه في ذلك أموايا كثيرة
وحللاً وتحفأً ثقيلة كما استعان أيضاً بصاحب المسية علي بن حدرون ،
فلي كل منها دعوة المنصور وخرجت الجحافل فأحاطت بأبي يزيد - وهو
يومئذ حاصل للهوية - فأُخرج عنها في صفر سنة ٩٤٥ - سبتمبر ٥٣٤ هـ
وفي اثناء ذلك نهى شاب بجبل اوراس متزحماً حرقة أخرى ضد الشيعة
أيضاً فقبض عليه صاحب المسية وجاء به مصدراً إلى الأمير فأمر محمد
معه وصلبه إينا حل وارحل فكان يظهره الناس مصلوباً ارهاماً لهم وضل
أبو زيد يتنقل في العواصم والبلاد الجزائرية والخليفة المنصور في اثره إلى
أن بلغ باشابة فامتنع عنه أهلها ومنعوه من الدخول إليها فضرب عليها
الحصار وتول المنصور يومئذ بطينة وفي تلك الانتهاء فدلت سيرة أبي يزيد
وساء سلوكه فاختلفت عليه زناة وانقلبوا ضده ، فجاءات رسائل محمد بن
خزر الزنافي أمير مغراوة إلى الخليفة تساند للقية فأمنهم الخليفة مشترطاً
عليهم تسليم أبي يزيد ، فانطلقوا جميعاً خلفه وكانت له معهم وقائع و أيام
مشهورة يأتيناها في التاريخ كوفة يوم الرؤوس بغضون باتنة ، ووقعة

الطريق يجبل كيابة - قلعة بني حاد - حيث أحاط العبيديون بالقلعة ، وبعد حرب ضروس قبض المصوم على أبي زيد مختناً بالجراج يجبل مديد أو المعايد كما هو معروف به اليوم بشحال الحسنة في المحرم ٩٤٦ - جوليت ١٩٤٧ م فأمر الخليفة باسعافه فقلب عليه نزف الدم فمات يوم الخميس ليلة بيت من المحرم ؛ فقتل الحصباء بيته وعيثوا بها ... وبومذن هض أبناء أبي زيد الثلاثة : الفضل وأبيوب ويزيد في قومهم منادين باستمرار التورة على السيدين والمطالبة بدم أبيهم فانتشرت الحرب من جديد وتقدم الفضل على رأس جيوشه فحاصر طيبة وبسكترة وباغية وكاد لم يلب الفتنة يعم الاوراس لولا ان قتل الفضل غدرًا في شهر ذي القعدة من سنه - ماي ، جوان - وقتل آخره أبيوب بعده ٩٤١ - ١٩٥٢ م وزحف بعدهما بزيد إلى باغية فانهزم عنها ولم يخند أوار التورة بأوراس إلى ان جهز لها الخليفة رئيس صنهاجة بلکين بن زيري الصنهاجي فقضى على الناشرين هنالك وانتهت يومذن حركات أشوراج بالغرب ، واستندت ولایة باغية إلى قيصر الصقلي مولى المعز العبدی وبقي في منصبه هذا إلى ان ظهر منه ما استوجب قتله فقتله سیده سنة ٩٤٩ - ١٩٦٠ م .

اصطدام الدعوة الشيعية بالأموية في الجزائر

كان المغرب العربي في اوائل القرن الرابع المجري محظ انتشار الدعوة الشيعية من الامويين والشيعة ، يزدحرون عليه ويتساقرون بينهم في مد ايديهم الله ؟ فإنه بعد ما عذكن العبيديون من دولة الادارة والاغاثة بالغرب وبقيت دولتهم إلى شواطيء المحيط وسيمة واخذت تهدد الاندلس ، وكان النوار في الاندلس يومذن يقاوضون العبيديون ويتآمرون معهم على الدعوة لهم ؛ أمرع عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموي إلى دفع هذا الخطر عن دولته فنزل بساحل افريقيا وفتح مليلة سنة ٩٣٦ - ١٩٢٤ م وبث دعاته هنالك فاخترقوا المغرب إلى بلاد الجزائر فلام صاحب ارسقوں -

فرضة تلسان وهي على مسافة عشرين ميلاً منها .. وهو يومئذ ادريس بن ابراهيم ، واقتفي اثره في ذلك الحسن بن ابي العيش صاحب جرواوة ، وهو من بن ابي العافية صاحب المغرب الاقصى ، ومحمد بن خزر المغراوي عاشر زناتة ، فتشتبث يومئذ حروب بين الشيعة ودعاة الاموية في هذه الامارات المذكورة فانهزم فيها هؤلاء وخضعوا للشيعة ؛ ثم عادت زناته الى الدعوة الاموية لما كان للاميين عليها من الولاء من بعد هجرة أميرها صولات بن وزمار الى الخليفة عثمان بن عفان بالمدينة المنورة ، فاتخذ أميرها الحسن بن خزد وحيد بن يصل على رفض دعوة العبيدلين فمحصرت يومئذ تيهرت واحتلت وهران وأقيمت بها دعوة الاميين سنة ٩٣٣ - ٩٤٥ م واخذت الية الخليفة عبد الرحمن الثالث المقتب بالناصر لدين الله صاحب قرطبة ، وكان العبيدلين يومئذ في مثل عن هذا مهتمين بمحروب أبي زياد الخارجي ، وبعدما فضوا عليها عدوا الى القضاء على الدعوة الاموية القائمة بالمغرب ، فخرج المنصور بنفسه سنة ٩٣٦ - ٩٤٧ م وتولى بسوق حزة - قرب البويرة من عالة الجزائر - ومعه زيري الصنهاجي في جموعه وهناك أخذ الخليفة في حشد الجنود وجمع المسارك متدفعاً نحو تيهرت ، فأخرج حيد عنها وعقد المنصور عليها يعلى بن محمد اليفري كأنه عقد لزيري بن مناد الصنهاجي على قومة وسائر بلاد منهاجة .

وفي سنة ٩٤١ - ٩٥٢ م أعاد الناس الدعوة الى الاميين بالمغرب الاوسط ، فقدم على الناصر الاموي بقرطبة في ذلك قاضي وهران أحد بن أبي عون في وجراه أهل البلد وأعيان الوطن ، فتعجز لهم جوهر الصليبي قائد المعز العبيدي وخرج لقتالهم سنة ٩٤٧ - ٩٥٨ م فاعترضه يعلى بن محمد اليفري في جيوش عظيمة على مقربة من تيهرت ، وكانت هناك مقتلة شديدة بين الطائفتين ، فعمد يومئذ جوهر الى بذل الاموال وتوزيعها بين رؤساء كثامة على ان يقتلكروا بيعلى ويعقووا اثره . فجاءوا به رأسه وهزم يومئذ بنو يفرن قوم يعلى وانتصر العبيدلين ثم كانت فترة قصيرة سكنت فيها الجزائر الى ان غزا ابن خزر الونافي مدينة

ببغاء سنة ٩٦٨ - ١٥٣٨ وأعلن عصيان الشيعة ، ودعا للتاجر الاموي أيضاً وامتدت الفتنة الى الزاب وواد ربع ووارقة - بالقاف المقودة - ويومئذ خرج المعز الفاطمي لقتالهم جميعاً فشتت جوهم وأعاد الدعوة الشيعية ، وفر ابن خزد مختفياً حيث لم يظهر له اثر ، فاحتله المعز في القبض عليه فلم ينجع ، ويومئذ انتدب له يلكين الصنهاجي وأوغل في البلاد باحثاً عنه أيضاً بالهول والتجاد متفقاً اثره فلم يظفر به ، وبعد مضي سنة من الحادثة أقبل ابن خزد بنفسه فدخل على الخليفة المعز بدار الخلافة « المنصورية » (ربيع الثاني ٣٥٩ - في فرورد ٩٧٠ م) ، مستائناً على نفسه فأمهنه وعفا عنه وأبقاء هنالك حتى قضى بالغيروان وقد أنف على منه سنة ؛ ويومئذ تلاشت أطاع الامويين في المترقب .

سوب صنهاجة وزنانة

ولما هلك محمد بن خزد الزفافي خلفه على رئاسة القبيلة ولده الحير متسلكاً ببدعوة الامويين الى وفاته ، ثم قام بعده ولده محمد متسلكاً بحزب والده السياسي ، وكان متجرراً عاتياً ، فثار العبيديون عليه قبيلة صنهاجة الموالية لهم وكان على رأسها يلكين بن زيري فنشبت الحرب القبيلتين سنة ٩٧٠ - ١٥٣٦م وكاد أن يؤمر فيها دينيس زنانة لولا أنه عرف كيف ينجو بنفسه من ذل الامر فانتحر ، وقتل يومئذ سبعة عشر أميراً من صنهاجة . ثم نهض الحير بن محمد الزفافي فقام مكان والده المنتحر متزعمًا قبيلة زنانة فقاتل صنهاجة حتى وفع اميرها زيري عن فرسه فصرع ؛ ولقد استمرت المناوشات بين هاتين القبيلتين نحو نصف قرن ، وكلها كانت ناشطة عما تکته زنانة في نفسها من اثر الحرمان مما كانت ترجوه من خلفاء الشيعة من الرئاسة والزعيم على المغرب الاوسط المعروفة به وقد فاز بذلك خصاً بها الصنهاجيون وكتامة .

انشاء مدينة أفكان

هي على نهر الخلة والشرين كيلومتراً بالجنوب الغربي من مسکر

المعروف مكانها اليوم باسم أفكان بتشديد السكاف ، من مواطن جبل بنى داشر وهو أحد جبال درن المعروف بالاطلس ، وقاعدته مدينة الراشية - معسكر - كان مركز هذه المدينة أولاً سوقاً لزناتة ؛ فدتها رئيسها يعلى بن محمد بن صالح البغري وأسس بهذا المكان مدينة عظيمة سنة ٣٣٨ هـ ٩٤٩ م وخالفها مركزاً لرئاسته فارتحل إليها الناس يومئذ من قيهرت ووهان ومعسكر وغيرها من بلاد الجزائر فانتشر بها العمزان وأسس بها مسجداً جامعاً وارحاء وحمامات الخ ... ثم كان خرابها على يد القائد المبيدي جوهر الصقلي في حوادث ثورات زناتة على الشيعة سنة ٣٤٧ هـ ٩٥٨ م .

قال الاذرسي وأفكان هذه مدينة كانت لها ارحاء وجهات وقصور وفواكه كثيرة وكان عليها سور رتاب لكنه الان نهدم وبقي أنواره ، وواديه يشقها نصفيين وينهي منها إلى تاهرت ^(١) .

هاجمة الاندلسيين للجزائر

لقد علمنا بما تقدم مبلغ الخلاف والنزاع الذي كان ناشطاً عن تناقض الشيعة والامويين بالغرب ، ويومئذ أمر المعز اسطوله الرابض بصفية ان جيجم ويغزو سواحل الاندلس ؛ فخرج الاسطول سنة ٩٤٤ هـ ٦٣٤ م غازياً سواحل المربدة فعاد فيها وغنم دسي ثم عاد إلى مقره ، ويومئذ خرج الاسطول الاموي متقدماً لدولته فعل بسواحل افريقيا فأخفق ، ثم عاد فذكره القيوم في سبعين مركباً وصل بمرسى الجزء - القالة - شرق بونة فأحرقها وكانت بها يومئذ مصانع السفن وأساطيل الدولة .

حركات الاسطول

لم يسمح التاريخ - في هذا العصر الذي نؤرخه - لاي دولة مطلقاً

(١) تزمه المتفاق من ٨٢ - ٨٣ ط ليدن ١٨٦٦ م وابن حوقل ج ١ من ٨٩ ط ليدن ١٩٣٨ م .

ان تفتقر بالتفوق البحري بهذا البحر المتوسط والانفراط بالسيادة العالمية فيه غير هذه الدولة المغربية الاسلامية ، فقد كان سلطانها به مرهوناً وجانباً مرمقاً ما بين يوغاز طارق الى بيروت فجميع مدنه الساحلية ومراسيمه وجزره المنقطعة مثل كورسيكا وسردانية وقلبية الخ ... كلها كانت بيد هؤلاء المبدين الذين عنوا كثيراً بتقدم الحركة البحرية وصناعة السفن ، فقد بلغ عدد دبابنة البحر في هذه الدولة الى خمسة آلاف دبابة^(١) وكانت مدينة بونة - عنابة - ومرسى الحمز - القالة - بالجزائر كلها مركزاً هاماً لصنع المراكب البحرية ، ومقرآً عاماً للاسطول الذي بلغ المائتي مركب علاوة على مرغل المهدية بتونس الذي كان يسع مائة سفين ، فمن هذه الامكنته كانت قصدر العينات البحرية لغزو بلاد الروم وفتح ما دلّاه من بلاد خفاف البحر الابيض المتوسط ، كما أنها كانت تقدو وتزوج كذلك في مواجهة التجارة واستخراج معادنه وكثوزه من صدف وخرز وودع ومرجان وقصوص الحجارة الخ ... ولعظم حولة العرب البحرية وشدة شकستهم به انحصار الانفرنج براكبهم يومئذ الى الجانب الشمالي الشرقي منه فترام لا يدعونه أبداً فلم يكن لاوروبا سلطان على هذا البحر خلال القرن الرابع المجري - العاشر الميلادي - اذ كان لا بد لمن يريد منهم قضاه مأرب فيه ان يخطب ود العرب كما فعلت نابولي وغية وأمالفي^(٢) قال ابن خلدون :

وكان المسلمون لهم الدولة الاسلامية قد غلبو على هذا البحر - الابيض المتوسط - من جميع جوانبه ، وعظمت ح دولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامن التنصارية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائز ايدهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من القطب والقائم وملكونا سائز الجزائر المنقطعة عن السواحل مثل ميورقة ومتروقة وبابسة وسردانية وقلبية وقوصرة ومالطة وأفريطيش وقبص وسائلر بالك الروم والافرنج . وكان

(١) رئيس الملحقين .

(٢) المغاربة الاسلامية في القرن الرابع المجري ج ٢ ص ٣٦٦ ط القاهرة ١٩٥١ م .

أبو القاسم الشعبي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من المهدية الى جزيرة جنوة
 فتقلب بالظفر والغبنة... والملعون خلال ذلك كله قد تقلبوا على
 كثير من بلة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيه جائحة وذلة، والمساكر
 الاسلامية تحيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل
 لها من العدو الشهابية فتوضع بلوك الافرنج وتختنق في مالكم...
 وأخوات أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من
 سواحل الافريقي والمقابلة وجزر الرومانية لا يعدونها، وأساطيل المسلمين
 قد ضربت عليهم ضراء الاسد بفريسته، وقد ملأت الاكثر من بسيط
 هذا البحر عدة وعدداً، واختلفت في طرقه سلماً وحرباً فلم تظهر النصرانية
 في الواقع^(١) فاسمع الآن الى قول شاعر عيان وهو شاعر الدولة أبو القاسم
 بن هاني يصف اسطول المعر بقصيدة قدر على مقدار ما وصلت اليه
 قوته هذه الدولة البحرية العظيمة :

لقد ظهرتها عدّة وعديد
 ولكن من خفت عليه أسود
 مسومة تحدو بها وجند
 فمن وقت خلف الصوف وردود
 وان النجوم الطالعات سعود
 تنشر أعلامها وبشود
 له بارفات جمة وروعود
 بعزمكك بأس او لكتفك جود
 بناء على غير العراه مشيد
 وليس من الصفاوح وهو صلد
 فنها قدان شيخ وربود
 فليس لها الا الفوس مصيد
 فليس لها يوم القاء خود

اما والجواري المنشآت التي مرت
 قباب كما ترجى القباب على المها
 وله ما لا يرون كثائب
 اطال لها ان الملائكة خللها
 وان الرياح الذاريات كثائب
 وما راع ملك الروم الا اطلالها
 عليها غمام مكثير ضيء
 مواخر في طامي العباب كانه
 انافت به اعلامها وسماتها
 وليس بأعلى شاهق وهو كوكب
 من الراسيات الشم لولا انتقامها
 من الطير الا انهن جوارح
 من الفادحات النار تضرم للصل

(١) المقدمة من ١٢٣ ط بولاق ١٩٧٤ .

اذا ذرفت غيظاً ترمت بارج
فأنقذهن الحاميات صواعق
لها شعل فوق الغبار كأنها
يشب لآل الجاثليق سعيرها
تعانق موج البحر حتى كأنه
ترى الماء فيه وهو قان خضابه
ونغير المذاكي نجرها غير اهلا
فليس لها الا الرياح اعناء
ترى كل فود للليل كما انتبه
روحية مد الباب وهي نتيجة
تكتبر عن نفع يشار كأنها
لها من شفوف العبرى ملابس
كما اشتغلت فوق الارائك خرد
لبوس تكف الموج وهو عظامط
فنه دروع فرقها وجوانش

ويقول Adam Mez مؤرخ المغاربة الإسلامية في القرن الرابع ان
في سنة ٩٣٤ - ١٠٤٥ م استطاعت مراكب عيد الله المهي القاطبي ان
تغزو جنوب فرنسا ومدينة جنوة، وان تنهيها، وان تفعل مثل هذا
جدبنة بيزا في عامي ١٠١١ - ١٠١٤ م مع ان اسطول القاطبين كان
في ذلك الحين أقل كفاية من اسطول الشام ... وكانت مراكب العرب
قطع البحر الايضاً عرضياً في سنة وثلاثين يوماً من مدة في الفرب
الى آخره حيث انتلاكية^(١).

المذاهب والعقائد

نشأت دولة العبيدين بالغرب ونشأ معها فيه مذهب التشيع بعقارنه

(١) جغرافية الادريسي طبعة دوزي من ٢١٤ .

وقواعدة ، وهو مذهب آل البيت النبوى الطهر كذهب جعفر الصادق وزيد بن حسن وساعيل بن جعفر الصادق سابع الائمة الاثنى عشر ، وان اشهر فرق الشيعة الاثنان : الامامية والزيدية ، ولكل منها طرائف وفروع ؟ منها مذهب الاسعاعية المتفرع عن الامامية وهو مذهب الدولة الرميسي ؟ غير انه دخول بعقائد الروافض المقتبة من الماجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية ؟ وفي المذهب كثير من الافكار الشرفية التي حللت مكان الافكار الاسلامية الحضة ؟ بل يرى بعضهم ان الاصل في عقائد الشيعة الباطنية أنها مبتعدة عن مبدأ سياسي مخصوص وما هو الا امتداد لما بيته خصياء الاسلام من الكيد له المندرج تحت الصراع القائم يومئذ بين الموالي والعرب . ولم يكن الشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم بل تواهم يأخذون بذهب اهل الاعتزال في ذلك .

كان اول من نشر الافكار الشيعية بالجزائر متيب بن سليمان المكتناني نزل بأعمال تبرت ونواحي وانشريين فنشرها هناك بين العامة ، ثم جاء بعده السيفياني والحلواني^(١) فنشرها ايضاً ما بين اهالي سرمادة من بلاد مجاعة وسوق حار بنواحي قسنطينة ، وهكذا استمرت الدعوة الشيعية في سيرها سراً حتى جاء ابو عبد الله الصنعاني فأفشاها بهذه الاوطان ثم تعين الاعد بها امام ابي عبد الله المدبي ، قال ابن خلدون : ومنذ اهل البيت بذاهب ابتدعواها وفقه انفردوا به وبينه على مذهبهم في قتال بعض الصحابة بالفتح وعلى قولهم بعصمة الائمة ورفع اخلاف عن اقوالمهم وهي كلها أصول واهية . وشذ بذلك ذلك الحوارج ولم يختلق الجهور بذاتهم بل أوسعوها جانب الانكار والفتح فلم نعرف شيئاً من مذهبهم ولا ترى كتبهم ولا أنثر شيء منها الا في مواطنهم ، لمكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة بالغرب والشرق والبلدين والخوارج

(١) ذكر ابن الأثير والهرizi ان ابا عبد الله جعفر الصادق - الامام السادس - يبعث بهذه الداعين الى المقرب سنة ٤٢٠ - ٧٦٣ م وقال لهم : ان المقرب ارض بور لم تغزو قط فاذدوا فاخذوها حتى يعم صاحب البدر . والفتنة التي بين دخول هذين الداعين بلاد المقرب ودخول ابا عبد الله الشيعي الى هذه البلاد : ٤٤٣ سنة .

كذلك ولكل منهم كتب وتأليف وأزاء في الفقه غربية^(١) وكان بما
 أحدثه الصناعي هذا أن قطع صلاة التراويح في شهر رمضان وامر بصيام
 يومين قبله ، وقت في صلاة الجمعة وبغير بالبسمة في الصلاة المكتوبة ،
 وأسقط من اذان صلاة الصبح : «الصلاة خير من النوم» وزاد «حي
 على خير العمل محمد وعلى خير البشر» وكان نص الاذان طول مدة
 بني عبيد بعد التكبير والشهدين : «حي على الصلاة وهي على الفلاح»
 مررتين «حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر» مررتين مررتين «لا اله
 الا الله» مررتين . ثم يقول : المؤمن احياك الله يا مولانا حافظ نظام
 الدنيا والدين ؟ جامع مثل الاسلام والمسلمين ؟ واعز بسلطانك جانب
 الموحدين ؟ واباد بسيوفك كافة الملحدين ؟ وصلى الله عليك وعلى آباءك
 الطاهرين ؟ وابنائك الاكرمين ؟ صلاة دائمة الى يوم الدين ، وأآخر دعواها
 ان الحمد لله رب العالمين^(٢) ومن فقه الشيعة انهم لا يقتتون الا في
 الركمة الثانية من صلاة الجمعة ، ولا يعيرون الفسر في الصلاة للمسافر الا
 لمن كان قاصداً الحرمتين او الى الكوفة وكربلاء ، والغير عندهم
 ظاهر ، وهم لا يجتمعون طهارة مكان الصلاة ما دامت النجاسة لا تعلق
 لها بالثوب وشهر رمضان هو دافعاً وابداً عندم شعر كامل ولا يتوقف
 الافطار والصوم على الرؤية والزكاة عندهم لا تجب في أموال التجار بل
 يدفع الناجر الشيعي خمس اياديه الى الامام ، ونكاح النساء عندم مباح ،
 وليس عندم في المواريث عول ولا تعصيب ، وخلصوا من العول بادخال
 الفرس على بعض اصحاب الفروض فالقرابة عندم مقدمون على العصبة
 ولعلمهم بذلك يريدون تقديم فاطمة على العباس رضي الله عنها ، ولا
 يرى الجد عند وجود ابن الابن فالاجداد والاخوة والأخوات عندم في
 الدرجة الثانية بعد الابناء ، فالبلت اذا انفردت وليس منها احد من
 الاولين فانيا تحوز المال كله نصفه بالفرض ونصفه بالرد ، وبذلك لا يشارك

(١) المقدمة من ٢١٨ ط بولاق ١٩٧٤ .

(٢) اخبار ملوك بن عبد الله ابن حاد من ١٥ - ١٦ ط الجزائر ١٣٤٦ .

فاطمة عليها السلام احد في ميراثها من ابيها صلي الله عليه وسلم ، ولا يوثق مع ام احد من الاخوة والاخوات ، ومع قولهم بان قاعدة الميراث عندم هي تقديم الاقربة فالمهم يقدمون ابن العم الشقيق على العم للأب مع ان العم اقرب من ابن العم . وهم لا يقولون بالقياس فاصبح لهم بذلك فقه يتفق ويختلف مع فقه اهل السنة وجميع شرائع القرآن لما عندم معينان ظاهر وباطن ، والعارف هو الذي يطلع على المعنى الباطن ويتحقق من الظاهر ، وكثيراً ما عقدت مجالس المراقبة والمساجلة بين شيخ المذهب المالكي مذهب البلاد القديم ، وبين رؤساء وزعماء المذهب الشيعي الجديد وكانت هنالك المساجلات والمحادثات بين فقهاء المذهبين طللاً اونم فيها فقهاء الشيعة باللحمة وقطاع البرهان ، وجرت هنالك عن ورزيا لشيخة المالكية وعظمت فيها الحوادث والوقائع استشهد فيها عدد عظيم من العلماء والعباد ، ولم يتبع احد من اهل المذاهب الاخرى يومئذ الا الخففة لموافقتهم للشيعة في مسألة التفصيل فكان فيهم القضاة والرأسماء^(١) ولا تزال من هذه الفتنة طائفة من الناس متبنية في الغاء بلاد الهند في كشمير وبومباي وجزيرة سرنسبيب - سيلان - وبالاقناف والباكستان الغربي واليمن وشرق افريقيا وسوريا . وعددهم ينبع على مليونين نسمة ، ورئيسهم الحالي هو الامير كريم خان بن الامير علي خان النبيل الاكبر لزعيمهم الروسي المشهور «آغاخان» المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م وبعد الامير كريم اليوم هو الامام الثاني والاربعون من ائمتهم وهو يحمل لقب جده «آغاخان» .

ولمالاحظ ان مذهب الشيعة لم ينتشر هنا بارض المغرب على طريق الارغام او العنف والاكراء سللا ، وإنما انتقلا من اعتقاده عن طوعية موافقة وذلك ما تستتجعه من حديث اربين الاخرين ذعيمي الشيعة بالغرب : ابي عبد الله وابيه العباس ، قال النويوري «انه لما وصل ابو العباس الشيعي الى ارض المغرب اراد ان ينفي عن القبروان من يخالف

(١) مقدمة كتاب المدارك من ٢١ ط باليدرو ١٩١٠ م .

منهـ، فقال لهـ اخوه ابو عبد الله : ان دولتنا دولة حجة وبيان وليس
بدولة هـر واستطالة فاتـك الناس على مذهبـهم .

وادنـ قلـيس بعجـب اذا لم نـ البرـير يتمـقـون في درـة المـذهب
الاسـاعـيلي وتقـيم تعالـيهـ التي تـحتاج الى اعـمال فـكر وروـية ودرـاسـة فـلـيفـة
عمـيـة ، وعـذرـمـ في ذـلكـ واعـجـ اذـ هـمـ قـومـ سـنجـ وليسـ هـمـ في ذـلكـ
الوقـتـ منـ الاستـعادـ الكـافـيـ لـفـهمـ مـذـهـبـ الشـيـعـةـ الاسـاعـيليـ بـدـرـجـاتـهـ المـخـلـفةـ
والمـتـرـدـجـةـ فيـ الصـعـوبـةـ ماـ كـانـ لـيـرـمـ منـ اتـبعـ هـذـاـ المـذـهـبـ بـقـارـسـ
وـمـصـرـ ، وـلـماـ كـانـ اـنتـاقـ البرـيرـ لـأـولـ وـهـةـ هـذـاـ المـذـهـبـ هوـ بـيـاعـتـ
الـمـاءـ لـاـغـالـةـ الـذـينـ طـالـاـ اـخـطـهـوـمـ وـخـيـقـواـ عـلـيـمـ الـخـافـقـ وـمـنـ هـنـاكـ لـمـ
بـكـنـ مـاـ بـسـاعـدـ عـلـىـ وـسـوـحـ هـذـاـ المـذـهـبـ فـيـ قـوـسـ البرـيرـ مـاـ أـدـىـ بـهـ
إـلـىـ الرـوـالـ مـنـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ حـيـثـ لـمـ يـقـ لـهـ الـآنـ بـقـيـةـ آـثـرـ (١)ـ وـبـقـيـ
الـمـذـهـبـ الـمـلـكـيـ رـاـكـدـاـ بـهـذـهـ الـدـبـارـ خـوـ نـصـ فـرـنـ حـتـيـ كـانـ مـنـاهـةـ
الـرـاقـيـةـ عـلـىـ عـهـدـ بـادـيـسـ عـاـهـلـ صـنـابـةـ ؟ـ فـبـعـثـهـ مـنـ مـرـقـدـهـ وـبـقـيـ اـهـالـيـ
هـوارـةـ مـنـ بـنـيـ كـلـانـ وـمـكـنـاسـ وـسـكـانـ مـدـيـنـةـ بـاغـايـةـ وـفـصـهاـ مـنـ قـائـلـ
مـزـانـةـ وـضـرـيـةـ مـنـ قـلـاعـ جـبـلـ اوـرـاسـ عـلـىـ مـذـهـبـ الـاـبـاضـيـ .

الـثـقـافـةـ وـالـخـفـارـةـ وـالـصـرـوانـ

لـمـ تـطـلـ اـقـامـةـ الدـوـلـةـ الـعـيـدـيـةـ بـهـذـهـ الـبـلـادـ حـتـيـ تـسـكـنـ مـنـ بـسـطـ حـضـارـتـهاـ
بـهـذـاـ الـاقـطـارـ ، وـمـعـ ذـلـكـ فـقـدـ نـجـتـ فـيـ سـيـرـهاـ نـجـاحـ الدـوـلـ الـثـقـافـةـ الـيـةـ الـتـيـ
تـسـعـ لـتوـظـيـدـ مـلـكـهـاـ وـتـقـيـبـ حـكـمـهـاـ باـسـالـبـ الـحـكـمـةـ وـالـعـدـلـ وـهـيـ فـيـ
ذـلـكـ تـقـافـسـ دـوـلـ الـعـبـاسـيـنـ بـالـمـشـرـقـ وـالـأـمـرـيـنـ بـالـمـغـرـبـ .ـ وـيـسـدـوـ انـ الدـوـلـ
الـعـيـدـيـةـ عـلـىـ نـشـرـ الـثـقـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ وـخـدـمـةـ الـعـلـمـ بـخـتـلـ الـأـلـنـ

(١) نهاية الاربـ التـورـيـ جـ ٦ وـرـقةـ ٢١ـ عـنـ طـبـ بـدارـ الكـتبـ المـصـرـيـةـ وـتـارـيخـ الـوـةـ
الـذاـطـيـةـ لـدـكـتورـ حـسـنـ اـبـرـهـيمـ سـ ٤٩ـ - ٥١ـ - ٥٢ـ طـ المـاهـرـةـ ١٩٥٨ـ مـ وـتـارـيخـ
التـشـرـيعـ الـإـسـلـامـيـ هـجـريـ سـ ٣٤٠ـ طـ المـاهـرـةـ ٤٣٧٣ـ هـ ١٩٥٤ـ مـ وـتـارـيخـ التـرـبـيـةـ
الـإـسـلـامـيـ لـدـكـتورـ اـحـمـدـ شـلـيـ طـ بـيـرـوـتـ ١٩٥٤ـ مـ

واللغات ، فقد احتفظ لنا التاريخ بوثيقة ملوكية يصرح فيها الخليفة المعز بأن دعاء متذرون في الأقاليم يدعون إلى الدولة ويشرعون بآياتها ويتذرون عليها وينذرون بأسمها بتصاريف اللغات وأختلاف الألسن ^(١) وهو نفسه كان يحسن لغات جميع الأمم التي تتصل بالخلافة العبيدية كالبربرية والرومية والإيطالية والتوبية علاوة على توسعه في علوم العربية . وما يدلنا على انتشار الروح العلمية يومئذ كثرة حلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة ومعارضهم من أهل المذاهب الأخرى فكان ذلك أول عهد المغرب بالفلسفة وبما يحيى المتنزجة بمقانيد الشيعة ، وانشاء المصانع الطربية لصناعة السلاح والاساطيل كصناعة بونة والمهدية ، وصناعة تعدين الحديد التي كانت من أشهر خصوصيات إفريقية الشهادة ومصنع الزجاج الصافي وتفاصيل الصوف بطرة (اوطرا) من بلاد نفزاوة ؟ ويدل على ذلك تسبع ذلك البساط العجيب الذي أمر بصنعته المعز من حرير أزرق ملون مطعم بالذهب فيه صورة الأقاليم والبحار والأنهار والجبال والطرق وفيه صورة الحرمين الشريفين مكتوبة اسماؤها عليها وفيه هذه العبارة الثالثة : « ما أمر بعمله المعز لدين الله سوقاً إلى حرم الله وأشهرأ لعلام رسول الله في سنة ٣٥٣ . » وكانت التكلفة عليه اثنين وعشرين ألف ديناراً ، وهذا نهاية التفوق الصناعي في فن الزخرفة ، ويروم أن توجه المعز للرحيل إلى الديار المصرية محل معه من بلاد المغرب والأندلس صناع الصنایور وكل نوعية الفنون الجميلة وكان فيهم رجال من القبيلة الجزائرية الكبيري (كتامة) يسمون المزوقدن كانوا يزودون الجدران بألوان متعددة من الأصباغ ، اذا نظرت إليها من ناحية كانت صورة تغيير الحقيقة وكذلك اذا نظرت إليها من ناحية أخرى ، وكان أول من أفاد بهم زوجته السيدة « نفرید » فانها شيدت لنفسها مسجداً جيلاً بالفارقة واستأجرتهم للعمل فيه وكان رئيس الجماعة وجلاً يعرف باسم « الكتامي » صنع صورة ليوسف عليه السلام وهو في الجب عريان والجب كله اسود ، فكانت هذه الصورة اول نثر للتصوير الفاطمي في صدر الاسلام قرأتنا عنه ولكننا مع كثير من الاسف فقدنا أثره . وما

(١) المختار الاسلامي ج ٢ ص ٥٨ .

أتبه التاريخ ايضاً لهذا الخليفة العبيدي من ابتكار واختراع ، انه هو الذي امر بصنع قلم الحبر *Stylographe* على هذا الشكل ، والوضع المعروف به اليوم : فقد ورد في كتاب الحصانين والمسامرات قال عند كلامه عن الامام المعز مخترع هذا القلم وقد وصف صنته قال : ثم مرت بضعة ايام حتى جاء الصانع يحمل فاماً من ذهب فاودعه المداد وكتب به وزاد شيء من المداد عن مقدار الحاجة فأمر باصلاحه فإذا هو يقلب باليد ويميل الى كل ناحية ثم اذا رفعه عن الكتاب امسك المداد فرأيت صنعة عجيبة لم اكن اعلم اني ادلى مثلها . وقدمت اقتصادات البلاد تقدماً باهراً ، فقد بلغ عن بيع وفر جمل من التمر بدرهين ، وكانت القوافل تختنق الصحراء تحمل التمر في الغالب وتعود بسبائك الذهب وسي العيد اذ كان شمال افريقيا في القرن الرابع مثل مصر وجنوب جزيرة العرب من اكبر اسواق الرقيق الاسود كما ان صناعة تجفيف السكر والتجارة فيه كانت رائجة بالغرب ايضاً ، مثل استخراج المرجان يرمي الخرز وسبنة ؛ فقد كان يعمل في ذلك ما يزيد على المئتين قارباً ، وفي كل قارب نحو العشرين عاملآ ، وكان اكثر ما يحمل الى بلاد غانا والسودان ، كما انتشرت خدمةقطن ايضاً وكانت بذلك نروة البلاد واسعة ، قال ابن حوقل انه دخل القبوران من مال المغرب سنة ٥٣٦ - ٩٢٠ م فوق سبع مائة الف دينار وهذا من اعظم ما يصلح في تاريخ دخل الدول في القديم . وكان من آثار الدولة المعاوية بالجزائر مدينة السيبة واشير وبونة الحديدة (٩٣٠ - ٩٦١ م) ودار المعبرة - المدرسة الآن - وهي ذات حضارة ومدنية عجيبة ، بله ما اقامت في الاقطان الشيقية مثل طرابلس وتونس والمغرب الاقصى من المنشآت والمؤسسات المتعددة الكثيرة .

وبجدتنا اهل الجغرافية ومؤرخو القرن الرابع بأنه لم يكن في المغرب من الفواحش ونعطي الامور المنكرة والفقس مثل ما هو موجود اذ ذاك بالشرق^{١١} ؟ وكان الزواج بينهم مقصوداً على الواحدة ولم يلغ التعدد

(١) ابن حوقل ج ١ ط ليدن ١٩٣٨ م .

امتنالا وطاعة الخليفة المزء ، فإنه خاطب جماعة من شيوخ كتامة فائلا
لهم يوما : « واقبوا بعد الاعمال على نائمكم والزمرة الواحدة التي تكون
لكم ، ولا تشرهوا الى التكثير متهن والرغبة فيهن فيتفص عيشكم ، وتغدو
المفراة عليكم ، وتهكروا ابدانكم ، وتدهب فوتك ، وتضعف محارركم ،
فحسب الرجل الواحد الواحدة »^(١) .

ومن مبررات الفاطميين بالغرب ما حكاه ابو جعفر الجزار عن احداث
سنة ٩٥١ هـ ٣٤٠ م ، قال انه في هذه السنة امر الخليفة المنصور اسماعيل
بن القاسم بامر الله الفاطمي ان يكتب له اولاد القراء ووجوه رجاله من
كتامة والعيد والجند وضعفاء الناس من اهل القبوران وغيرها ، ليختروا
ويمسون اليهم بالكسى والصلات فبلغوا اكثر من عشرة آلاف ، فابدا
في ختامهم ، وعمل ولائم واطعم خاصة الناس وعامتهم ، واعطى الصبيان
على قدر مراتبهم من مائة دينار لكل واحد الى مائة درهم واقل من
ذلك ، فكان يختن في كل يوم من خمسة الى الف وتلائفة ، فقام على
هذا سبعة عشر يوما ، قال ابو جعفر الجزار : فسمعت من يقول من
أهل الخدمة انه احصى ما انتق في هذا الحتان فكان مائتي الف دينار ،
وحدث في البلد عند ذلك من الاتفاق والاهو ما لم ير منه^(٢) .

وفي سنة ٩٦٣ هـ ٣٥١ م قام حفيده المزء الدين الله بأعظم من ذلك
يوم اعدار بنية الامراء : عبد الله وتزارو وعقيل اذ كاتب عماله وولاته من
لدى برقة وعلمتها الى اقصى سجلماة وحدودها وما بين ذلك وما حوطه
بملكته الى جزيرة صقلية وما ولاها من حضر وبدو وبحر وير وسهل
وجبل يظهرور من وجد من اولاد سائر الحلق غير مطهر حرم وعبدم
وابيضمهم وامودهم ودينهم وشرفهم وملتيم وذميم الذين حونهم الملائكة
لمدة شهر واحد ، وتوعد على كراهية ذلك ، وامرهم بالقيام بمحبيع لفقاتهم
وكسوائهم وما يصلح احوالهم من مطعم ومشروب وملبس وطيب وغير

(١) خطط المأربني ج ١ من ٣٥٢

(٢) المضاراة الاسلامية ج ٢ من ٢٥١

ذلك بقدار رتبهم وأحوالهم ، وكان من جهة المنفق في ذلك ما حمل الى بجزرة صقلية وحدها من المال سوى الخلع والثواب خسون حلا من الدنانير والحمل عشرة الاف دينار - ومثل ذلك الى كل عامل من عمال عملته لفرقة على اهل عمله ، وكان الموز ربعا طهرا في اليوم الواحد من ابام الشهر بجزرته اتنى عشر الف صي وفوقها ودونها . كان وزن خرق الاكياس المفرغة فيها انفاق في هذا الاعدار مائة وسبعين فنتاراً بالبغدادي ^(١) .

فتح مصر وانتقال الخليفة الفاطمي إليها

ظلاما رأينا نشوب الخلاف واحتدام اoward التزاع بين الحكومة العيدية الشيعية وبين الرعية السنّية ، وظلاما اختلفت وجهة النظر بين الراعي والرعية وتبانت الاشكال بينهما ، وكانت هنالك مواقف حرجية ادت الى المقاطعة والتفرق بين الطرفين فكان ولا بد للدولة من التفكير والبحث عن بلاد اخرى تثبت فيها دعوتها ؛ فتحول الخليفة الفاطمي يومئذ نظره الى غير المقرب وعزم على الانتقال الى المشرق والقضاء على الخلافة العباسية هنالك وقد حاولت الدولة ذلك مرارا من قبل فلم تنجح فكان من المصادفة هذه المرة اضطراب الحال مصر لوفاة صاحبها كافور الاشتيدى وقد كان الدعاة بها من قبل يعلمون على نهيد القشع الفاطمي فكانت المراسلة والمكاتبة بينهم وبين المعز دائمة وكانت بما يرمزون به في مكتبيتهم لل الخليفة بالغرب قولهم ؟ « اذا زال الحجر الاسود ملكت الدنيا » وهم يعنون بذلك كافوراً لسواده ؟ وقد كان من مقاصد الخليفة العيدى وأغراضه السياسية التوصل الى الاتصال بتراث البلاد المصرية الواسع حيث كانت اسواقها متعددة عاماً لتجارة اوروبا مع الهند وببلاد العرب قبل اكتشاف سر رأس الرجاء الصالح فكانت جميع سلع اسواق الشرق قر من مضطربة من طريق الاسكندرية الى الغرب ^(٢) . فلما توفي كافور واضطربت المملكة

(١) الفخار والتحف فقاهي الرشيد بن الزبير من ١٤٤ م ١٩٥٩ ط الكويت

(٢) تاريخ حسارة العرب من ٢٧٨ ط القاهرة ١٣٦٧ - ٥ م ١٩٤٨

المصرية بما وقع فيها من الفلاه والوباه انهز المز الفرصة وامر قائدہ جوہر بن عبد الله الصقلي بغزو المشرق على ان تكون البداۃ بصر ، فخرج القائد من رقادہ يوم السبت ١٤ ربیع الاول ٣٥٨ - ٧ فیفرا ٩٦٩ م ومه من الجند اکثر من مائة الف فارس ، ومن الاموال ما یزيد على الف ومائتي صندوق یحتوي على نحو ثلاثة وعشرين مليون دیناراً ، وهو مبلغ عظيم يدلنا على سعة مداخيل میراثیة الدولة وما تجتمع لها من التروء الطائلة باستطاعتها في جمع المال ، وكان معه كذلك من السلاح والخيل والعدد الجم الكبير ، وما كان یبلغ خبر تجهیز جیش الفتح هذا الى مصر حتى فرق عنها اهلها وتركوها نیا لل غالب ، فاحتلها جوہر يوم الثلاثاء ١٨ شعبان - ٨ جولیط من نفس التاریخ ، وخطب فيها يوم الجمعة ٢٠ منه - ١٠ جولیط باسم مولاہ وسیدہ المز الدین اله ، ثم اختطف مدينة القاهرة المزية وبعث ببشرة الفتح الى الخليفة بالمرقب فسر لها مرسواً بلیغاً ، وعزف البهنة يومئذ ییouth اخري فتحت الشام واحتلت الرملة ودمشق . وبعد رسوخ قدم العلاقة الشیعیة بصر والشام والجیاز وانتظام احوال الدولة بها انتقل اليها المز فخرج من عاصمة المنصورية - صبرة - في ایة المللک وعظمة السلطان يوم الاثنين ٢٢ شوال ٣٦١ - او ط ٩٧٢ م فنزل اولاً جزیرة مردانیة ریتا العقد به الجموع التي صحبتہ الى المشرق ، وبها عقد العهد للکین الصنهاجی على ولاية المغرب العربي ، ثم اخذ یتنقل ويطوف بالبلاد فیلم ایاماً في بعضها ثم یجد السیر الى ان عبر النبل ودخل القاهرة يوم الثلاثاء ٥ رمضان ٩٣٦٢ جوان ٩٧٣ م .

وكان فيها استصحابه معه المز من الذخائر والاموال الى القاهرة الفا جعل من ابل زنانه جاءه بها بلکین بن ذیری عاھل صنهاجہ فجعل عليها جميع ما كان له بالتصور من الذخائر والاموال وسبک الدنایر على شکل الطواحین جعل على كل جمل قطعتین في وسط كل قطعة نقباً تجمع بهقطعة الى الاخری فاستعظم ذلك الجند والزیعة وصاروا یتفون في الطريق لرؤبة بیت المال الم Hollow ، وكان فيها تقدیم الخليفة الفاطمی معه الى القاهرة ،

يرمذن توابيت آياته وأجدداده قد فهم في فصره^(١).

شدة شكيمة كتامة واباؤها الفضي

كان لشريف الطبع الذي جبل عليه أهل كتامة كما جبل عليه بقية البربر كافة من إياهم قضمى وغلو الملة وعز النفس أنه لما أخذ المعر الفاطمي في تحجيز جوهر بالمساكر لفتح الدبار المصرية وتهب المسير إليها بعث صاحب سره «خفيف الصافي» إلى شيخ كتامة يقول لهم : «يا إخواتنا قد رأينا أن نتفقد رجالاً إلى بلدان كتامة يقيسون بينهم ويأخذون صدقائهم ومراتبهم ويعظظونها عليهم في بلادهم ، فإذا احتجنا إليهم انفذنا خلقها فاستعنوا بها على ما نحن بسيله فقال بعض شيوخهم خفيف لما بلفت ذلك : قل لولانا وافه لا فعلنا هذا أبداً ... كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله فديعاً بالاسلام وحديثاً معكم بالإيمان ، وسيوفنا بطاعتكم في الشرق والمغرب ؟ ... فعاد خفيف إلى المعر بذلك فامر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال لهم : ما هذا الجواب الذي صدر عنكم ؟ ... فقالوا : هذا جواب جماعتنا ، ما كنا يا مولانا بالذي يؤودي جزية تبقى علينا . فقام المعر في ركباه وقال : بارك الله فيكم فهكذا اريد ان تكونوا ، ولما اردت ان اخبركم فانتظر كيف اتم بعدى اذا سرتا عنكم الى مصر هل تقبلون هذا وتعلمهون وتدخلون تحته من يومه منكم ؟ والآن سررتوني بارك الله فيكم^(٢) .

وقد انقرض أهل هذا القيل - كتامة - ولم يبق كذا قال الأدريسي -

(١) وفيات الابيان ج ١ ص ١١٥ ج ٢ ص ٤٣٢ ط بولاق ١٩٤٤ م - العاذل الخطاب المرزبي ص ١٤٤ ط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م - تاريخ الاسعافى ص ١١١ ط القاهرة ١٣١٠ م

(٢) خطط المرزبى ج ١ ص ٣٥٢ ط بولاق ١٨٧٠ و العاذل الخطاب من ١٤٠ ط مصر ١٩٤٨ م

أواسط القرن السادس المغربي - الا نحو اربعة آلاف رجل و كانوا من قبل ذلك عدداً كثيراً و قبائل و شعوباً^(١).

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان القطر الجزائري يومئذ يجزءاً إلى اربع ولايات ؛ ولاية المسية، وباغية، وأشير، وتهرت ؛ فاما ولاية المسية فانها كانت لعلي بن حدوي المعروف بابن الاندلسي إلى ان انتقل ولده جعفر إلى الاندلس سنة ٩٣٦هـ - ٥٣٦م . فأضافها يومئذ المز إلى بني ذيري رؤساء صنهاجة ؛ واما ولاية باغية فقد تولاها كثون وعروبة بن يوسف الكتامي المقتول في ثورة ٩١٤هـ - ٥٣٠م وأبو معلوم فلاحون الكتامي المقتول سنة ٩٢٢هـ - ٥٣١م وقيصر الصقلي المقتول ايضاً سنة ٩٤٩هـ - ٥٣٩م . واما ولاية اشير فانها كانت في بني ذيري الصنهاجيين إلى نهاية أيامهم . اما ولاية تهرت فقد تولاها على عهد الفواطم جماعة ، عرفنا منهم أبو حيد دوس الهبيسي ولاه عليها أبو عبد الله الصنهاجي حين توجه منها إلى سهلية سنة ٩٠٨هـ - ٥٩٦م ومات أبو حيد قبلاً مصروفاً عنها ، ثم تولاها مصالة بن جبوس المكتامي سنة ٩١١هـ - ٥٩٩م إلى ان قتل محمد بن خزر الزناني في شعبان سنة ٩١٢هـ - ٥٩٤م فولتها بعد اخوه يصل بن جبوس إلى ان توفي سنة ٩٣٩هـ - ٥٣٩م . فولتها يومئذ أبو مالك بن يفمراسن^(٢) بن أبي شحمة - بضم الشين وسكون الماء وفتحها - الاهبيسي إلى ان نافذه أهل البلاد فخرج منها مطروداً سنة ٩٣٣هـ - ٥٣٣م . وولوا عليهم أبو القاسم الاحدب بن مصالة بن جبوس فحاربهم ميسور الحفي عند منصرفه من المغرب سنة ٩٣٤هـ - ٥٣٤م فظفر بالبلاد وقتل أبو القاسم وولي عليها داود بن ابراهيم العجبيسي فأقام بها داود إلى ان اخرجه منها حميد بن يصل في جهادي الثانية سنة ٩٣٣هـ - ٥٣٣م .

(١) زعة المشتاق من ٩٩ ط ليدن ١٨٦٤م .

(٢) نبطه ابن خلدون بفتح الهمزة وفتح الباء والفتح وكسرها ، وفتح الهمزة وكسرها .

جانفي ٩٤٥ م . وأقام بها الدعوة الاموية الى ان اقتحم عليه المدينة الخليفة ابيا عيل النصور سنة ٩٤٧ م - ٣٣٦ هـ وعقد لمisor علىها ؛ فغُرِّج منها حيد الى الاندلس ، وسار ميسور في الرعية بالظلم والجور فنهضت الرعية في وجهه وأخْرَجَتَ الْبَلَادَ عَلَيْهِ تَارَأً وَاسْتَدَعَتْ مُحَمَّدَ بْنَ خَزَرَ الزَّفَانِي مفروضاً اليه أمر المدينة ، فذكر محمد بقومه على تيهرت ومهه ولده الحسين وأظهر الانتصار لميسور حتى وقع بين يديه فقدر به وأسره وامتنت زنانة المدينة ؛ ثم اخْطَرَبَ أَمْرُ هَذِهِ الْوَلَايَةِ فَتَلَبَّ عَلَيْهَا يَعْلَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَفْرَنِي الزَّفَانِي وَدَعَا فِيهَا إِلَى الْأَمْوَالِ وَرَفَضَ التَّشِيعَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ حَمَّةُ جَوَهْرِ الصَّلَيْلِ الْكَبِيرِيَّ سَنَةَ ٩٦٠ م - ٣٤٩ هـ فَزَحَفَ عَلَى الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ كَلَهْ وَاحْتَلَ تِيَهْرَتَ وَقَتَلَ يَعْلَى وَأَسْنَدَ رَئَاسَةَ هَذِهِ الْوَلَايَةِ إِلَى زَيْرِي الصَّنَاهِاجِيِّ ؛ وَيُذَكَّرُ لَنَا التَّارِيخُ أَنَّ رَئَاسَةَ مَدِينَةِ الْجَزاَرِ يَوْمَئِذٍ كَانَتْ لَمَزَةُ بْنُ ابْرَاهِيمَ ، وَعَمَّالَةُ بَسْكَرَةِ لَزِيدَانِ الْحَصِّيِّ ، وَقِيَادَةُ الْجَيْشِ لَمَوسَى بْنُ مُحَمَّدِ الْكَتَانِي وَرَئَاسَةُ الْجَرِ لِيَقْرَبِ الْكَتَانِي ، وَكَانَ مِنْ وَلَاءِ مَيْلَةِ مَاكْنُونَ بْنِ ضَبَارَةِ وَلَاهِ عَلَيْهَا أَبُو عَبْدَاللهِ الصَّنَاعِيِّ ، وَرَئَاسَةُ قَبْلَةِ يَفْرَنِ لَهُبَّدِ بْنِ صَالِحِ الْمَقْتُولِ عَلَى يَدِ عَبْدَاللهِ بْنِ بَكَارِ الْيَفْرَنِيِّ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الرَّئِيسُ الْيَفْرَنِيُّ خَاصَّاً لِدَعْرَةِ الْمَدِينَيْنِ .

الخلفاء العبيديون بالمغرب

تاريخ التولية

عبد الله الماهري	٩٠٩ = ٢٩٧ م
ابو القاسم محمد بن عبد الله (القائم بأمر الله)	٩٣٣ = ٣٢٢ م
الطاهر اسماعيل المنصور بن القائم	٩٤٥ = ٣٣٤ م
ابو قيم محمد المعز الدين الله بن المنصور	٩٥٢ = ٣٤١ م



من مَشَاهِيرِ الْجُنُوْرِ

جعفر بن علي

٩٧٤ = ٤٣٦٤

ابو علي جعفر بن علي بن احمد بن حدون المعروف بابن الاندلسي
صاحب المسيلة وامير الزاب ؛ قال ابن خلكان : كان سجناً كثير العطاء
مؤثراً لأهل العلم ؛ تولى امارة المسيلة بعد وفاة والده سنة ٥٣٤هـ -
٩٤٥ م . في وفاته ابوبن اي زييد الخارجي . قال ابن حماد : ووصلت
هذه المدينة - المسيلة - من المهارة والخمار ، وملك على بن حدون
وابنته جعفرة وهي ألى الغاية الفصوى والامد الاقصى ؛ وقال البكري
في وصف المسيلة : والمدينة اسوق وحمامات وحرارها بساقين كثيرة ويحود
عندهم القطن وهي كثيرة اللعم رخيصة السعر .

ولما تكهن ذيزي بن مناد الصنهاجي من ولاية اشير وامارة صنهاجة
ذاحم جعفرأ في خدمة الدولة ونافسه في الترب من الخليفة العبيدي
وسما به في الرتب ونافسه في العمالقة ، وكان للدولة صاغية اليه ولالي ابته
بلكين فأخذنا يرميان جعفرأ بالليل الى زناقة حتى اوغرا عليه صدر المعر
بن المنصور ، فلما اعتزم الخليفة على الرحيل الى مصر اثنى عن انه
مستخلف بلكين ، فعظم على جعفر ان يبقى تحت ولاية مناقبه ، ثم
ان المعر ارسل اليه احد مواليه يستقدمه ويطمه في خلافة ، فقويت

استرباته وغادر المسيلة في اول أيام بنى بزال ، وطلق زناته سنة ٩٧٠ - ١٥٦٠ م فجهز المعرز فزيي صاحب صناعة اثره فكانت حرب صرع فيها فزيي واخته وأخه ذذهب به وقد من وجده زناته يرأسهم بمحبي بن علي آخر جعفر ؛ الى المنتصر الامري بالاندلس فقام يومئذ بكلين مقام والده فقاتل زناته وثار لابيه منها واستظر على جعفر ، فلعل جعفر باخيمه بمحبي وبقيا هنالك مرموقين بعين التجلة والاحترام الى ان حدث في السياسة الاندلسية ما دعا المنصور بن أبي عامر الى الاستعارة بمحفر وشيشه بنى بزال من زناته على مزاجيه من رجال الدولة ، فلما قضى عليهم خشي جعفر اياضاً فقتلته سنة ٩٧٤ - ١٥٦٤ م وفر بمحبي الى مصر فنزل على العزيز بن المعرز الى ان مات ^(١) ولقد ام جعفر بالمسيلة الشاعر العظيم ابو القاسم محمد بن هانيء فمدحه بقصائد بلغة منها قوله :

المدقان من البرية كلها جسمي باللي وطرف احور
والشرقات النيرات ثلاثة الشمس والقمر المثير وجعفر

وقوله من اخرى :

ابني العوالي السهرية والموا ضي المشرفة والعديد الاكثر
من منكم الملك الطاع كأنه تحت الروابط تبع في حير

قال ابن معصوم : يمكن انه انشد هذه القصيدة ومددوجه راكب في حيثه ، فلما بلغ ذلك اليتبن ترجل العسكري كله ، ولم يبق احد راكباً سوى المدوح . فلم يعلم موال كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

ويقول في مقطوعة له اخرى في مدح جعفر ايضاً :

الا اها الوادي المقدس بالندى واهل الندى قلبي اليك مشوق

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ س ١٥٤ وابن خلكان ج ١ س ١٤٠ و تاريخ الميل ج ٢ س ٩٦
واختار طوك بنى عبيد من ١٣ .

ويا ابا القصر المتف قباه على الزاب^(١) لا يسد اليك طريق
ويا ملك الزاب الرفيع عاده بقيت تجمع الجد وهو نزيق
على ملك الزاب السلام مرداً وريحان ملك بالسلام فتيق

جمفر بن فلاح الكتامي

٩٧١ - ٤٣٦٠ م

القائد الجزائري العظيم دليس اركان حروب العبيدين وفتحاتهم
بالمشرق ابو علي جمفر بن فلاح الكتامي نسبة الى كثامة تلك القبيلة
العبيدة الكبرى بالجزائر التي قامت على سوا عدها الدعوة الشيعية بالغرب ؛
أشهر جمفر بقوة البأس وشدة الشكبة والبطولة في الحرب ، ولما اجتمع
الخليفة المعز على فتح المشرق بعث به مع القائد جوهر على وأس
الجيش الفاتح ، فذهبها مما الى مصر وفتحها وتولى جمفر وحده فتح
بلاد الشام فدخل الرملة عنزة في ذي الحجة سنة ٣٥٨ هـ - اكتوبر
٩٦٩ م . وقضى على حكومة ابن طبيع ، واحتل ايضاً طبرية ثم قصدا
عاصمة الامويين - دمشق - فاحتلها في شهر الحرم سنة ٣٥٩ هـ - نوفمبر
٩٦٩ م وحدث بها يوماً من اضطراب وفقن من اهلها فأفوههم صاحب الشرطة
ثم سعى اهلها في الصلح فصالحهم جمفر واستقام له الملك بها ، وبعدها
نزل الى الدكة فوق نهر زيد بظاهر دمشق فابتلى بها فصره العجيب

(١) قال السلفي سمعت الأم المورق يقول : الزاب الكبير منه بسکرة وتوzer وقططية وطولة
ونقصة ولزيارة ونقطة وبادس ، قال وازارب ايضاً كورة متبرة يقال لها ربيع ، وهي كلها بربة
منهاها السبعة والسبعين ريف ، وازارب ايضاً كورة عظيمة ونهر جرار يارش المغرب على البر
الاعظم عليه بلاد واسعة وقرى متراصطة بين لسان وسبلاسة والنهر مسلط عليها (انظر مسمى البدان
ج ٤ م ٩٠٢ ط لينزنج ١٨٦٧ م) : واوى أن تسمية هذا المروطن بازارب يعود إلى اسم قصبه او
قد حاصته في القدم « زاب » وهي مدينة البيضاء - الحمدية - .

ومكث هنالك الى ان زحف القرامطة على الشام تحت راية رئيسهم
الحسن بن احمد القرمطي المعروف بالاخعم ، فخرج اليهم جعفر وهو
يرميذ على فاتصر عليهم ، ثم وقع تحاذل في جيش جعفر فظفر بهم
القرمطي وقتل جعفر في جماعة من اصحابه يوم الخميس ٦ ذي القعدة
سنة ٣٦٠ - ٩٧١ او ط ٣١ . قال ابن خلكان : وكان جعفر رئيساً
جليل القدر مدوحاً وفيه يقول ابو القاسم محمد بن هاني الاندلسي
الشاعر المشهر .

كانت مسالة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
حتى التلينا فلا والله ما سمعت اذن بأحسن مما قد رأى بصرى
وكان فيها تولى امارة دمشق بعده من الجزايرين : ابناءه ثلاثة
سنان وعلي وابراهيم ، وكذلك القائد نوصلت المعروف يطرمت او
طزان البربرى الاسود .

كما اشتهر من اهل مدينة الجزائر في هذا العصر ابو يكر محمد بن
احمد بن محمد بن الفرج الجزايري المصرى ، يورى عن ابن قديد ، توفي
في ذي القعدة سنة ٣٦٨ - ٩٧٩ م .

جَسْدَوْلٌ تَارِيْخِيٌّ

٢٩٦ - ٤٣٦

٩٠٩ - ٩٧٢ م

تَارِيْخُ الْمَوَادِيْتُ	أَهْمُ الْمَوَادِيْتُ وَابْرَزُ الْاَحْدَادُ
٩٠٩ = ٤٢٩٦ م	فَاسِيسُ الدُّولَةِ العَبِيدِيَّةِ .
٩١٠ = ٤٢٩٧ م	مَبَايِعَةُ عِيَادَةِ الْمَهْدِيِّ بِالْخَلَافَةِ .
٩١٠ = ٤٢٩٨ م	هِيجَانُ الشَّعْبِ الْجَزَرِيِّ خَدَ الشَّيْعَةِ وَقَتْلُ الدَّاعِيَةِ الصَّنْعَانِيِّ .
٩١١ = ٤٢٩٩ م	الْحَلَةُ الشَّيْعِيَّةُ الْكَبِيرَى عَلَى الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ .
٩٢٢ = ٤٣١٠ م	مَقْتَلُ أَبِي مَعْلُومٍ فَلَحْوَنُ عَامِلُ اُورَاسِ .
٩٢٤ = ٤٣١٢ م	مَقْتَلُ مَصَّالَةَ بْنِ جَبَوْنِ عَامِلُ تَهْرُوتِ .
٩٢٦ = ٤٣١٤ م	إِبْدَاهُ ظَهُورُ الدَّعْوَةِ الْأَمْوَابِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ .
٩٢٧ = ٤٣١٥ م	إِشَاءُ مَدِينَةِ الْمَسْلِيَّةِ .
٩٢٨ = ٤٣٢٤ م	إِشَاءُ مَدِينَةِ آَشِيرِ .
٩٤٧ = ٤٣٣٦ م	الْفَضَاءُ عَلَى نُورَةِ أَبِي يَزِيدِ الْخَارِجِيِّ صَاحِبِ الْخَارِ .
٩٤٩ = ٤٣٣٨ م	إِشَاءُ مَدِينَةِ اَفْكَانِ .
٩٥٦ = ٤٣٤٥ م	مَجْرُومُ اسْطُولُ الْأَمْوَابِيِّنَ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَرْمِيِ الْمَرْزِ - الْكَالَةِ - وَطَبِرَةِ .
٩٦٩ = ٤٣٥٨ م	إِعادَةُ ظَهُورِ الدَّعْوَةِ الْأَمْوَابِيَّةِ بِالْجَزَرِيِّ وَفَتْحُ الْبَلَادِ الْمَصْرِيَّةِ .
٩٧٢ = ٤٣٦١ م	إِنتِقالُ الْخَلَافَةِ الشَّيْعِيَّةِ إِلَى مَصْرِ .

الدَّوْلَةُ الْزِيَّرِيَّةُ «الصَّنْهَاجِيَّةُ»

٣٦١ - ٤٠٥

٩٧٢ - ١٠١٤ م

شأنها

تنسب هذه الدولة الجزائرية على ودّما إلى عاهل صنهاجة وزعيمها الأكبر ذيري بن مناد الصنهاجي منشىء مدينة اشير بجبل تطري - شرق قصر البخاري - أو البوغاري نسبة إلى بوغار اسم لذلك المكان.

وصنهاجة - بضم الصاد وكسرها - علم يطلق على وطن وقبيلة، أما الوطن فهو قطعة من أرض الجزائر ما بين زوارة شرقاً وزناتة غرباً، ويتدلى على الساحل البحري من مدينة الجزائر إلى تندوف، يمدها وطن الخصنة والمليلة والمدية ومليانة. وأما القبيلة فلها رابعة ينسبها إلى جذمين: قار وجزمار أبّي صنهاج، من قبائل البرانس، وهي ذات يطون واقفاذ منتشرة يكامل هذا الشمال الأفريقي فلا يكاد يخلو منها مكان. وعددها الفيداني صاحب الاكليل وغيره من المحققين فخذلنا من قبائل غير العربية، وليس لها في البربرية سوى النسبة العرقية.

كانت هذه القبيلة مرغمة على الخضوع للخلافة العباسية والادعاع للامارة الاغلية، وذلك لكونها علوية بالولاية. فلما استتب الامر لدولة بني عبيد العلوية بهذه البلاد انقلب على العباسين فكانت بجانب الفاطميين، فاستعاد

بها هؤلاء على محاربة اعدائهم زناتة اخلاف الامويين وموالיהם ، فكانت هنالك حروب واهوال عظيمة بين هذين القتيلين وكلها ترجع الى هذا الاختلاف السياسي في المبدأ والالتزام على الرئاستة ايضاً ، وقد المعنى فيما قدم الى ما كان من حوادث الشيعة والامويين بالغرب ، وما كان ازيري الصنهاجي من اليد اليضاء في القضاء على ثورة ابن زيد الخارجي سنة ٩٤٦ - ٥٣٥ م و موقفه في قتل المغرب الاقصى سنة ٩٤٧ - ٥٣٧ م و مقاومة كل ناهض ضدبني عبيد الله ... فأحرزت صنهاجة بذلك مقاماً رفيعاً ومكاناً ساماً لدى الدولة الفاطمية وعلا شأن رؤساؤها عند الخلفاء فالبغ هؤلاء الملوك والخلفاء في اكرام رؤسائه صنهاجة وتقديرهم ؛ واطلق الخليفة يد زيري في قومه وعلى كل مكان تقلب عليه او احتله بأي صفة كانت ، وولاه امر تاهرت وباغية فامضت دولة العبيديين يومئذ من انفخار سكان هذه التواحي من بنى بقرن الزناتيين ؛ فلذلك زيري يومئذ البلاد وضرب العملة باسمه .

ولما عزم العز بن المنصور العبيدي على الانتقال الى مصر دعا جعفر بن علي بن حمدون امير ولاية المسيلة والزاب ليهدى اليه بأمر افريقية ، فاستراسب جعفر من ذلك لما علمه من سعيه منافاة زيري الصنهاجي لدى البلاط الفاطمي وامتنع ، فاكد العز دعوته هذه بارسال بعض مواليه الى جعفر ، فخشى جعفر مغبتها وخرج عن ولائه معتضاً بمراوة وقام هنالك مع الحير بن محمد الزنافي بالدعوة الاموية ؛ فثبتت المربى حينئذ بين زناتة وصنهاجة ، وفيها كان مقتل زيري الصنهاجي عرضًا^(١) في رمضان ٩٢٠ - ٥٣٠ م - جوان ٩٧٠ م وذلك بعد ما نزل بهذه الديار ستة وعشرين سنة ويومئذ علم الخليفة الفاطمي انه لا احق ولا اجدو بالولاية من هذه القبيلة الصنهاجية المتقاتلة في نصرة الدولة الشيعية وتوطيد اركان ملكها بالغرب ؛ فكان لها من الجراء مثل ما كان لانصار الخلافة العباسية من الفرس حينما ظاهروهم على فهر اعدائهم الامويين .

(١) احترت مراواة رأسه وبشت به الى الحاكم المنصر الاموي بالandalus ؛ ولما تقلب زيري ابن زيري الصنهاجي على قرطبة سنة ٩٤١ - ٥٣١ م تلل رأس والده من هنالك الى الميزاث فضمه الى الجلد فدقنه منه .

كيف استخلف بلکین على المقرب

قال المقريزي : ولما عزم المز على السير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالغرب فوقع اختياره على أبي محمد جعفر ابن علي امير المسيلة فاستدعاه وامر اليه انه يوهد استخلافه بالقرب ، فقال جعفر : « تركت معي أحد اولادك واخبارك جالساً في التصر وانا ادير ولا تسألني عن شيء من الاموال لأن ما ا Jessie يكون بازار ما اتفقه » ، وإذا اردت امراً فعله ولم انظر ورود أمرك فيه بعد ما بين مصر والغرب ويكون تلبد القضاة والمراجع وغيره من قبل نفسِي » .

فغضب المز وقال : « يا جعفر عزلني عن ملكي ، وأردت ان تجعل لي فيه شريكًا في امري ، واستبدلت بالاعمال والاموال دوني » قم فقد اخطأت حظك وما احببت وشدة ، فخرج جعفر .

ثم استدعى بعده بلکین بن ذيروي الصنهاجي وقال له : « تأهب ثلاثة المغرب » فاکبر ذلك بلکین وقال له : « يا مولانا انت وآبا زك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفر لي وانا صنهاجي بربيري ؟ » قلتني يا مولانا بلا بيف ولا رمع » فلم ينزل به حتى اجاب وقال : « يا مولانا بشربيطة ان تولي القضاة والمراجع من تراه وختارة والخبر من تثق به ، وتجعلني اذا فاتماً بين ايديهم فمن استعصى عليهم أمروني به حتى اعمل فيه ما يحبب ، ويكون الأمر لهم وانا خادم بين يديك » فحسن هذا عند المز وشكراً ، فلما انصرف قال له عم ابي ابو طالب احد ابن عبد الله المدي : « يا مولانا اوافق بهذا القول من يوسف وانه يبني بما ذكره ؟ ... » قال المز : « يا عيناكم بين قول يوسف وقول جعفر ؟ » واعلم يا عم ان الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه أمر يوسف ، فإذا تطاولت المادة سينفرد بالأمر ولكن هذا اولاً احسن واجود عند ذوي القول وهو نهاية ما يفعله من ترك دياره ^(١) .

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ط بولاق ١٢٧٠ و الماظ الحنفاء ص ١٤٨ - ١٣٣ ط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م .

ويومئذ اصطفت الدولة العيدية آل زيري وعهدت بالامارة والوصاية على المغرب العربي بل يكن بن زيري مستتبة طرابلس وقبيلة كتامة الموالية . وفي ذلك يقول ابن خلkan والمقرizi عنه ايضاً : « وخرج المعز من المغرب - يوم الاثنين ثانٍ يقين من شوال سنة احدى وستين وثلاثمائة وخرج من المنصورية ومن بن يكين - واسمها يوسف - الى مردانية من بلاد افريقيا فلم اليه افريقية والمغرب يوم الاربعاء تسع يقين من ذي الحجة وامر سائر الناس له بالسمع والطاعة وفرض اليه امور البلاد ما خلا جزيرة صقلية فانه ترك امرها لمعن بن علي بن ابي الحسين ، وطرابلس واعمالها ، وقال له : ان نسيت ما اوصيتك به فلا تقسى ثلاثة اثناء ، اياك ان ترفع الجبابة عن اهل الباية ولا ترفع السيف عن البربر ولا تول احداً من اخوتك وبني عمه فهم يرون انهم احق بهذا الامر منه ، وافعل مع اهل المضيق خيراً ، وفارقه ^(١) . »

قال ابن ابي الضياف : وهذه الوصية منه مقوله المعنى لان اهل البوادي لولا الجبابة ما عرروا اوضاً ولا سعوا في تكسب لا في طباعهم من الدعة ، وارذائهم في ظل ومامهم وليلتهم بذلك الى الابنية من القرى والمدن ، وهو اغا اوصاه بعدم المساحة في الجبابة التي هي من الاموال لا بالظلم والأخذ الوبيل ، واما البربر فان سيوفهم لم تزل بادية النبي والقتل لكتورة قبائلهم وعصابتهم والشر يدفع بهذه اذا اعياك غيره فالقتل اتفى للقتل ، واما تقديم اخوة وبنيه فقد ذكر سبيه . واما وصيته بالمدن فلتكتفو في الوجود ^(٢) . »

حدود الجزائر الزوية

كان بالجزائر على عهد الفاطميين اربع ولايات : اشير ، وناصرت ، والميلة ،

(١) ربات الاعيان ج ١ ص ١١٥ - ج ٢ ص ١٣١ ط بولاق ١٢٩٩ هـ واعتراض المفتاح من ١٤٤٤ خط القاهرة ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م .

(٢) اغاث اهل الزمان ١ ص ١٣٦ ط تونس ١٩٦٣ م

وباغية ؟ وفي أيام الدولة الزيرية هذه ضمت الولايات الأربع إلى بعضها فأضفت أعمال باغية والقسم الشمالي من ولاية الميسة إلى إشیر، وجعل القسم الجنوبي من ولاية الميسة إلى تاهرت، فاصبحت الجزائر ذات ولايتين عظيمتين ، هما ولاية تاهرت وإشیر .

الامير بلکین بن ذیزیری

تولى الامارة على افريقيا الشمالية بعد من الخليفة المعز الفاطمي يوم الأربعاء ٤٢ ذي الحجة ٩٣٦ - ١٠٧٢ م ولقبه بـيف الدولة وكناه بـأبي الفتوح وسماه يوسف وأنفذ أمره في الجيش وأمثال وأطلق يده في الاعمال وأمر الناس بالسمع والطاعة له وأووهه بأمره كثيرة مؤكداً عليه في المحافظة عليها وخاصة منها أمور أربعة فائلاً له : ان نسيت ما أوصيتك به فلا تنس أربعة أشياء : إياك ان ترفع الجباية عن أهل البادية ، واليف عن العبر ، ولا تول أحداً من آخرتك وبني علّك ، فانهم يرون انهم أحق بهذا الامر منك ، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً . ولعل الشيعة كانت شائعة بين أهل المخفر خلافاً لأهل البادية ؟

كان بلکین في أول أمره والياً على مدينة الجزائر أيام امارة والده ذیزیري على صنهاجة ثم خلفه في امارته هذه قبل ان يتولى ولاية افريقيا ، واستهر يومئذ فيها بالثبات ومضاء العزم والشجاعة النادرة مع حدة الذهن ونونق القريحة ؛ ولقد استطاع هو وحده ان يحقق قدربياً وحدة الشمال الافريقي على نحو لم يوفق اليه حكام المقرب العربي قبله ؛ فضرب العملة باسمه وبعث بالمهال والجباة الى الآفاق واستعد للطوارىء ؛ ويجلوس بلکین على عرش افريقيا انتهى عهد العرب بالملوك والدولة بهذا المغرب الاسلامي واستقل البربر بامر وطنهم تحت لواء الاسلام قيادتهم طائفة بعد اخرى وجيلاً بعد جيل تارة يدعون الى الاموريين خلفاء الاندلس وتارة الى بني هاشم العباسيين الى ان استقلوا بالدعوة لأنفسهم الى زمن الاتراك بالجزائر وتونس وطرابلس الغرب .

مناجزة صاحب المسيلة

كان من الطبيعي ان يستمر جعفر بن علي صاحب ولاية المسيلة والزاب على عصيانه للشيعة وعلى مقاومة مزاجيه الصنهاجيين ، فكانت يومئذ حركة بلکين الى المقرب الاوسط وهي اول حركاته الى الجزائر بعد الامارة فقضى على قبيلة مغراوة الزناتية التي كانت ملباً لخصمه جعفر صاحب المسيلة وشنّت شمل المغاربة فاستأصل شاقفهم وفتح معاقل بلاد زناتة وسي المداري والاماوى ؛ فانهزم جعفر وكسرت شوكته ففر الى الاندلس يوم ١٨ رمضان ٩٣٦هـ - ١٥ جولiet ٩٧١ م والمزع الفاطمي لا زال يومئذ بالمغرب ، وتقدم بلکين بخوض غمار البلاد الجزائرية شرقاً وغرباً الى ان يبلغ سجلاءة - تاييلات - فأخضعاها واوغل في بلاد المغرب الاقصى الى ان يبلغ حصن نيطوان وهو في ذلك لا يترى له حصن او اي مفترض كان الا وحطمه ؛ وهو الذي قضى من قبل على حركة محمد بن الحسن بن خزر المفرواي في قيامه ضد الشيعة وانهى بها الى الانتحار .

زحف بلکين الى المقرب الاوسط

كان الداعي الاول الى خروج بلکين ورثمه على الجزائر هذه المرة ٩٧٤ - ٩٣٦هـ هو عصياني اهل بغایة وقردهم على عاملهم واتصالهم عليه وشارکهم في ذلك ايضاً اهل شرقى جبل اوراس تمرداً على السلطة القائمة مع الشيعة ، ثم انتشرت الفوضى والاضطرابات فعمت القطر الجزائري فكانت هنالك نورة بتاهرت خرج منها العامل مطروداً ، واخرى باموال تمسان حيث نزلت عليها زناتة الاموية مناهضة لشيعة ، فخف يومئذ بلکين الى منازلة هؤلاء الثوار وحاصر تمسان وقضى على حركة زناتة بها وتقل اهلها الى اشبر ، وانتصر على تيهرت ايضاً فبطش بأهلها وخرب المدينة ، ويومئذ اسرع اليه بالطاعة التائرون من اهل شرقى جبل اوراس وبغاية وجاؤوه مستأمنين خاصمين فامنهم وعفا عنهم .

وأجلام عن بلدهم بعد ما خربها وهدم سورها، فذهب الكثير منهم ملتحاً إلى المغرب الأقصى معتقداً بجيشه وصغاره، ويومئذ عمل بلکین على تغيير حدود الناطق والولايات الجزائرية فعذف ولاية المسيلة بالكلية وأضاف ناحيتها الجنوبية إلى تيهرت وضم ناحيتها الشمالية إلى اشير: وجعلها ولايتين اثنتين: ولاية باشير وآخرى بتاهرت.

اجلاء زناتة ووفاة بلکين

اعاد بلکين زحفه على زناتة سنة ١٣٦٩ - ٩٨٠ م فقضى عليها وابعدها عن المغرب الأوسط فأفقره منها وأحلها ما بين ملوية وطنجة وقدم بزحفه إلى سجلماسة فاحتلها واستولى على مدينة فاس، وبينما هو سائر في قتوحاته بالغرب الأقصى إذ جاءه كتاب من الخليفة الفاطمي ينهاه عن التقدم والسير في طريق الفتاح بأقصى المغرب فرجع، وفي أثناء ذلك تطلب خزرون بن فلفول المغراوي الزناتي على سجلماسة فعاد إليها بلکين سنة ١٣٧٣ - ٩٨٤ م فهزمه وأسره واستعاد سجلماسة إلى طاعته، وفي طريقه إلى اشير ادركه حامه فمات بمكان يقال له واركلان أو - واركش? - بين تلسان وسجلماسة، وذلك يوم الأحد ٢٢ ذي الحجة ٢٧ ماي من هذه السنة.

الامير المنصور بن بلکين

كان المنصور يوم وفاة والده مقيناً بدار ولايته: اشير وقد عهد إليه والده بالأماراة بعده فبُويع بها يوم وفاة والده سنة ١٣٧٣ - ٩٨٤ م فرفدت إليه العمال بهدایاه، فأجزل أكرامهم، وخرج ليتعه العلام والقضاة والاعيان من القبور وأن فرصلوا إليه باشير وهو خارج البلد، فبايعوه وأكرمواه، وفي اليوم الثاني احتفل الملائكة في ديوانه، واظهر من ثارات الملك وفخامت ما اعجبوه به وقال لهم: يعز عليّ تعسكم في هذا الزمان مع ان سروري باجتماعكم عندي، فاجتمعوا بكلم احب اليّ من الدنيا ..

وأمر لهم بعشرة آلاف دينار وذاعت عليهم^(١). وكان المنصور رجلاً شجاعاً عادلاً ذكيّاً جواداً حازماً صارماً في الحق عطوفاً شفيراً بالوعية عفيفاً عن الدماء سائراً سن ايه ، واليتك تتفاً من خطاب العرش يوم تولى الامارة على المغرب فيها اجلال لخطبة السياسة وبرنابعه الحكومي فقال : ان ابي وجدي كلنا يأخذان الناس بالسيف ثهرآ ، وانا لا آخذ احداً الا بالاحسان ، ولا اشكر على هذا الملك الا الله تعالى ، ولست من يولي بكتاب ويعزل بكتاب ، لاني ورثت عن آبائي واجدادي وورثته عن آبائهم واجدادهم حيرآ^(٢) . وقال يوم ان اتكر عليه اعيان دولة مصادرته وعقده لاحد ابناءه على بنت سعيد بن خزون سيد زاته - المادبة - : كان ابي وجدي يتبعان زاته بالسيف ، اما انا فمن رحمي برمي رميتي بكيس حتى تكون موته طيماً واختياراً ! ... على هذه الاسس السياسية الرشيدة بين المنصور قواعد ملوكه وقاد امة الى الجد ، فكان يعامل جميع رؤساء القبائل والعشائر بكل مكرمة واحسان ، ومحادتهم بجدية كله لطف وود واحماء متبايناً كل سخية وحده . وكانت اقامة المنصور ثارة بالمنصورية - هي مدينة صبرة القرية من القبروان - وثارة باشير ، فثاره متقللاً بينها متصلًا بجميع المملكة ، وله سكة باسمه تضرب بها العدة مثل ابيه من قبل .

ثورة ابي الفهم الكتامي

لقد كان للقيمة كثامة كما علت يد في اشادة ملك الفاطميين بالغرب وكان ما اجازهم به العبيدبون على ذلك ان رفعوا عنهم يد الامارة الصنهاجية واوصوها بهم خيراً ؟ فكانت كثامة مستلة عن دولة صنهاجة لا طاعة لهذه عليها : غير ان ذلك لم يكن في نظر كثامة كافياً في مكافئتها مما قامت به تجاه العبيددين في دور التكدين ؟ بل كانت ترجو ان تكون

(١) ابن ابي الضياف ج ١ ص ١٣٢ ط تونس ١٩٦٤ م

(٢) راجع لسب الامرة الوربة في ويلات الاعيان ج ١ ص ١٢١

خلفيتها على المغرب لما تزأه هي في نفسها من الجذارة والاستحقاق والتدم على غيرها في هذا الامر ؛ فلما رأت ذلك كله بيد صنهاجة نهض بقيادة أبي الفهم حسن بن نصر الكتامي الحراساني وأظهرت العدالة والبغضاء لصنهاجة ؛ وخرج أبو الفهم للقتال، فضرب سكته ونشر بنوده وجمع حوله من الجند والمسلك ما كثُر به جمعه ، فاستأذن الأمير المنصور في قتال كاتمة بكتاب وجهه إلى الخليفة الفاطمي بصرى ، فجاءه الجواب بواسطة وجلين بعث بها الخليفة إلى المنصور ؛ بأمره بعدم التعرض لكتامة حيث لا سلطان له عليها ثم أراد الرجال الانتحاق بكتامة حسب مأموريتها فسجنتها المنصور وحال بينها وبين كاتمة .

القضاء على شوكة كاتمة

يبدو من جواب الخليفة المنصور حول قيل كاتمة إن الدولة الفاطمية كانت مستشرة عظمة صنهاجة وإنها كانت تخشى استعمال أمرها وتضخم سلطانها فتركت بجانبها قبة كاتمة مستقلة عنها استعداداً للطوارئ ؛ فهي من نوع سياسة الترفة التي ساد بها اليوم الغرب على الشرق ، وما يدورينا أن ثورة كاتمة كانت بغالى وایساز من الشرقي ؟ ... والا فما معنى اعتراف العلاقة الفاطمية على المنصور في محاربة هؤلاء ؟ ... وما معنى تحاولة الرجلين المعتبرين من الشرق إلى المنصور الاتصال بكتامة ؟ ... ولكن ذلك كله لم محل بين المنصور وبين ما بينه من عزيمة في مقاومة هذه القبة المحاربة ، فنزل بالشمال الغربي من قسطنطينية محاصراً مدينة ميلة في متوال سنة ٤٧٨ - ٩٨٩ جانفي ونشر هناك أعلامه الكبيرة الموشاة وفرع بها الطبول ليذانى محاربة كاتمة ، فخرج إليه العجاجز والصياغ متضرعين باكين متسلدين إليه في ترك المطلب وبالبقاء عليهم فرقى خالقهم وبكي لذلك المنظر الحزين ورجع عن ميلة بعد تخرّب أسوارها ونقل أهلها إلى باغية شرقى اوراس ، وفي طريق هؤلاء إلى باغية لقيهم ماكسن بن ذيري الصنهاجي - عم المنصور - فغيرتهم بما كان معهم من المال والنشب .

ثم جعل المنصور لا يبر في طريقه على مدينة او قرية من بلاد كنامة الا ويأمر بتحطيمها ، حتى بلغ الى مدينة مطيف وهي يومئذ مركز عز كنامة فحصل بينه وبين أبي الفهم قتال عنيف انتهى به أبو الفهم وفر الى جبل هنالك يعصمه من الموت او القتل ، فكان مثل ولد نوح في ذلك ! ... فأدركه المنصور فقتله فاستكانت يومئذ كنامة لصنهاجة واذعنب لطاعتها وحدث المنصور اذ ذاك منصب خليفة عنه عيادة وآخر بسيط واذن بالافراج عن مبعوثي الخليفة فلما باطل القاطمي وحدى هنالك يا وأيا من جراءة المنصور وانتصاره فيجاهد الهدایا من القصر الى المنصور تهدا وتقديرا لمركته السياسي الذي أحرزه بشجاعته وقادمه .

ثورة أبي البهار بن شهرت

ما كادت تنتهي حوادث كنامة حتى ظهرت عالم الخلاف والشقاق من الى تيهرت أبي البهار بن ذيري الصنهاجي عم المنصور ؛ فقلب على وهو ان وشاف وكتير من بلاد الزاب فبرز اليه المنصور سنة ٩٨٩ - ٥٣٧ م فقر أبو البهار من تيهرت وانشق بالغرب الاقصى ، ودخل عسکر المنصور المدينة فأكثر بها النهب والقتل يومئذ ثم خرج منها بأمر من الامير وأمن المنصور اهل تيهرت على انقاضه ونصب عليها اخاه يطرفت وانقل منها الى قاعدة الجزائرية « اشير » فعقد لأخيه حاد عليها ثم عاد الى المنصورية . وفي سنة ٩٩٢ - ٥٣٨ م ظهر أبو البهار بالقيروان بعد اختفائه بالغرب فوفد على المنصور معايباً فعفا عنه واكرمه واتزله احسن منزل ثم أعاده الى ولايته على تيهرت .

إقامة الدعوة الاموية بالجزائر

كان لسقوط مدينة فالس يد زيري بن عطيه من بنى خزر المغراوين سنة ٩٨٧ - ٥٣٧ م اثر ظاهر في انتشار الدعوة الاموية بالغرب من جديد وتسرّبها الى الجزائر وكان يومئذ على ولاية تاهرت أبو البهار عم المنصور

فرفض دعوة العبيدين ودعا إلى الخليفة الاموية الثالثة يرميذ بالأندلس وخالف على ابن أخيه للمرة الثانية وقلب على مدينة قامسان ووهان وشلف وجبال والشريين وشرشال وكثير من بلاد الزاب وغيرها من التواحي الشرفية بالجزائر أيضاً وبعث بيعته إلى المؤيد الاموي وحاجبه المنصور بن أبي عامر بالأندلس ، فكتب إليه هذا بالمهد على ما يبيده من البلاد مع هدايا وخلع واربعين الف دينار ، فقبض أبو البار ذلك ومكث يدعى إلى الاموية مدة شهرين ثم خلعهم وعاد إلى العبيدين ، فقضب لذلك المنصور بن أبي عامر فكتب بعده على بلاد المقرب إلى ذيري بن عطية وامرء بقائلة الحالبين ؟ فبرز ابن عطية في عدد لا يحصى من قبائل زنانة وغيرها متوجهاً من فاس إلى قال ولالي ثاهرت ، فخرج يرميذ أبو البار من ولايته ملتحقاً بابن أخيه الامير المنصور الصنهاجي ، فاحتل ذيري المراوي مدينة قفسان واستولى على جميع أعمال أبي البار بالجزائر ثم كانت هنالك مقاومة لدعوة ذيري الاموية من قبل بعض الولاة الصنهاجيين فسكنت ريحه هنية ، وأخيراً تحرك ذيري للقضاء على هؤلاء الحالبين فتم له النصر على القطر الجزائري سنة ٩٩١ - ٣٨١ م وأقام به دعوة الاموريين إلى وفاته سنة ١٠٠٠ م فانحاشت الدعوة إذ ذاك إلى المقرب الأقصى .

إنشاء مدينة وجدة

ولما غادر ذيري بن عطية المراوي الزناتي من ملك المغاربة الأوسط والأقصى وصفا له الجلو وخلا عن المنازع والمزاحم رغب في تأسيس عاصمة له تكون واسطة عقد مملكته ، فاختار موقع مدينة وجدة ، وأخذ في تأسيس المدينة وشرع في بنائها في شهر رجب سنة ٣٨٤ - ٩٩٤ م فشيد سورها وقصبها وركب أبوابها وانتقل إليها بأهل وحشة وحمل إليها جميع أمواله وذخائره وجعلها عاصمة الامارة الزناتية التابعة للخلافة الاموية بقرطبة ، ثم آلت هذه الامارة بعده إلى ابناء عمومته ، وكان آخر الامراء فيهم مننصر بن المعز المراوي الذي قتل المرابطون

وقضوا على امارته سنة ٤٦٢ - ١٠٦٩ م ثم وقع تجديد هذه المدينة
بأمر السلطان ابن يعقوب يوسف المرين سنة ٦٩٧ - ١٢٩٨ م .

استئصال حكامة

كان كتامة لم تكتف بما تلقت من النكبات في حوادث أبي الفهم
الماضية ، فتمردت هذه المرة عن دفع الجباية وامتنعت من الوضوخ
للدولة ، فقامت خلف رجل ينتسب لقائم العيدى اسمه أبو الفرج فضرب
السكة باسمه وأخذت البترود والطبول وجرت بينه وبين عاملى المنصور
الصنهاجي على ميلة وسطيف حوادث كبرى وحروب عظيمة هي أشد
واعظم من وقائع أبي الفهم السالفة ، فبرز لها يومئذ المنصور سنة
٣٨٠ - ٩٩٠ م فظفر بابي الفرج فقتل وشنح جميع أرض كتامة
وببلادها بالجلد والخاتمة وبث العساكر في التكبات يمحققون التراحمى
والجbellات حتى لا يستطيع أحد منهم أن ينهض أو يتعرّك ، وبعث
بالولاة والعمال إلى سائر الأعمال فتفى بذلك على كتامة .

الأمير باديس بن المنصور

توفي المنصور يوم الخميس ٣ ربیع الاول ٣٨٦ - ٩٩٦ م فربیع ولده باديس الذي كان حاضراً على سجل ولایة عهد أبيه
من العزيز الفاطمي منذ سنة ٣٨١ - ٩٩١ م ، وبعد مبايعته بالأمارة
اتصل برفاقه الحاكم الفاطمي في السنة التالية ولقبه بتصير الدولة ، وكان
مولده باديس مدينة اشير - بالجزائر - ليلة الاحد ١٣ ربیع الاول
٣٧٤ - ١٤ اوت ٩٨٤ ، وكان ملكاً شجاعاً مقداماً كثيراً حليماً حازم
الرأي شديد البأس ، وكان يعم بالحروة وفيه يقول الشاعر :

تجلو عمامته المرأة غرتة كانه قمر في حمرة الثنق

وناسة ولاية الجزائر

كان اول ما قام به باديس من الاعمال الادارية ان خالف وصية المعز العبيدي جده بلکین حين قال له : لا تول " احداً من اخوتك وبنيك لانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك وقد كان الامر كما قال كما سترحه لك فيما بلي ، فقد لعب حماد بن بلکين على جميع ولاية الجزائر الشرقية وافطه مقاطعة آشير وامده بالخيل واللاح عدد الحرب اثناء اطوارىه القبيلة العادية زنافقة ، وجعل ولاية تاهرت وجميع ارض الجزائر الغربية لعمه ايضاً يطوفت بن بلکين ويحمل كل منها لقب ثائب باديس ، وكثيراً ما كان الاخوان يطوفت وحماد وعها ابو البهار يتداولون عمل آشير .

فوز الامويين بالجزائر

حارلت قبيلة زنافقة افتراك بعض الاعمال الجزائرية من يد صنهاجة فاظهرت الخلاف على باديس ، وعملت على مناهضته ، فانتهزها يومئذ زيري ابن عطية فرصة ودعا لباديس المؤيد الاموي بالاندلس فبايعته زنافقة ، فزحف يومئذ زيري بج逐ه على ولابي تلسان وتيهرت فاستولى عليها سنة ٩٩١ - ٥٣٨ م فنهض اليه باديس من مرکزة ومر في طرقه بطينة فاستجاش بصاحبها فلفول بن عم زيري بن عطية المغراوي فامتنع وانقلب على باديس ، واندلع لمib الترة يومئذ ضد صنهاجة وامتد شرها من طينة الى تيحس من أهال قنطينة وحاصر فلفول مدينة باغایة سنة ٩٩٩ - ٥٣٨ م . واحتلها ثم انهزم عنها فلتحته جنود صنهاجة وطاردته من مرماجنة أيضاً فلتحق بالطباط ، وهنالك اتصل فلفول بمحصوم باديس وزواجه من آلة زيري الصنهاجي فنزلوا تبة فعمل عليهم باديس وأجلام عنها . ويومئذ حدثت وحشة بين الامير زيري بن عطية الزنافقي وبين الوزير المنصور بن أبي عامر حاجب المخلاف الاموية بالاندلس فأعلن الوزير الحرب على عدوه الزنافقي وكان ميدانها المغرب الاقصى واندلع فيها الى المغرب الاوسط فسقطت آهال تاهرت وتلسان بيد الحاجب الاموي .

خيبة زناة في حلتها على تيهرت

هاجت هذه القية على اعمال تيهرت سنة ٩٩٨ - ٥٣٩ م ، وكانت ان تنتصر عليها فكتب عاملها بطرفت بن المنصور الى باديس مستدلاً ومستنداً ، فجهز اليه الامير جيشاً عرماً وجعله تحت قيادة كاتبه محمد بن أبي العرب وخرج القوم من دار الامارة في منتصف صفر - فيبروي - من هذه السنة فاصدron تيهرت ، فروا في طريقهم على آشير متبعين بجنديه حاد بن بلکین فانضم اليهم حاد بجنوده والتحق الطبع بعسكر بطرفت وزحف الجيش الصنهاجي من هنالك نحو أماكن العدو فالتي القرياقان غرة جمادي الاولى - ٢٠ افريل - بوادي ميناس - على مرحلتين من مدينة تاهرت - فانتصرت زناة وانهزمت جنود صنهاجة الى آشير تاركة خلفها جميع معداتها الحربية وأموالها ثميناً للمدو ، واحتلت زناة معظم المواصم الجزائرية فنزلت تيهرت ، وتلسان ، وسلف ، وتنس ، والمسية ، وببلة من بلاد الزاب ، وحاصرت آشير أيضاً ، وكان السبب في خذلان صنهاجة هذه المرة كراهية الجيش الحادي لاميره لقلة عطائه وحدة أخلاقه الشرسة .

وطار خبر هذه المزية الشنعاء الى باديس فخط ذلك وحمل بناته على مراكز العدو بتيهرت ، فقررت أمامة زناة الى باغية وطنية ، واختلفت عليه من هنالك ، فتعقبها باديس بجنوده ودحرها في وقائع دحروب طاحنة .

عصيان ماكسن وزاوي

ها أخوان من أبناء ذيري بن مناد الصنهاجي حادلا الخروج عن طاعة باديس وأظهرا الخلاف والمعصية في جملة أمامة الذين لم يتع لهم التمتع بالحكم والرئاسة ، فقد باديس لعنه الذاهية حاد على اخضاعهم سنة ٣٩٠ - ١٠٠٠ م . فقتل ماكسن والمحمر آخره زاوي بمبل شنوه بناحية شرشال مستاماً فيمن كان معه من الاتباع فاشترط عليهم حاد الجلاء عن بلاد الجزائر ، فخرج زاوي يومئذ في فته وأبناء أخيه الى

الاندلس سنة ١٠٠١ - ٤٩١ م ملتحقاً بالنصرور بن أبي عامر فاكرم
النصرور وقادتهم ، ثم كان لهم بعد ذلك شأن وملك هنالك .

ابعاث الدعوة الاموية بالجزائر

كنا ألمتنا الى سقوط ولايتي تلسان وتيهرت بيد ذيري بن عطية
المغراوي الزنافي القائم بدعاية الامويين بالغرب سنة ٩٩١ - ٤٣٨ م .
ثم يد النصرور بن أبي عامر الحاچب الاندلسي سنة ٩٩٩ - ٤٣٩ م .
واستمرت هذه القطعة من الجزائر تحت ادارة المنصور هذا الى ان عهد
بها وبصيل سجلها الى المغر بن ذيري بن عطية سنة ١٠٠٣ - ٤٩٣ م
فاستبد هذا بالغرب الاقصى وجمل على ولايتي تلسان وتيهرت ولده
يعلى سنة ١٠٠٦ - ٤٩٦ م فبعد بها الدعوة الى الخلافة الامورية ، وأورثها
بنيه ، ولم يزل بعد ذلك بنو يعلى في حرب معبني حماد الى ان تقلب
عليهم أخيراً المرابطون فأجلوهم عن هذه الامارة سنة ١٠٨٠ - ٤٧٣ م .

فهو زنافقة

استمرت زنافقة على ترددها خد السلطة الحاكمة فاضطررت لذلك حبل
النظام بالغرب الاوسط وقلق منه باديس ، فأوعز الى عه جاد بالقضاء
على حركة زنافقة واحتاج توراتها المتعددة ، فاقتصرت حاد هذه الفرصة السانحة
ليحقق أغراضه في الملك والرئاسة فاشترط على الامير انه ان ينجح في
زحفه على زنافقة ان يوليه المغرب الاوسط ، وان له جميع ما يملكه في
غزوه هذه من البلاد ، وان تكون له الحرية في اختيار مكان اقامته
بالبلاد ، فوافقه باديس على ذلك ؛ ففزا جاد يومئذ زنافقة سنة ٤٩٥ - ١٠٠٥ م
فظفر بهم واستأنصل ساقتهم بحيث لم يظهر لهم بعد ذلك أي
أثر في الطرف مع جاد . وما كانت تورات زنافقة في حقيقة أمرها إلا
عن خفية ومحقد حلتها من خبيتها ، اذ لم يكن لها في هذه الدولة من
الحاكم والرئاسة تصيب .

الشأن قلعة بنى حماد

اندفع حماد بعد انتصاره على زناته يتبعول في اتجاه الجزائر غلاً بمنفورة الظهور والقلبة على خصمه وهو في ذلك يرثاد مكاناً حصيناً يتخذه مرتكزاً لسلطانه ويحاط فيه لنفسه، فوفقاً إلى جبل منيع مطل على محيرة الحضنة يعرف بجبل حكباتة المسى بجبل معديد وهو المعروف اليوم باسم «المعاضيد» وهو على نحو ٣١ كيلومتراً جنوب برج بوعريبيج وعلى نحو ٢٠ كيلومتراً بالشمال الشرقي من مدينة المسيلة تحيط به سهل وبأعلاه حصن «ناقوبست» المعروف في القديم باسم قلعة أبي طويل على نحو ١٥ كيلومتراً شرق برج الغدير؛ وهناك شرع حماد سنة ٤٩٨ - ١٠٠٧ م في وضع قلعته وتأسيس عاصمة التي قدر لها ان تكون جيناً من الدهر عاصمة القطر الجزائري؛ وقد تم تصييرها في عامين، ثم أحاطها بسور من الحجارة سنة ٤٩٥ - ١٠١٤ م يبلغ ارتفاعه متراً واحداً ويتند حول جبل حكباتة على استدارة سبعة أميال، وأقام حماد بها ملكاً يتسع بكثير من مظاهر الاستقلال مقرًا بالولاء لابن أخيه باديس بن النصور بالقبروان والمهدية.

يقول الاذرسي في وصف هذه القلعة أنها من أكبر البلاد قطرأً وأكثرها خلطاً وأنغرها خيراً، وأوسها أمراً، وأحسنها فصوراً ومساكن، وأهمها فواكه وخصباً، وتحيطها رخيصة وملوتها طيبة سينية؛ وكانت مقصد التجار ومحط رحالهم يأتون إليها من العراق والجمان والشام ومصر الخ... وأهلها في غاية الذكاء والقطنة ولم في ذلك نوادر وأقاصيص عجيبة يروها أهل الجغرافية والتاريخ^(١).

وفيما يعود إلى أسباب خراب أمثال هذه المدينة وغيرها من العواصم والمدن التي اضحتت وعفت وتلاشت آثارها من الوجود يقول ابن خلدون: «إن المدن والعواصم المشيدة من طرف الدولة إنما تبقى بعد ذهاب

(١) راجع المالك والمالك البكري من ٦٨٤ وتنزعة المتناق من ٨٦ ط ليدن ١٨٦٤.

نشئها اذا كانت تلك المدن من الضواحي والقرى والجبال والبساط
المجاورة لها ما يدها بالعمران فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر
عمرها بعد الدولة الذهنية كأثره يقاس وبجاية من المغرب وبعرق العجم
من المشرق ... واما اذا لم تكن تلك المدينة المؤسسة مادة تقيدتها
العمران بترافق الساكن من يدوها فيكون انفراط الدولة خرقاً لسياجها
فيزول حظها ويتناقض عمرانها شيئاً فشيئاً او ان يهدى عز ساكنها
وتحرب كأثره يقاس ببغداد والكرفة بالشرق والقيروان والمهدية وقلعة
بني خاد بالغرب وأمثالها^{١١}.

بيان الخلاف بين حاد وباديس

(١) مقدمة ابن خلدون من ١٦٨٤ ط بولاق.

لشوب المطرب بين حاد وباديس

ولما انفع باديس موقفه العدائي تجاه ملكه والدعوة الشيعية
جهز له جيشاً وأمر عليه كبير قادته هاشم بن جعفر واهب به إلى
ناحية الجزائر فخرجت الكتابة من التيروان فلقها حاد بمدينة الكاف
ومعه ثلاثة ألف مقاتل فانهزم جيش هاشم وتقدم حاد إلى تونس وباجة
فاحتلهما وأثار أهلها ضد الشيعة، و يومئذ زحف إليه باديس فهزمه ونكص
حاد على عقبه ملتحقاً نحو آشير فتذكر له أهلها ففر إلى ناحية سلف
فلحقه باديس وقد امتلك في طريقه مدينة المسيلة وأشير وبلغ إلى سهل
السرسو فانضم إليه هناك جميع أعداء حاد وخصوصه الناقرين عليه، فاستد
ساعد باديس بأولئك فأجاز لهم وادي سلف وقضى على قوات حاد
الكامنة هناك في أوائل جمادي الأولى سنة ٤٠٧هـ - أكتوبر ١٠١٦م،
فانهزم حاد من بحانة إلى سلف وهرب إلى القلعة فتخلى عنه أصحابه
وذهبوا إلى الأمير، واستغل القوم يومئذ باستفادة ما خلفه حاد ورآه
من الفتن والاموال والانتقال بما لا يحصى عدا ... ثم أحاط الجميع
بقلعة حاد فحاصروها وكادوا أن يظفروا بها لو لا أن فاجأهم موت
باديس بالمسيلة يوم الثلاثاء ٣٠ ذي العدة ٤٠٢هـ - ٣٠ إبريل ١٠١٧م
فرأسوا عليهم أخاه كرامة وجعلوه كفائد أعلى يرجعون إليه في تسيير
هذه المعركة وكتبوا موت الأمير، فعمل يومئذ كرامة على حاد
في سبعة آلاف مقاتل واتفق في ذلك أموالاً طائلة، واستعد حاد
لمقاومته في ألف وخمسمائة فارس فهزمه إلى التيروان ومعه جثمان باديس
فدفن بها وبسبعين لولده المعز.

الأمير المعز بن باديس

سيء إلى الخليفة النقاطي تشريفاً وسبلاً لقبه فيه بشرف الدولة،
وكانت توليته الإمارة يوم ٢١ ذي الحجة سنة ٤٠٧هـ - ٢١ ماي ١٠١٧م
وستة يومئذ ثمان سنوات واربعة أشهر، فكللت هذه أيام ملأ إلى أن

بلغ سن الرشد فاشتهر بالتدبر والعلم ورقة القلب والتفف عن سفك الدماء الا ما كان في حق وكان يجيد الشعر وبحسن الاخان الموسيقية والعزف على آلة الغناء وله خبرة ودرأية بالاحياء الكريمة حباً لاهل العلم والادب ومحظ آلامهم ، فكان عصره اضخم ولترف ملك عرف البربر بافريقية ، فهو ثالث ملوك هذه الدولة الذين ضربت السكة باسمائهم ، واول من اتخذ المهدية قاعدة ملوكه الى ان استولى عليها الصقليون سنة ١١٤٢ - ٥٤٢ هـ . ولم تطل مدة احد من اهل بيته في الولاية والملك كدته ، اذ كان فيها من اكرم اهل بيته فهو احقرهم باسم المؤسس الحقيقي لدولتهم ، اذ هو اول من اعلن انفصال المغرب عن العبيدين وخلع طاعتهم ولا بعث الي المستنصر الفاطمي بالقاهرة يتهدده ويتوعده ائب الرسول يقوله : قل لأميرك ان لنا ملك افريقي قبل ان يكون العبيدين ذكر ! ... وكانت وفاته بالمهدية سنة ٤٥٦ - ١٠٦٣ هـ ودفن برباط المستير وكانت ولادته تسعماً واربعين سنة .

استمرار الحروب بين حاد والمعز بن باديس

استمر كرامة بن المنصور محافظاً على عرش أخيه باديس حتى تمت المبايعة لابنه المعز ، ويومئذ تخلى كرامة عن العرش لابن أخيه وصالح حاداً على اموال قبضها والتحق بالباطل الصنهاجي ؛ فسرع حاد يومئذ الى تبوة مكانه بالغرب الاوسط ودخل المسيلة وأشار واستعد فيها للقتال ، وخرج لخسار باغایة فأجلاء عنها جيش المعز وهزمه يوم ٢٢ صفر ٤٠٨ - ٢١ جولiet ١٠١٧ م فسر لذلك اهل باغایة ويعثروا بهدايا وتحف تقيبة الى المعز كان من بينها عيد وتلافلة وخسة وثلاثون يرذونا مسرحة بالسرور المخلات الخ ... ثم بعد مضي شهر من وفاة باغایة كانت هنالك وقمة ثانية هي اشد واعظم من الاولى انهزم فيها حاد ؟ كذلك وتفرق عنه الجند واسر اخوه ابراهيم بما معه من العتاد ونجا حاد بنفسه ، ثم سار بجند المعز الى مدينة سطيف وقصر الطير وقتل بعدها الى حضرته .

الصلح والموادعة

ولما استبان خاد عجزه عن مداومة الحرب بعث الى المعر مستسلماً طالباً للامان فقبل منه ذلك مشترطاً عليه ارتكان والده القائد ؛ وبعد ما استوثق خاد على ابنه بواسطة أخيه ابراهيم بعث به الى المعر ومهه هداباً تقبيلاً فاقبليه الامير في منتصف شعبان ٤٠٨ هـ - جانفي ١٠١٨ واكرمه وغفره باحسانه وامضى له ما ارتفاه والده من الصلح واقطعه مدينة المسية وطنية ومرسى الدجاج وسوق حزرة - برج حزرة قرب البوريرة - وزواوة ومقرة واستقل والده خاد بعمل المسية وطنية والزاب واسيو وتأهرت وبها سيقته من غيرها من بلاد الجزائر ، فكان ذلك كأن ترسيناً من المعر لانشاء دولة بني خاد ثم عاد القائد بعد ذلك الى والده في رمضان من ستة يحمل معه حكروك السلم والاقطاع ؛

ثم كانت هنالك حوادث زفافه بالزاب فنهض اليها الجند الصنهاجي فأخذوها سنة ٤٢٩ - ١٠٣٨ م بعد ما قتل فيها عدداً وافراً من الناس واحتل جميع قلاع الزاب . ثم في سنة ٤٣٢ - ١٠٤١ م حدثت وحشة بين عامل صنهاجة وحاد ، فزحف المعر الى القلعة الحادية فحاصرها مدة سنتين ثم اقلع عنها وعاد الى حاضرته ؛ فلم يختلفا بعد ذلك ؛ ويومئذ فتحض ملك الجزائر لامرة الحادية واستترت الولاية نعيم زهاء فرن ونصف كما سبقه في تاريخ دولتهم ؛ ومنذ ذلك الحين انقسمت المملكة الزيرية الصنهاجية بالقرب الى قسمين : مملكة شرقية وقادتها القبارون ثم الهدية حكم فيها ابناء المعر الى ان قضى عليهم النورمان سنة ٥٤٣ - ١١٤٨ م . وبملكة غربية كانت لبني خاد وقادتها القلعة ثم بجاية الى ان سقطت يد الموحدين سنة ٥٦٧ - ١١٥٣ م كما سذكره .

المذاهب والقائد

كان المغرب العربي في اول عهده بالاسلام سائراً في تدينه على مذهب السلف الصالح وعقائد اهل السنة والجماعة ؛ الى ان كانت حوادث فتنة

الجل وصفين بالشرق فنشأت عنها احزاب وطوائف سياسية مختلفة تسربت الى المغرب فتطورت العقائد منها الى احساسياتي وتفرقت الامة في عقائدها وانجذبها الدين الى مذاهب وطرق شئ فحدثت يومئذ مذاهب الاعتزال والخارجية واختلفت الآراء في اصول الاعتقاد؛ وسلك الناس في عبادتهم ومعاملتهم هذا الملاك ايضاً، فاختلوا الى مذهب شئ؛ وكان اظهر المذاهب الاسلامية يومئذ بالغرب مذهب اي حنفية وممالك كالمعاشر الى ذلك فيما تقدم.

وفي عهد بنى عبيد الفاطميين حاولت هذه الدولة نشر مذهب الشيعة الامامية بعقائده وعباداته بين الشعب الافريقي كله، ومحو مذهب اهل السنة، فكان هنالك من اخذ به، ومنهم من رفضه؛ وكان فقهاء المالكية على الخصوص في محنة عظيمة مع هؤلاء الروافض من الشيعة الى سنة ٤٠٧ - ١٠١٧ م - حيث اختلف حاد بن بلکین على باديس وفسدت ذات اليه ينتها فأعلن حاد برفض عقائد الروافض والاه مذهب الشيعة والتسلك بمذهب اهل السنة؛ فانتهت بذلك دعوتهم بالجزائر؛ واستمرت المارسة المالكية تعمل في الشعب المغربي حتى تغلغل في الوعي السني فاتهز المز بن باديس هذا الموقف ليتخذ منه سبلاً الى اعلان انفصاله ايضاً عن دولة الفاطميين واستسلامه بالغرب العربي، فاتجه يومئذ مذهب اهل السنة وحمل الناس على مذهب الامام مالك ومنهم من تعدد المذاهب، فجتمع الفقهاء للمناظرة بين يديه، وكان فيهم المالكية والحنفية، فآلم عن موطن اي حنفية، فقبل له الكوفة، فقال مالك؟ ... فقالوا المدينة، فقال عالم اهل المدببة يكفيانا وامر باخراج اصحاب اي حنفية، وقال لا احب ان يكون في علي مذهبان، ولم يقتصر البلاء على مذهب الشيعة فقط، بل شمل مذهب الاشخاص الستين الذين كانوا يطلقونهم برعائهم، وانقل المقرب الى مذهب مالك الذي لا يزال عليه الى اليوم، واعلن المز يومئذ انفصاله السامي عن الفاطميين، ولمن مذهب الروافض، وابتطل شعائرهم وقطع الخطبة باسمهم ودعا لخلافة العباسية ببغداد ثانية لملكه، فحضر منها بالتقليد والطبع فنشر الرابطات السود وهم دار الامماعية وذلك

حدود سنة ٤٣٥ - ١٠٤٣ م ويجعل ذلك ابن أبي الضياف سنة ٤٣١ - ١٠٣٩ م فاندفع الناس حينئذ لمقاطعة الشيعة واضطهادهم اربع قتال واسد اخطهاد؛ فكانت هذه المراة الدينية الفقهية بالقرب العربي حركة قوية نشطة اكثر ما خدمت فقه الامام مالك واستلال البلاد.

وبحديثنا المقدم في كتابه الجغرافي الجليل «احسن التقاسيم» ط ليدن ١٨٧٧ م الذي وضعه سنة ٣٧٥ - ٩٨٥ م بعدما جال في هذه الاوطان المغربية واتصل بأهلها، فقال «ان اهل المغرب لا يكادون يعرفون الا كتاب الله وموطناً مالك؟ ... وانهم لا يعرفون مذهب الشافعى رحمة الله، اما هو ابوحنبلة ومالك؟ قال «و كنت يوماً اذا ذكر بعضهم في مسألة؟ فذكرت قول الشافعى، فقال : اسكنت من هو الشافعى؟ انا كان مجراناً ابوحنبلة لاهل المشرق ومالك لاهل المغرب، افتدركهما ونشغل بالساقية؟ ... قال ورأيت اصحاب مالك رحمة الله يبغضون الشافعى، فلما اخذ العلم عن مالك ثم خالله؟ وما رأيت فريقين احسن اتفاقاً وافق تعصباً منهم ... وسألت بعضهم : كيف وقع مذهب ابي حنبلة اليكم ولم يكن على سابتكم؟ ... قالوا : لما قدم عبد الله بن وهب من عند مالك وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز، استكشف اسد بن عبد الله ان يدرس عليه بخلافه وكبر سنه، فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلاً، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع الى اين وهب فقد اودعته علي، وكيفتكم به الرحلة فصعب ذلك على اسد، ثم سأله هل يعرف مالك نظير؟ ... فدل على محمد بن الحسن صاحب ابي حنبلة، فرحل اليه، واقبل محمد عليه اقبالاً لم يتقبله على احد لما رأى منه من فهم وحرص، فلما رأى محمد انه قد بلغ مراده سببه الى المغرب، فلما دخله اختلف اليه القبيان ورواوا فروعاً حيرتهم، ودقائق اعجبنهم، وسائل ما طنت على اذن ابن وهب فلتشا مذهب ابي حنبلة بالقرب.

وفيه يرجع الى رواية القرآن الكريم وقراءاته بالقرب فانه كان يتبلي بقراءة الامام حزرة بن حبيب، الى ان رحل ابن خيرون الاندلسي الى

الشرق في صدر المائة الرابعة فعاد برواية قالون وورش عن نافع فانتشرت هذه القراءة ايضاً بين الناس بعد ان كان لا يقرأ بها الا الحواضن .

الزحف الملالي

تأثير الخليفة الفاطمي كثيراً لهذا الحادث الخطير وهذا الانقلاب الديني السادس العظيم الذي وقع بأفريقيا ، فعظم عليه خروج المغرب عن الامبراطورية الفاطمية وانقراض دعوة الشيعة به ، فكتب المستنصر بالله العيدى الى المعز بن ياديس كتاباً ينهيه فيه ويقول : هلا اتيت آثار آبائك في الطاعة والولاء ؟ ... فأجابه المعز قائلاً : ان آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل ان يلكله اسلائفك ، وهم عليهم من الخدم انضم من التقدم ولو انحروه لقدموا بأسباقهم .

ويمضى ذيর مكيدة الحلة الملالية بتأثره من اليازوري وذير المستنصر حيث كان دافر الصدور على المعز ، وكان هؤلاء الاعراب من بنى هلال وبني سليم ورباح وزبعة قد اضروا بالديار المصرية واصبحوا خطراً على الدولة هناك ففتح لهم الخليفة باب المиграة الى المغرب ورغبتهم فيه بأنواع من المرغبات وعقد لرؤسائهم ورجالاتهم على امصار البلاد المغربية وتنزورها وقدم كثيراً من الاعمال والولايات انتقاماً من دولة منهاجة الزيرية المنشقة ، واذن لهؤلاء الاعراب في الانتحال الى هذا الشهال الافريقي وقال لهم : قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن يلكلين الصنهاجي ذلك العبد الآبق فلا تفترقون ؟ وترك تحقيق ذلك الى سيرهم ورماجهم .

خرجت الحلة الملالية الاولى من الديار المصرية سنة ٤٤٢ هـ - ١٠٥١ م في نحو الاربعينات النف شخص ، واذ ذاك كتب اليازوري الى المعز (...) اما بعد فقد ارسلنا اليك خيلاً ، وحلنا عليها رجالاً فجعلاً ليعضي الله امراً كان مفعولاً) وتزل هؤلاء الاعراب بأفريقيا فانتشروا ببرقة ونواحي قابس وتونس ؟ فاكتنروا فيها الفساد والنهب وتكلرت الواقع بينهم وبين

الثرب الالهامي في اواسط القرن الرابع عشر الى اواسط السادس المجري — اواسط المدحبي — بيلا.



البعض الآخر المترافق

- الملكية
المملكة
العربية
الحادية
مولطن
روانة
جدة

الاهالي والدولة وقعدت النكبات فتخلى لهم المعز عن القبروان الى المهدية
فتعقبه اليها ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

وان ابن باديس لا حزم فارس لعمري ولكن ما لديه رجال
ثلاثة آلاف لئا هزت له ثلاثين ألفاً ، انت ذا لتكل

وكان الملتحم بالجزائر في تواحي جبل راشد ومصاب والزار الشرقي
وفي قتل القائد ابو سعدي خليفة الزناتي الفتري وذيربني خزر بتلسان ؟
وكان من جهة المقلدين في هذه المحلة من طرف الفاطميين : الحسن بن
سرحان فإنه جاء يوم ولادة قسطنطينة فاحتلها وقد شهدت البلاد في هذه
الأوقية من البلاء والاهوال والمرور الالية ما يشيب لها الاطفال ...
وعجز عن المقاومة كل من صنهاجة وزناتة وامراء تلسان من بنى خزر
وامراء القلمة من بنى حاد وفاز هؤلاء الزاحفون من الاعراب المغاربة
بامتلاك اعظم الجهات بأفريقية ، وذلك بسلوكهم سهل القرفة بين اهلها
واعانة بعضهم على بعض بشق الوسائل وكان الربيع دافعاً في الجانب العربي .
انظر الخريطة . فكان لبني سليم تواحي المغرب الشرقية ، ولبني هلال التواحي
الغربية ، ولقد احدث هذا الفزو المغربي انقلاباً عظيماً في البلاد من حيث
الاقتصاد والسياسة والاجماع .

فكان دخول بنى هلال الى المغرب الاسلامي من الحوادث الفاصلة في
تاريخه فقد فروا على دولة بنى ذيري الصنهاجيين في تونس وعلى دولة ابناء
صومتهم بنى حاد في المغرب الاوسط - الجزائر - وانتقطعت نتيجة لفارتهم
هذه الصلات السياسية بين المغرب وبين الشرق ، واتجه المغرب بعد ذلك
وجهة خاصة مقتضاً عن بقية المجموعة الاسلامية بما كان له أسوأ الانزـ
على مصير المغرب والأندلس - ايضاً - في اواخر العصور الوسطى ^(١) .

(١) راجع هامش تاريخ العدن الاسلامي ج ٤ من ٥٣ ط القاهرة ١٩٥٨ م

أمم المواطن الفلاحية بالجزائر

كل ما في هذا الوطن من عرب هذه الملة يرجع نسبهم إلى أصول أربعة ، بني هلال ، بني سليم ، زغبة ، رياح ؛ وكانت مواطنهم الأصلية باللجان غربي نجد حول مكة والمدينة وبساط الطائف إلى جبل زغوان وبأرض قياد من نجد والبحرين واليمن . وكان انتقامهم لصر أيام ولاية عبيد الله بن الحجاج عليها ، ثم المجاز الكبير منهم إلى القراءمة أيام ظهورهم وتقلبهم على بلاد الشام ومصر في القرن الثالث المجري ؛ ثم بعد الفتح الشيعي للبلاد المصرية استقهم الخليفة العزيز بلاد الصعيد وازدهرهم بالمدورة الشرقية تجاه مصر القلزم - البحر الاحمر - فأقاموا هناك يعيشون على البداوة والخشونة . ويعرفون على طبيعتهم في السلب والنهب فحصلت منهم أضرار كثيرة في البلاد إلى سنة ٤٤٢ - ١٠٥١ م فانتقلوا من بلاد النيل إلى المغرب فسكنوه وترعرع عنهم فروع كثيرة وبطون عديدة انتشرت بأرجاء الشمال الأفريقي وأمتدت بأعده امتداج الماء بالماء حتى كدت لا تفرق اليوم بين العربي والمسمين .

فنتهم بعالة الجزائر : قبائل الشاعية والمعقل وهم بهول متيبة ؛ وعيبد وعمراؤة حول بلاد جرجرة ؛ وأولاد ماغي وسليان حول مدينة سور الفزان ؛ وجندل والعطاف حول جنوب مليانة ونواحي المدينة ، وأولاد نائل في نواحي الصحراء ، وزغبة بين مصاب وجبل راشد .

وبعالة وهران : يتو عامر وهم ما بين مدینتي وهران وتنisan ، والغرابة هم ببنك التواحي أيضاً ، والمجاهر قرب مستقلم ، وصهيب قرب الاصنام ، والجماعرة وأولاد خالد وأولاد الشريف ما بين الساحل وفرندة وسعيدة .

وبعالة قسنطينة : الخادمة وأولاد جلال ، وأولاد سعيد في الضاحية العليا والصحراء ومنهم عتبة بنواحي بجاية ، ورياح بنواحي قسنطينة والمسيلة والزاب الخ ... ولقد حصلت لهؤلاء العرب رئاسة وزعامة بهذه الأوطان فاندجعوا فيها وأصبحوا يدافعون عنها دفاع الأسد عن الغرين .

وقفة البلاط الصنهاجي وثراء الجزائر

لا ادل على الحقائق التاريخية ولا اثبت للجنة من ذكر الموارد والواقع مجرد استنتاج منها الباحث والمطلع عليها بنفسه الحكم على العصر الذي جرت فيه تلك الموارد ؟ وما نحن نقدم له اسناداً صحيحة واقعية كبرهان قاطع يوضع لنا مبلغ ما وصلت اليه هذه الدولة الزيرية من الرفاعة والبداع وما بلفت اليه الرعية من الثراء والغنى .

قال صاحب البيان المغرب في سياق الحديث عن وقائع حاد ضد باديس سنة ٤٠٢ - ١٠١٦ م : ان الناس اخذوا من غنائم حاد وامواله ما لا يحصى عدداً وكثرة ، ووجد رفعتان فيها ان الذي عند القائد فلان صندوق فيه خسون الف دينار وسبعيناً ، ومن الورق الف الف وخمسمائة درهم ، ومن الامممة خسون صندوقاً ، غير ما كان في بيت حاد وخزانته .

قال ابو اسحاق وجد رجل بين يديه يغل بسوقة ، ففتحه بعض الوضقان بين ايدينا ، فوجد في حشو بردعه وصوفها غانية آلاف دينار ، ومثل هذا ما لا يحصى كثرة وذكروا ان اعتشار بعض اعمال الساحل بناحية صفاقس كان خسيراً او غانية الف قفيز^(١) وأن مداخل مدينة بوة عتابة - عشرون الف دينار غير جيابة بيت المال^(٢) واهدى المنصور بن يلكين الى الخليفة تزار العبيدي بضر هدية قيمتها الف الف دينار .

وفي سنة ٤١٥ - ١٠٢٤ م وقف شرف الدولة المعز بن باديس لمدينة صندل والى بسكرة ففرضت عليه ، فاذا هي ثلاثة حسان ، ومائة فرس انتى ، وبغلات منها عشرون بالسرور الحلاة وعيده وماة حل من المال ، فخلع عليه وجدد له الولادة على بسكرة ، وبلفت عطية عامل باقياً مائة حل من المال ، واعطى باديس الى فللوں بن مسعود الزنافي صاحب طبة ثلاثين حللاً من المال وثمانين تحفناً من الثياب وعشرة

(١) هو ما يعادل ١٦ معاً ويکاد يعادل ما يزيد قليلاً على ٤٠٦٦ دهلاً من الفتح .

(٢) البكري ص ٤٤ ط الجزائر ١٨٨٧ م .

بنود مذهبة ، ومراتب بالبروج الخلاة وكانت متنة المعر بن باديس للمنتصر بن خزرون الزناني مائة الف دينار . ولما ذكر ابن خلدون رفاهية بلاط الصنهاجيين قال : انهم كانوا اذا أجازوا الوفد من ابراء زنانة الوفدين عليهم فاما يعطونهم المال احالاً والكساء تحيطاً بلوحة والملحق جنائب عديدة^(١) ... وقد لا يخلو كلام ابن خلدون هذا من مبالغة ؟ ...

وجرت بين المعر بن باديس والظاهر لإعزاز دين الله هبات جليلة وكان فيها اهداء المعر الى الظاهر سنة عشرين وأربعينه (١٠٣٩ م) : ثلاثة أرونس من جياد الحيل الشتبة ، منها كيت بسرج ذهب صياغة المغرب ، وزن ذهبه قطار ، وأشرف سرجه لولو ، وأدهم سرجه فضة بياض وزن مائة قطار ، وتلاتة آلاف متاز عران ، وخسون درقة موسيقية مقتاة بدبياج ، وألف وخسأة نوب من الران الخ المغربي الملبس ، وأربعينه غفارة من رفع الطلاقان ، ومن الرماح الزان ما لا يعد كثرة ، ومن الصناديق والاقفال المبلولة سيرفا ، وغيرها مثل ذلك ، ومن الثياب الصقلية والثياب السومي والفرخات والعبائم الصقلية عدة الوف ، وعشرون جارية لم يرب أحسن قدوداً ووجوهاً وألواناً وأجساماً منها ، وممهن جارية تفوقهن مفردة حسناً وكلاً ، وعلى هؤدن حقائق فضة ، وأئنا عشر صقلية بيض صيان حان الوجه والقدود ، وعشرون خادماً من ملاع السودان صياناً ، وفي جلة المدينة ألف قطار شمعاً . وجلس الظاهر لاقبال رسول المعر على السرير الكبير المذهب وقرىء كتابه وعرضت عليه هديته ، وقد كان ذلك في يوم الاحد لثمان خلون من شهر شوال (١٠٣٩ - ٤٣٠ م) . ولقد انفذ اليه الظاهر كذلك هدية فيها من غرائب الطرف والتلحف التقيبة ما لا يجد ...

وفي سنة أربع وعشرين وأربعينه (١٠٣٢ م) أهداء المعر أيضاً أربعة سباع أعظم ما يمكنون منها وأهولها ، وعشرين كلباً سلوفية ، وعدة ثور ، وشمعاً كثيراً ، ومتاعاً جماً من ثياب خز وسوسي وصقلية ،

(١) المقدمة ص ٩٧ ط بولاق ١٢٧٤ م

وزعران ، وعيده من خدم يض وسود ورقيق رائع وغير ذلك ؛ كما انه أهدى كذلك الى المستنصر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٥ م) هدية جليلة قومنت بأربعين الف دينار ، من جلتها ورقة مكبلة بالجلوهر كانت للمهدي بالله بالقرب^(١) .

روا ما اروع يوم زواج ام العلو بنت باديس بعبدالله بن حماد وما اجمل الايوان ایام ذلك العرس وما ابهى موكب زفاف العروس ! فانه لما كان يوم الاربعاء غرة شaban ٤١٥ هـ ٨ اكتوبر ١٠٤٤ م زين الايوان العظيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ام العلو ، ودخل الناس خاصة وعامة فنظروا من صرف الجواهر والاسلاك والامتنعة النبوة واولي الذهب والفضة ما لم يعلم منه ولا سمع لاحد من الملوك قبله ، قال ابو اسحاق الرقيق : فبهر عيون الحلق حال ما عاينوه ، واجتهم عظيم ما شاهدوه ، وحمل المهر في عشرة احوال على عشرة بغال ، وعلى كل حل جارية حسنة ، وجلته مائة الف دينار عينا ، وذكر بعض الحذاق من التجار انه قوم ما هو لها فكان ما يزيد على الف الف دينار ، ولم ير مثل هذا لامرأة قبلها بافريقية .

وزفت العروس يوم الخميس ومضى بين يديها عبد اخيها شرف الدولة المفر ، وابيها نصير الدولة باديس ، وجدتها عدة العزيز بالله ، ووجهه رجال الدولة ، فكان يوماً سارت الركبان بمحاسن آثاره وعجبت الناس لمحابي اخباره ؛ وقل مثل ذلك في ماقهم ايضاً فانها كانت لا تقل عن افراجهم في مظاهر الابهة والبذل .

فانه لما توفيت زوجة نصير الدولة باديس سنة ٤١١ هـ ١٠٢٠ م جهزت فيما لم يذكر ان ملكاً من ملوك الارض جهز في منه الا ما كان من ملوك الفراعنة بصرى ... فقد روى المؤرخون عن من حضر المبازة ان قبة جهاز التكفين بلغت مائة الف دينار ، من غير التأبوت الذي

(١) الدخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير من الزبير ص ٦٨ - ٧٣ - ٧٦ ط الكويت ١٩٥٩ م .

جعلت فيه فهر من عود هندي مرصع بالجلواهير ومقانع الذهب وقدر
مبلغ قيمة مساميره الذهبية بـ «دينار»، وجعل عليه عشرون سبعة من
نفيس الجواهر، وذبحت مائة بقرة وخسون ناقة، والف ثانية، وفرق
على الناس عشرة آلاف دينار ! .

هذه صورة مصفرة ل بلاط ملكه دولة صنهاجة وما كان عليه حال
الناس يومئذ من الببر والبذخ والرفاقيه سقاوه كتصدق لقول ابن
خالدون عن ملك هذه الدولة : كان ملکكم اضمون ملك عرف البربر في
افريقيه واترقه وابذخه .

التقافة والحضارة والعمارة

من القواعد المقررة لمعرفة حيوية المجتمع وحركته الصناعية والاقتصادية ،
النظر الى منشأة ومؤسسة العمارة ، فانتا اذا نظرنا الى ذلك في هذا
العصر وجدنا حركة البناء والتعبير مطردة في تاريخ هذه الدولة ، اذا ما
كان انشاء مدينة آشير ٩٣٦ - ٥٣٤ م الا على يد ذيزي بن مناد
رأس الامرة المالكة ، وقد كان فيها من الدور والقصور والمنازل
والحمامات والمساجد ما حل الكثير من السادة والاعيان والعلماء والادباء
على الانتقال اليها فاستقر عمرانها وضربت السكة بها ، وكذلك مدينة
القلعة المشهورة التي وصفها صاحب « الاستمار » يقوله « ولبني حماد بالقلعة :
مبان عظيمة وقصور منيعة مبنية البناء عالية السناء منها قصر يسمى بدار
البحر فوضع في وسطه صهريج عظيم - يبلغ طوله ٦٦ متراً ، تلب
فيه الزوارق يدخله ماء كثيف من ماء مخلوب على بعد ، وهذا القصر
مشرف على نهر كبير وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف
وفي قصور غير هذا ومبان عجيبة وفيها آثار للأوائل عجيبة (١) . وبعدها
ابن خالدون عن العمارة والحضارة بالقلعة فيقول : « وتم بناؤها وقصورها
على رأس الملاية الرابعة » وشيد - حماد من بنيتها واستكثروا فيها من

(١) الاستمار من ٥٦ طينا ١٨٠٢ م .

المساجد والفنادق فامتنع في العماره وانسعت بالشدن ، ورحل اليها من الغور والقصبة والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لتفاق اسوق المارف والحرف والصنائع بها^{١١} وقد مر بك قريباً ما حكاه الاذيس عن هذه المدينة الخالفة . وكذلك مدینتنا المدينه ومليانة فاما كانتا بفضل بلکین بن ذيري فانه هو الذي انشأهما بامر والده سنة ٥٣٦ - ٩٦٦ م وعاصمه الجزائر كذلك سنة ٩٧٣ - ٥٣٢ م . وان لم تكن هذه المدينة مجهولة من قبل اذ هي مشهورة في المافي باسم (جزائر بنى مزعني) المقادمة على اقاض (ايكتوسيم) العقبة ولكن قصیرها كان على يد هذا الملك ، قال ابن خلدون : « وهذه المدن مليانة والمدينه والجزائر - لهذا العهد من اعظم مدي المغارب الاوسط » وضبط لنا ابن خلدون اسم المدينه فقال : هو بفتح اللام والميم وتشديد الياء وفاء النسب قال وهو حصن يسمى باهل وهم بطن من بطون منهاجة . وهذا من غير ما اشاده الدولة ببلاد تونس وغيرها من اسباب الخطارة والعمران . ويدرك ان من بقايا آثار هذه الدولة بالجزائر ذلك الباب الشهي الموجود الى الان بضريح سيدى عقبة بجوز بسكرة ، اما منهنة الزراعة والفلاحة فانها رائجة يومئذ بسبب التعامل التجاري الذي كان يجري مع الخارج فعم الرخاه وايسر الناس » وبلغ دخل الدولة من موارد التجارة فقط نحو ستة ملايين فرنكـاً ذهباً ستونياً ، وعن اقتصادات البلاد وحركة الاتاح الزراعي والصناعي وتنمية الماشية قالـكـ قـصـتهـ كـماـ يـروـيـ لـناـ شـاهـدـ عـيـانـ عـاصـرـ لـهـذـهـ الدـوـلـةـ الـتـيـ نـؤـرـخـهاـ وـقـدـ وـطـتـ اـقـدـامـهـ هـذـهـ الـأـرـضـ عـلـىـ عـهـدـ عـاـهـلـ صـنـاهـةـ (بلکین بن ذيري) ، ذلك هو الحالـةـ الـجـمـعـانـيـ الكـبـيرـ اـبـنـ حـوـقـلـ ، فـأـنـصـتـ الـهـيـ فيـ حـدـبـهـ عـنـ مـدـيـنـةـ الـجـزـائـرـ قـالـ ... (وـجـزـائـرـ بنـيـ موـغـنـايـ مـدـيـنـةـ عـلـيـهـ سـوـرـ عـلـىـ سـيـفـ الـبـحـرـ ايـضاـ وـفـيـهاـ اـسـوـاقـ كـثـيرـةـ وـلـهـ عـيـونـ عـلـىـ الـبـعـرـ طـيـةـ وـشـرـبـهـ مـنـهـ وـهـاـ بـادـيـةـ كـبـيرـةـ وـجـيـالـ فـيـهاـ مـنـ الـبـرـبـرـ كـثـيرـةـ وـاـكـثـرـ اـمـوـالـهـ الـمـاـشـيـ منـ

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ١٧١

البقر والغنم سائفة في الجبال ولم من العمل ما يجهز عنهم والبن ما يجهز ويصلب الى القبروان وغيرها .

ويذكر لنا مدينة وهران فيقول : « فيها من جميع الفواكه وفي حاضرها دفقة وحذق وفيهم حبة مع الغريب وهي فحة الاندلس إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال .

وينتقل بنا الى مدينة بورقة ويذكر لنا عن اسواقها فيقول عنها : انها حسنة وان تجاراتها مقصودة وارباحها متوسطة وفيها خصب وشخص موصوف وفواكه وبساقين قوية واكثر فواكهها من باديتها والقمع بها والشمير في أكثر اوقاتها كما لا قدر له ، وبها معادن حديد كثيرة الغزير الكثير ويزدزع بها الكثبان ولها عامل قائم بنفسه ومهما من البرير عسکر لا ينزل كالرابطة ، ومن تجاراتها الفنم والمصوف واللماشية من الدواب وسائر الكفراء وبها من العمل والخمر والمراث ما تؤيد به على ما دانها من البلاد الجاورة لها ، وأكثر سوانحهم البقر ولم اقليم واسع وبادية وحوارة بها نتاج كثير وقل من بها تقوته الحيل السائفة للنجاح ، ونحن نعلم ان أكثر التجار بها هم من بلاد الاندلس .

وها نحن في مرسى المحرز ، ودائماً في الاستئناع الى ابن حوقل ، فهو يحدتنا الان عن النشاط الاقتصادي البحري في هذا الميناء قائلاً : « فيه معدن المرجان ... ولا اعرف في شيء من البخار له نظيراً في الجودة ... وللتجار بها اموال كثيرة من اقطار التواحي عند محاصرة وقوف لبعض الرجال وشرائهم » ، ويعمل بها في أكثر الاوقات في ادارة الرجال المحسون قارباً ، وما زاد على ذلك بما في القارب المشرون وجلاً الى ما زاد ونقص » .

وبناء على ابن حوقل حديثه عن اهم مراسي الجزائر فينتقلنا معه الى مرسى الدجاج قال قائلاً : « وبها من رخص الاسعار ايضاً في الفواكه والمالكل والمطاعم والقمع والشمير والالبان واللواني ما يعرف غيرهم من مجاورهم ، وبها من الاشجار والتمر والبن خاصة العظيم الجسم ما يحمل منه الى البلاد الثانية

عنه ... » ويدرك مدينة « برشك » فيقول : « ان بها فواكه حسنة غزيرة وسفرجل معنق كالقرع الصغار وهو طريف واعتاب الفالب على اهلها البربر ولما باهية يشارون العسل من الشجر والاججاج لكتورة التحل بالبلد وأكثر أموالهم الماشية ولم من الزرع والخنطة والشعيـر ما يزيد عن حاجاتهم » ...

ثم بعد ما ينتهي ابن حوقل من وصف مدينة « نفس » ووضـها المغرافـي وبين لنا شكلـها وعندـتها يـنطلق بـنا إـلى أـسوانـها ويـقول « ... وهي أـكبر المـدن الـتي يـتـبعـى إـليـا الـأنـدـلـسيـون بـراـكـبـهم ويـقصـدـونـها بـتـاجـرـهم وـيـنـهـضـونـهـا إـلـى مـا سـواـهـا » ... وبـها فـواـكـهـ حـسـنةـ وهـيـ منـ الحـصـبـ فيـ جـمـيعـ الـوـجـوهـ الرـفـقةـ بـأـسـرـ مـسـتقـاضـ وـبـهاـ منـ الـفـواـكـهـ وـالـسـفـرـجـلـ المـفـقـدـ مـاـلـاـ أـزـالـ اـحـكـيـهـ طـسـنـهـ وـنـعـتـهـ وـحـلاـوـتـهـ وـطـيـبـ رـائـحـتـهـ كـمـجـدـنـاـ عـنـ النـاجـمـ بـلـدةـ بـجاـةـ وـمـاـ اـحـتـوتـ عـلـيـهـ مـنـ الـحـيـرـاتـ فيـقـولـ : « وـبـهاـ مـعـادـنـ حـدـيدـ وـفـتـةـ وـمـنـهـ الـجـارـةـ الـجـلـوـيـةـ الـمـطـاعـنـ بـجـمـيعـ الـقـرـبـ ... وهـيـ كـثـيرـةـ الـزـغـرانـ وـالـزـرـعـ ، وـلـمـ وـادـيـ غـزـيرـ الـمـاءـ يـزـرـعـونـ عـلـيـهـ وـاسـوـاقـ صـالـحةـ » .

ويـنـتـلـلـ بـناـ إـلـىـ الـحـدـيـثـ عـنـ مـدـيـنـةـ الـمـسـيـةـ وـيـذـكـرـ لـنـاـ مـنـ تـارـيخـ اـنـشـائـهـ وـأـنـهـ بـاـسـتـعـدـهـ عـلـيـ بـنـ الـأـنـدـلـسـيـ كـمـرـتـ بـنـاـ الاـشـارـةـ إـلـىـ ذـلـكـ . وـيـصـفـ لـنـاـ تـدـفـقـ مـيـاهـ وـادـيـهـ « سـهـرـ » وـيـتـعرـضـ لـمـتـوجـانـهـ الـزـرـاعـيـةـ وـتـرـيـةـ الـمـوـاشـيـ بـهـاـ ثـمـ يـقـولـ : وـلـمـ عـلـيـهـ - وـادـيـ سـهـرـ - كـرـومـ وـأـجـنـةـ كـثـيرـةـ تـرـيـدـ عـلـىـ كـفـائـهـ وـحـاجـتـهـ ، وـلـمـ مـنـ السـفـرـجـلـ المـفـقـدـ مـاـ يـحـمـلـ الـقـيـرـوانـ وـأـصـلـهـ مـنـ قـتـسـ وـمـنـ غـلـاثـتـمـ الـقـطـنـ وـالـخـنـطـةـ وـالـشـعـيـرـ وـتـكـثـرـ عـنـدـمـ الـمـوـاشـيـ مـنـ الدـوـابـ وـالـأـنـعـامـ وـالـبـقـرـ ... » وـيـلـاحـظـ عـلـىـ سـيـرـ النـشـاطـ التجـارـيـ بـعـدـيـةـ تـهـرـتـ بـعـدـ انـ يـفـرـقـ لـنـاـ بـيـنـ تـاهـرـتـ الـقـدـيـمةـ وـتـاهـرـتـ الـجـدـيـدةـ يـقـيـدـهـ بـأـنـ الـتـجـارـةـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ الـجـدـيـدةـ هـيـ أـكـثـرـ رـوـاجـاـ مـنـ لـنـهـاـ الـقـدـيـمةـ وـيـقـولـ : وـلـمـ بـهـ مـيـاهـ كـثـيرـةـ تـدـخلـ عـلـىـ أـكـثـرـ دـوـرـمـ وـاـشـعـارـ وـبـسـاتـينـ وـحـامـاتـ وـخـانـاتـ وـهـيـ أـحـدـ مـعـادـنـ الدـوـابـ وـالـمـاـشـيـةـ وـالـقـفـمـ وـالـبـيـالـ وـالـبـرـاـفـينـ الـفـرـاهـيـةـ ، وـيـكـثـرـ عـنـدـمـ الـعـسـلـ وـالـسـنـ وـخـرـوبـ الـنـلـاتـ » . وـيـذـكـرـ مـدـيـنـةـ « نـقـاوـسـ »

بأنها مدينة كبيرة عليها سور من حجارة قديمة أزلية ولها مياه كثيرة وأجنحة عظيمة وبها جميع الفواكه كاللوز والجوز والكرز وذر عليهم غزير كثير .
ويحيل لنا ابن حوقل القول عن كل صادرات المغرب الإسلامي وما يحمل منه إلى المشرق فيقول : « واما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الروقة كالملي استولدنهن بنو العباس وغيرهم وأكابر وجالهم وولدن غير سلطان عظيم » كسلامة البربرية لم أي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وفراطيس لم أي جعفر هارون الراشقي ابن المعتصم ، وقتل لم أي منصور محمد القاهر بن المعتصم وغير من ذكرت من ملوك المشرق وأمراءه . والفلمان الروقة الروم والعنبر واللبيس والأكية الصوف الرقيقة والدينية إلى جياب الصرف وما يحمل منه ، والانتاج الجديد والرخيص والزائق والخدم الجلوبيون من بلاد السودان والخدم الجلوبيون من أرض الصقالبة على الأندلس لهم الخيل النفيسة من البرازين وبالبغال الغرة والإبل والنغم وما لديهم من ماشية البقر وبجميع الحيوان الرخيص .

فاما اسماعيلهم على تناهى مذهبهم وديارهم فعلى غابة الشخص في الأطعمة والاغذية والامبرية والمعان والادهان ولم من جيد الفواكه والتمور والارطاب وسائر الاغذية . وعندم من المجال الكثيرة في برادهم وسكنان صغارهم التي لا تدانها في الكثرة « اجل العرب » .

ويعرض ابن حوقل لثورة البلاد المالية في دروس احوالها عن كتب ويقيدها بنتيجة درسه للأموال بالجزائر على عهده فيقول مثلاً عن مدينة نفس « ان لسلطانها وجده من الأموال كثيرة المراج والجزولي والصدقات والاعشار ، ومراصد على المتأجر الداخلة إليها والخارجية والصادرة والواردة وما باديه من البرير كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة) وعن أهل المسية يقول : « وعلهم صدقات وخرج بمصير » .

وأطال النفس قليلاً في كلامه عن النشاط المالي بالنسبة إلى مدينة سجلماسة فقال : « واهلها قوم سرات ميسير » بيايتون أهل المغرب في

النظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجهاز واستعمال للبرودة وسماحة
 ورجاحة ، وأبنيتها كأبنية الكوفة الى أبواب رفيعة على قصور مشيدة
 عالية ... وسكنها اهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين
 كانوا يقطنون ذلك الطريق فهم او لا دهم وتجارتهم دائرة ومقدارتهم دائرة
 وقوافلهم غير منقطعة الى آرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابقة قل
 ما يدانيها التجار بلاد الاسلام سعة حال ، ولقد رأيت صحفاً كتب
 بدين على محمد بن أبي سعدون من تجارة « اوادغشت » وشهد عليه الدول
 باثنين وأربعين الف دينار ... قال : وما رأيت ولا سمعت بالشرق
 لهذه الحكمة شهباً ولا نظيراً ولقد حكيمتها بالعراق وفارس وخراسان
 فاستطرفت ولم يزل المعتز ايام ولايتها وهو اميرها يحيطها من قوافل
 خارجة الى بلد السودان وعشر وخرج وقوافل فدية على ما يباع
 وبشتري من ايل وغم وبقر الى ما يخرج عنها وبدخلها من نواحي
 افريقيا وفاس والأندلس والسوس والاغوات الى غير ذلك بما على دار
 الضرب والسلكة زهاء اربعين مائة الف دينار يختص بها وبعملها ، وقد
 ذكرت ان ارتفاع المقرب من اوله الى اخره من ثمان مائة الف دينار
 الى ما زاد على ذلك يسير ... قال وسائل ارباب المدن درونم في اليسار
 وسعة الحال^(١) واستمر الحال على ذلك الى ايام الزحف الهنلالي حيث
 استندت الازمة بالناس وخلفهم من الشرر كثير .

وأشار المزف يومئذ كانت صناعة استخراج المرجان من بحر بونة
 ومرسى الحرز - القالة - فكان العمل في ذلك لا ينقطع ليل نهار
 والتجمارة فيه رائحة وبالاخص ما كان يصدر منه الى الهند والصين ، كما
 استهرت يومئذ صناعة الاسلحة والاحدوات الحربية ، فقد كانت المصانع المغربية
 تنتج منها في المدة القوية ما يعجز عنه غيرها في الزمن المديد .

(١) الملك والملك لابن حوقل ج ١ ص ٦١ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٤ - ٨٥ - ٩١ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ ط بيدن ١٩٣٨ م والبكتوري
 س ٥٥ ط الجزائر ١٨٥٧ م

ومما يدلّك على انتشار المحرف والصناعات وانطلاق أيدي الناس فيها
سرعة خرب السكة وسهولة أمرها على كل قائم بدعوة أو ثالث على
المملوكة ؟ فقد كان لا يفهم الكتامي النازح عملة مضروبة باسمه ؛ ولا يفهم
الفرج النازح ميلة وسطيف كذلك ، والخير بن محمد بن خزر المغراوي
أيضاً ، وليد وابن يعلى البكري الخ ... فكل ذلك يدلّك على فشو
الصناعات والفتون ، ويكتفي في تصور مبلغ المستوى الثقافي وانتشار العلم
والادب يومئذ ، اجتماع مائة شاعر على باب المعرج بن باديس وتبوغ أمثال
الحكيم ابن عمرون الوهرياني وابن دشيق المسملي والداودي اللذاني الخ ...
ومن ضمن الشعراء المائة الذين كانوا يتزدرون على القصر ، الشاعر
أبو إسحاق الرفقي القائل في وقائع سلف - بالجزائر :

لم أنس يوماً بشف راع منظره وقد تضائق فيه ملقي الحدق
والجبل قمير بالقامات خائفة من سافع الدم مجرى قانيه الفلق
والبيض في ظلمات التقع بارقة مثل النجوم نهادت في درجى الفرق
وقد بدا مهلاً باديس مشهراً كالشمس في الجمر لا يخفى على الحدق
وان راحته لو فاض نائهم وبأسها في الودى اشتفوا على الفرق
تجلو عمامته المهراء غرته كأنه قبر في حرة الثفق
لو صور الموت شخصاً ثم قيل له أبو مناد تبدى ، مات من فرق

ولاية الميزان وزعاقها

كانت رئاسة قبيلة مغراوة الزناتية لبني يعلى بن محمد النجزي ، وتوارثها
كذلك بنو عطية بن عبد الله بن خزر ، وبنو فلقول بن خزر ، الى ان
انتصر عليهم بلکين الصنهاجي فأخرجهم من مراطفهم هذه الى سبتة ؛
 واستعمل على حروبه بني ومانو وبني يلوسي ، وهما من أشد القبائل
الزناتية الجزائرية شوكاً وأوغرها بطناناً ، وكان على ولاية تيهرت أيام
المتصور بن بلکين آخره أبو البهار ، وعلى آشير آخره يطوفت وتولى

يطوفت أيضاً على ولاية تهرت ثم ابنه أبوب ، وعقد المتصور لاحقاً
حاد على ولاية آشير والمسيلة ؛ وزاده المز عمل طينة والزاب وناشرت
وأطلق يده في جميع ما يمتلكه من البلاد ؛ وكان سعيد بن خزرون واليَا
على طينة سنة ٩٣١ - ٩٩١ م ثم بعده ولده فلقول ، وابن أبي حل
كذلك كان واليَا بطينة أيام باديس ، وكانت رئاسة قبيلة توجين - بنواحي
سلف - لعطية بن دلفن وبدر بن أهمان بن المعتز ، وكانت طينة والمسيلة
ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حزة وزواوة لقائد بن حاد ومتيبة لقائد
يوسف بن أبي محمد ، وولاية باغية وبسكرة لضندل ، وأعمال الزاب
لأبي سعيد خليفة اليفري . وكانت مشيخة بسكرة في بني رمان بلغر
بن أبي رمان منهم صيت وشهرة .



أمراء الدولة الزيرية - الصنهاجية

تاریخ التولیة

٩٤١ = ٥٣٦١ م	بلکین بن ذیری بن مناد الصنهاجی
٩٨٤ = ٥٣٧٣ م	أبو الفتح المنصور بن بلکین
٩٩٦ = ٥٣٨٦ م	أبو مناد بادیس بن المنصور
١٠١٦ = ٥٤٠٦ م	العز بن بادیس
توفي العز سنة ٤٥٤ - ١٠٦٣ م ودفن حيث مدفن آباءه برباط المستير - تونس .	

مَشَاهِيرُ الْجَزَائِرِ

الحسن بن رشيق

٤٦٣ - ٣٨٥

٩٩٥ - ١٠٧١ م

أبو علي الحسن بن رشيق أحد أئمة الأدب العربي ومحفظة من مفاخر الجزائر، ولد بـمدينة الميلة^(١) سنة ٩٩٥ - ٣٨٥ ونشأ بها متادباً وتعلم صناعة الصياغة على والده ويوز في فنون الأدب والفقه والحديث والتاريخ، ولما بلغ احدى وعشرين سنة من عمره ارتحل من بلده لقاء الشيوخ بالقيروان فنزل بعاصمة الشمال الأفريقي سنة ٤٠٦ - ١٠١٥ م ولقي بها عبید علام الفقه والأدب الشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر الفراز، وعبد الكريم النهشلي وغيرها من العلماء ومشيخة القيروان فلازم مجالسهم حتى اشتهر فضله وذاع صيته في الأوساط العلمية والأدبية فاختاره المعز يومئذ لبلطه وقربه إليه فسكن بصحبه إلى وفاته، فاتحق ابن رشيق يومئذ بولده الأمير نعيم ولم يزول مقربياً نديه إلى أن كانت الملة الملاية فانتقل المترجم إلى حلقة فسكن مدينة «مارثة» إلى أن وافاه أجله بها سنة ٤٦٣ - ١٠٧١ م تاركاً وراءه ثروة أدبية ضخمة وتراثاً علمياً عظيماً.

(١) ولتسى المدينة نسبة إلى مؤسسها ابن القاسم محمد بن عبید الله المهدى الناطص، راجع تاريخ انتشارها غالباً فمدحناه من كلامنا في تاريخ دولة بنى عبید الناطصين.

ومن أشهر مؤلفاته كتابه **الجليل** ، **المددة** ، وهو يبحث في صناعة الشعر وفنونه وتقنه وعيوبه فهو أجمل كتاب وضع في هذا الفن ، قال ابن خلدون : أن كتاب **المددة** هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصنعة وأعطها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده منه . وهو مطبوع بالقاهرة في جزئين . وله كذلك كتاب **قراءة الذهب** في نقد المعاو
العرب ، وكتاب **الشذوذ** في اللغة و **انتوج الزمان** في شعراء
القىروان ، و **ميزان العمل** في تاريخ الدول ، و **تاريخ القىروان** ،
و **الروضة المؤشية** في شعراء المهدية ، ورسالة **نجم الطلب** ، ورسالة
قطع الانفاس ، ورسالة **رفع الاشكال** ، و **المساوي** ، في المرفات
الشعرية ، وشرح موطا الامام مالك وله ديوان شعر ورسائل أخرى
عديدة ، قال الصلاح الصدي في كتابه الوافي بالوفيات : وقد وقعت
على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدها تدل على تبحره
في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقاء لمواد هذا الفن وتبحره في
النقد ؟ ومن شعره قوله في مدح الشعر :

ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها
بحكم في طافة
حل عقوه الحبج
كم نظرة حنها
رحم رقة بردها
عن قلب صب منضج
ورحمة أوقهها
في قلب قاس حرج
شاعر مطرح
ملق بباب الفرج
قربه لسانه
من ملك مشوش
فعدوا أولادكم
عقار طب المهج

والله رحمة الله يعزى ابتكار سبعه وثلاثين نوعاً من انواع في البديع
ولاطول مكت ابن رشيق في بلاط ملوك صناعة بالقىروان اشهر وعرف
بين الادباء بالقىروانى والا فهو جزارى **مسيلى** ، ولادة ومنشأ .

أبو العباس أحمد الباغي

٤٠١ - ٣٤٥

م ٩٥٦ - ١٠١١

هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الريسي الباغي المقرئ ، كان من أهل العلم والفهم والذكاء ، ذكره ياقوت الحموي في مسجيه فقال : كان لا نظير له في علوم القرآن على مذهب مالك ، مولده بجدينه باغية ، سنة ٩٥٦ هـ ٣٤٥ م ودخل الاندلس سنة ٩٨٦ هـ ٣٧٦ م وقدم القراء بالمسجد الجامع بقرطبة واستأنفه المتصرد محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن ثم عتب عليه فاقصاه ثم رفاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولة الثانية إلى خطه الشورى بقرطبة مكان أبي عمر الأشبيلي الفقيه وارتحل إلى الشرق فكان في حين روى عنهم من علماء الامصار ؛ أبو الطيب بن غلبون وأبو بكر الأدفوي روى عنها بصر . وكانت وفاته رحمه الله لأحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٤٠١ هـ ١٦ جوان ١٠١١ م .

ابن عمرون الوهراني

هو الحكمي الرضاي والعالم النقة ابو محمد عبد الله بن يونس بن طلحة بن هرون الوهراني أحد شيوخ العلم والحكمة له رواية واسعة عن شيخ افربقية كأبي محمد بن أبي زيد وغيره من كبار علماء عصره ، متضمناً في علوم الحساب والطب نافذ البصر فيها ماهراً في المعالجة ومداواة ما استعصى من العلل والآراث سافر إلى الاندلس في تجارة له سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م فسكن أشبيلية عام السيل الكبير ، حدث عنه ابن خزرج وقال انه قارب الخامسة في عمره وترجم له ابن بشكتوال ولم يذكر تاريخ وفاته .

احمد الداودي

١٠١١ - ٤٠٢ هـ

هو شيخ الاسلام وامام علماء الشرعية المجتهدن الشيخ ابو جعفر احمد بن نصر الداودي التلمساني ، اصله من مدينة المسية وقيل من بسكرة وسكن طرابلس الغرب طليباً للعلم ثم نزل تلمسان فاقام بها الى وفاته وبها ألف كتابه الذي حاز به الفضل على غيره من جميع من تقدمه او تأخر عنه من علماء الاسلام ، الا وهو شرحه لاصحاح الامام البخاري المسمى بالنصحة ، فانه اول شرح وقع لهذا الكتاب الجليل اذ لم يسبقه غيره مطلقاً الى هذا الفضل ، وله كتب جلية اخرى في الحديث والفقه كثيرة اهمها بعد شرحه على البخاري ، كتاب النامي شرح به موطأ مالك ، وكتاب الراعي في الفقه ، والايضاح في الرد على القدرية الخ وله من التلاميذ والمربيين كثير منهم ابو بكر بن محمد بن ابي زيد ، وعبد الملك البويني وغيرهما . توفي رحمه الله بتلمسان القديمة سنة ٤٠٢ هـ - ١٠١١ م ودفن شرقى باب العقبة ، وضريحه مشهور بها ، ويقول ابو دايس المكري ان وفاته كانت في آخر القرن الرابع ، وذكره الشريف المطبي في نوازله وقال عنه انه توفي بتلسان سنة ٤٤٢ هـ - ١٠٥٠ م وعده ابن فرحيون من اهل الطبقة السابعة .

جَسْدَرَلْ تَارِخِي

٣٦١ - ٤٤٢ = ١٠٥١ م ٩٧٢ - ٩٧٤

تأريخ الحوادث	أهم الحوادث وأبرز الأحداث
٩٧٢ م = ٤٣٦١	تولية الامير بلکین على المغرب العربي .
٩٧٤ م = ٤٣٦٣	زحف بلکین على المغرب الأوسط - الجزائر .
٩٨٠ م = ٤٣٦٩	القضاء على نوره زنانة .
٩٨٤ م = ٤٣٧٣	وفاة بلکین وولایة ابنه المنصور .
٩٨٩ م = ٤٣٧٨	القضاء على نوره أبي الفهم الكلامي وقتلها .
٩٨٩ م = ٤٣٧٩	خيبة أبي البهار في نورته بناهرت وولایة يطوفت عليها وحاج على آشير .
٩٩٠ م = ٤٣٨٠	استئصال كنامة .
٩٩١ م = ٤٣٨١	انتصار ذيري بن عطية على الجزائر وبته الدعوة الاموية .
٩٩٤ م = ٤٣٨٤	إنشاء مدينة وجدة .
٩٩٦ م = ٤٣٨٦	وفاة المنصور وولایة ولده باديس .
٩٩٩ م = ٤٣٨٩	سقوط أمال تبرت وقلسان بيد الخاچب الاموي .
١٠٠٥ م = ٤٣٩٥	استئصال زنانة على يد حماد .
١٠٠٩ م = ٤٤٠٠	تأسيس مدينة القلمة الحادية .
١٠١٧ م = ٤٤٠٧	اختلاف حماد على باديس ووفاة الامير وولایة ابنه المعز .
١٠٣٨ م = ٤٤٢٩	رد هبعات زنانة .
١٠٤١ م = ٤٤٣٢	حصار القلمة والافراج عنها - بعد ستين - وانفصال مملكة الجزائر عن ولاية افريقية .
١٠٤٣ م = ٤٤٣٥	رفض الدعوة الشيعية والتمكّن بذهب الامام مالك .
١٠٥١ م = ٤٤٤٢	الزحف الملاوي .

الدَّوْلَةُ الْأَحْمَادِيَّةُ

٤٠٥ - ٥٤٧

١٠١٤ - ١١٥٣ م

شأنها

هي ثانية دولة مسلمة جزائرية نظامية تأسست بهذه البلاد ، اثناها ذلك البطل الداعية مؤسس القاعدة حاد بن بلکبین بن زيري الصنهاجي ، فهي اختر دولة صنهاجة الشرقية غير أنها كانت متقدمة عن اختها في الاستقلال ورفض التشيخ والدعارة الى الخلافة العباسية ببغداد ، وذلك ما كان سبباً في نشوء ما تقدم ذكره من المرووب بين حاد وباديس ، ثم بين المرووب وجاد ، كما علته فيما ذكرناه من تاريخ دولة صنهاجة الزيرية ؛ واتسع الامر باستقلال حاد بملكة الجزائر سنة ٥٤٥ - ١٠١٤ م .

كان ابتداء ظهور شخصية حاد وتآلفها في عالم الحكم وميدان السياسة منذ سنة ٩٩٧ - ٦٣٨ م حيث ولاه الامير باديس اعمال الجزائر الشرقية وافتتح مدينة أمثير وزواجهها ومنعه لقب نائب الامير بتلك التواحي ، ولقد اظهر حاد في ولايته هذه مقدرة عظيمة في السياسة والبطولة الحربية وقيادة الجيش ، وخاصة أيام نورة الآخرين ماكسن وزادي سنة ٥٣٩ - ١٠٠٠ م . وفي قصائه على زنقة ٦٣٩ - ١٠٠٥ م فطاحت نفسه يومئذ لانشاء مملكة جزائرية مستقلة ، فأنشأ القاعدة سنة ٦٤٩٨ - ١٠٠٧ م واتم

تحصينها في عامين كما مر ييانه وملك بها منازعاً لباديس في حكم الجزائر فاستعجم بينها الثقاف إلى أن اظهر حاد الانفصال عن دولة باديس وتلخص البيعة سنة ٤٠٥ - ١٠١٤ م واعلن سلطته على الجزائر^٢ وانقسم يومئذ بنو زيري إلى فرقتين : فرقة بين حاد بالقلعة وفرقة بين باديس بالقيروان فكانت هنالك حروب وخطوب بين عاهلي صنهاجة وكان التصر فيها سجالاً ثم كانت المواجهة والصلح بينه وبين المز قسلاً مدة اربع وعشرين سنة، ثم تغير عليه المز سنة ٤٣٢ - ١٠٤٠ م فحاصره بالقلعة ثم عدل عنه وتركه لشأنه فتفرغ يومئذ حاد لاقامة دعائم ملكه وأشاشة سلطاته.

يقول لسان الدين بن الخطيب في وصف حاد هذا بأنه كان نسيج وحده ، وفريد عصره ، و فعل قومه ، ملكاً كبيراً ، وشبيعاً ثيناً ، وداعية حصيفاً ، وكان من أكمل الملوك^٣ ؛ فرأى الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدل . وحدثوا عنه انه قال ما تدري على احد قط ولا خدعني الا امرأة وكعباء من البرير ! ... في قصة وقت له حكاماً البكري في مالكه^(١) .

كان مقر حاد ثارة بالقلعة وثارة باشير ، ويغلب عليه المكث بالقلعة ومكذا استمر في سلطانه إلى أن وفاه اجله بالقلعة وقيل بمكان آخر يقال له د تازرت ، وذلت في شهر رجب ، سنة ٤١٩ - ١٠٢٨ م وتولى مكانه ولده القائد .

نظامها الحكومي

شكلها السياسي ملكي وإدارتها حرة مستقلة تحت اشراف رئيسها الاعلى الامير او الملك كما ثبت فسخ ، ولقد كان للسلطة عاصمتان ، القلعة او لا ثم بجاية ، واعضاء الدولة يومئذ هم الوزراء والعمال المنشون في اهم مراكز القطر الجزائري كضطينة وبونه - عنابة - والجزائر ، وباشير ، والقلعة ،

(١) رابع السالك والمالك من ١٨٧ ط الجزائر ١٨٥٧ م .

وجبل ، ومرسى الدجاج – ما بين ازفون وبجاية – ونقاؤس النع .. ولادارة اوض الجنوب جماعة من الحنكين تصرف فيها تحت رعاية الملك الحادي ، وعاصمة الجنوب يومئذ مدينة بسكرة . اما الجيش فهو متجمع من جميع بلاد الجزائر ، ولقد بلغ عدد فرسان القلعة فقط ایام الناصر اثني عشرة الف فارس ، عدا الماشية . والحكومة اسطول ضخم كله من صنع دار الصناعة ببجاية ، وخزينة الحكومة غنية بواردها من المغنم والخراج وغير ذلك من الموارد الشرعية . وقد خصصت لها ادارة خاصة ، اما التقويد فانها لم تكن مسكونة باسم هذه الدولة الا في عصر الملك المنصور بن الناصر بن عثمان ، ويرجع نظام القضاء عندم غالبا الى مقتضى سير مذهب الامام مالك ، وكانت حلقة الامير في المسجد في مقصورة خاصة على سنة المؤوك ومشاركة السلاطين .

حدود الجزائر الحادية

هي لا تتعدي حدود عالي الجزائر وقسنطينة المهددة اليوم قديرياً وتقع في الجنوب الى بني وارجلان – وارفلة – ويدرك المراكشي ملك بني حاد يقول : انهم كانوا يملكون من قسنطينة المغرب الى موضع يعرف بسيسيرات بينه وبين بجاية قريب من تسع سراح (١) ويقول ابن خلدون : ان حاد اقطع مالك الغرب لنفسه ما بين جبل أوؤس الى نمسان وملوية واحتضن القلعة بجبل كنامة حيال المسيلة وتزهلا ، واستوى على مر كزم أشير بجبل قيطري واستحدث ملكاً آخر فيها للملك آل باديس (٢) وبجاورها غرباً دولة المرابطين ومواطن زناتة ، وشرقاً مملكة بني ذيري الصنهاجية . وهكذا كانت بلاد الجزائر في منتصف القرن الخامس المجري – اوائل الحادي عشر الميلادي – مقسمة كلها بين امراء البربر .

(١) المسجد للمراكشي من ٢٥٧ ط لبدن ١٨٨١ م .

(٢) المقدمة من ١٤٣ ط بولاق ١٢٧٤ م .

الامير القائد بن حاد

تولى مملكة الجزائر سنة ٤١٩ - ١٠٢٨ م وكان مثل والده في الحصافة وحسن الرأي والتدبر ذات دراية بشئون الادارة عظيم القدر محترماً في قومه استقام له الامر عندما استغل عنه المز بن باديس بما دمه من زحف الاعراب .

حالة الجنويز على بونة

انشتدت شوكة الملعين على الصارى بسواحل هذا البحر وجزرها ، فانحدرت يومئذ ام النصرانية مع الجنويز وسكان بوزة من الامة الطلبانية ، وخلوا بهمرون عريف سنة ٤٢٥ - ١٠٣٤ م على مركز الاسطول الاسلامي الجزائري ببونة فدمروا المرفأ وتركوا المدينة خراباً .

خيبة امير المغرب الاقصى في حملته على الجزائر

تحرك حامة بن ذيري المغراوي من مركز امارته بالمغرب الاقصى راحقاً بجيشه المباردة الى الجزائر سنة ٤٣٠ - ١٠٣٨ م فرده جيوش القائد بن حاد عن اطلى وظهرت عليه مجحة حرية فاذعن حامة يومئذ بذلك الطاعة والصلح .

رفض دعوةبني عبيد الشيعية

وبعد ان اطهان القائد وزالت الوحشة وارتقت الاحن التي كانت بينه وبين المز ، عاد الملك سنة ٤٣٢ - ١٠٤١ م الى رفض الدعوة الشيعية مقلداً في ذلك والده حاداً ودعا مثل أبيه الى الخلافة العباسية ، فنهض المز الى مقابلته فحاصره بالقلعة وأشار واطال حصاره سنتين ثم كانت هذه .

وفي سنة ٤٣٩ - ١٠٤٧ م ظاهر القائد باظهار الطاعة لبني عبيد فاكتسب بذلك موعد البلاط الفاطمي وحاز رضاء الخليفة عنه فأئتمه على بلقب

شرف الدولة ، وكان القائد يريد بذلك تأكيد حرية واستقلال بلاده ، وان منزلته السياسية بالجزائر لا تقل رتبة عن المعر [اقريلية] ، وما بلغه مبتغاها وحاز على مراده من عدوه ومنافيه القب على الفاطميين وتلخص بيعتهم وعاد الى مبادئ الخلافة العباسية وبقي على ذلك الى وفاته في شهر رجب او ذي القعدة سنة ٤٤٦ هـ - اكتوبر ١٠٥٤ م فخلفه ولده حسن .

الأمير حسن بن القائد

تسلم زمام الملك انور وفاة والده سنة ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م وكان شيئاً به في اخلاقه وسجاياه ، غير انه كان شديداً فاسياً ، وكان فيها اوصافه ينبع من ادله ان لا يخرج من القلعة ثلاث سنوات وان لا ينمازع اصحابه في مناصبهم ، فخالف حسن ذلك كله ، فثار ضده محمد يوسف واستعكم الحلف بينهما ونهض الشحناه فقتل اربعة من عومنته ، ويومئذ ابنته هبة يوسف قلعة بجبل منبع سهامها الطيارة وذرف منها اواسط القرن الخامس المغربي فنرب مدينة آشير واستباح اموالها .

تراسم آل حاد

حاول حسن الانتقام من محمد يوسف فجهز جيشاً لمقاتلته وجعله تحت امرة بلکین بن محمد بن حاد ، فاذا به الفدر ايضاً فجعل في مؤازنته ورجلين هما من سادة العرب موعزاً اليها بقتله فتفطن بلکين للشكدة فحمد الى الاحسان اليها وغیرها باكرامه وافتراض عليها من انواع البر والجرود ما حول نظرها اليه فعدلا عن الفكرة البيضاء واخبراه بما اسر لها الامير حسن فزادها ذلك عنده شرفاً ورفة و يومئذ تأمروا جميعاً على اغتيال الملك ورجعوا الى القلعة ولم يكن بها حسن ، ولما اتصل بمحرو وجوع القوم ومعهم بلکين وكان يظن انه قد مات ؛ أخذ يسير الى القلعة فادركه بلکين وقتلها في ربيع الثاني ٤٤٧ هـ - جولiet ١٠٥٥ م واحتل المدينة ليلاً ودعا فيها لنفسه فاذعن له القوم وبابوه .

الامير بلکین بن محمد بن حاد

استهوا بلکین هذا بالبطولة والشامة والنجدة والفتح ، وكان جريئاً سفاكي الدماء ذا اراده وعزمه جيارة مؤثراً فهزلة والانفراد عن الناس مولعاً بالادلاج كثير الغارات ، وكان لا يخرج الا دارعاً ولکثرة غزوته ابغضت الرعية والخروف عنه عال بسکرة من آل دومان فشكّل بهم وقتل أميرهم بعمره ستة وعشرين سنة ٤٥٠ - ١٠٦٨ م وعاقبهم عقوبة مؤذلة ، وجعل أمر بسکرة بعدم لبني سدي الى ان انكرضت دولتهم .

الرخد الى المغرب الاقصى

لقد اکثر بلکین من زحفه على المغرب الاقصى حتى استوى على عاصمه فاس في صفر ٤٥٤ - فتیري ١٠٦٢ م وقاتل هنالك المصادة وأخرج منها يوسف بن ثائرين متزاماً الى الصحراء واوغل بلکين في ديار المغرب .

اغتيال بلکين

بالغ بلکين في الغلطة والجلفاء من قومه واخافته اقرانه وآفاته وغلا في الحذر منهم فقتل وسفك دماء الكثير من حامت حرمهم الشكوك والظنون ، وكانت من بين هؤلاء القتل زوجته « تاضيرت » ابنة عمها واحت الناصر بن عثمان ، وكان قتلها لها بتهمة أنها ملأت على قتل أخيه مقاتل بن محمد ففقد عليه اخوها هذا واضغر الانتقام منه وكم غيشه الى ان واتته الفرصة يوم ان عاد بلکين من غزو المغرب الاقصى سنة ٤٥٤ - ١٠٦٢ م فدخل عليه الناصر في مجلس انسه وطربه في جماعة من صنهاجة فقتله يوم الخميس متتصف شبان - ٤ او ط .

الامير الناصر بن هنناس

هو من اشهر ملوك هذه الدولة واعظمهم شأناً واعلاماً كعباً وابنهم قدماً في الملك ، كان جرواداً كريماً وشجاعاً كبيباً ، سفاكي الدماء وفي ايامه

استحصل ملوك بني حماد وشَفْ على غيره من مالك الشبال الأفريقي ، كان اول ما تولى الملك مقياساً بالقلعة ، ثم استوختها وكروه المقام بها فابتلى لاقامته قصوراً شاعنة خارج القلعة فسكن بها وأحتفل بالمسجد الجامع فأشاده من جديد . قال ابن خلدون : وفي أيام الناصر هذا فاعتزل حماد هؤلاء وعظم شأن أيامهم فيبني المباني العجيبة المروقة ، وشيد المدارس العظيمة ، وكان استھنال ملوكهم وشفوفة على ملك بني باديس أخوانهم بالمدية^(١) .

القضاء على بني وومان ببسكرة

كانت ولاية بسكرة في آل رومان يتوارثونها بينهم تحت دعاية وتفوذ الحاديين فلما قتل بلکبن بن محمد اعتلام التطاول على الناصر بن عثمان فخرجوها عن طاعته فجهز لهم الملك وزيره خلف بن حيدرة فقضى عليهم وعلى مناصرهم من آزرم في هذه الترة واسر رؤسائهم فجعلهم معه إلى القلعة فصلبوا فيها جميعاً ، ويومئذ انتقلت ولاية بسكرة من بني رومان إلى أسرة عروس من بني سدي وبقيت هذه الامارة فيما لهم إلى نهاية دولة بني حماد .

وقعة سيبة والزحف الملاوي

لم يظهر لبني هلال اثر في الجزائر الى ان حالف الملك الناصر قيادة الائيج الملاوية سنة ٤٥٧ - ١٠٦٥ م وخرج لامتلاك تونس فيومئذ غالاً الحلفاء من الائيج مع قومهم رياح ورغبة وزناته ايضاً ضد الناصر ، وخرجت جيوش قيم بن العز لرد الجلة الناصرية فكان هؤلاء جميعاً يدأ واحدة على الناصر ، وكان اللقاء بقفص سيبة غربي التیرون وعلي نحو الحسين كيلومتراً جنوب الاربعين فانهزم الناصر وقتل من جيشه اربعة وعشرون ألفاً واستشهد اخوه القاسم ، فاضطر إلى التهقر والرجوع إلى الجزائر ونجا إلى قسنطينة قبعة اهل الاليلون واقتصروا عليه المدينة فاستولوا

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ١٦٤ بولاق ١٣٨٤

عليها وعلى القلعة والمسية وطينة وهم مع ذلك ينهبون ويخربون فتركتوا
البلاد بلا قع ! والديار خراباً ! ... ثم تلاحت طوائف الاعراب بالاحلام
الملايين الى الجزائر من طريق سيبة ودخلوا تيبة وانتشروا في جنوب
اوراس وقرى الزاب وسلكوا طريقهم ما بين الاطلس التي والصحراء
حتى انتهوا الى وادي الساحل وجبل البيان واحدر منهم آخرون من
نواحي باجة ظهروا بتواهي القالة وبوتة وقسنطينة الى القفل وجبل بابور
ويومئذ احيطت مدينة بونة الحديدة (هي على ثلاثة امصار من القدية)
بسور ؟ وكيفا كان الامر فان اضطراربني هلال بالجزائر لم تبلغ مبلغها
بتونس وطرابلس وذلك حيث ان الجزائر لم تكن مقصورة من الجهة بالذات .

اخفاق المتصر الزنافي في هجومه على الجزائر

ما كادت تلتئم جراحات حرواث سيبة والمجموع الملايلي على الجزائر
حتى فاجأهما المتصر او المستنصر بن خزرون الزنافي هجومه ايضاً فخرج
بقومه من طرابلس الغرب وحمل على المسية واسير طمعاً في استرجاع
ما كان لاحداده من الملك والسلطان بالختمة فاجله الناصر يومئذ الى
الصحراء ثم اعاد الزنافي هجومه على القلعة الحادية واوغل بتلك النواحي
فاكثر فيها النساء ، فصاله الناصر على تسليم مقاطعة الزاب وريمة لزانة
واوغر الى عامله على بسكرة عروس بن سندي باختيار المتصر فأقام
العامل مأدبة في داره واستدعى اليها المتصر وفته بواسطة بعض الخدم
عند اتكابه على الطعام وذهب برأسه الى الناصر فقصبه بيعاية ونصب اجلة
بالقلعة سنة ١٠٦٨ - ٤٦٠ م وحمل الحاديون يومئذ على اماراة زنادة فقضوا
عليها وقتلوا رؤسائها واحتلوا مدينة بني وارجلان - وارفة - وحطروا .

إنشاء مدينة بجاية

تشاءم الملك الناصر كثيراً لحوادث الملايين بتونس والجزائر وخاصة ما
اصبحت عليه عواصم القطر الجزائري باهال القلعة وقسنطينة من التدهور

والانهيار ، فكان كثير التفكير في إنشاء مدينة حبيبة لسلطانه ، وندم على ما فرط منه في محاربة ابن عمه عم بن المعز الصنهاجي وهو عمه على مملكته فسرعان ما أظهر رغبته في حقن الدماء وعقد الهدنة . فجاء يومئذ سفير قيم ووزيره محمد بن البسيع إلى القلعة لايرام ونيفة الصلح ، وكان مروره في طريقه إلى القلعة على ضيحة صغيرة كانت اصنهاجة تدعى « بجاية » وهو اسم للقية البربرية التي تسكنها وهي على مقربة من مدينة « صلادي الفنية »، فاعجب ببركتها الطبيعية الجليل وموقعاً الجغرافي المترافق المطبع ، فلما اتصل بالناصر الخبر بما رأه في طريقه من حسن موقع بجاية ومحاصتها من هجوم العدو وانها صالة لأن تكون عاصمة ملك بني حاد نظراً لمناخها واهية خليجها السريع الذي يسع اسطولاً ضخماً ، فخرج الناصر حيث ذكر نفسه إلى هذه الناحية لتحقيق ما اشار به السفير فوجد فيها خالدة المنورة فشرع في تأسيس العاصمة الخادمية الثانية « بجاية » بذلك المكان سنة ١٠٦٠ - ١٠٦٢ م ثم انتقل إليها في السنة بعدها وسمّاها « الناصرية » باسمه واستقرت عن سكانها الجالية والخارج ، وانتشر بها دارين لصناعة المراكب والسفون وأساطيل القتال واقام بها من المهارات والصناعات والفنون ما جعلها قبلة أهل الشرق والغرب .

ثورة عامل المدينة والشف

كانت ولاية أعمال المدينة وشلف على عهد الناصر لرئيسين من بني سنجاس فاللديبة لافي الفتوح بن حوش ، وشلف المنصر بن حاد فخرج الأول عن طاعة بني حاد فقتله الناصر وheim الثاني على مدينة مليانة وقتل من بها من المشيحة والرؤساء من بني درسيكان المفروسين ، فاستأذن يومئذ سكان مليانة في قتال منتصر فأذن لهم الناصر فقتلوه وبمنوا إليه برأسه وهو ببجاية فوضعه إلى جنب المنصر الزناتي .

امتداد المملكة الخادمية

كثر عيش الأعراب الملاليين بنواحي تونس فاضطر أهلها إلى الالتجاء

إلى عاشر الدولة الحمادية بالقلعة الناصر بن علناس ، فوفد عليه سنة ٤٥١ هـ - ١٠٥٩ م وجوه أهل تونس وزعماؤها مدعين إليه بالطاعة ومستعينين به من هؤلاء الحزاب ! ... فأقبل عليهم وأكرهم وولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان ، ومرعان ما جاهر هذا العامل بالعصيان والاستقلال عن دولة بني حاد ، فخرج الناصر إلى ولاية تونس في حفلاه العرب سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م فاحتل مدينة (الأريش) وقتل عاملها ابن مكرز وأمن أهلها ثم نزل بالقيروان فكثت بها سنة كاملة وأخيراً عاد إلى الجزائر مخافة اضطراب جبل الرععة وفسادها عليه ، فتأسست حينئذ دولة بني خراسان بتونس ولم يكدد يغطي على إنشائها مدة قرن واحد حتى قضى عليها الموحدون .

محاورة عاشر صنهاجة

بعدما أتم الناصر تأسيس عاصته الجديدة « الناصرية » - بجاية - واستقر بها واطمأن على بلاده خطب الأمير غيم بن المنز ملك المهدية في بيته بلارة توثيقاً لعرى الودوة والصدقة بين الملكتين التجاورتين وتأكيداً لروابط الاوštاج العائلية بين الاسرتين ، فزوجها أبوها منه سنة ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م وجعل الناصر لها ثلاثة ألف دينار صداقاً ، فلم يتقبل منها الأمير إلا ديناراً واحداً كمهر شرعي فقط وردباقي على الناصر ، وسار موكب العروس من المهدية إلى بجاية في آية وبهجة تحف به الجنود والساورة والشرف يحملون معهم جهاز العروس القائم من حل وحلل ... وكان اقبال الموكب ببجاية اقبالاً باهراً ، ونزلت العروس بقصرها الخاص الذي أنشأ الناصر باسمها « قصر بلارة » .

خيالية عجيبة في قوردها

عجيبة اسم لقيلة من بور الجزائر تسكن ما بين سطيف والقلعة ؟ كانت تترقب مفترضة غلة الملك لاعلان ثورتها ضد السلطة الحمادية ، حتى

سُنْحَهَا ذَلِكَ يَوْمَ خَرْجَ النَّاصِرِ لِتَقْدِيدِ مُلْكَتِهِ ؛ فَوُثِّبَتْ عَلَى الْقَلْعَةِ بِرِئَاسَةِ
فَانْدَهَا عَلَيْهِ بْنِ رَكْلَانَ وَكَانَ النَّاصِرُ يَوْمَذِدُ بِالسَّلِيلَةِ ، فَانْتَهَى إِلَى هُزُولِهِ
الْتَّوَارِ فَدَحْرَمَ وَقُضِيَ عَلَيْهِمْ ؛ وَانْتَهَى رَئِيسُهُمْ بْنِ رَكْلَانَ .

المراقبون في الجزائر

ما كان لدولة المراقبين ان تتجاوز وتصفح عن حلة الحاديين على
المغرب الاقصى سنة ٤٥٦ - ١٠٦٢ م وما كانت لتنى كذلك اهتزام
حكومة فاس يومذ الى الصحراء فبقيت قعمل في الخفاء على الانقطاع
وتستعد للهجوم حتى تيسر لها ذلك في سنة ٤٦٢ - ١٠٧٩ م فنهض
القائد المحتوفي مزديلي بن بيكلان على وأس عشرين ألف مقاتل زاحفاً على
المغرب الاوسط فبلغ تلمسان فعاد بترابها ثم عاد الى مرکزة من
المغرب الاقصى ولم تمض سنة بعد ذلك حتى فاجأ المراقبون مدينة تلمسان
فأخرجوها منها أمراء بني خزر الزناتيين واستولوا عليها وضربوا بها العمدة .

وَفِي سَنَةِ ٤٧٦ - ١٠٨١ م زَحَفَ الْأَمِيرُ يُوسُفُ بْنُ نَافِعِينَ تَحْتَ
الْجَزَائِرَ فَابْتَلَى مَعْلَمَ الشَّهِيرَةِ بِتَاقْرَارتِ فِي ضَواحِي تَلْمَسَانِ لِيُجْمَعَ فِيهَا
جَنْدُهُ وَعَنَادِهِ ، وَمِنْهَا تَوَجَّهَ إِلَى وَهْرَانَ فَتَقْتَلَهَا ثُمَّ إِلَى تَنْسِ وَجَبَالِ
وَانْشَرِيسِ وَأَعْمَالِ سَلْفِ مُتَبَّعِمَاً مَوَاطِنَ زَوَافَةِ حِينَ كَانُوا حَتَّى أَقَى عَلَى
جَمِيعِ أَمَاكِنِ مَغْرَادَةِ فَبَلَغَ إِلَى جَدْرَانِ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ ، ثُمَّ أَحْبَمَ وَرَجَعَ
إِلَى حَضْرَتِهِ فَدَخَلَ مَرَاكِشَ فِي دِيْسِنِ التَّالِيِّ ٤٧٥ - ١٠٨٢ م - سَبْطُ يَوْنَانِ
ذِكَانِ مَلِكِ الْمَرَابِطِينِ يَوْمَذِدُ بِفَرِيقَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْجَزَائِرِ شَرْقاً إِلَى طَنْبَةِ
غَرْبَاً إِلَى آخِرِ جَبَالِ السَّوْسِ الْأَقْصِيِّ وَإِلَى جَبَالِ الْذَّهَبِ مِنْ بَلَادِ
الْسُّودَانِ ، وَأَغْزَى تِبْيَانَ مَلِكَةِ الْمَهَادِيَّةِ بِالْجَزَائِرِ إِلَى الشَّرْقِ .

وفاة الناصر بن علناس

كانت وفاة الناصر يوم الجمعة سابع جادي الاول ٤٨١ هـ - فاتح
شهر اوط ١٠٨٨ م وذلك بقصره خارج بجاية فعمل منه الى العاصمة

الحادية فدفن بها بعد ان قضى نحو ربع قرن على رأس المملكة الجزائرية ،
وكان حصره من ازهرا أيام بني حاد .

الامير المنصور بن الناصر

نشأ المنصور عزيز النفس شهباً اثوفاً ابياً ، عاكفاً منسماً باوصاف الكمال ذا خصال شريفة اديباً كاتباً يقول الشعر ويرويه ، تولى عرش الجزائر بعد وفاة والده سنة ٤٨١ - ١٠٩٨ م فناس الرعية بحكمة وحصافة ، واتم ما اخذه اسلافه من برامج العمل لخير الحكومة والشعب فأشاد المصانع والقصور واعتنى بالري والزراعة فاجرى المياه وامر بغرس الباتين والمحقول ، وكان من آثاره بالقلعة قصر الملك وقصر المنار وقصر الكوكب وقصر السلام ؟ وبعد انتقاله الى بجاية سنة ٤٨٣ - ١٠٩٠ م انشأ بها قصر المؤذنة وقصر ابيون ، وشيد جامعها الاعظم وهو مع ذلك في نفسه يليل الى التلشف والزهد يخصف ثعلبه ثارة بيده ويقع ثيابه بنفسه واليه يعود الفضل في مدن مملكة بني حاد .

قوه عامل قسطنطينة

كانت ولاية قسطنطينة تحت ادارة بلياز عم المنصور ، فحدثته نفسه يوماً بانتقاض الهد وخرر الذمة ؟ فرماه المنصور بقائدته ايي يسكنى فقبض عليه ودفعه الى القلعة اسيراً وجلس هو مكانه وجعل اخاه ويلان على ولاية بورقة - عتابة .

دلس الاندلسي

كانت ولاية المرية بالأندلس للعتصم بن صادح - احد ملوك الطوائف - فلما يلته استيلاء المرابطين على اشبيلية مات غماً وترك ولده معز الدولة بن صادح واباً على المرية فاستولى عليها المرابطون ايضاً سنة ٤٨٤ - ١٠٩١ م وبرمثه ارخل بن صادح بأهله وماله من الاندلس ملتقطاً الى

الجزائر وذلك بعد ان اوفد احمد بن عبد العزيز بن عيسى بن المنصور
بغضبه اليه جواره ففسح له في البلاد وخيره في اقطاعها فنزل على الملك
المنصور بجيشه ؛ فاقطعه احواز مدينة دلس فاصبحت هذه المدينة بعد
ذلك بفضل عمل هذه الجالية الاندلسية مركزاً ثرياً ؛ فكان فيها كما
يقول الادريسي : الدبار والقصور والمتبرعات ؛ وبها من رخص الفواكه
والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله ؛ كما يوجد بها
الكثير من البقر والغنم ؛ وتتابع جملتها بالاسعار البسيرة وخرج من
ارضها الى كثير من الافاق .

ثورة أبي يكفي

هو ابو يكفي بن محسن بن القائد بن حاد احد قادة المنصور وقرباه
تولى على قسطنطينة بعد ظفره بعم المنصور بلياز الثائر ؛ فاستبد بالامر
واعلن عصيانه سنة ٤٨٧ - ١٠٩٦ م وبعث باخذه وبغلان عامل بونة
الى قيم بن المعز امير المهدية يستجبيه في مقابلة تسلیم ولاية بونة ؛
فاستجاب له قيم وبعث معه ولده ابا الفتوح وانذا معه في استئصال
المرابطين ومن حولهم من الاعراب ؛ وبينما هم جميعاً في تدبیر غزو
المنصور حتى فاجأتهم جيشه فاحاطت بهم بنينة بونة واحدقوا بها من جميع
جهاتها طيلة سبعة اشهر ثم هاجتها وقامت على ابي الفتوح فاعتقلته بالقلعة ؛
ونقدمت الى حصار قسطنطينة فقر امامها ابو يكفي الثائر مختفياً بقلعة في
جبل آوراس ؛ مستخلفاً عنه صلیحل بن الاحمر احد رؤساء قبيلة الائج
العربية ؛ وسرعان ما تولى صلیحل عن قسطنطينة مذعنًا للمنصور ثم دخله
فابى يكفي منها على مال يبذل فعل ، وواصله باموال ولم تول الجنود
المحادية في اثر ابي يكفي حتى ظفرت به في مقلته فاقتسمته عليه وقتلته
وجاءت ولاية قسطنطينة يومئذ للحسن بن العزيز .

سقوط آشير بيد المرابطين

لم تول دولة المرابطين تردد غرة من حكومة بني حاد لاستكمال

الفتح بالجزائر حتى سُنحت لها فرصة استغلالها بشوره أبي يكفي وقرقى
جنودها في هذا المجال فاحتل المرابطون يومئذ مواطن صناعة الغربية
بالجزائر وتحصروا بها فاجلام عنها المنصور، ثم عقدت المدة والصلح بينه
وبين يوسف بن تاشفين :

وأعاد المرابطون بعد ذلك غزوهم للجزائر بقيادة محمد بن قيبيار فردهم
عنها عبد الله بن المنصور وكانت الواقع حول مدينة الجزائر شديدة فعوصرت
المدينة يومين، ثم كان مقوط مدينة آشير باليديم سنة ٤٩٥ هـ - ١١٠١ م
فدمروها تدميراً وبقيت كذلك إلى أن أعاد إثادتها بنو حاد.

انكسار شوكة المرابطين بتلمسان وأخضاع العصابة

لم يكدر يوماً دفع المنصور ما أوقع بملكه المرابطون، حتى خرج بنفسه
لقتالهم في شوال سنة ٤٩٦ هـ - جويلية ١١٠٣ م وحمل عليهم حلة شعواء
بتلمسان في عشرين ألف مقاتل، فكثُر يومئذ عدد القتلى والجرحى وكسرت
شوكة المرابطين فهزموا عن تلسان إلى نسالة ودخلوا المنصور في جنده
فمات فيها جيشه وعظمت الخفة باهلها، فخرجت يومئذ زوجة والي المرابطين
مستعطقة المنصور ومستعية، فثار الملك لنظرها الحزين وانكببها على قدميه،
فتحقق عنهم وابق عليهم، وتم السلم بين الملكتين التجاورتين ثم قفل
المنصور عائداً إلى عاصمه، فخرج على القلعة فنزل بها مخفياً في قتال
زناتة بنواحي الراي؛ ثم انتقل إلى وطن ذواوة فناجز العصابة من بي
هران وبني تلذروت وأهل المنصورية وجمعة الظهريج والناظور. ثم لم
يكن هناك من الأحداث بالجزائر ما يستحق الذكر إلى وفاته سنة
٤٩٨ هـ - ١١٠٤ م.

الأمير باديس بن المنصور

بكفى باي معد، تلك بعد وفاة والده في شهر ربيع الثاني ٤٩٨ هـ -

ديسمبر ١١٠٤ م ، واشتهر من بين ملوك هذه الدولة بشدة الشكيبة والباس وسرعة القبض والبطش وسفك الدماء ؛ ولم يصلنا عنه من الاعمال ما يستحق التدوين الا ما كان من قبيل التولية والمزول ، فانه اکثر من ذلك الى حد الاضطراب وعدم التثبت . فعزل اخاه العزيز عن ولاية الجزائر وقام الى جيجل وقتل وزير والده عبد الكريم بن سليمان وتكتب بعامل بمحنة ورمى بعض الصالحين الى الاسود وتوعّد امه بالقتل ! ... الى غير ذلك بما شاكل هذه الاعمال السوداء .

ولم تطل مدة ، اذ توفي من سنّته في الثالث عشر من شهر ذي القعدة ٤٩٨ - ٢٢ او ط ١١٥ م . وتولى بعده اخوه العزيز الذي كان مغرباً بمدينة جيجل معزولاً عن ولاية الجزائر .

الامير العزيز بالله بن المنصوري

كان يلقب باليسون لولادته في ولاية ابيه المنصور ٨ جنادي الاولى ٤٨١ - ٤٨٨ او ط ١٠٨٨ م ويُو碧ع بالملك وهو في منفاه بجيجل آخر سنة ٤٩٨ - ١١٥ وكان اول من بايعه هو قائد الاسطول الحادمي علي بن حدون قتل الملك يومئذ وسنّته سبع عشرة سنة ، وكان حازماً ماهراً جيجل الصورة عارفاً بقتيسير الدول والمالك . وكان من دعائنه ان تزوج من بيوتات خصائمه زفافه ومن بيت الملك بالمدية ، فبني بيتها ماخوخ الزناتي اولاً ، ثم بيدر الدجى بنت بيجي بن غيم ملك المدية ، سنة ٥٠٩ - ١١٥ م فأمن لجلبه تورات زفافه المتولية ، وعداؤه دولة صنهاجة ، وكثيراً ما كان يكاتب ملوك عصره في الآفاق متعددآ ، فانتشر الامن ببلاده وساد المدحه بين الناس ، ومن فرط شفته بالعلم انه كان يحضر بنفسه مجالس المناقضة بين العلماء .

وعلى عهد العزيز هذا كان مقدم مهدي الموحدين من الشرق الى بجاية اثراً بالمعروف ناهياً عن المكر (٥١٢ - ١١٨ م) فعم به بعض الاقوام عند العزيز واشتروا به فلما شعر بذلك خرج الى بني (ورباكل)

من صنهاجة كانوا ساكتين بوادي بيجاية فاجارووه ، ونزل عليهم بللة واقام بها اشهرآ يدرس العلم ويعقد مجالس الوعظ فاجتمع اليه الناس ومالت الي القلوب وطلبها العزيز فنفعوه وفاثوا درنه الى ان وحل عنهم الى المقرب ، وفي الموجب للراكشي قال : ان صاحب بيجاية هو الذي أسره بالخروج عنها حين خاف عادته ، قال وبقية (ملاة) هذه مسجد يعرف به وهو باق الى اليوم (١٢٤٦ - ١٢٤٥ م) ولا ادري ابني على محمد او كان ذلك بعده ^(١) .

ود عادية الاعراب عن الكلمة

اغار الاعراب المغاربة على الكلمة الحادية سنة ١١١٨ - ٥١٢ م فاقعوا باهلها واكتسحوا المدينة فاكلوكوها فخرج الى عمارتهم بجي ولد العزيز ومه القائد علي بن حدون فشكلا بالعدو ووتبا عليه فقضى ثم عادا الى بيجاية وكان بما سجله التاريخ من حداث هذه السنة انتشار الرباه والقطط الشديد بالغرب بلغ دين الدقيق بثمان عشرين درهما .

قود ولی تونس

كانت ولاية تونس خاصة لدولة بني حاد يدرها ولاة من بني خراسان ، ففي سنة ٤٨٨ - ١٠٩٥ م هلك عبد العزيز الخراساني وتولى مكانه ولد احد فاستمر على الطاعة للدولة الى اواخر القرن السادس الهجري فاظهر مارة الملك والسلطان وخرج عن مأثور سيرة الولاية الى وفاة الملك والسلطان غير مبال بالسلطة الحادية ، فنازله العزيز سنة ١١٢٠ - ٥١٤ م حتى عاد احد الى الطاعة والمحضوع ، ويومئذ تقدم الاسطول الحادي الى جربة فاحتلها ثم بعد ذلك بستة كانت وفاة العزيز ١١٢١ - ٥١٥ م فخلفه ولده بجي .

(١) المسب من ١٢٩ ط ليدن ١٨٨١ م وابن خلدون ج ٦ ص ١٧٦ ط بولاقي ١٢٨٤ م

الامير يحيى بن العزيز باشا

كان اول ما غربت العلة في تاريخ هذه الدولة ان غربت باسم هذا الملك سنة ٥٤٣ - ١١٤٨ م ولم يجدها احد قبله تأديباً مع الخلفاء العبيدين وكان مضروباً على الوجه الواحد من الدبار الذي احث العزيز الحادي هذا ؛ ثلاثة اسطر ودائرة ، فالدائرة مكتوب فيها هذه الآية الكريمة : (واتقوا يوماً ترجمون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلون) والاسطر : الشهادتان ، وبعدها يتصمم محل الله يحيى بن العزيز باشا الامير المنصور ، وعلى الوجه الاخر دائرة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم غرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاثة وأربعين وخمسة وفي سطوره : الامام ابو عبد الله المتفاني لامر الله امير المؤمنين العبامي^(١) . وكان يحيى فصيحاً كاتباً اديباً وصيناً مغرياً بالصيد والاهر منه ممكناً في شوانه . وبه تم عقد ملوك بني حاد وانتهت دولتهم وتلاصص سلطانهم .

غزو المهدية

لقد أصبحت البلاد التونسية قسماً ونهي مثل الشهب بابدي التورمان^(٢) الواحدة تلوى الاخرى ، فتحرك الامير يحيى للذب عن حرمة الاسلام والمسلين والدفاع عن جيرانه وبين هذه وجلده فغزوا البلاد بجيوش جراره جعلها تحت قيادة ابن الملب ، فحاصر المهدية سنة ٥٢٢ - ١١٢٨ م ثم انصرف عنها من غير طائل .

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ١٧٧ ط بولاق ١٢٨٤ م

(٢) هـ امة الشحال الاروبي هاجروا اوروا الوسطى في القرن الناصح الميلادي واستولوا على قسم من شمال فرانسا الفري لـ دـالـ يـنـبـ الـ يـهـ الـ دـوـرـ مـاـنـدـيـ » ثم استولوا على جنوب ايطاليا وصلبة على الاخرين ، وغزوا فيها بين القرن الثالث والخامس الميلادي سواحل بلاد المغرب ، وانه ملوككم وجوار الثاني (روجي) فاته على المغاربة الاسلامية ورجلاها بصلة فازدهرت في ايمه آيا ازدادهار .

الاستيلاء على تونس

كان لاعتداء التورمان واستيلائهم على اطراف المملكة التونسية تدمير عظيم لدى سكان تلك النواحي ومنهم الاعراب المهاجرون ، فاجتمع بذلك وقد من هؤلاء وجاه الى الامير محيي بن العزيز يشكوا اليه حالة البلاد مع التورمان وسوء سلوك الامير الحسن بن علي الصنهاجي ، راغباً في بسط نفوذ سلطان بنى حماد على تونس ، ووعده بالمد والمساعدة على ذلك ان هو فعل ، وقد جاء معه باپتهة كوهان توكيداً منه والطاحماً في الطلب ؛ فصادف ذلك من محبتي هو في نفسه فاستجاب للوفد وأمر بتعبة الجيش من مثابة وفرسان قاتل عليهم كبير قادته مطرف بن علي بن حمدون وأوصاهم بالتعفف عن الدماء .

خرج الجيش الحادي من بجاية حوالي سنة (١١٢٩ - ٥٢٢) م فحاصر المهدية ثم تكسص عنها الى تونس فاحتلها ، وجلس على عرشها كرامة بن المنصور - عم الامير محيي - وحمل صاحبها احمد بن عبد العزيز الخراساني باهله وولده الى بجاية ، وبقي كرامة بتونس والياً تحت اشراف دولة بنى حماد الى وفاته بها ، فخلفه عليها اخوه ابو الفتوح بن المنصور ثم خليفة محمد فلم تخدم سيرته فعزله محيي وولي مكانه عمه محمد بن المنصور فبقى بها الى ازحف التورمانى سنة (١١٤٨ - ٥٤٣) م فتخرج منها محمد الى بجاية .

وقفة زاوية

عاد الحاديون غزو المهدية سنة (١١٣٥ - ٥٣٠) م فهاجروا يرا ويجروا واقموا حولها نيفاً وستين يوماً ، فردم عنها الاعراب حلقاء صنهاجة وكان ميدان القتال بينهم يظاهر زاوية - من ارباض المهدية - فانتصرت يومئذ دولة صنهاجة واستولت على مرکبين من الطرائد الحادية بعد قتل رئيسها فانهزمت البقة الى الجزاير .

اعتداء التورمان على الجزائر

لقد احتلَّ التورمان ذلك المجمع الشكرو من دولة بني حاد على ولايتي تونس والمهديَّة فانتصروا منها سنة ٥٣٧هـ - ١١٤٢م يغزو مدينة جيجل فاتهبرها وبالنوا في خرابها واحراق دورها ، وكان من بين ما أفسده التورمان بها قصر التزقة الذي اشاده الملك بجي بن العزيز فوق جبل عيوف مشرقاً على المدينة تجاه البحر ، ولم ينج يومئذ من القتل والتلف بهذه المدينة سوى من اعتمد بقمن الجبال او آوى الى مكان سحيق ، ومنذ ذلك الوقت هجرت المدينة وابتها اهلها بادرة حصينة باعلى جبل هنالك يبعد عنها بنحو ميل ، فاذا كان زمن الشتاء سكتوا الساحل واذا كان زمن الصيف وقت سفر الاسطول التورماني نكلوا استئتمهم وجلة بضائعهم الى الحصن الاعلى بعيد عن البحر .

وأعاد التورمان غزو الساحل الجزائري سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م فاحتلوا في هذه المرة جيجل وبوشك وبترشال وقنس .

انهزام ملك المهدية الى الجزائر

ولما احذق الحظر بامر المهدية الحسن بن علي وشعر بالهزيمة امام التورمان وایقن بسقوط مملكته في ايديهم او يخل عنها ودخلها العدو يوم الاثنين ١٢ صفر ٥٤٣هـ - ٣ جولiet ١١٤٨م ، فرَّ بحسب الحسن يومئذ في الاتجاه باهله الى الجزائر ورغب في الاتصال بابن عمّه بجي بن العزيز ملك بجاية ريثما يستعد للانتقال الى مقابلة ملك الموحدين بالقرب الاقصى وبحث بيته الثلاثة الى بجيبي بجاية بجيده بفرضه هذا ويستأنفه في النزول عليه ؛ وجاء ابناء الحسن الى بجاية ، فاقبليهم الوزير ميسون بن حدون بالزيارة عن الملك واذن لهم بذلك في كتاب سطره الوزير الى ابيهم بجهه فيه على الاعراض عن رأيه في مقابلة عبد المؤمن ملك الموحدين والاقتدار في نزوله على الجزائر فقط وذلك خشية ما ينشأ عن اجتماعه بخليفة الموحدين من تدبیر حول الملكة الجزائرية .

ولما اقترب الحسن من ارض الجزائر ندب اليه السلطان وزيره ميشون لاقباله فامتنع ، وحيثند امر اخاه القائد بن العزيز بالاستعداد الى القاء في مشيحة البد واعيالها ولارهم بالعدول به عن بحاجة الى مدينة الجزائر فكان الامر كذلك فنزل الحسن بهذه المدينة في المحرم سنة ٥٤٤ هـ - ماي ١١٦٩ م ، وكان منزله فيها دون مقامه حيث جعل تحت الرفابة مضيقاً عليه الخافق متنوعاً من التصرف مطلقاً ، واجربت عليه جراية طفيفة ، واستمر الحسن في معتله هذا ، ولا تقول في موطنه الى ان دالت دولة بني حاد وسقطت بيد الموحدين سنة ٥٤٧ هـ - ١٢٥٢ م .

المذاهب والعقائد

كان عصر المحادين اظهر العصور الاسلامية في تاريخ حرية الاديان واحترام العقائد بالجزائر منذ الفتح الاسلامي الى القرن الرابع الهجري ، اذ في عهدم تأسست اول كنيسة بالقلعة سنة ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م يديرها قيس من رتبة اسقف *Evêque* ، وفي سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤ م تأسست كنيسة مريم العذراء بادارة القيس عزون المعروف عند العامة باسم الخليفة ، وقد ابتدى دار سكناه بجانب الكنيسة .

وبلغ المحادين في التاسع العین الى انهم كانوا لا يعترضون على المطاردة وكبار رجال النصرانية في توظيف من شازوا من التاسوعة بملكية الجزائر ، ففي سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م قدم مطران قرطاجنة قيساً اسمه «ميرفاند» ليترى استفادة كنيسة بورقة ، فلم يعترض عليه الناصر بل صادق على تعينه وحمله رسالة ودية الى البابا «قريقوار السابع» وأصبحه بطائفة من الامری المسيعين الذين ظفر بهم الناصر بملكنته فأعترضهم وأكد للبابا في رسالته انه معها ظفر بأسرى آخرين الا وسع في تحويلهم ، وجاءت برمضنة بعثة من رجال الكهنة من طرف البابا الى بحاجة تردد آيات الشكر والثناء معترفة بفضل الناصر ومنتها على المسجية وتخل عن الاب «ميشون» انه قال : ان من المزن للام المسيحي

ان يكون التسامح الديني الذي هو اعظم ناموس الحبة بين الشعوب هو ما يجب ان يتعلمه المسيحيون عن المسلمين .

اما الرعية المسلمة فانها كانت على مذهب الامام مالك تدرس الموطأ والمدونة والتلقين لعبد الوهاب بن علي البغدادي ، وعقيدتها هي عقيدة اهل السنة والجماعة .

الا ما شذ يومئذ من سكان جبال بجاية من اهل كنامة قاتمهم على مذهب الشيعة يكرمون من مال الى مذهبهم ويرون من وافق اعتقادهم . كما ان اهل جبل اوراس وبجاية واحدى مدن «بنطيوس» كانوا على رأى الخارج ويعرفون بالواصلية أباضية المذهب ، اما اهل تهودة بالجنوب الشرقي من مدينة بسكرة فهم يومئذ على ما ذهب اليه اهل العراق من الأحناف واما اهل بسكرة نفسها فيقول عنهم البكري : ان يلزم هذا علمًا كثيراً وانهم على مذهب اهل المدينة^(١) .

الثقافة والحضارة والعمارة

ان من ينظر الى تاريخ الجزائر في ايام حكومة بنى حماد يجد من اجمل التواريخ ثقافة وحضارة وعمارة .

فقد كانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بتدريس العلم وال المجالس العلمية ، وكانت المنح والجزوات الدولية توزع على العابقة وأرباب الفرائض المبرزين في كل علم وفن ، على مثل ما قصنه الدول الراقصة المعاصرة اليوم ، فازدهم يومئذ على معاهدها الكبير من العلماء والمخترعين والاطباء والشعراء وأهل الفنون الرياضية والهندسية ، وآثر عرائصها الكبير من جملة علماء الاندلس والشام ومصر والحبش والعراق والعمجم رغبة منهم في الاطلاع على تجربة عرائصها والاستفادة من حضارتها كما استفادت الجزائر

(١) انظر البكري من ٥٢ - ٧٢ - ٧٣ - ٨٢ - ١٤٤ - ١١٥ - ١٨٥٦ م ط الجزائر

منهم بدورها عليهم وثقافتهم الشرقية اللامعة ولقد بلغ من اقبال الناس على العلم يومئذ انه كان يجتمع على المدرس الواحد ما ينفي على المائة طالب ، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره ، فتوى المدرس يتلقى طلبه على اختلاف ملهم وأجناسهم بصدر رحب تأدبة لامامة العلم ، قال شارل سفيوبس في كتابه تاريخ الحضارة *Histoire de la civilisation* : كان أهل ييزا الإيطاليون يتزلون مدينة بجاية في الجزائر قطعوا من مصانعها صنع الشمع ، ومنها نقلوه إلى بلادهم إلى أوروبا ، ولا يزال مسمى الشمع عندم يوجي Bougie وهو اسم بجاية في نظامهم الأفريقي . وبها قعلم الرياضي والمهندس الإيطالي العظيم د. اليونارفيوتشي ، المولود حوالي سنة ٥٦١ - ١١٧٥ الملوم الرياضية وخاصة منها علم الجبر والمقابلة وأدخلها إلى أوروبا^(١) .

ولقد عرف علماء الجزائر يومئذ منزلة الاختصاص في العلم فكانوا مجتهدون في التخصص في العلوم والتبريز فيها ، ولقد بلغ عدد المفتين في ذمن واحد بجاية تسعين مفتياً كما اشتهر فيها ابن النباش البجاي بالعلوم الفلسفية والطبيعية والحكمة والطب ، وكان يجيد العاملة وتركيب الأدوية .

واعجب من ذلك ! ان هناك من العوام واشباههم من كان يحفظ عن ظهر قلب امهات كتب الفقه والحديث كصحبي البخاري وموطأ مالك ومدونة سخون وتلقين عبد الوهاب البغدادي ... فلنشط العلماء لهذا التشجيع واقبال العامة عليهم فاكتروا من الكتابة في مختلف انواع العلوم والفنون^(٢) وبفضل هذه الحركة العلمية والنشاط الادبي تتلخص ضل

(١) ان اول من ادخل هذه الارقام العربية *Les Chiffres arabes* الى اوروبا هو البابا بيلبيتا الكاتلي (٩٩٩ - ١٠٠٣ م) تطهها بجامع القرويين بناس حيث تلقى معلوماته هناك .

(٢) يقول الدكتور غوستاف لوبيون في كتابه حضارة العرب : « اذا رجعنا الى القرن الناتس والعشر (اي هذا العصر الذي نورخه) يوم كانت المدينة الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى ان المراكيز العلمية الوحيدة في عامة بلاد اوروبا كانت مبارزة من مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متونتين ينادرون باسم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون ... وطال مهد الجهة في اوروبا وعم دائرة بحيث لم تقدر نشر محتوياتها ، ولم يجد فيها بضم اليم قلم الا في القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر م (السادس المجري) . »



مدخل الجامع الكبير بالجزائر

الفة البربرية الى الجبال والوهاد وانتشرت العربية في العوسم الجزائرية بين جميع طبقات الشعب^(١).

وإذا نظرنا نحو الجزائر الفنية وجدناها كذلك غنية بجمال صناعتها الفنية الرائعة وحسنها الرائق البيجع ، فلقد دلتنا النصوص التاريخية والأثار المغربية على انتشار فن التصوير والتزويق والتحت والتقطش على الجص الملون وعلى الحرف المطلي والوايسج المزبر بالصور والفيضاء وصنع الترورات الرجالية وشيئها من الاباريق البارزة وتطعمها بالذهب وتربيتها بالخط العربي البارز الجيل ، ولا يعنى ما يتطلبه كل ذلك من الادوات والآلات المتفقة والمرواد المختلفة والخيال الواسع والذوق المرهف ...

كان بالكلمة خاصة معامل للنجع الاكسيه والبابيد والسباجيد المزخرفة ، والملابس الفاخرة ؟ فكانت عمامة الملك وحدها دون بقية باسه تبلغ قيمتها الى ستة دينار فإذا وضعت على رأس صاحبها باقنان كانت كأنها ناج مذهب .

احتهد حاد في تعبير الكلمة واكثر فيها من انشاء المساجد والفنادق والأسواق ، فاستبحر بها المهران وارتجل اليها طلاب العلم وهواة الفن والتجارة من التغور والبلاد القاسية ، واستوطنها ارباب الصنائع والحرف لخلق اسواقهم بها ؟ فكانت الحال تشد اليها من العراق والخجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب .

وفي بجاية من المصانع والمعامل كثير ، فيها كان يصنع الاسطوان وبجميع الزراياكب البربرية ، وبها كان يصنع السلاح وعتاد الحرب وأواني النجاس والذهب والفضة ...

وذكر صاحب (الاستبصار) مدينة بجاية فقال : وفي بجاية موضع يعرف بال AOLZA و هو أقف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صهابة لم ير الرأون احسن منها بناء ولا

(١) راجع عنوان الدراسة لغيرين ط الجزائر ١٣٣٨ - ١٩١٠ م .

ازل موضعًا ، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والابواب الفرمة المنصنة والمجالس المفرحة البنية حطانا بالرخام الابيض من اعلاها الى اسفلها قد نقشت احسن نقش وازلت بالذهب الازوره وقد كتبت فيها الكتابات الحسنة وازلت بالذهب وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من احسن التصور مزمعا وجالاً^(١) .

وكانت تقدر مساحة مدينة بيجاية على هذا العهد بـ (٥٠ هكتار) اي ٥٠٠٠٠ متراً مربعاً ، وهي بجزء الى ٢١ جـ ، مشتملة على ٧٣ مسجداً وبواجهة الجامع الاعظم سبعة عشر قوساً او روافاً ، وفيها من السكان ما يبلغ ٥٠٠٠٠ نسمة ، وفيها من البناءات الضخمة والاستعلامات العجيبة والصور المزخرفة والدور المروقة ما جعلها قدوة للنماذج النورمان بقليله وغيرها .

وكان من بين التصور الذي احتفظ لنا التاريخ باسمها وصفاتها : قصر المؤلوة بيجاية وهو الذي يقول فيه ابن خلدون : كان من اعجب قصور الدنيا ! ... بني حوالي سنة ٤٧٠ - ١٠٧٧ م وموقعه كان بمذاهءة القشلة والمستنقع العسكري اليوم - على قمة البريمية - وقصر الحكمومة بالقلعة ، وقصر النزهة الذي بناء يحيى بن العزيز يأعلى جبل عيوف بمحجول اقيم تجاه البحر والمدينة ، حطبه روجي الثاني النورماندي سنة ٥٣٨ - ١١٤٣ م وقصر النار بالقلعة لا تزال تظهر منه بقايا اطلال وخرائب جدران سوره وقصر أميون الذي بناء التصور فريباً من ضريح سيدى التوانقى بيجاية ، وقصر الكوكب بالقلعة حيث يوجد اليوم حصن « بارال » وقصر العروسين ، وقصر السلام بالقلعة وقصر الامراء وقصر بلارة زوجة الناصر بيجاية والرياض البديع غربي المدينة وهو الذي يقول في شأنه ابن خلدون « ان كان من آلق الرياض واحليها » حطبه المرينيون سنة ٦٧٠ - ١٣٠١ م والرياض الربيع شرقى المدينة ، وكما كانت آلة في الفن والجمال ينالق حستها ويتلاها نورها ، فاسمع الى ابن حدين كيف يصف لنا قصر المتصور بيجاية فيقول :

(١) الاستبعاد من ٢١ طبينا ١٨٥٢ م .

اهـر بقسر الـلـكـ نـادـيكـ الـذـي
 فـصـرـ لـوـ اـثـكـ قـدـ كـعـلـتـ بـنـورـهـ
 وـاسـقـ منـ مـعـنـ الـحـيـاـ نـسـيـهـ
 نـسـيـ «ـ الصـيـحـ »ـ معـ «ـ الـمـلـيـحـ »ـ بـذـكـرـهـ
 وـلوـ انـ بـالـاـيـرانـ قـوـبـلـ حـتـهـ
 أـبـيـتـ مـصـانـعـهـ عـلـىـ الـفـرـسـ الـأـلـيـ
 وـمضـتـ عـلـىـ الرـوـمـ الـدـهـوـرـ وـمـاـ يـنـواـ
 أـذـكـرـتـنـاـ الـفـرـدـوـسـ حـيـنـ اـرـيـتـاـ
 فـالـهـسـنـونـ تـرـيـدـوـ اـعـمـالـهـمـ
 وـالـذـنـبـونـ هـدـوـ الـصـرـاطـ وـكـفـرـتـ
 فـلـكـ مـنـ الـأـفـلـاكـ إـلـاـ إـنـهـ
 اـبـرـئـهـ فـرـأـتـ اـبـدـعـ مـنـظـرـ
 فـظـنـتـ إـنـ حـالـمـ فـيـ جـنـةـ
 وـإـذـ الـوـلـاـنـ دـفـعـتـ اـبـوـابـهـ
 عـضـتـ عـلـىـ حـلـقـاتـهـ ضـرـاغـمـ
 فـكـلـاـنـاـ لـبـدـتـ لـهـمـ عـنـهـاـ
 تـخـرـيـ المـحـاـطـ مـطـلـاتـ اـعـنـهـ
 بـرـغـمـ السـاحـاتـ تـحـبـ إـنـهـ
 وـعـصـبـ بـالـدـرـ تـحـبـ تـرـبـهـ
 يـسـتـفـلـ الـاصـبـاجـ مـنـهـ إـذـ اـنـقـضـ
 صـبـعاـ عـلـىـ غـقـ الـظـلـامـ مـنـيـاـ

ثم شرع في وصف بركة الفصر :

وـضـرـاغـمـ سـكـنـتـ عـرـبـ دـنـاسـةـ
 فـكـلـاـنـاـ غـشـيـ النـفـارـ جـسـومـهـاـ
 أـسـدـ كـانـ سـكـونـهـ مـتـرـكـ
 وـتـذـكـرـتـ فـكـلـاـنـاـ فـكـلـاـنـاـ
 وـنـخـالـهـ وـالـشـسـ نـجـلـوـ لـوـنـهـاـ

فكأنما سلت سيف جداول ذات بلا نمار فعدن غدراً
وكأنما نسج النسيم لسانه درعاً فقدر مردها تقدراً

وشرع في وصف الاشجار :

عيناي بحر عجائب مسجورا
سر يذثر في النهر قاتيرا
فقصت لهن من الفضاء طيررا
ان تستقل بنها وتطيرها
ماء كلال العين غيرا
جبلت تفرد بالياه صغيرا
لانت فارسل خطها مجرورا
فوق الزرجد لوزلاً متورا
بحكت محاسن اليك كأنما

وبديعة التمرات تعبر خوها
شجرية ذهبية تزعم الى
قد صولب أغصانا فكأنما
وكأنما تلهي لوقع طيرها
من كل واقعه ترى منقارها
”خرس“ تعد من الفلاح فان شدت
وكأنما في كل غصن فضة
وتربك في الصربيع موضع قطرها
بحكت محاسن اليك كأنما

وهنا أخذ بصف القصر وأبوابه :

بالنقش بين شكلوه تظيرها
فلكل النهود من الحسان صدورا
”شمـس“ ترد الطرف عنه حسيرا
ابصرت روضاً في الماء نصيرا
حامت لبني في ذراه وكورا
فارتك كل طريدة تصريرا
مشقا بها التزويق والتشمير
بالخط في ودار الساه سطروا
تركتوا مكان وشاحها متصورا
ملك الساه على العدة نصيرا
واسْتُوجِيت لتصورك التأخيرا
منها ودمرت العدا تدميرا
وكأنما للازورد خضرم

ومصحح الابواب تبرأ نظروا
تبعد مسامير النضار كما علت
خلعت عليه غلاتلا ورئيسة
وإذا نظرت الى غرائب منه
وعجبت من خطاف عبده التي
وضفت به صناعه أفلامها
وكأنما الشس فيه لبة
وكأنما للازورد خضرم
وكأنما وثنوا عليه ملادة
يا مالك الارض الذي اضعن له
كم من قصور الملوك تقدمت
فعمرتها وملكت كل رئاسته

وهذه مقطوعة من قصيدة له اخرى نونية تختiri على الثنين وثلاثين
يبدأ بصف فيها قصراً آخر من قصور المنصور بالناصرية - بجایة :

قصر يقصر وهو غير مقصى عن وصفه في الحسن والاحسان
وكانه من درة شفاعة تعشى العيون بشدة الدعاء
لا يرقى الراقي الى شرفاته الا همراه من المطاعن
عرج بأرض «الناصرية» كي ترى شرف المكان وقدرة الامكان
في جنة غشاء فردوسية محفرة بالروح والبهان
وتوفدت بالجزء من نارنجها فكأنما خلقت من النيران
وكائن حكرات تبر اخر جعلت صوالحها من القضايان

قال ابن خلدون : فاختنى المنصور - بجایة هذه مقلداً وصيراها داراً
لذلك وجد قصورها وشيد جامعها ، وكان المنصور هذا جماعة مولعاً
بالياء ، وهو الذي حضر ملك بيبي حاد وتألق في اختطاط المباني والمصانع
وافتتاح القصور وإجزاء المياه في الرياض والبساتن ، فبني في القلعة قصر
الملائكة والمنار والكتوركب وقصر السلام وفي بجایة قصر المؤله وقصر اميون ١١ .

ولا تزال المغريات والبعوث الاركيبولوجية تجري مجرأها بواسطة علماء
الآثار في كل من مدينة القلعة وبجایة وآمنير وهي تطلعنا في كل
مرة على تحف فنية جليلة دالة على مبلغ الرقي الصناعي والفنى الذي بلغته
الجزائر في ذلك العصر الزاهر وما كان لها من التقدم في العلم والمدنية
التي شاركت بها في سير ركب الحضارة بهذا المقرب العربي الكبير بل
وفي اوروبا ايضاً ولاسيما ببلاد ايطاليا وجزرها وقليلها ، وفي
متاحف الجزائر وباريس غاذج من ذلك ١٢ . وربما كان من يقاوما هذه
الدولة اليوم : الجامع الكبير بدمية قسنطينة المنشوش تاريخه بداخل محرابه
هكذا : « سنة ثلاثين وأربعين » ، ومتبر الجامع الكبير بعاصمة الجزائر .

(١) ابن خلدون ج ٦ ص ١٧٤ - ١٧٥ ط بولاق ١٢٨٤ *

(٢) واجع : G. Marçais : Manuel d'Art Musulman T. P. 112
140 Paris 1926

وقد نقش عليه تاريخه بالخط الكوفي المثبت هكذا ، سنة تسعمائة وسبعين وأربعين ، وقرأها مقى الجزار الشيخ سعيد قدوره المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م هكذا «سنة سبع وأربعين مائة» ؟

وأغلب هذه القصور التي كانت في مناعة الحصون فضى عليها الإبان أيام احتلالهم بعجاية كما فضوا فيها على توان المسلمين وبعدم التالد بالأندلس ! ...

الحركة الاقتصادية

لا يفوتنا هنا ذكر سعة نطاق الحركة الاقتصادية بالجزائر ، فإن طرق القوافل بين أقطار الشمال الأفريقي وأوض السودان كانت لا غلو من السافية غاذية رائحة حامضة لأنواع البضائع والسلع ، كما أن السفن كانت تجري بالنهار قنطيرية ووديانها وفي حوض هذا البحرapis المتوسط للواصلات والتجارة .

وبحديثنا الأدريسي عن الحياة الاقتصادية بالجزائر في هذا العصر فيقول : ومدينة بجاية في وقتنا هذا (١٤٨ هـ - ١١٣٣ م) مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حاد ، والسفينة إليها متلمدة ، وبها القوافل من محطة والامتنة إليها يوماً وبحراً مجلوبة ، والبضائع بها ناقفة ، واهلهما يجالسون تجارة المغرب الأقصى وتختار الصحراء وتختار الشرق ، وبها تحمل الشدود وتتابع البضائع بالأموال المقطرة ، وما يواد وزماد لفلاسته أنواع الأثار والأشجار وغرامة القطن والكتان وبقية أنواع المنتوجات الزراعية ، والاحنطة والشعير بما موجودان كثيراً والتبن وسائر القوافل بها منها ما يكتفي لكتير من البلاد ، وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والراكب والسفينة والمرابي لأن الخشب في أوديتها وجبلها كثير موجود ، ويجلب إليها من إقاليمها الرفت البالغ الجودة والقطران ؟ وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة كما هي كذلك بعنابة ؟ وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة^(١) .

(١) نزهة المشتاق من مطبعة ليدن ١٨٦٤ م

ولقد غُرّ الأتراك من العلماء المفتين بالظرف عن الآثار على بعض
الأواني والقطع المخرفة الصناعية الصنع وجدوها بالقلعة الحادىء ،
وهذا ما يدل على سابق المعاملة في تبادل البضائع والاتصال التجارى
الذى كان يجري بين الجزائر والأقطار النائية عنها كالصين . وهذه القطع
موجود بعضها اليوم بمتاحف « سينيان غزال » بمدينة الجزائر .

وكان الدول أوروبا البحرية معاهدات تجارية وقتصادية دقيقة مع بجاية
وهي بها مرااكل وفنادق خاصة .

وإذا ذكرنا بجاية فلما هي النسبة لكونها عاصمة المملكة يومئذ ، والا
فإن في القلعة وبجونة وقسطنطينة وهران وتلمسان من حرارة الاقتصادية
يومئذ ما يشبه الحياة في بجاية وإن كانت هذه تقويمها ، فقد كان دخل
مرمى الحزب - القالة - من تجارة بيع المروجان فقط عشرة آلاف دينار
سنويًا ، وكان مستخلص بجونة عشرين ألف دينار سنويًا وقس على ذلك ...

انهيار الدولة العادىة

ان اهم الاسباب الاساسية في سقوط هذه الدولة وانهيار اياها هو ما
لحق بها من داء المرض وخسق العصبية القومية وفضض الدعائم والقوى
في حروبها الداخلية وما تكبدها الحكومة من الخسائر الباهضة في الاموال
والانفس أيام الحملة الفلاحية ؛ وما كان عليه الامير بجي بن العزيز ايضاً
من الانحلال في الاخلاق والانهيار في الشهوات والاستغلال باللهو عن الملك
وتواكبه وسخريته برجال دولة فان مباشرة تسيير دفة الدولة كانت بيد
الوزير ميسون بن حدون الذي كان الملك كثيراً ما يقع في افعاله ويسخر
 منه ويتنقصه ، فكان يدعوه الشيخ الكذاب وهو مع ذلك مدد
في الادارة ! ...

امتنع الوزير ميسون يوماً ما الحفه به الملك من الحسق والهران
وابت له نفه الاية الصبر على المذمة والاحتقار ، فخشى من ضياع ثروته
والذهب يبعده وسمعت ، وقد رأى ما رأى من نهالك الترورى

واحتكاكهم على المغرب الإسلامي ، فبادر إلى مكابية خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي في شأن التملك على الجزائر ، فطار لها الخليفة فرحاً وبدت له بذلك فرصة طلما هد إليها قلبه ولرتقها خاطره . فخرج من مراكش متوجهاً نحو الجزائر سنة ٥٤٦هـ - ١١٥١م سالكاً في طريقه سبيل التضليل والتورية ، فاولم الناس أنه يريد الاندنس حتى نزل بقعة بجيه ورجاله يتغورون دسيوسيرات ، المعروفة بفحص دقيق ، وهي يومئذ حدود الجزائر الغربية ، وقد أخلاقها الوزير ميمون من الجند والخامة فكتات الطريق إلى الاستيلاء على مملكةبني حاد مهددة معدة .

افتعم عبد المؤمن الحدودالجزائرية بدون عناء ولا مشقة حتى بلغ المدينة واحتل الجزائر فطر عاملها القائد إلى أخيه بجيء ملك بجاية ، وأخذدا معاً في الاستعداد لاقامة غزوة الموحدين ، وما فيه الملك الحادي يستعد لاقامة حتى فاجأه عبد المؤمن بجيءه على أبواب بجاية ، تاركاً مدينة الجزائر تحت امرة الحسن بن علي آخر ملوك صنهاجة بالمدينة ، وذلك ما خشيته ملك بجاية من قبل ... وكانت هنالك فتنة وهرج ومتارشات حربية وقف فيها الوزير ميمون بجانب الموحدين فانتصر الموحدون من غير قتال كبير ، وفتح لهم أبو عبد الله بن الوزير المذكور أبواب مدينة بجاية فاحتلوها بعد يومين من الوقعة فكان دخولهم إليها في ذي القعدة ٥٤٧هـ - فبراير ١١٥٣م .

فخرج جيئنذ بجيء بن العزيز من بجاية فركب البحر متزماً إلى بونة فنزل على عاملها أخيه الحارث بن العزيز ، فاغلظ له هذا القول وانكر عليه تسليم العاصمة الحادية ، فاعرض عنه بجيء وعدل متوجهها إلى قسطنطينة فنزل على أخيه أيضاً الحسن بن العزيز فاحتقى به واداته وتزول له عن هذه الولاية أكراماً وتمظيناً له .

واستمر عبد المؤمن في سيره زاحفاً فاحتل القلعة في وقعة عظيمة ضد الأعراب قتل فيها نحو الثانية عشر ألف نسمة من أهلها ، وكان فيهن قتل بها يومئذ عاملها جوشن بن العزيز نحو الأمير بجيء ، ثم كان بعدها

حضار قسطنطينة وتضيق الخناق عليها حتى اضطر يحيى الى التزول عن عرشه والاستسلام الى الموحدين وتقديم بنفسه الى الخليفة عبد المؤمن فبايعه مسأمتاً على نفسه فأمنه واخذه معه الى المغرب الاقصى فازله مع ابن عم الحسن بن علي آخر ملوك صنهاجة يقتصر بني عشرة في مدينة سلا . وقد حاز يحيى عند الخليفة مقاماً رفيعاً ورتبة ملحوظة ، وبليه هنالك عתרم الطائب الى وفاته سنة ٥٥٨ - ١١٦٣ م قدفن بمقابرها الجوفية - الجنوبيّة - مما يلي البحر . فكان هذا اخر المهد بملوك بني حماد .

واستمر الحارث بن العزيز اخو يحيى على دأس ولاية بوتة غير ملتقط الى سلطة الموحدين على الجزائر مستمراً بمجلس التورمان الى سنة ٥٥١ - ١١٥٦ فقط هذه الولاية ايضاً بيد الموحدين وقتل الحارث صبراً وانتهت بذلك دولة بني حماد بالجزائر بعد ما امتدت ١٤٢ سنة . وقد قبض لها في هذه المدة السيرة من اسباب المدينة والحضارة والعلم ما لم يتيسر لغيرها من الدول في اكثر من هذا المدد من السنين . وتلك الايام نذرواها بين الناس .

ولاية الجزائر وزعيماؤها

قتلت رائدة مملكة الجزائر الحادية بين مدن ثلاث : آشير ثم القلعة ثم بجاية ، فبها كان مستقر ملوك هذه الدولة وأمرائها من بني حماد الصنهاجيين وكان هؤلاء من العمال والولاة ما هو متثبت في كامل اهم عواصم القطر الجزائري ومدنه المختلفة كبونة وقسطنطينة وبسكرة والجزائر الخ ...

فن من أشهر رجال الحكم والوزارة في هذا المهد : خلف بن حيدرة وابو بكر بن اي الفرج ؟ فسعت صنهاجة بخلاف الى الناصر فقط واستقر مكانه احمد بن جعفر بن افلح ، وكان عبد الكريم بن سليمان وزياراً للنصرور ، وفي ایام يحيى الحائز الوزارة الى بني ميسون بن حدون ، وكان اخوه الناصر وابناؤه ولاة على اعمال قسطنطينة والجزائر ؛ فنهم اخوه بليار بقسطنطينة كما تولاها ايضاً الامير سبع بن العزيز اخ يحيى ؟

وكان عبد الله بن الناصر على الجزائر ومرسى الدجاج وآخره يوسف على آشير ، وكتب على ميلانة ورومان على حزرة - نواحي قصر البخاري - كأنزلها أيضاً على عهد الفائز بن حاد اخوه ويعلان ، وتولى خزر على نقاوس ، وكانت قيادة الجيش العامة على عهد حماد بن يلكين لمجاد بن صادق وعبد الله بن سكر الصنهاجيين ، وكان على رأس قيادة الجيش الحارب للعرب من رياح وزغبة سنة ٤٥٧ - ١٠٦٥ م القائم بن علناس آخر الناصر ، ورئاسة بسكرة والزاب لبني رمان ومنهم الذين أفلحوا في حد الملة الملائمة عن البلاد ، وقد حل هؤلاء على ولائهم لبني حاد إلى نهاية دولتهم ؛ جعفر بن أبي رمان ، وقد حاول جعفر هذا أن يستبد بالامر فدفع بأهل بسكرة إلى الثورة في وجه يلكين بن محمد قفهمهم ، وانكسر جعفر وحزبه وفتحت بسكرة عنزة ودخل جعفر ومن معه من المتأمرين خد السلطة الحاكمة سجن القلعة حيث قتل هناك ثم أدار منهم الناصر ببني سدي (او هندي) ؟ وكان على ولاية المدينة أيام الناصر ابو الفتوح بن حنوش من بني سنجاش ، وعلى ولاية مثلث معنصر بن حماد وكلاما قتل في ثورته على الناصر كما استفاده ، وكانت ابرة بني نوجين لمجاد بن عبد الله ثم انتقلت إلى آل عطية بن دفلق بن أبي بكر المنقوشي .

وجاء يحيى بن وطاس الى الناصر موفداً من طرف اهل فلسطينية لاعلان طاغتهم فقد الملك ليوسف بن خلوف الصنهاجي على هذه الولاية ، وعقد المنصور لافي يكفي بن حمن بن القائد بن حاد على ولاية قسطنطينة وادن له في غزو عمه بلياز ، فتسكن ابو يكفي من هذه الولاية وابعلن سلطته عليها سنة ٤٨٧ - ١٠٩٥ م وجعل اخاه ديفلان والياً على بونة ، تم حدث ما اضطر ابا يكفي الى الفرار من ولايتها قتلى مكانه مصيل بن الاحمر من رجالات ابيه ، ثم كانت ولايتها لحسن بن العزيز اخ الامير يحيى .

وكان قيادة الجيش العليا أيام يحيى بن العزيز إلى القافية مطرف بن علي بن حدرون وظاهر بن كتاب وهو الذي بعث به يحيى بن العزيز صاحب

بحيارة لناصرة ثائرين بن علي امير المرابطين في حروب قلسان فاوقع به وبخيومه الموحدون . ومن ولاة بجي وعاله على الجزائر اخوه ، فالقائد كان على مدينة الجزائر والحسن على قسنطينة والطاروت على بونة وجوشن على القلعة ، ومن رؤساء بجية ومشيختها محمد بن نزال الريفي ، وكانت رئاسة صنهاجة في بني حسن ورئاسة مقرة في بني اي والليل .
ولما احتل المستنصر الزناتي المية واشير صاحه الناصر واقطعه ولاية نواحي الزاب وريقة ثم تله غرداً .

وكانت رئاسة مغراوة في بني ورسقان المراوين ورئاسة زنقة الى جهة الشرق بوادي ميناس ومرات وما اليها من أسائل سلف لبني ومانو وكانت الرئاسة فيما ليت بني ماخوخ منهم واصهر المتصور بن الناصر الحادى الى ماخوخ في اخته فزوجها اباه فكان الفم بذلك مزيد ولاية في الدولة .

واما رئاسة ناحية العدوة الغربية من وادي مثلث بالجمبات والبطحاء وسيدو وسرات وجبل هوارة وبين راشد فانها كانت لبني يلوسي وم قوم من زنقة ايضاً ، وكانت القيلتين : بني دمانو وبني يلوسي كانوا من اوفر بطون زنقة واسدهم شوكة ، ومواطنهم جميعاً بالقرب الاوسط - الجزائر وكان من عمال بجية على محمد باديس بن المتصور سهام ، فتكلل به الامير ، وكانت على مدينة الجزائر العزيز فزره باديس ونقاء الى جبجل ، وكانت امرة قلسان ورئاستها في بني يعلي المراوين .

اما تونس الحادية فانها كانت لكرامة عم الملك بجي ، وبعد وفاته خلقه اخوه أبو الفتوح بن المتصور ، ثم بعده ابنه محمد فلم تحمد سيرته فعزل بعده محمد ابن المتصور ، كما قرلى هذه الولاية للمهادين عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان .

ملوك الدولة الحمادية

تاريخ الدولة

حادي بن بلکین بن زبیري	١٠٠٧ م = ٤٩٨
القائد بن حاد	١٠٢٨ م = ٤١٩
حسن بن القائد	١٠٥٦ م = ٤٤٦
بلکین بن محمد بن حاد	١٠٥٥ م = ٤٤٧
الناصر بن علناس	١٠٦٢ م = ٤٥٤
المصود بن الناصر	١٠٨٩ م = ٤٨١
باديس بن المصود	١١٠٤ م = ٤٩٨
العزيز بالله بن المصود	١١٠٥ م = ٤٩٨
مجي بن العزيز بالله	١١٢١ م = ٥١٥

من مَشاھير أبجذائر

أبو القاسم يوسف البسكري

٤٠٣ - ٤٦٥ = ١٠١٢ - ١٠٧٢ م

هو العلامة الامام الرحال المقرئ الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي بن جيارة بن محمد بن عقيل المذلي المغربي البسكري ، ولد سنة ثلاط وأربعينات الهجرة ؛ أخذ العلم عن مشيحة بلده ثم ارتحل للطلب مستزيداً من العلم سنة خمس وعشرين فطوف بلاد الشرق والغرب فقرأ على المائة باصبهان ، منهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الااصبهاني وغيره ودخل بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي ووره نيسابور سنة ثمان وخمسين فحضر دروس أبي القاسم القشيري في الاصول وأبي بكر بن منصور وغيرهما .

انصرف الشيخ الى التطلع والاختصاص في علوم اللغة والقراءات فخاض عبابها وعمق في استغراج اسرارها ودقائقها وأكثر من الرحالة فيها حتى قال عنه امام القراء ابن الجوزي : فلا أعلم أحداً في هذه الامة رحل في القراءات وحلته ، ولا ياق من لقي من الشيخ ، قال الامير بن ماكولا : كان أبو القاسم البسكري يدرس علم النحو وبفهم الكلام ، وكان مقدماً في علوم اللغة وعمل القراءات وله ترجيحات وخيارات وآراء فيها خاصة ، وكان الامام القشيري يراجعه في مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه .

ذاع ذكر الشيخ على الانفواه وقرع صيته الاصناع فاستدعاه الوزير نظام الملک سنة ثمان وخمسين وأربعيناته الى الانفواه بمدرسة نيسابور وقرره استاذها فيها ، نسكت فيها الشيخ ناشراً عليه بها الى وفاته سنة خمس وستين وأربعينات وقد مي في آخر عمره رحمة الله .

وله من التأليف كتاب الكامل في القراءات الذي جاء فيها قوله :

فعملة من لقيت في هذا العلم ثلاثة وخمسة وستون شيئاً من آخر المغرب
إلى باب فرغانة بينما شمالاً جيلاً وبمراً، ولو علمت أحداً تقدم على في
هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصده : إلى أن قال : والفت هذا
الكتاب فجعلته جامعاً لطرق المتأله والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاني
كالوجيز والمادي ، وعلق ابن الجوزي على هذا الكلام بقوله : كذا ترى
هم السادات في الطلب !

أبو محمد عبد الله الأشيري

١١٦٥ - ٥٥٦١ م

الإمام المحدث الفقيه الأديب الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري
 نسبة إلى بلدة «أشيري» بالجنوب الشرقي من مدينة البراءة في سفح جبل
 قيطرى من علة الجزائر .

كان رحمة الله إمام أهل عصره في الفقه والحديث والآداب ، انتقل
 إلى الشام فسكن حلب الشهباء ففاق بها جميع علمائها كما قال ياقوت :
 إمام أهل الحديث والفقه والآداب بحلب خاصة وبالشام عامة ؟ يتسابق
 الناس إلى الأخذ عنه والتشريف بالاتساع إليه ، ويتفاخر الوزراء والملوك
 ب مجالسته والاستئذان بعلمه وأزانته .

استدعاء الوزير أبو المظفر عون الدين بجي بن هيرة وزير المقفي والمستجد
 إلى بغداد وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي لاقرءه الحديث
 وتدریس علومه بدار السلام - بغداد - فيبرؤ الملك إليه محفوفاً بالإجلال
 والاكرام : فأقرأه بذلك كتاب «الأفصاح عن شرح مهافي الصحاح»
 بحضور الوزير مؤلف الكتاب نفسه ، وهو شرح يحتوي على تسعه عشر
 كتاباً شرح بها الوزير أحاديث الصعيبين .

وقد جرت للشيخ مع الوزير مناقفة فتقاطعاً ثم ندم الوزير على موقفه
 هذا تجاه الشيخ فاعتذر إليه وأغدق عليه بره واحسانه ، ثم سار الشيخ

من بغداد الى مكة ثم عاد الى الشام ثُمَّ رحمة الله يبتاع بعليله سنة
١١٦٥ - ٥٦٦ م.

ابن الرمامنة

٤٧٨ - ١١٧١ م = ٤٥٦٧ - ١٠٨٥ م

العلامة النظار والحاكم والفيلسوف الفقيه ابو عبد الله محمد بن علي المشهور
ب ابن الرمامنة ، ولد بعاصمة الجزائر الحادية « قلعة بنى حماد » في رجب سنة
٤٧٨ - ١٠٨٥ م روى عن أبي الفضل بن النعوي بالقلعة وثقة به ،
و عن أبي محمد المترى بيعاية ، وأبي اسحاق ابراهيم بن حماد ، وعن خاله
أبي الحسن علي بن طاهر بن الحشوة بعدينة الجزائر .

ارتحل الى الاندلس تاجراً وطالباً العلم فلقي بقرطبة الفيلسوف الحكمي
القاضي ابا الوليد ابن رشد وابا محمد بن عتاب وابا بحر الاسدي ؟ وابا
الوليد بن طريف فأخذ عنهم ، ثم انتقل الى المغرب فنزل مدينة فاس
وتولى بها خطة القضاء سنة ٥٣٦ - ١١٤٢ م وعكف هناك على الدرس
والنظر في الاحكام فأخذ الناس عنه ، وكان يليل الى مذهب الشافعية .

له من التأليف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب وكتاب التفصي
عن فوائد التصعي وكتاب التبيين في شرح الثلثين الخ وبذل همه ووسنه
في تحقيق كتاب البسيط للغزالى ومحrir نكته ومباسمه .

ومن أشهر من روى عنه وأخذ عنه كتبه الحافظ ابو ذر المخني
وابو الحسن بن المفضل وابو القاسم بن يقى وغيرهم ، وكانت وفاته رحمة
الله بعدينة فاس يوم الاثنين ١١ دجنب سنة ٥٦٧ - ١٠ مارس ١١٧٢ م .

كما استهل بالجزائر يومئذ العالم ابو ذكرى بمحى بن علي - بذكرى - الوارقى
صاحب كتاب « تاريخ آفة الباختية » ، المتوفى رحمة الله سنة ٤٧١ - ١٠٧٨ م . ولعل كتابه هذا هو المشهور بكتاب السير وهو جزآن يوجد
ببلاد مصايب بجهنوب الجزائر ويحيى نقوسة من ارض طرابلس الغرب .

جَسْدَوْلٌ تَارِيْخِيٌّ

٤٠٥ - ٤٥٤ - ١٠١٤ = م ١١٥٣

تأريخ المروادث	أُم المروادث وابن الأحداث
١٠١٤ = م ٤٠٥	تأسيس المملكة الخادية .
١٠٢٠ = م ٤١١	استبداد القحط وكترة الفناه في الناس من تأثرت إلى سجلسة .
١٠٣٤ = م ٤٢٥	خراب بورقة على يد الجنرال .
١٠٣٨ = م ٤٣٠	انزام حامة بن ذيري المراوي عن الجزائر .
١٠٤١ = م ٤٣٢	تلعب القائد بالدعوة الشيعية .
١٠٥٥ = م ٤٤٧	تشعب آل حماد والشقاقهم على أنفسهم واغتيال الملك محسن .
١٠٥٨ = م ٤٥٠	نسبة ولادة بسكرة من آل رومان على يد بلکین بن محمد .
١٠٦٢ = م ٤٥٤	اغتيال بلکین وولادة الناصر بن عثمان ؛ والاستيلاء على فاس ، وولاية آل عروس بن سندى على بسكرة .
١٠٦٥ = م ٤٥٧	وقعة سبيبة والزحف الملاي على الجزائر .
١٠٦٨ = م ٤٦٠	خيبة المتصر الزاغي في هجومه على الجزائر وقتله ، وفيها كان تأسيس مدينة بجاية وتوردة أهالي المهدية وئتلاف وفتح الاربص والقيروان .

أهم الموارد وأبرز الأحداث	تاريخ الموارد
تتويج الناصر بيلارة بنت عم ملك المهدية .	١٠٧٢ = ٥٤٧٠ م
فتح المرابطين لاعمال تلمسان ووهران واحوازن مدينة الجزائر .	١٠٨٢ = ٥٤٧٥ م
وفاة الناصر بن عثمان ولديه المنصور .	١٠٨٨ = ٥٤٨١ م
اتقال عرش المنصور من قلعةبني حماد الى بجاية .	١٠٩٠ = ٥٤٨٣ م
قطع مدينة دلس لعزيز الدولة بن صلاح الاندلسي .	١٠٩١ = ٥٤٨٤ م
نورة أبي يكفي بقسطنطينة وقتله وسرقة آشير يد المرابطين .	١٠٩٤ = ٥٤٨٧ م
فتح المنصور بالمرابطين وعقد المدنة بين الملكتين .	١١٠٣ = ٥٤٩٦ م
وفاة المنصور وولديه باديس ثم العزيز .	١١٠٤ = ٥٤٩٨ م
خيبة الاعراب في اغارتهم على القلعة .	١١١٨ = ٥٥١٢ م
اذعان تونس للسلطة الخادية واحتلال جربة .	١١٢٠ = ٥٥١٤ م
وفاة العزيز وولديه ولده بمحبي .	١١٢١ = ٥٥١٥ م
حصار المهدية واحتلال تونس .	١١٢٩ = ٥٥٢٣ م
وقمة زاوية وحصار المهدية (مرة ثانية) .	١١٣٥ = ٥٥٣٠ م
اعتداء التوorman على جيجل واستيلاؤهم عليها .	١١٤٢ = ٥٥٣٧ م
سلك التقوه الخادية ببجاية والتجاه امير المهدية الحسن بن علي الى الجزائر بعد سقوط مملكته بيد التوorman .	١١٤٨ = ٥٥٤٣ م
نهاية دولةبني حماد .	١١٥٣ = ٥٥٤٧ م
وفاة محبي بن العزيز آخر ملوك الدولة الخادية .	١١٦٣ = ٥٥٥٨ م

الدَّوْلَةُ الْمَرَابطِيَّةُ

٤٧٢ — ٥٣٩ هـ

١٠٧٩ - ١١٤٥ مـ

الرباط والمرابطة

الرباط لغة يطلق على الحسن الجيل فما فوقها وعلى الواضبة على الامر، والمرابطة ملازمته ثغر العدو ، واصنعه ان يربط كل واحد من الفربين خيده ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً . قال الدهوردي في كتابه عوارف المغارف : « وأصل الرباط ما تربط به الحيوان ثم قيل لكل ثغر يدفع اهل عمى ورائهم رباط ، فالجاهد والمرابط يدفع عن ورائهم » .

ثم استبر الرباط الى مسكن العياد واهل الطريق الصوفية وقيل من يقيم مثل هذه الرابط المعدة للمبادة والطاعات مرابط للراقب والقطعاء فيه لامبادة وخدة الدين فهو في ذلك المكان قائم بطاقة الله حابس نفسه عن مخالطة الناس يدفع بداعيه البلاء عن العياد والبلاد فاستحق اسم المرابط^(١) .

وان كل من درس تاريخ المغرب الاسلامي في هذا العصر يعلم انه كان معرضا للغارات البحريية المهاجمة من القسطنطينية او صقلية وجنوب ايطاليا وسردانية ، فاعتبره المسلمون لذلك ثغراً بعد الرباط فيه جهاداً في سبيل الله

(١) خطط المريزي ج ٢ من ٤٢٧ ط بولاق ١٢٧٠

وقربة اليه ، فانشئت لذلك الرباطات والمحصون بسواحل افريقيا حراسة المسلمين والتمبد هذ رب العالمين ، ولقد نظم المقيمون فيها امور انفسهم تنظيماً حسناً مكتفهم من القيام بواجباتهم كلها على وجه حسن ، واصبح الرباط مع الزمن نظاماً عسكرياً دينياً تحددت اصوله وقواعدة شيئاً فشيئاً . وعلى هذا الاساس انشئت الرباطات والمحارس بكامل ساحل المغرب مثل رباط المنستير وسوسة وصفاقس وبنzerت وبونة وشرشال ومرسى مغيلة وارزازو ونكور ورباط الفتح الخ ...

ولقد بلغ من حسناً اهل المغرب للرباط ان اصبح ذوو الجهة من اهل قبائل الصحراء يقطلون الى ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين ، ثم عمّت هذه المركبة شيئاً فشيئاً حتى شغلت دوح الرباط قبائل باسرها واخذت المنشوفون للجهاد من اهل قبائل الصحراء يرطبون على احوال الصحراء لحاجة ما يليهم من بلاد الاسلام من اخطار من يليهم من الجنوب ، وقادت مراكيز الفزو والتوصّع ونشر الاسلام في السودان وببلاد افريقيا الغربية ، وما زالت هذه المركبة تقوى وتشتد حتى قامت على اساسها دول ؟ اولها دولة المرابطين هذه ثم تلاها المرحودون والخلفيون كذلك والمربيون (١) ...

وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع ان نفهم وضعية الحرواتي والزوايا الصوفية المنتشرة في مجال اطراف الشمال الافريقي وتخومه ، وما كان لهذه الزوايا او - الربط - من الانتو الجليل في خدمة الاسلام واهله خدمة سياسية واجتماعية ودينية ايضاً . ولا تزال بقايا اثار الاوبيطة القديمة التي انشئت منذ اواخر القرن الثاني الهجرة منتشرة على طول الساحل الشمالي المجزائى من مرمى القالة على الحدود التونسية شرقاً الى مرسى التزوات على الحدود المغربية غرباً ، ومن اشهرها بالخط البحري رباط بونه او عنابة وبه ضريح أبي مروان البوني شارح موطأ مالك ثم رباط وجال المرأة قرب عنابة ايضاً ويعرف عند الفرنسيين باسم « كاب دي قارد » Coqs de garde ورباط بجاية

(١) انظر رياض الندوس ج ١ ص ٢٥ .

الغ ... كما توجد صدوف جبلية في الجبال وصفوف صحراوية في الصحراء مما جعل الجزائر رقة مطرنج من الأربطة^(١) . وب়احلة فإن الدور الرئيسي الذي قام به أهل المغرب في التاريخ العام للإسلام هو دور رباط وحماية جناحه الغربي كله .

نشأة الدولة

تنتمي هذه الدولة إلى قبيلة لتوة إحدى فصائل القبيلة البربرية الكبرى صنهاجة . واشتهرت باسم دولة المائدين أيضاً لاختلاف قومها الخطام شعاراً يمتاز به ما بين مختلف الأمم والقبائل البربرية المنتشرة بكل من هذا الشمال الأفريقي ، وهم يتلقون بعائهم وفي سبب اختلاف ذلك النام خلاف بين المؤرخين^(٢) .

كان مستقر هذه القبيلة بامتداد الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان – السينيغال – وكان دينها البوسية إلى ما بعد فتح الاندلس فاستطاعت طوائف منها وبقي الآخرون إلى ما بعد المائة الثالثة ، ثم ظهر فيهم عبد الله بن ياسين الجزويلي الذي جاء به الأمير يحيى بن ابراهيم الكذابي من سجلابة قصاص يعلمهم الدين الإسلامي ، وأسس رباطه بوادي النجير – السينيغال – فلازمه منهم جماعة عرفوا فيما بعد باسم المرابطين وهم الذين كان على يدهم تأسيس هذه الدولة سنة ٤٣٤ هـ - ١٠٤٢ م ، ففتحوا بلاد الصحراء والمغرب الأقصى وانتصروا على بلاد الاندلس ، وكان استعمال ملكهم على محمد الأمير يوسف بن تاشفين عامل لتوة ورافقه مهاد الدولة المرابطية ، قال ابن خلدون : « وجاءت دولة المرابطين فجمعوا ما كان متفرقًا بالغرب من كملة الإسلام وفسكروا بالسنة » .

(١) عيّان التكمّل : مراكم التّفاصيل في المغرب من ٧٤ ط القاهرة ١٩٥٨ م .

(٢) انظر ابن خلدون ج ٦ من ١٨١ وابن خلتكان ج ٢ من ٤٩١ والمثل المرشحة من ٤٠ وتحتها الرأي ج ١ من

نظامها الحكومي

نشأت هذه الدولة في اول امرها سلالة سير الافوام المتغلبة فهراً وفراً الى ان نشأ فيها الامير بجي بن ابراهيم الكداري فأخذ قومه بتعاليم الاسلام وبمبادئه فنشرها بينهم بواسطة عبدالله بن ياسين فتطور يومئذ دستور الدولة وأصبح يسير على مقتضى الكتاب والسنة .

وجاء يوسف بن تاشفين ٤٦٥ - ١٠٧٣ م فقصد في التسلك باهداب الاسلام مستدلاً من الخليفة العباسي سلطنه الروحية ، فقلده المتقدى ولابة المغرب والأندلس وكتب له تقويساً لقبه فيه بناصر الدين وبعث اليه بالعلم والاعلام ، وكثيراً ما خرجت السارات من المغرب الى الشرق الى الشرق حاملة المذهب التقليدية الى امراء المؤمنين ، وكانت المراسلة بينهما مستمرة وتسمى يوسف يومئذ بامير المسلمين ثابتاً مع الخليفة امير المؤمنين العباسي ، ثم جرى على هذا القب كل من توقي امر هذه الدولة الى انفراطها .

وما قاتم العباسيون مع هذه الدولة كل هذا التسامع واطاعوها في رغبتها هذه الا عن قصد ايجاد منافس يجانب الخلافتين الفاطميين بالغرب يومئذ : خلافةبني عبيد القاطبية ، وبنى امية في الاندلس فجعل الخليفة من دولة المرابطين هذه زراماً لها يضعف من شأنها بالغرب .

ذاع صيت سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين في اجزاء العالم الاسلامي كله فخطب له على اكثر من في متبصر وقد اجمع المؤرخون على عدالة هذه الدولة وقيامها بحقوق الرعية والرعوبة كما يوجه الاسلام ويقتضيه فقه الامام مالك ؟ فقد كان الامراء لا يقطمون امراً دون مشورة الفقهاء فيه ؟ وكثيراً ما كان الامير يباشر بنفسه ماجريات الاحوال والمسائل العامة ؟ ولم يجر في عمل المرابطين طيلة اياهم رسم مكس ولا ضريبة مفترم لا في الحضر ولا في الباادية ؟ واما هي اموال الزكاة والعشر والجزية والخراج واجasan المفاصم ؟ وذكروا اسم الخليفة العبامي على تقدمه كرمز لطاعته .

وبلغ عدد جيش المرابطين في أوائل ابريل الى مائة ألف جندي ، وهذا من غير المتطوعة من اعيان القبائل و زعمائهم الخاضعين لهذه الدولة ، وفي سنة ٤٦٤ - ١٠٧١ م ادخل في نظام الجندية نحو الالافي فارس من عبيد السودان ثم اضيف اليهم نحو مائتين وخمسين من علوج الاندلس ، والجندي علي بن يوسف بن ثائرين بالغرب جيشاً من الروم في اوائل القرن السادس المجري الحله بجيوش المسلمين وجعله لا يحضر في الجهد خشية غالوه مع العدو ، فكان يستعين به في قتال المغاربة عن الطاعة والمخالفين عن الدولة فقط ، ثم كانت هذه سنة متيبة فلاده فيها جميع ملوك المغرب ودوله فيما بعد ، وذلك ما يشبه الفرقة الاجنبية اليوم في الجيش الفرنسي ، ولقد تعرف هذا النظام العسكري من قبل في الامم السابقة ايضاً ، فقدياً جند حنبعل قوماً من الغاليين - سكان فرانسا - ، والسويسريون انفسهم كانوا يتلون اقدر الفرق التي ترتفق بسيوفها في ربوة اوروبا وتحارب تحت اعلام مختلف ملوكها وامراها .

وكان ما انتهت التاریخ لهذه الدولة وسجله عداد الفخر في ميدان الجندية انه لم يحظ بلند المرابطين فرار من ذáfف قط ؟ وكان قاتلهم رجاله صفرقاً ، بابدي الصف الاول القنا الطوال ويحمل الصف الثاني منه المزاريق ، يتقدمهم رجل يحمل بيده الرایة السوداء فلا ينكرون عن المقرب والقتال ما قامت الرایة فإذا ما امامها صاحبها الى الارض جلسوا ؟ واما الاسطول فإنه بلغ الى مائة ففطة حربية كانت تجول على الدوام في طول هذا البحر الايبير وعرضه متعددة على جزر المaldiات « كالاري » وكانت قيادته لبني ميسون رؤساء جزيرة قادس .

المحدود المزاوني

يتند ملك المرابطين من نحوم المغرب الاقصى فيتخطى حدود ملوية الى آسوار مدينة المزاون ، فكان غرب القطر المزاوني تقريراً كله تحت نفوة المرابطين ، غير ان اوايهم لم تطل بهذا الوطن فلم تكن سوى ٦٢ سنة .

الاستيلاء على الجزائر

كما ألمتنا فيها تقدم الى ما كان بين دولة المرابطين وبني حماد ملوك القلعة وبجاية من التنافس والتزاحم على زعامة المغرب الاوسط وبسط نفوذهم عليه ، وكانت هنالك مهاجرات ومناوشات بين الحاكمتين في كلا الطرفين : الجزائر والمغرب الاقصى كما مر تفصيله .

وفي سنة ٤٧٢ - ١٠٧٩ م تحرك جيش المرابطين من مراكش بقيادة مزدلي بن بكلان المتنوي وجاء غازياً الى الجزائر في نحو عشرين ألف مقاتل فعمل باحراق قلسان فقاتلهم عنها عاملها يومئذ الامير العباس بن بجي من بني خزد المقرابين الى ان سقط ميتاً في الميدان ؛ فانطلق جند ابن تاشفين يبعث بذلك التواهي ثم عاد الى مصدره .

ثم في السنة الثالثة بعدها خرج الامير يوسف بن تاشفين بنفسه فغزا مملكة الجزائر وافتتح منها عدة أماكن واستولى فيها على قلسان وقضى على من كان فيها من أمراء بني خزد - او يفرن - واحتضن بها محله الشهورة « تاسكريارت » قلسان اليوم التي اتخذها مأوى له ولأشياعه ومعسكراً جليشه ؛ ومنها توجه الى وهران وتنس وجبال وانشريس وأعمال سلف قضى على مالك زنانة ومحا آثار مفراوة من جميع المغرب الاوسط ، ودخل متربة موغلا في سهلها الى أسوار مدينة الجزائر ، فرده عنها حصونها ؛ فانكسرها وارتدى الى عاصمة مراكش فدخلها في ربيع الثاني سنة ٤٧٥ هـ - سبتمبر ١٠٨٣ م وأصبحت أعمال الجزائر الغربية كلها بيد المرابطين .

المذهب والعقائد

ان أهم ما ارتكته عليه هذه الدولة في نشأتها السياسية ونهضتها القومية هو الدين ، فباسم الدين رسخت قواعدها في الملك وفتحت جذورها من الارض ، وذلك يفضل عبدالله بن ياسين ، وعبد الله هذا مالكي المذهب ، فكانت جميع أعماله وأقواله تجري على مقتضى قواعد

الفقه المالكي الا ما شذ فيه من بعض فتاویه وتشدیداته ؛ وقده في ذلك المرابطون حکومة وشعباً ؛ وبعدهما اتفق المرابطون بالأندلس وجدوا هنالك مذهب مالک منتشرأ بها أيضاً فتغلبت المالکية جبنت في الامة وأصبحت الحکومة لا تتفضي امراً الا على وفق هذا المذهب ، فعاز فقهاء المالکية بذلك تقدماً عظيماً ومتولاً وفیمة عند الامراء وغيرهم من اتباع هذه الدولة ، ونبذ الناس يومئذ النظر فيها سوى ذلك من المذاهب والاصول وبالفت الدولة في التسلک بهذا المظہر حتى كاد ان ينسى النظر في كتاب الله وسنة رسوله ... ولم يكن لاهل المذاهب الاخرى مظہر بالجزائر الا في بنطیوس من قری بسکرة ، فانه كان بها مسجد واحد للاباضية ، وكان أهل قرية تهودة - میدی عقبة - على مذهب أهل العراق . وقد جاء به يومئذ الى المغرب القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في اوپتها من رحلتها الى المشرق . وتحدث ابن خلدون عن مباحث الخلفية في الفقه وعن مناظراتهم مع الشافعية فقال : وحثت مباحثهم في الحاليات وجاوزوا منها بعلم مستطرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس وبالغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في رحلتها^(١) .

ودان أهل ذلك الزمن بتکفير كل من ظهر عليه الخوض في شيء من علم الكلام ، وقرر الفقهاء بحضور علي بن يوسف بن ثائرين تقییع الفلسفة وعلم الكلام والنظر فيها وکراهة السلف لها ؛ وعبروا كل من ظهر عليه شيء من ذلك بدعوى انه بدعة وقالوا بأن الاکثار منه يؤدی الى اختلال في العقائد ووهن في الاعيان وحملوا الامیر علياً على نشر اوامرہ في البلاد بذلك وكتابته في كل وقت الى الولاية والعمال بالتشدید والتوعد لكل من يستغل بهذا العلم او يوجد عنده من كتبه شيء منها ، واحرقوا في ذلك کتب الفرزالي وعدد من وجدت عنده بسقک دمه ومصادرته امواله ... ولم يرتفع هذا السکابوس الا في عهد الموحدین فكان الامر على تفیض ذلك کله كما سبقه عليك .

(١) المقدمة من ٢١٩ ط بولاق ١٤٧٤

اشد تعلق ابناء هذه الدولة بعلماء الدين حتى كان بلاطهم لا يخلو من علم او فقيه او اديب ، وكان من شفاف يوسف بن ثائرين باهل العلم والفضل ان زوج ابنته بالعلامة الفيلسوف الكبير ابن باجة الاندلسي ، وفي ايماه كثيـر بالقرب ذروـه القرانـع وآورـابـ المـرفـ والـصـنـاعـاتـ والمـهـندـسـونـ ، وقد بلغ ذلك العـزـالي فـرعـبـ فيـ الجـيـ الىـ بلاـطـ ابنـ ثـائـرـينـ ، وـصـحـ منهـ العـزـمـ فـانتـقلـ الىـ الاـسـكـنـدـرـيـةـ مـتـوجهـاـ الىـ المـقـرـبـ وـبـيـنـاـ هوـ آخـذـ فيـ الاـسـتـنـدـادـ لـسـفـرـ اـذـ بـلـفـهـ نـعـيـ اـمـيرـ الـسـلـيـنـ يـوسـفـ بنـ ثـائـرـينـ فـاحـجمـ ، وـكـانـ بنـ اـشـهـرـ فيـ الجـزاـئـرـ يـوـمـنـدـ منـ اـهـلـ التـقـاـفـةـ الـعـالـيـةـ ابوـ عـبدـ مـحـمـدـ بنـ سـخـونـ الطـيـبـ التـدـرـوـيـ الكـوـمـيـ ، نـبـةـ الىـ كـوـمـيـةـ باـحـواـزـ قـاسـانـ ، وـالـادـيـبـ الـكـاتـبـ الـبـلـيـغـ مـحـمـدـ بنـ حـمـزـ الـوـهـرـانـيـ ، وـاـكـثـرـ النـاسـ يـوـمـنـدـ منـ اـشـتـالـمـ بـالـقـارـبـ الـقـيـمـةـ الـمـالـكـيـةـ خـنـقـتـ فـيـ ذـلـكـ الـرـمـنـ سـوقـ كـتـبـ هـذـاـ الثـانـ .

ولـلـلـهـ مـكـتـبـ الـمـرـاـبـطـنـ بـالـجـزاـئـرـ لمـ يـكـنـ لـهـ فـيـ هـنـاـكـ كـيـرـ أـثـرـ فـيـ فـنـ الـعـارـ ، الـهـمـ الاـ ماـ كـانـ مـنـ مـحـةـ تـلـسـانـ - تـاجـراتـ - وـالـمـسـجـدـ الجـامـعـ بـتـلـسـانـ اـنـشـأـ اـمـيرـ الـسـلـيـنـ عـلـيـ بـنـ يـوسـفـ بـنـ ثـائـرـينـ فـيـ جـمـادـيـ الـاثـابـةـ سـنةـ ٥٥٣ـ - اـيـفـرـيلـ ١١٣٦ـ مـ حـسـبـ دـلـ عـلـيـ ذـلـكـ التـقـيـزـ المـزـيدـ بـقـبةـ الجـامـعـ الـقـيـمـةـ الـمـالـكـيـةـ فـوقـ الـمـرـاـبـ وـيـعـزـىـ تـأـلـيـفـهـ فـيـ اـوـلـ مـرـةـ الـمـوـسـىـ بـنـ نـصـرـ اـقـامـهـ عـلـىـ الـحـدـودـ بـيـنـ الـمـغـرـبـ وـالـاـصـحـىـ ، وـهـوـ كـاـيـدـ كـوـ صـاحـبـ كـتـابـ الـأـدـبـ الـمـغـرـبـيـ (جـ ١ـ صـ ٧٢ـ طـ بـيـرـوـتـ ١٩٦٠ـ مـ) : يـضـاهـيـ جـامـعـ الـقـيـرـوانـ ، قـالـ : وـاستـرـ هـذـاـ الـمـهـدـ يـقـومـ بـعـلـهـ التـقـافيـ كـمـكـنـ مـرـاـكـزـ التـقـاـفـةـ الـعـرـبـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ الـمـرـاـبـ خـلـالـ الـقـرـونـ الـمـعـاـقـبـةـ كـاـ انهـ كـانـ عـاصـمـ مـنـ عـرـاصـ الـعـلـمـ الـمـالـكـيـ الـجـانـبـ جـامـعـ طـيـبـ وـقـنـطـنـيـةـ دـيـرـةـ وـوـهـرـانـ وـتـاهـرـتـ وـالـجـزاـئـرـ وـكـذـلـكـ القـولـ فـيـ تـأـسـيـسـ جـامـعـ الـأـعـظـمـ بـعـدـيـةـ الـجـزاـئـرـ ، وـمـسـجـدـ الـجـزاـئـرـ بـنـاءـ عـلـىـ سـكـلـهـ وـهـنـدـسـةـ بـنـائـهـ الـكـثـيـرـ الـبـهـ بـجـامـعـ تـلـسـانـ ، وـهـنـاكـ مـنـ يـزـعـمـ انـ

تاريخ جامع الجزائر هو ما جاء متلوشاً على منبره اي ستة سبع او تسعمائة واربعمائة . وجامع ندوة او ما كان من ابتداء تخطيط مدينة مستغانم حيث اتيق فيها يوسف سركوه الحسين المشهور بشئ غامض ؟ وهو المدعا ببرج الاحمال المنشأ حوله مدينة مستغانم ؟ كما ان مدينة هنـ - موري تلمسان - هي من مدنـات هذا العصر ؟ ولا ندرى أكان ذلك على يد المرابطين ام غيرهم ؟ ... وقد ذكرها البكري والادريسي وقالا انها كانت مزدهرة الحضارة وفيها اسواق ودكاكين ذات تجارة ناشطة ؟ ومن غير بلاد الجزائر كانت للمرابطين آثار ضخمة بالغرب الاقصى هي آية في فن المعمار لا يزال بعضها هناك ماثلاً للعيان الى الان ؛ وفي ايامهم ظهرت صناعة الكاغذ بالغرب .

نهيـاد الجزاـئر المرابطـية

استمر غرب القطر الجزائري تحت طاعة المرابطين الى ان نشأت بجانبهم دولة الموحدون بأقصى بلاد السوس ، وبنـت دعوتها على الامر بالمعروف والنـهي عن النـكـر ، وصادـف ان كان اـمر المرابطـين في تـدهـور وـالمـخـاطـط بـسبـب ما كانـ قد حدـث بعد موـت عـلـى بنـ يـوسـفـ منـ الفتـنةـ بينـ لـتوـنـةـ قـبـيلـ الـامـيرـ - وـمـسوـقةـ وـانـقـامـ هـذـهـ الىـ دـوـلـةـ الـموـحـدـينـ معـ ماـ كـانـتـ عـلـيـ الـحـكـوـمـةـ منـ اـخـتـالـلـ فيـ شـوـرـنـ الـادـارـةـ وـمـوـهـ سـلـوكـ الـولـاةـ وـقـرـيـطـمـ فيـ ضـبـطـ اـمـورـ الـمـلـكـةـ وـاخـلـادـمـ الـدـعـةـ وـالـراـحةـ ، فـادـيرـ النـاسـ عـنـهـمـ يـوـمـ انـ اـحـكـمـ الـمـوـحـدـوـنـ خـطـمـهـ الـمـيـرـوـمـيـةـ عـلـىـ الـجـزاـئـرـ بـعـدـ ماـ اـحـتـلـواـ توـاحـيـدـ كـثـيـرـةـ مـنـ اـقـصـىـ الـمـغـرـبـ فـتـزـلـوـ باـعـلـىـ الجـبـلـ المـطـلـ عـلـىـ قـلـسـانـ الـمـرـوـفـ باـسـمـ كـهـفـ الصـحـاـكـ بـيـنـ الصـخـرـيـنـ مـنـ جـبـلـ تـيـطـرـىـ وـوصلـتـ يـوـمـئـذـ كـتـابـ بـنـ حـادـ يـوـمـ الـامـدـادـ وـالـاعـانـةـ فـهـزـمـهـمـ الـمـوـحـدـوـنـ بـضـاحـيـةـ الـعـبـادـ .

ويومئذ كتب لاشقين بن علي الى الافق يستدعـي انصـارـهـ فـجـاءـهـ السـراـبـاـ منـ سـجـلـاسـةـ وـبـجـاهـةـ وـالـتـعـقـ بـهـ اـبـهـ اـبـراهـيمـ منـ الـانـدـلسـ وـمـعـهـ منـ جـنـدـ الـرـومـ نـحـوـ اـرـبـعـةـ آـلـافـ فـارـسـ فـاجـتـمـعـتـ هـذـهـ كـلـهاـ بـتـلـسـانـ ،

وامر تائفين بعرض الجيوش وسائر الوفود فجوب الناس من كثرة عدم احتمالهم في الزينة حتى زعموا انهم لم يروا مثل هذا الجند المختسد حسناً وحالاً وعدة وكالاً، واصطفت الساكن من باب الفرمدنج الى الجهة المتصلة باصل الجبل؛ وكان ذلك آخر جيش احتفل به المرابطون^(١) ورغم ذلك كله فإنه لم يعن عنهم احتقامهم ولا عدتهم امام جيش الموحدين شيئاً، فلقط تائفين بن علي ميتاً في الوقفة واحتلت تلمسان يوم ٢٩ رمضان سنة ٥٣٩ - ٢٦ مارس ١١٤٥ م وانته يومئذ حكم المرابطين بالجزائر بعد ما قضوا بها ٦٧ سنة واحصر ملكهم بالغرب الاقصى الى ١١٤٢ - ٥٤١ م حيث احتل الموحدون مراكش ايضاً بعد ما مكثوا نحو ثلاثة سنين في المغرب فأنهار سلطانهم عن ملك المغرب وانقضت أيامهم به.

ولاية الجزائر وزعاؤها

كان فيمن تولى أعمال الجزائر على عهد المرابطين محمد بن تيغزير المسولي ولاه يوسف بن تائفين على تلمسان سنة ٤٧٥ - ١٠٨٢ م ولم يزل محمد المذكور في ولايته هذه الى ان هلك في حصار مدينة الجزائر قتلى بعده اخوه تائفين بن تيغزير فخرج هو أيضاً لحصار الجزائر ففتحها بعد قتال عنيف، وافتتح آشير وحطتها وكانت بيته وبين ملوك بيبي حاد فتنة أدت الى عزله عن منصبه سنة ٤٩٧ - ١١٠٣ م فتولى بهذه القائد مزديلي المنشد في بلاد الروم سنة ٥٠٨ - ١٠١٤ م ثم توكلها أمير المرابطين الى محمد المدعو بالشبور فبقي بها الى ان سقطت يد الموحدين. ومنهم محمد بن يحيى بن فانو المقتول يوم ان هجم الموحدون على تلمسان.

وفي ايام تغلب ابن عائنة - من اتباع المرابطين - على الموحدين واستيلائه على بعض التغور من القطر الجزائري، استدت ولاية تلمسان سنة ٥٨١ - ١١٨٥ م الى يحيى بن أبي طلحة، وعمل ملياناً الى بدر بن عائنة.

(١) الحلال المؤدية من ١٠٧ - ١٠٨.

أماء المرابطين

تاویخ التولیة

م ١٠٧٣ = ٤٦٥

برسفت بن ناصفین

م ١١٠٦ = ٥٠٠

علی بن برسفت

م ١١٤٢ = ٥٣٧

ناصفین بن علی

من مَشاھير أجزائر

أبو عبد الملك مروان البوّي

٤٣٩ - ١٠٤٧ م

هو العلامة الفقيه المحدث الصالح أبو عبد الملك مروان بن علي الأنصاري
القطان البوّي - نسبة إلى بونة، عنابة - أحدى حواضر القطر الجزائري
الشهير؛ وهو خال أبي عيسى القطان الفقيه.

سكن المترجم له مدينة قرطبة وفيها روى عن أبي محمد الأصيلي والقاضي
إلي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيرهما وارتحل إلى الشرق
فأخذ هناك عن أبي الحسن القابسي؛ ولازم إبا جعفر أحد بن نصير الداودي
خمس سنوات فأخذ عنه معظم تأليفه وما عنده من علم روایة ودرایة.

وتجدد المترجم له بعد ذلك إلى خدمة العلم بالتدريس والتأليف فكتب
شرحه المختصر لوطأ الإمام مالك؛ وقد كان معلماً للناس يومئذ في
دراسة الموطأ على هذا الشرح وتداول بينهم بكثرة وكان من أخذه عنه
أبو عمر بن الخطاء؛ وقال عنه أنه كان وجلاً صاحباً عظيماً عاقلاً حسن
السان والبيان لقيه رحمة الله بيروت سنة ٤٠٥؛ وناولني كتابه في شرح
الموطأ ثم خاطبته من طليطلة فوجده إلى الديوان واجازه لي ثانية وكان
قد زاد فيه بعد لقائي له.

وكان من حديثه أيضًا أبو القاسم بن محمد ؛ فقال لبيه بالقيروان
وشهد معنا المجالس عند أهل العلم بها ، وكان رجلاً حافظاً نادراً في الفقه
والحديث ؛ وقرأ على بعض تفسيره للموطأ وأجاز لي سائر ما
رواه . قال أبو عمر توفي بيونة ؛ وذكره الحيدري فقال : كان فقيهاً محدثاً
وله كتاب كثير شرح فيه الموطأ : مات قبل الأربعين واربعين سنة .

الحسن بن علي التميمي

١١٠٨ - ٥٥١

هو العلامة اللغوي الإمام التميمي الحسن بن علي بن طريف التميمي
تخرج على آلة علماء الأندلس وكبار أساتذتها في القرن الرابع المجري ،
وكان فيمن أخذ عنهم الحجاج بن المأمون وأبن سعدون دسوان بن عبد
الملك والقاضي بن سهل وأبو محمد بن فعافه وأبو قاتم الطبي وغيرهم .
وعنه أخذ علامة المغرب أبو الفضل القاضي عياض وذكره في فهرسته واتى
عليه فقال : شيخ بلادنا في النحو مشهور بالصلاح درس عمره النحو وأخذ
عنه جماعة أصحابنا وجماعة شيوخنا توفي وهو في الثامنة عشرة سنة أحدى
وخمسينات (٨ جوليط ١١٠٨ م) .

يوسف الورجلاني

٥٥٧ - ٥٠٠

١١٢٤ - ١١٠٦

هو العلامة المتبحر أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني ، ولد بمدينة
ورجلان - وارقة - بالجنوب الجزائري حوالي سنة ٥٠٠ - ١١٢٤ م أخذ

العلم بيده ثم ارتفع عنها الى الاندلس طالباً الاستراحة فدخل قرطبة حاضرة العلم يومئذ فكان هناك بين المتنين مثلاً للنبوغ النادر والادب الجم والاطلاع الواسع والعلم الغزير حتى كان الاندلسيون مع حداهنة سنة يشهرون بالماحظ ، ثم عاد الى وطنه وجده منه الرحالة ايضاً الى المشرق فدخل عواصمه العلمية اللامعة وتطلع فيها بجميع ما كان متعارفاً مشهوراً في وقته من العلوم الاسلامية معقوها ومنقوها ، واكثر من الرحالة في سهل العلم فتوغل في اواسط افريقيا حتى بلغ الى قريب من خط الاستواء قبل ما تبعه باكتشاف الاوروبيون بقرون ! ...

ذكر ذلك بنفسه في كتابه الجليل الجامع « الدليل لاهل العقول » وهو أحد كتبه المشهورة ، طبع مصر سنة ١٣٠٦ - ١٨٨٨ م ، ولما عاد من رحلته لازم داره بورقة منكراً على الدرس والتاليف مكرساً حياته لخدمة العلم ونشر الثقافة الاسلامية ، فلم يخرج من داره مدة سبعة أعوام ؛ ولم يكن يرى فيها كما قال الشياخى الا ناسخاً ، وللاظلام بارياً ، وللدراستة فاعلاً ، او للعب طاجناً ، او للدواوين مقابلاً ، او للكتب مقرراً ...

والشيخ من التاليف تفسير القرآن يقع في سبعين جزءاً ، وصف البرادى جزءاً منه فقال : رأيت منه في بلاد ربيع سفراً كبيراً لم أرَ ولا رأيت قط سفراً أضخم منه ولا أكبر منه ، حررت انه يجاوز سبعائة ورقة او أقل او أكثر ، فيه تفسير فاتحة الكتاب وبالقراءة والآل عمران ... فلم أرَ ولا رأيت أبلغ منه ولا أشقى للصدر في اللغة او اعراب او حكم مبين او فراءة ظاهرة او سادة او ناسخ او منسوخ او جميع العلوم منه الغ ... يقال انه يوجد من هذا التفسير اليوم جزء واحد باحدى خزانى رومة عاصمة ايطاليا ، كما ان له في التاريخ كتاب يسمى « فتوح المغرب » يوجد بخزانى المانيا ؛ وله كتاب « العدل والانصاف » في اصول الفقه يقع في ثلاثة أجزاء ؛ والقصيدة الحجازيةنظم فيها رحلته العلمية الى تلك الديار تقع في ٣٥٠ بيتاً جمع فيها

كثيراً من فنون العلم ، وكتاب « بروج الذهب » في الفلسفة ترجم
إلى أكثر لغات أوروبا نظراً لاهيته ؛ وانتشر له في خدمة كتب
الحديث « ترتيب مسند الريبع بن حبيب » وما رأيت له من كتبه
المطبوعة سوى كتاب الدليل الذي جمع فيه فنوناً من الحكمة والفلسفة
والآلهيات وعلم الكلام والمنطق والمندسة ومناقشة المذاهب والتفسير الخ ...
 فهو أشبه بصورة مصقرة لدائرة معارف إسلامية . وتوفي رحمه الله بسلطان
رأسه دارجلان ، سنة ١١٧٠ هـ - ١١٧٤ م .



جَسْدَوْلٌ تَارِيخِيٌّ

م ١١٤٥ = ٥٥٣٩ - ١٠٧٩ = ٤٧٢

تاريخ المواتد	أهم المواتد وأبرز الأحداث
١٠٧٩ م = ٤٧٢	استيلاء المرابطين على غرب القطر الجزائري .
١٠٨٢ م = ٤٧٥	عودة يوسف بن تاشفين من الجزائر الى حاضرة مراكش .
١١٠٦ م = ٥٥٠٠	وفاة يوسف بن تاشفين .
١١٠٨ م = ٥٥٠١	وفاة الحسن بن علي التميمي شيخ القاضي عياض .
١١٤٥ م = ٥٥٣٩	نهاية حكم المرابطين بالجزائر (٢٩ رمضان - ٢٦ مارس) .
١١٧٤ م = ٥٥٧٠	وفاة يوسف الورجلاني .

المحتويات

	صفحة
تقديم	٧
رفع الكتاب	١٢
ام مصادر الكتاب وبرابعه	١٣
طائفة من آراء مشاهير علماء الشرق والغرب في التاريخ	١٤
ما هو التاريخ	٢٣
فيما يتعلق بالتاريخ	٢٦
أشهر سفي ابتداء التاريخ	٣٠
جغرافية القطر الجزائري	٣٢
ما قبل التاريخ	٤٢
البربر	٤٨
الدولة الفينيقية	٦٦
<u>مشاهير ملوك الوطن الجزائري</u>	٨٢
من مشاهير الجزائر	٨٣
الدولة الرومانية	٨٥
<u>مشاهير ملوك الوطن الجزائري</u>	١١٣
إمبراطرة الدولة الرومانية	١١٤
من مشاهير الجزائر	١١٧
جدول تاريخي	١٢١
الدولة الفاندالية	١٢٢
ملوك الفاندال بافريقيا	١٢٩
جدول تاريخي	١٣٠

الدولة البيزنطية	١٣١
مشاهير ملوك الوطن الجزائري	١٤٢
اباطرة الدولة البيزنطية	١٤٣
<u>من مشاهير الجزائر</u>	١٤٤
جدول تاريخي	١٤٥
الأمة العربية	١٤٨
العرب في شمال افريقيا	١٥٦
فتح افريقيا	١٦٠
امراء افريقيا وحكامها	١٧٥
الخلفاء	١٧٦
جدول تاريخي	١٧٧
مواصلة الفتح	١٧٨
ملوك الوطن الجزائري	١٩٣
امراء افريقيا وحكامها	١٩٥
الخلفاء الامويون	١٩٦
<u>من مشاهير الجزائر</u>	١٩٧
جدول تاريخي	٢٠٠
الخواجہ بافريقيۃ	٢٠١
امراء افريقيا وحكامها - الامويون	٢١٢
الخلفاء الامويون	٢١٣
امراء افريقيا وحكامها - العباسيون	٢١٤
الخلفاء العباسيون	٢١٥
<u>من مشاهير الجزائر</u>	٢١٦
جدول تاريخي	٢١٨
الدولة الرستنیة	٢١٩
امامة الدولة الرستنیة	٢٤٠

	صفحة
<u>من ملوك الجزائر</u>	٢٤١
جدول تاريخي	٢٤٤
الدولة الادرية	٢٤٥
آفة الدولة الادرية وخلفاؤها	٢٥٦
<u>من ملوك الجزائر</u>	٢٥٧
جدول تاريخي	٢٥٨
الدولة الاغلية	٢٥٩
أمراء الدولة الاغلية	٢٧٧
<u>من ملوك الجزائر</u>	٢٧٨
جدول تاريخي	٢٨٠
الدولة العبيدية « القاطبية »	٢٨١
الخلفاء العبيديون بالغرب	٣١٣
<u>من ملوك الجزائر</u>	٣١٥
جدول تاريخي	٣١٩
الدولة الزيرية « الصنهاجية »	٣٢٠
أمراء الدولة الزيرية الصنهاجية	٣٥٧
<u>من ملوك الجزائر</u>	٣٥٨
جدول تاريخي	٣٦٢
الدولة الخادية	٣٦٣
ملوك الدولة الخادية	٣٩٧
<u>من ملوك الجزائر</u>	٣٩٨
جدول تاريخي	٤٠١
الدولة المرابطية	٤٠٣
أمراء المرابطين	٤١٣
<u>من ملوك الجزائر</u>	٤١٤
جدول تاريخي	٤١٨